

سلسلة تحقيق التراث (٣٥)



البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الرابع

من أول سورة القلم إلى نهاية سورة العلق

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي

البستان
في
إعراب مشكلات القرآن

ⓒ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٣٩هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجندي، أحمد محمد
البستان في إعراب مشكلات القرآن/ أحمد محمد الجندي ـ الرياض، ١٤٣٩ هـ
٢٥١٣ ص، ١٧×٢٤ سم، ٥ مج.
١. القرآن ـ إعراب. ٢- القرآن ـ نحو. ٣- القرآن ـ القراءات والتجويد
أ. العنوان.
ديوي: ٢٢٤,٢
الإيداع: ١٤٣٩/٥٤٢٣
ردمك: ٣- ٥٥- ٨٢٠٦-٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)
٧- ٦٠- ٨٢٠٦-٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٤)

الطبعة الأولى
١٤٣٩هـ = ٢٠١٨م

الموزّع خارج المملكة العربية السعودية:
أروقة للدراسات والنشر
هاتف وفاكس: ٤٦٤٦١٦٣ (٠٠٩٦٢٦)
ص.ب: ١٩١٦٣ عمّان ١١١٩٦ الأردن
البريد الإلكتروني: info@arwiqa.net
الموقع الإلكتروني: www.arwiqa.net

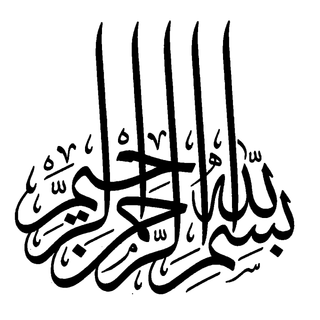


البستان في إعراب مشكلات القرآن

تصنيف
أحمد بن أبي بكر بن عمر الجبلي
المعروف بابن الأحنف اليمني
المتوفى سنة ٧١٧ هجرية

الجزء الرابع
من أول سورة القلم إلى نهاية سورة العلق

دراسة وتحقيق
الدكتور أحمد محمد عبد الرحمن الجندي



سورة القلم
مكِّية

وهي ألف ومائتان وستة وخمسون حرفًا، وثلاثمائة كلمةٍ، واثنتان وخمسون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ أعْطاهُ اللهُ عزّ وجلّ ثَوابَ الَّذِينَ حَسَّنَ أخْلاَقَهُمْ»[1].

وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿نٓ﴾ ارْتَعَدَ القَلَمُ واسْتَغْفَرَ لَهُ، وَكُتِبَ مِنَ المُحْسِنِينَ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ أي: ما تَكْتُبُ المَلاَئِكَةُ مِنْ

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٥، الوسيط ٤/ ٣٣٢، الكشاف ٤/ ١٤٨، مجمع البيان ١٠/ ٨٢، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

أعمال بَنِي آدَمَ، افتتح اللهُ هذه السورةَ بِحَرْفٍ من حروف المعجم.

واختلف القراء فيه[١]، فأدغم ابنُ عامر والكسائيُّ وأبو بكر النونَ في الواو، وأظهرها الباقون، وقرأ ابن عباس بالكسر على إضمار حرف القَسَمِ، وجوابه قوله: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ﴾[٢]، وقرأ عيسى بن عُمَرَ بالفتح على إضمار فعل؛ أي: اذْكُرْ / نُونَ، أو: اقْرَأْ نُونَ، ولَمْ ينصرف؛ [٢٤١/ ب] لأنه معرفة، وهو اسمٌ لِمُؤَنَّثٍ، وهي السورة[٣]، وقيل[٤]: إنه اسمٌ أعجميٌّ،

---

(١) قرأ يعقوبُ بن جعفر عن نافعٍ، والكسائيُّ عن أَبِي بكر عن عاصم، ووَرْشٌ والبَزِّيُّ وابنُ ذَكْوانَ وهشامٌ وخَلَفٌ وابنُ محيصن والشَّنَبُوذِيُّ: «ن وّالقَلَمِ» بإدغام النون فِي الواو، وقرأ حَفْصٌ عن عاصم، وحسَيْنٌ الجُعْفِيُّ ويحيى بنُ آدم عن أَبِي بكر عن عاصم، وابنُ كثير ونافعٌ وأبو عمرو وابن عامر وحَمْزةُ بإظهار النون عند الواو، وقرأ عيسى بن عُمَرَ وسعيد ابن جُبَيْرٍ: «نُونِ» بالكسر، وقرأ ابن عباس وابن أَبِي إسحاق وأبو السَّمّالِ والحَسَنُ وعيسى ابن عُمَرَ ونَصْرُ بن عاصم: «نُونَ» بالفتح، ينظر: السبعة ص ٦٤٦، مختصر ابن خالويه ص ١٦٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨١، ٣٨٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٣، البحر المحيط ٨/ ٣٠٢، الإتحاف ٢/ ٥٥٤.

(٢) هذا قول أَبِي حاتم، ذكره النَّحّاسُ في إعراب القرآن ٥/ ٥، وبه قال مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٦.

وإضمار حرف القَسَمِ أجازَهُ سيبويه فقال: «ومثل ذلك: اللهِ لا أَفْعَلُ... ومثل ذلك: آللهِ لَتَفْعَلَنَّ، إذا اسْتَفْهَمْتَ، أَضْمَرُوا الحَرْفَ الذي يَجُرُّ، وحذفوا تخفيفًا على اللسان». الكتاب ٢/ ١٦٠-١٦١.

(٣) هذا قول سيبويه والأخفش والنحاس، ينظر: الكتاب ٣/ ٢٥٨، وقول الأخفش حكاه النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٣.

(٤) أنكر سيبويه أن يكون «نُونُ» ونَحْوُهُ أعْجَمِيًّا، فقال: «وأما «صادُ» فلا تحتاج إلى أن تجعله اسمًا أعجميًّا؛ لأن هذا البناء والوزن من كلامهم، ولكنه يجوز أن يكون اسمًا للسورة، =

وقيـل[١]: إنها شـبهت بـ«أَيْنَ» و«كَيْفَ»، وقيل[٢]: شـبهت بـ«ثُـمَّ»، وقيل[٣]: شـبهت بنـون الجمع، وقال أبو حاتـم[٤]: حذفت منها واوُ القَسَـمِ، فانتصب بإضمار فِعْلٍ كما تقول: اللهَ لَقَدْ كانَ ذَلِكَ.

وأما النون فهو الحوت العظيم الـذي يَحْمِلُ الأرضَ، وجمعه نِينانٌ[٥]، والحـوت على البحر، والبحر على مَتْنِ الرِّيحِ، والرِّيحُ على القُدْرةِ، واختلفوا في اسـمه، فمنهم من قال: اسـمه بَهْمُوتُ، ومنهم من قـال: لُيُوثا، ومنهم من قال: لُوِثِيّا، ومنهم من قال: بَلْهُوتُ، قال الراجز:

٣٧٢ ـ مـا لِي أراكُـمْ كُلَّكُمْ سُـكُوتا
واللهُ رَبِّي خَـلَـقَ البُـلْـهُـوتـا[٦]

= فـلا تَصْرِفُهُ». الكتـاب ٣/ ٢٥٨، والذي قال بأن لفظ «نون» أعجمي هو الأخفش كما ذكر النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٣/ ٣٩٥.

(١) يعنـي أنه فتح لالتقاء السـاكنين مثل «أيـن» و«كيف»، وهذا قول سـيبويه، قاله في الكتاب ٣/ ٢٥٨، ٢٥٩، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٥.

(٢) قالـه الفـراء في معانِي القـرآن ١/ ١٠، ٢/ ٣٩٦، وينظر: إعراب القـرآن للنحاس ٥/ ٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٥.

(٣) يعني جمع المذكر السـالِمَ، وهذا القول ذكره النحـاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٥.

(٤) ينظر قوله في إعراب القرآن ٥/ ٤، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٥.

(٥) قال سيبويه: «ونِينانٌ: جَماعةُ النُّونِ». الكتاب ٣/ ٥٩٣.

(٦) البيتان من الرَّجَزِ المشطور، لَمْ أقف على قائلهما، ويُرْوَى الثانِي: «**البُهْمُوتا**».

التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٥، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٤، غرائب التفسير للكرماني ص ١٢٣٥، اللباب فِي علوم الكتاب ١٩/ ٢٦٢.

وقيل: هو آخِرُ حُرُوفِ الرَّحْمَنِ، وقيل: هو الدَّواةُ، قال الشاعر:

٣٧٣ ـ إذا ما الشَّـوْقُ بَرَّحَ بِي إلَيْهِمْ   أَلْقَـتِ النُّـونُ بِالدَّمْـعِ السَّـجُومِ(٧)

يعني الدَّواةَ، وقيل: هو لَوْحٌ من نُورٍ، وقيل: هو افتتاح اسمه: نور وناصر ونَصِير، وقيل: هو قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ تعالى به، وهو حرفُ اسْمٍ من أَسْمائِهِ، وقال جعفر الصادق: هو نَهَرٌ في الجنة(٨).

وأمـا القَلَمُ فهو الذي يُكْتَبُ به فِي اللَّـوْحِ المحفوظ، وهو قَلَمٌ من نُورٍ، طُولُهُ ما بَيْنَ السماء والأرض، أَقْسَمَ اللهُ تعالى به، ويُسَمَّى القَلَمُ الذي يُكْتَبُ به قَلَمًا؛ لأنه قُلِمَ مَرّةً بعد أُخْرَى، ومن هذا: قد قَلَمَ فُلاَنٌ ظُفْرَهُ.

فصل

عن أَبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: سَـمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أَوَّلَ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللهُ القَلَمُ، ثم خَلَقَ النونَ ـ وهي الدواة ـ، ثم قال: اكْتُبْ ما هو كائِـنٌ مِـنْ عَمَلٍ أو أَثَرٍ أو رِزْقٍ أو أَجَلٍ، فَكَتَـبَ ما يكون وما هو كائِنٌ إلى يوم القيامة، ثم خُتِمَ على القَلَمِ فلم يَنْطِقْ، ولا يَنْطِقُ إِلَى يوم القيامة»(٩).

---

(٧) البيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله.
اللغة: بَرَّحَ به الشَّوْقُ: اشتدَّ به وشَقَّ عليه، السَّجُومُ: المُنْصَبُّ.
التخريـج: الكشـف والبيان ١٠/ ٦، المحرر الوجيـز ٥/ ٣٤٥، البحر المحيط ٨/ ٣٠٢، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٦٢، روح المعاني ٢٩/ ٢٣.

(٨) ينظر في هذه الأقوال: جامع البيان ٢٩/ ١٨-٢١، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣، الكشف والبيان ١٠/ ٥، ٦، زاد المسير ٨/ ٣٢٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٣-٢٢٤.

(٩) رواه ابنُ عَدِيٍّ في الكامل في الضعفاء ٦/ ٢٦٩، وينظر: الوسـيط ٤/ ٣٣٣، تاريخ دمشق ٥/ ١٧٤، ٥٦/ ٢٠٨، ٦١/ ٣٨٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٣، الدر المنثور ٦/ ٢٥٠.

ورُوِيَ عـن أبِي هريرة أنه قال: «الأرَضُـونَ على نُونٍ، ونُونٌ على الماء، والماء على الصخرة، والصخرة لها أربعة أركان، على كل رُكْنٍ منها مَلَكٌ قائِمٌ في الماء».

وقيـل[1]: «لَمّـا خَلَقَ اللهُ عزّ وجلّ الأرضَ وفَتَقَها، بَعَثَ اللهُ ـ سبحانه ـ من تحت العرش مَلَكًا، فَهَبَطَ إلَى الأرض حَتَّى دَخَلَ تَحْتَ الأرَضِينَ السَّـبْعِ، فَوَضَعَها على عاتقه، وإحدى يديه / بالمشـرق والأخرى بالمغرب باسِطَتَيْنِ [٢٤٢/ أ] قابِضَتَيْـنِ على الأرَضِينَ السَّـبْعِ حَتَّى ضَبَطَها، فلم يكن لِقَدَمَيْـهِ مَوْضِعُ قَرارٍ، فَأَهْبَـطَ اللهُ تعالى من الفردوس ثَوْرًا له أربعون أَلْفَ قَرْنٍ، وأربعون أَلْفَ قائِمةِ أَقْدامٍ، وجَعَلَ قَرارَ قَدَمِ المَلَكِ على سَنامِهِ، فَلَمْ تَسْتَقِرَّ قَدَماهُ، فَأَحْدَرَ اللهُ تعالى ياقوتـةً خَضْراءَ من أعلى دَرَجةٍ فِي الفِرْدَوْسِ، غِلَظُها مسيرةُ خمسـمائة عام، فوضعها من سَـنامِ الثَّوْرِ إلَى أُذُنَيْهِ، فاسـتقرت عليها قَدَماهُ، وقُرُونُ ذلك الثَّوْرِ خارجةٌ من أقطار الأرض، ومِنْخَراهُ فِي البَحْرِ، فهو يتنفس كل يوم نَفَسًـا، فإذا تَنَفَّسَ مَدَّ البَحْرُ، وإذا رَدَّ نَفَسَهُ جزَرَ، فلم يَكُنْ لِقَوائِمِ الثَّوْرِ مَوْضِعُ قَرارٍ، فَخَلَقَ اللهُ تعالى صخرةً خضراءَ كَغِلَظِ سَبْعِ سَماواتٍ وسَبْعِ أرَضِينَ، فاستقرت قوائمُ الثور عليها، وهي الصخرة التي قال الله تعالى فيها حكايةً عن لُقْمانَ: ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ﴾[2]، ورُوِيَ أن لُقْمـانَ لَمّـا قـال هذه الكلمةَ انْفَطَرَ مِـنْ هَيْبَتِها ومات، فكان ذلك آخِرَ حِكْمَتِهِ، فلم يكن للصخرة مُسْتَقَرٌّ، فَخَلَقَ اللهُ تعالى نُونًا، وهو الحوت العظيم، اسـمه لُوثِيّا، وكُنْيَتُهُ بَلْهُوتُ، ولَقَبُهُ بَهْمُوتُ، فَوَضَعَ الصخرةَ

---

(١) ينظر هذا القول فِي الكشف والبيان ١٠/ ٥، ٦، معجم البلدان ١/ ٢٣، وهو منكر.

(٢) لقمان ١٦.

على ظهره، وسائرُ جَسَدِهِ خالٍ، والحوت على البحر، والبحر على مَتْنِ الرِّيحِ، والرِّيحُ على القُدْرةِ»، ويقال: إن الدنيا بما عليها حَرْفانِ من كتاب الله تعالى، قال لها الجبارُ: كُوني فكانت.

قال كعب الأحبار[١]: «إنَّ إبْلِيسَ تَغَلْغَلَ إِلَى الحوت الذي على ظَهْرِهِ الأَرْضُ كُلُّها، فَوَسْوَسَ إليه، وقال: أتَدْرِي ما على ظَهْرِكَ يا لُوثِيّا! من الأُمَمِ والدَّوابِّ والشَّجَرِ والجِبالِ وغَيْرِها؟ لو نَفَضْتَهُمْ أَلْقَيْتَهُمْ عن ظَهْرِكَ أَجْمَعَ، قال: فَهَمَّ لُوثِيّا أن يفعل ذلك، فبعث الله عزّ وجلّ دابّةً، فدخلت مِنْخَرَهُ ووصلت إِلَى دِماغِهِ، فَضَجَّ الحُوتُ إلى الله عزّ وجلّ منها، فَأَذِنَ اللهُ تعالى لها فَخَرَجَتْ، قال كعبٌ: الذي نفسي بِيَدِهِ إنه لَيَنْظُرُ إليها / وتَنْظُرُ إليه، فَإِنْ هَمَّ الحُوتُ بشيء من ذلك عادَتْ كما كانت». [٢٤٢/ ب]

قوله تعالى: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ هذا جواب القَسَم، وهو جواب لقولهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[٢]، فأقسم الله تعالى بالحُوتِ وبالقَلَمِ وبأعمال بَنِي آدَمَ، فقال: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ﴾، ومعناه: ما أنت يا محمد بِما أَنْعَمَ اللهُ عليك به من النُّبُوّةِ والرسالةِ والعَقْلِ والفَهْمِ بِمَجْنُونٍ، إذْ كان عليه السلام أعْقَلَ أَهْلِ زَمانِهِ، والمَجْنُونُ: المَسْتُورُ العَقْلِ، ومن هذا: جَنَّ عليه الليلُ وأَجَنَّهُ الليلُ، ومنه قيل للجَنِينِ: جَنِينٌ، ولِلْقَبْرِ: جَنَنٌ، ولِلْجِنِّ: جِنٌّ؛ لأنهم مستورون عن أَعْيُنِ الناس[٣].

قوله تعالى: ﴿فَسَتُبْصِرُ﴾ يا محمد ﴿وَيُبْصِرُونَ ۝٥﴾ يعني كفار مكة

---

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٦، تفسير القرطبي ١/ ٢٥٧، ١٨/ ٢٢٤.

(٢) الحجر ٦.

(٣) من أول قوله: «ما أنت يا محمد بما أنعم الله» قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥، ٦.

الذين رَمَوْهُ بالجُنُونِ ﴿بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ يعني الجُنُون[١]، وهو مصدر على وزن المَفْعُـولِ كما يقال: ما لِفُلاَنٍ مَجْلُـودٌ ومَعْقُودٌ ومَعْقُولٌ؛ أي: جَلَدٌ وعَقْدٌ وعَقْلٌ[٢]، قال الراعي[٣]:

٣٧٤ـ حَتَّـى إذا لَـمْ يَتْرُكُوا لِعِظامِهِ لَـحْمًـا وَلاَ لِـفُـؤادِهِ مَـعْـقُـولا[٤]

أي: عَقْلًا.

وقيل[٥]: الباء بمعنى «في»، مَجازُهُ: فَسَتُبْصِرُ ويُبْصِرُونَ، في أيِّ الفَرِيقَيْنِ المَجْنُـونُ؟ في فَرِيقِكَ يا محمد أو فـي فَرِيقِهِمْ؟ وقيل: معناه: أَيُّكُم المَفْتُونُ؟

---

(١) فِي الأصل: «المجنون».

(٢) هذا قول الفراء، فقد قال: «وهو في مذهب الفُتُونِ». معانِي القرآن ٣/ ١٧٣، يعني: المصدر، وهـو أحد قولين للزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٥، وقاله ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٣٢٦، وحكاه النحاس عن الحسـن والضحاك، واستحسـنه في إعراب القرآن ٥/ ٧، وينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٦، البحر المحيط ٨/ ٣٠٣، الدر المصون ٦/ ٣٥١.

(٣) هو عُبَيْدُ بن حُصَيْنِ بن معاوية بن جَنْدَلٍ، أبو جندل النُّمَيْرِيُّ، من فحول الشعراء الأمويين، مـن بادية البصرة، لُقِّبَ بالراعـي لكثرة وصفه الإبلَ، وهو من أصحـاب الملحمات، كان يُفَضِّلُ الفَرَزْدَقَ على جَرِيرٍ، فهجاه جريرٌ هِجاءً مُرًّا، توفِّي سـنة (٩٠هـ). [الشعر والشعراء ص ٤٢٢-٤٢٥، طبقات فحول الشعراء ص ٥٠٢، الأعلام ٤/ ١٨٨].

(٤) البيت من الكامل للراعي النُّمَيْرِيِّ، من قصيدة يمدح بها عَبْدَ الملك بن مروان.
التخريج: ديوانه ص ٢٣٦، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٣٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٢٦، الكشف والبيان ١٠/ ١١، أسـاس البلاغة: عقل، شمس العلوم ٧/ ٤٦٥٢، زاد المسير ٤/ ١٩٢، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٩، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٧٢.

(٥) هـذا قول آخر للفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٧٣، وهو قـولٌ آخرُ للزجاج في معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ٢٠٥، وحـكاه الطبري والنحاس عن مجاهد، ينظر: جامـع البيان ٢٩/ ٢٥، إعراب القرآن ٥/ ٧، وينظر أيضًا: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٧، القرطبي ١٨/ ٢٢٩، البحر المحيط ٨/ ٣٠٣.

والباء زائدة كقوله تعالى: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ﴾[(١)] و﴿عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[(٢)]، وهذا قول قتادة[(٣)] والأخفش[(٤)]، قال الراجز:

نَحْـنُ بَنُـو جَعْـدَةَ أَرْبَـابُ الفَلَـجْ
نَضْـرِبُ بِالسَّـيْفِ وَنَرْجُـو بِالفَرَجْ[(٥)]

أي: نَرْجُو الفَرَجَ، ومعنى الآية: سَتَرَى يا محمد، ويَرَى أَهْلُ مكة إذا نَزَلَ بِهِم العَذابُ بِبَدْرٍ بِأَيِّكُم المفتونُ المَجْنُونُ الذي فُتِنَ بالجُنُونِ أَنْتَ أم هُمْ؟، وهذا وَعِيدٌ لَهُم بالعذاب يوم بَدْرٍ.

قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ۝٩﴾ يعني: وَدُّوا لو تَكْفُرُ فَيَكْفُرُونَ، يقال: أَدْهَنَ الرَّجُلُ فِي دِينِهِ وداهَنَ فيه: إذا خانَ فيه، وأَظْهَرَ خِلافَ ما أَضْمَرَ، والمُداهَنَةُ: النِّفاقُ وتَرْكُ المُناصَحةِ والصِّدْقِ[(٦)].

[٢٤٣/ أ] قوله: / ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ﴾ يعني كَثِيرَ الحَلِفِ بالباطل ﴿مَّهِينٍ ۝١٠﴾ هو «فَعِيلٌ» من المَهانةِ، وهو الضعيفُ الحَقِيرُ قَلِيلُ الرَّأْيِ والتمييزِ[(٧)]، وليس هو مأخوذًا من الهَوانِ.

---

(١) المؤمنون ٢٠.
(٢) الإنسان ٦.
(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٢٦، إعراب القرآن ٥/ ٧، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٢٩.
(٤) معاني القرآن للأخفش ص ٥٠٥.
(٥) تقدم برقم ٢٤، ١/ ٢٧٦.
(٦) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٥٣/ أ، وحكاه الأزهري عن اللحيانِيِّ في تهذيب اللغة ٦/ ٢٠٧، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٠.
(٧) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٥، إعراب القرآن ٥/ ٨، وفعله مَهُنَ يَمْهُنُ، ومصدره المهانةُ، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٥٣/ أ، تهذيب اللغة ٦/ ٣٣٠.

قولـه: ﴿هَمَّازٍ﴾؛ أي: مُغْتاب يأكل لُحُـومَ الناسِ، وأصل الهَمْزِ: الغَمْزُ، وقيل لبعض الأعراب: الفَأْرةُ تُهْمَزُ؟ فقال: السِّـنَّوْرُ يَهْمِزُها[١]، وقوله: ﴿مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾؛ أي: قَتّاتٍ يَمْشِي بالنميمة بين الناس ﴿مَّنَّاعٍ لِّلۡخَيۡرِ﴾ بِخَيلٍ بالمال ﴿مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾﴾؛ غَشُـومٍ ظَلُـومٍ يَعْتَـدِي على الحق، أثِيمٍ فِـي جميع أفعاله فاجِرٍ ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾ العُتُـلُّ هو الشَّدِيدُ الخُصُومةِ فِي الباطِلِ[٢]، وقيل[٣]: الغَلِيظُ الجافِي، وقيل[٤]: الفاحِشُ الخُلُقِ السَّيِّءُ الخَلْقِ، وقيل[٥]: هو الأكُولُ الشَّـرُوبُ القَوِيُّ الشَّدِيدُ، وقيل[٦]: هو الشَّـدِيدُ فِي كُفْرِهِ، وكُلُّ شَدِيدٍ عند العرب فهو عُتُلٌّ، وأصله من العَتْلِ وهو الدَّفْعُ بالعُنْفِ، بُنِيَ على «فُعُلٍّ»[٧].

---

(١) هـذا القول ذكره ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ١٣٢، ١٣٣، وينظر: الصحاح ٣/ ٩٠٢، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦١، تصحيح الفصيح وشرحه ص ٤٣١، المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٧، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، والسنور: القِطُّ.

(٢) قالـه الكلبي والفـراء، ينظر: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ١٧٣، تهذيب اللغـة ٢/ ٢٧٠، زاد المسير ٨/ ٣٣٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٢، البحر المحيط ٨/ ٣٠٠.

(٣) قالـه ابن قتيبة والزجاج والأزهري، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٨، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٦، تهذيب اللغة ٢/ ٢٧٠، وينظر أيضًا: زاد المسير ٨/ ٣٣٢.

(٤) قاله عَلِيُّ بن أبي طالب والحسنُ، ينظر: الكشف والبيان ٧/ ١٢، الوسيط ٤/ ٣٣٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٣.

(٥) قاله عبيد بن عمير والليث، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٣٠، تهذيب اللغة ٢/ ٢٧٠، الكشـف والبيان ١٠/ ١٢، الوسيط ٤/ ٣٣٥، زاد المسير ٨/ ٣٣٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٣.

(٦) قاله عكرمة والكلبي وأبو عبيدة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٦٤، الكشـف والبيان ١٠/ ١٢، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ.

(٧) حـكاه النقـاش عن محمد بن نعيم في شـفاء الصـدور ورقة ١٥٣/ ب، وقـال الأزهري: «وقال أبو معاذ النحوي: العَتْلُ: الدَّفْعُ والإرْهاقُ بالسَّوْقِ العَنِيفِ... ابن السكيت: عَتَلْتُهُ إلَى السِّجْنِ وعَتَنْتُهُ فأنا أعْتِلُهُ وأعْتُلُهُ وأعْتُنُهُ: إذا دَفَعْتَهُ دَفْعًا عَنِيفًا». تهذيب اللغة ٢/ ٢٧٠.

وقوله: ﴿بَعْدَ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: مع ما وَصَفْناهُ به ﴿زَنِيمٍ﴾ الزَّنِيمُ هو المُلْحَقُ النَّسَبِ المُلْصَقُ بالقوم وليس منهم[١]، قال عَلِيُّ بن أَبِي طالب ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ[٢]: الزَّنِيمُ: الذي لا أَصْلَ لَهُ.

وقيل[٣]: الزَّنِيمُ هو الذي له زَنَمةٌ كَزَنَمةِ الشّاةِ، كما كان للوليد بن المُغِيرةِ زَنَمةٌ من أسْفَلِ أُذُنِهِ، فهو يُعْرَفُ باللُّؤْمِ كما تُعْرَفُ الشّاةُ بِزَنَمَتِها. ويقال[٤]: تَيْسٌ زَنِيمٌ: إذا كان له زَنَمَتانِ، وهما الحَلَمَتانِ المُعَلَّقَتانِ فِي حَلْقِهِ.

والمَعْنِيُّ بذلك كله[٥] قيل: الوليد بن المغيرة، وقيل: الأَخْنَسُ بن شَرِيقٍ[٦]، وقيل: الأَسْوَدُ بن عبد يَغُوثَ[٧]. قال الشاعر في الزنيم:

---

(١) قاله الفراء وأبو عبيدة والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٧٣، مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٦، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٦١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٣، مجمع البيان ١٠/ ٨٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤.

(٣) قاله ابن عباس والضحاك ومجاهد، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٦٨٨، جامع البيان ٢٩/ ٣٣، شفاء الصدور ورقة ١٥٣/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٣، زاد المسير ٨/ ٣٣٣، عين المعاني ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤.

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٦١.

(٥) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٣٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٥، فتح الباري ٨/ ٥٠٧، لباب النقول ص ٢٠١.

(٦) الأَخْنَسُ بن شَرِيقِ بن عمرو، أبو ثعلبة الثَّقَفِيُّ، اسمه أُبَيٌّ، جاء إلى الرسول وقال: إنِّي أريد الإسلام، ويَعْلَمُ اللهُ إنِّي لَصادِقٌ، فَأُعْجِبَ النَّبِيُّ بحديثه، فلما خرج من عند النَّبِيِّ، مَرَّ بزرع لِقَوْمٍ من المسلمين وحُمُرٍ، فأحرق الزرع، وعَقَرَ الحُمُرَ، ثم أسلم بعد ذلك، وشهد حُنَيْنًا، ومات في أول خلافة عمر رحمه الله. [أسد الغابة ١/ ٤٧، ٤٨، الإصابة ١/ ١٩٢].

(٧) الأَسْوَدُ بن عَبْدِ يَغُوثَ بن وهب بن عبد مَنافٍ الزُّهْرِيُّ، خال النبي ﷺ، كان من المستهزئين بالإسلام، ومات على كفره. [سيرة ابن هشام ٢/ ٢٧٧، تاريخ دمشق ٣٤/ ٢٢٠-٢٢١].

٣٧٥ ـ زَنِيمٌ تَداعاهُ الرِّجالُ زِيادةً كَما زِيدَ فِي عَرْضِ الأَدِيمِ الأَكارِعُ[١]

وقال حسان:

٣٧٦ ـ فَأَنْتَ زَنِيمٌ نِيطَ فِي آلِ هاشِمٍ كَمانِيطَ خَلْفَ الرّاكِبِ القَدَحُ الفَرْدُ[٢]

وقال آخر:

٣٧٧ ـ زَنِيمٌ لَيْسَ يُعْرَفُ مَنْ أَبُوهُ بَغِيُّ الأُمِّ[٣] ذُو حَسَبٍ لَئِيمِ[٤]

---

(١) البيت من الطويل، لِحَسّان بن ثابت، وليس فِي ديوانه، ونُسِبَ لِعَدِيٍّ بن زيد، ونسب لِلْخَطِيمِ التميمي.
اللغة: الأديم: الجِلْدُ المدبوغ، الأكارع: جمع كُراعٍ وهو طرف كل شيء، وأكارِعُ الناسِ: سِفْلَتُهُمْ.
التخريج: ملحق ديوان عدي بن زيد ص ٢٠١، الكامل للمبرد ٣/ ٢٢٣، الفاضل للمبرد ص ١٠، الاشتقاق لابن دريد ص ١٧٥، إعراب القراءات السبع ١/ ٣٠، ٢/ ٣٠٨، مقاييس اللغة ٣/ ٢٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٢، أساس البلاغة: زنم، المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨، تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٨٤، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١/ ٢٥، ١٨/ ٢٣٤، اللسان: زنم، البحر المحيط ٨/ ٣٠٠، الدر المصون ٦/ ٣٥٢، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٧٧، التاج: زنم.

(٢) البيت من الطويل، لحسان يهجو أبا سفيان بن الحارث، ورواية ديوانه: «**وَكُنْتَ دَعِيًّا نِيطَ**».
التخريج: ديوان حسان ص ١١٨، مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، جامع البيان ٢٩/ ٣٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٦، تهذيب اللغة ١٤/ ٢٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٣، الكشاف ٤/ ١٤٢، المحرر الوجيز ٥/ ٣٤٨، زاد المسير ٨/ ٣٣٣، عين المعاني ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤، اللسان: زنم، قدح، نوط، البحر المحيط ٨/ ٣٠٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٠٤، الدر المصون ٦/ ٣٥٢، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٧٧، التاج: قدح، نوط، زنم.

(٣) في الأصل: «نقي الأصل»، والتصويب من حاشية الأصل.

(٤) البيت من الوافر، لَم أقف على قائله.
التخريج: جامع البيان ٢٩/ ٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٣، تفسير القرطبي ١/ ٢٥،=

فصل

عن شَـدّادِ بن أَوْسٍ[(١)] قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنّةَ جَوّاظٌ ولا جَعْظَـرِيٌّ ولا عُتُـلٌّ زَنيمٌ»، قـال: قلتُ: فما الجَوّاظُ؟[(٢)] قـال: «كُلُّ دَفّاعٍ مَـنّـاعٍ»، قلتُ: فما الجَعْظَرِيُّ؟ قال: «الغَلِيظُ»، قلتُ: فما العُتُلُّ الزَّنِيمُ؟ قال: «كُلُّ رَحْبِ الجَوْفِ سَيِّئِ الخُلُقِ أكُولٍ شَرُوبٍ ظَلُومٍ غَشُومٍ»[(٣)].

وعـن أبي هريـرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا يدخل الجَنّـةَ وَلَدُ الزِّنَى ولا وَلَدُهُ ولا وَلَدُ وَلَـدِهِ»[(٤)]، وعن ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ أَوْلَادَ الزِّنَى/ يُحْشَرُونَ يوم القيامة فِي صورة القِرَدةِ والخَنازِيرِ»[(٥)]. [٢٤٣/ ب]

= ١٨/ ٢٣٤، غرائب التفسـير للكرمانِيِّ ص ١٢٣٨، المستطرف للأبشيهي ١/ ٥٠، ١٣٢، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٣١، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٧٧-٢٧٩.

(١) شَدّادُ بن أَوْسِ بن ثابت الخَزْرَجِيُّ، أبو يَعْلَى الأنصاريُّ، صَحابِيٌّ من الأمراء، ابن أخ حسان ابـن ثابـت، كان فصيحًا حليمًا حكيمًـا، وَلاَّهُ عُمَرُ إمارة حِمْصَ، ولمـا قُتِلَ عثمان اعتزل، وعكف على العبادة، توفي بالقدس سـنة (٥٨هـ). [أسـد الغابة ٢/ ٣٨٧، ٣٨٨، الإصابة ٣/ ٢٥٨-٢٥٩، الأعلام ٣/ ١٥٨].

(٢) في الأصل: «فما العتل الزنيم»؟ وهو غير مستقيم.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسـند ٤/ ٢٢٧، وابن أبِي شـيبة في مصنفه ٦/ ٨٩، وينظر: شـفاء الصدور ورقة ١٥٣/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٣، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٩٣ كتاب صفة النار: باب في أهل النار.

(٤) هـذا الحديث موضـوع، رواه ابن الجوزي فـي الموضوعات ٣/ ١١٠، وينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٤، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤.

(٥) هـذا الحديـث موضـوع، رواه العقيلي فـي الضعفاء الكبيـر ٢/ ٧٥، وابـن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٠٩، وينظر: الكشـف والبيـان ١٠/ ١٤، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٤.

وعن مَيْمُونةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قالت: سـمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: «لا تَزالُ أُمَّتِي بِخَيْرٍ ما لَمْ يَفْشُ فيهم وَلَدُ الزِّنَى، فإذا فَشا فيهم وَلَدُ الزِّنَى فَيُوشَكُ أنْ يَعُمَّهُم اللهُ بِعِقابٍ»[١]، وعن عكرمة أنه قال: «إذا كَثُرَ وَلَدُ الزِّنَى قَلَّ المَطَرُ»[٢].

قولـه: ﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾﴾ يعني الوليد بن المغيرة، قرأ ابن عامر وأبو جعفر وحمزة ويعقوب: ﴿آنْ كانَ﴾ بهمزة واحدة، بعدها مَدّةٌ، واختاره أبو حاتم، غير أن هِشامًا يَمُدُّ أطْوَلَ مِنْ مَدِّ ابن ذَكْوانَ؛ لأنه يُدْخِلُ بَيْنَ الهمزتين أَلِفًا علـى أصله، وقرأ حمزةُ، وعاصمٌ برواية أبي بكر: ﴿أأنْ﴾ بهمزتين من غير مَدٍّ على الاستفهام، وهو استفهام توبيخ، وقرأ الباقون: ﴿أَن كَانَ﴾[٣] بهمزة واحدة من غير مَدٍّ على الخبر، قال الفَرّاءُ والزَّجّاجُ[٤]: معناه: لِأنْ كان ذا مال وبنين.

﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا﴾ يعني القرآن الكريم ﴿قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾﴾ يعنـي أحاديث الأوليـن، و﴿أَسَٰطِيرُ﴾ خبر ابتداء مضمر، وواحد الأسـاطير: سَطْرٌ، وجمع السَّطْرِ سُطُورٌ، وجمع السُّـطُورِ أساطِيرُ، وهو قول الكسائيِّ[٥]، وقال ثعلب[٦]: واحد الأسـاطِيرِ أُسْـطُورةٌ مثل أُحْدُوثـةٍ وأحادِيثَ، وأُرْجُوزةٍ وأراجِيزَ، وأُعْجُوبةٍ وأعاجِيبَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسـند ٦/ ٣٣٣، وينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٤، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٥، مجمع الزوائد ٦/ ٢٥٧ كتاب الحدود والديات: باب فِي أولاد الزِّنى.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٤، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٥.

(٣) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٦٤٦-٦٤٧، معانِي القراءات ٣/ ٨٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٢، الحجة للفارسي ٤/ ٥٦، النشر ١/ ٣٦٧، الإتحاف ٢/ ٥٥٤.

(٤) معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٧٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٦.

(٥) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٥٤/ أ.

(٦) المصدر السابق.

قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلۡخُرۡطُومِ ١٦﴾ يعني الوليد بن المغيرة؛ أي: نَخْطِمُهُ بالسَّيْفِ عَلامَةً، فَخُطِمَ يوم بَدْرٍ[1]، والسِّمةُ: سُبّةٌ قَبيحةٌ لا تُفارِقُ صاحِبَها، قال الشاعر:

٣٧٨ ـ لَمّا وَضَعْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وَعَلَى البُعَيْثِ جَدَعْتُ أَنْفَ الأَخْطَلِ[2]

وقيل[3]: نجعل على أَنْفِهِ سِمةً؛ أي: عَلامةً في القيامة يَتَمَيَّزُ بها الكافرُ، وقيل[4]: نُسَوِّدُ وَجْهَهُ، فَعَبَّرَ بالأَنْفِ عن الوَجْهِ كما عَبَّرَ بالبَعْضِ عن الكُلِّ، وقيل[5]: معناه: نُعَذِّبُهُ على شُرْبِ الخُرْطُومِ وهي الخَمْرُ، قال الشاعر:

---

(١) قاله ابن عباس وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٣٥، إعراب القرآن ٥/ ١٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٥، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٦.

(٢) البيت من الكامل، لِجَرِيرٍ يهجو الفرزدق، ورواية ديوانه:

لَوْ قَدْ بَعَثْتُ عَلَى الفَرَزْدَقِ مَيْسَمِي وَعَلَى البُعَيْثِ لَقَدْ نَكَحْتُ الأَخْطَلا

اللغة: المَيْسَمُ: المِكْواةُ أو الشيء الذي تُوسَمُ به الدوابُّ، والمراد به هنا القوافِي، جَدَعَ أَنْفَهُ: قَطَعَها.

التخريج: ملحق ديوان جرير ص ١٠٣٧، شرح نقائض جرير والفرزدق ١/ ٣٣٥، تأويل مشكل القرآن ص ١٥٦، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٣٦، الأغانِي ٧/ ١٨٧، ديوان المعانِي ١/ ١٨١، العمدة ٢/ ٣٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٥، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٣٧، غرائب التفسير للكرمانِي ص ١٢٣٩، البحر المحيط ٨/ ٣٠٠، ٣٠٥، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٨٣.

(٣) قاله قتادة والزجاج، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٣٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٥.

(٤) قاله مقاتل والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٧٤، تهذيب اللغة ٧/ ٦٧٦، الوسيط ٤/ ٣٣٦، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٦١، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ.

(٥) قاله النَّضْرُ بن شُمَيْلٍ، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٦، قال الزمخشري: «وعن النضر بن شُمَيْلٍ أن الخرطومَ الخَمْرُ، وأن معناه: سَنَحُدُّهُ على شُرْبِها، وهو تَعَسُّفٌ». الكشاف ٤/ ١٤٣، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، البحر المحيط ٨/ ٣٠٦.

٣٧٩ـ تَظَلُّ يَوْمَكَ فِي لَهْوٍ وَفِي طَرَبٍ وَأَنْـتَ بِاللَّيْلِ شَـرّابُ الخَراطِيمِ[١]

قوله: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ﴾ يعنـي أهل مكة؛ أي: اخْتَبَرْناهُمْ وامْتَحَنّاهُمْ بالقَحْطِ والجُوعِ حتى أكَلُوا الجِيَفَ والرِّمَمَ ﴿كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ﴾ يعني البستان التِي في اليمن ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾﴾.

والمَعْنِيُّ بالآية قوم من ثَقِيفٍ، كانوا باليمن مُسْـلِمِينَ، وَرِثُوا من أبيهم/ ضَيْعَـةً فيهـا زَرْعٌ ونَخِيلٌ، وكان أبوهم يجعل مِمّا فيها نصيبًا للمسـاكين، فلما وَرِثُوها حَرَمُوا المساكينَ، فصارت عاقبتهم إلى ما قَصَّ اللهُ فِي كتابه، وهو قوله: ﴿إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾[٢] يعني النخيل، حَلَفُوا لَيَقْطَعُنَّ ثَمَرَها إذا أصبحوا قبل أن يعلم المساكينُ، واللام لام القَسَمِ، ونصب ﴿مُصْبِحِينَ﴾ على الحال.

قوله: ﴿وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: لَمْ يقولوا: إنْ شاءَ اللهُ ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾﴾ قال ابن عباس[٣]: أحاطَتْ بها النارُ فاحترقت، وقال مقاتل[٤]: بَعَثَ اللهُ نارًا بالليل على جَنَّتِهِمْ، فَأَحْرَقَتْها حتى صارت سَـوْداءَ، فذلك قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾ يعنـي: كالليل المظلم ـ والصريم: الظُّلْمةُ ـ لِسَـوادِها بالحَرْقِ[٥]، قال الشاعر:

---

(١) البيت من البسيط، للأعرج المُعَنَّى.
التخريج: عيـن المعانِي ورقة ١٣٦/ أ، تفسـير القرطبـي ١٨/ ٢٣٨، البحر المحيط ٨/ ٣٠٠، الـدر المصـون ٣٥٤، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٨٣، فتـح القدير ٥/ ٢٦٩، روح المعانِي ٢٩/ ٢٩.

(٢) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٥٤/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٦، زاد المسير ٢٣٥، الوسيط ٤/ ٣٣٧.

(٣) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٣٧.

(٤) المصدر السابق.

(٥) كذا بالأصل.

٣٨٠ ـ فَما يَنْجابُ عَنْ صُبْحٍ صَرِيمُ[1]

يريـد اللَّيْلَ؛ لأنه يَنْصَرِمُ من النهار، والصَّريمـانِ: اللَّيْلُ والنَّهارُ، وأصل الصَّريمِ: المَصْرُومُ، وكُلُّ شَيْءٍ قُطِعَ مِنْ شَيْءٍ فهو صَرِيمٌ، فالليل صَرِيمٌ والنهار صَرِيمٌ؛ لأن كل واحد منهما يَنْصَرِمُ من صاحبه[2].

قولـه تعالـى: ﴿فَتَنَادَوْاْ مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾﴾ نادَى بعضُهم بعضًـا وقت الصباح ﴿أَنِ ٱغْدُواْ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يعنـي: قاطِعِينَ الجَنّةَ، ولَمْ يعلموا أنها قد احترقت، و﴿مُصْبِحِينَ﴾ نصب على الحـال أيضًا، ﴿فَٱنطَلَقُواْ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يَتَشاوَرُونَ وَيُسِرُّونَ الكلامَ بينهم ﴿أَن لَّا﴾؛ أي: بِأَلّا ﴿يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْاْ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾؛ أي: على جِـدٍّ وجُهْدٍ قادرين عند أنفسهم على جَنَّتِهِمْ وثِمارِها، لا يَحُولُ بينها وبينهم آفةٌ.

وأصـل الحَرْدِ في اللغة يكـون بِمَعْنَى المَنْعِ والغَضَـبِ والقَصْدِ، تقول العرب: حارَدَتِ السَّـنةُ: إذا لَمْ يَكُنْ فيها مَطَرٌ، وحارَدَتِ النّاقةُ: إذا لَمْ يَكُنْ بِها لَبَنٌ[3]، قال الشاعر:

---

(١) هذا عجز بيت من الوافر، وصدره:

تَطـاوَلَ لَيْلُـكَ الجَـوْنُ البَهِيمُ

ويُرْوَى: «عَنْ لَيْلٍ»، ويَنْجابُ: يَنْشَـقُّ وَيَنْكَشِفُ، الصَّرِيمُ: الليل، والصريم: النهار، والمراد هنا الليل، وهو من الأضداد.

التخريج: جامع البيان ٢٩/ ٣٨، الأضداد لأبِي الطيب اللغوي ١/ ٤٢٨، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، تفسـير القرطبي ١٨/ ٢٤١، التبيان للطوسـي ١٠/ ٨٠، الجمان في تشبيهات القرآن ص ٣١٦، اللسان: صرم، التاج: صرم، فتح القدير ٥/ ٢٧١.

(٢) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٧٩، وهذا اللفظ من الأضداد، ينظر: الأضداد لقطرب ص ١٢١-١٢٢، الأضداد لابن الأنباري ص ٨٤، الأضداد لأبِي الطيب ص ٤٢٦-٤٢٨.

(٣) قاله أبو عبيدة وابن السكيت، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٦٥، إصلاح المنطق ص ٤٧، وينظر: =

٣٨١ ـ أقْبَـلَ سَـيْلٌ جاءَ مِـنْ عِنْدِ اللهْ
يَـحْـرِدُ حَـرْدَ الـجَـنَّـةِ الـمُـغِـلَّـهْ[١]

وفيـه لغتان: حَـرْدٌ وحَرَدٌ كالـدَّرْكِ والـدَّرَكِ[٢]، ونصب ﴿قَدِرِينَ﴾ على الحال.

قوله تعالـى: ﴿عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ ﴿٣٢﴾﴾ يعني خَيْرًا مـن جَنَّتِهِمْ، / قرأ أهل المدينة وأبو عمرو بالتشديد، وقرأ غيرهم بالتخفيف[٣]، وهما لغتان، ومنهم من فَرَّقَ بينهما فقال: التبديل: تغييرُ شَـيْءٍ أو تَغْيِيرُ حالِهِ وعَيْنُ الشَّـيْءِ

= غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٧٩، الكامل للمبرد ٢/ ٨٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٧، تهذيب اللغة ٤/ ٤١٤.

(١) البيتان من الرجز المشطور لِحَنْظَلَةَ بن مُصَبِّحٍ، ونُسِبا لِقُرْبِ بن المُسْتَفِيدِ، ولِحَسّانَ بن ثابت.

اللغة: جَنّةٌ مُغِلّةٌ: تعطي الغَلّةَ وهي الدَّخْلُ من كِراءِ دارٍ وفائِدةِ أرْضٍ وغَيْرِ ذلك.

التخريج: ملحق ديوان حسان بن ثابت ١/ ٥٢٢ (تحقيق وليد عرفات)، معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٧٦، مجاز القرآن ٢/ ٢٦٦، إصلاح المنطق ص ٤٧، ٢٦٦، الكامل للمبرد ٢/ ٨٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٠٧، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٤٦، جمهرة اللغة ص ١٦٠، ٥٠١، ٩٦٢، ديوان الأدب ٢/ ١٥١، تهذيب اللغة ٦/ ٤٢٢، سر صناعة الإعراب ص ٧٢١، مقاييس اللغة ٢/ ٥١، أمالِي ابن الشجري ٢/ ١٩٨، البيان للأنباري ٢/ ٤٨، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، الجمان في تشبيهات القرآن ص ٣١٥، اللسان: ألـه، حرد، غلل، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٩١، خزانة الأدب ١٠/ ٣٥٦، التاج: غلل.

(٢) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٨٠، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٤/ ٤١٣.

(٣) ينظر: الحجة للفارسي ٣/ ٩٨، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٢، النشر ٢/ ٣١٤، الإتحاف ٢/ ٥٥٥.

قائِمٌ، والإبدال: رَفْعُ الشَّيْءِ وَوَضْعُ شَيْءٍ آخَرَ مَكانَهُ[1].

قال عبد الله بن مسعود[2]: بَلَغَنِي أن القوم لَمّا أخْلَصُوا، وعَرَفَ اللهُ عزّ وجلّ منهم الصِّدْقَ، أبْدَلَهُمْ بِها جَنَّةً يقال لَها: الحَيَوانُ، فيها عِنَبٌ لا يَحْمِلُ البَغْلُ العُنْقُودَ منها، فهو كالرَّجُلِ الأسْوَدِ القائِمِ.

قوله تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ يعني: في الآخرة ﴿جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ (٣٤)﴾ يعني البساتين ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ (٣٥)﴾ هذه ألِفُ الاستفهام، ومعناها التوبيخ والتقرير ﴿مَا لَكُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦)﴾؛ أي: كَيْفَ تَقْضُونَ بِالجَوْرِ؟ إن هذا الحُكْمَ لَجَوْرٌ، أنْ يُعْطَوْا من الخَيْرِ في الآخرة ما يُعْطَى المسلمون، و﴿مَا﴾ في موضع رفع بالابتداء، وهو اسمٌ تامٌّ، و﴿لَكُمْ﴾ الخبر، و﴿كَيْفَ﴾ في موضع نصب بـ﴿تَحْكُمُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿سَلْهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ (٤٠)﴾؛ أي: أيُّهُمْ بذلك كَفِيلٌ أنَّ لَهُمْ في الآخرة ما للمسلمين؟، والزَّعِيمُ: الكَفِيلُ، قال عليه السلام:

---

(١) مِمَّنْ فَرَّقَ بين بَدَّلَ وأبْدَلَ: الفراءُ وثعلبٌ، قال الفراء: «وإذا قلتَ للرَّجُلِ: قد بُدِّلْتَ، فمعناه: غُيِّرْتَ وغُيِّرَتْ حالُكَ، ولَمْ يأتِ مكانك آخَرُ، فكل ما غُيِّرَ عن حاله فهو مُبَدَّلٌ بالتشديد، وإذا جعلتَ الشيءَ مكان الشيء قلتَ: قد أبْدَلْتُهُ، كقولك: أبْدِلْ لِي هذا الدرهمَ؛ أي: أعطني مكانه». معانِي القرآن ٢/ ٢٥٩، وينظر قول ثعلب في ياقوتة الصراط ص ٢٥١-٢٥٢، التهذيب ١٤/ ١٣٢.
وأما المبرد فإنه يرى أن العرب تستعمل بَدَّلَ وأبْدَلَ بمعنًى واحدٍ، ينظر قوله في ياقوتة الصراط ص ٢٥٣، التهذيب ١٤/ ١٣٢، وينظر أيضًا: معانِي القراءات ٢/ ١١٩، الحجة للفارسي ٣/ ٩٨، ٩٩، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٧٢.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٨، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٥.

«الزَّعِيمُ غارِمٌ»[١] يعني الكفيل، والفعل منه: زَعَمَ يَزْعُمُ زَعامةً.

قولــه تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قرأه العامــة بياءٍ مضمومةٍ، وقرأ ابن عباس بتاءٍ مفتوحةٍ وكَسْرِ الشين[٢]؛ أي: تكْشِفُ القيامةُ، و﴿يَوْمَ﴾ ظـرف لقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ﴾ فـي ذلـك اليـوم ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾﴾، وقيـل[٣]: انتصب ﴿يَوْمَ﴾ على تقدير: اذْكُرْ يا محمدُ يَوْمَ يُكْشَفُ عن ساقٍ، فَيُبْتَدَأُ به[٤].

وقوله: ﴿عَن سَاقٍ﴾؛ أي: عن أمْرٍ شَدِيدٍ فَظِيعٍ، وهو إقبال الآخرة وذَهاب الدنيا، قال ابن عباس[٥]: هو أشَدُّ ساعةٍ في القيامة، قال الشاعر:

٣٨٢ ـ كَشَفَتْ لَكُمْ عَنْ ساقِها وَبَدا مِنَ الشَّرِّ الصُّراحُ[٦]

---

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي أُمامةَ في المسند ٥/ ٢٦٧، ورواه ابن ماجَهْ في سننه ٢/ ٨٠٤ كتاب الصدقات: باب الكفالة، ورواه عبد الرزاق في مصنفه ٨/ ١٧٣، وينظر أيضًا: كنز العمال ١٥/ ١٧٨.

(٢) وقرأ ابن عباس أيضًا وابنُ مسعود وابن هُرْمُزٍ: «نَكْشِفُ»، وقرأ ابن عباس والحسن وأبو العالية: «تُكْشَفُ» بالتاء مَبْنِيًّا للمفعول، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٠، المحتسب ٢/ ٣٢٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٨، البحر المحيط ٨/ ٣٠٩.

(٣) هـذا الوجه والذي قبله ذكرهما مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٣٩٨، ٣٩٩، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٥٥، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥١١.

(٤) يعني أن ﴿يَوْمَ﴾ إذا جُعِلَ مفعولًا به لـ«اذْكُرْ»، فإنه يوقف على ما قبله، وهو ﴿إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ﴾، وإذا كان ظرفا لقوله: ﴿فَلْيَأْتُوا﴾ فإن الكلام متصل بما قبله، ينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٥١١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٨.

(٥) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٤٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٩، الوسيط ٤/ ٣٣٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٩.

(٦) البيت من الكامل لسعد بن مالك جَدِّ أَبِي طَرَفَةَ بن العبد، من قصيدة قالها في حرب البَسُوسِ. =

وهذا من باب الاستعارة، يقال للأمر إذا اشْتَدَّ وتَفاقَمَ وظَهَرَ فزالَتْ غُمّاهُ[١]: كَشَفَ عن ساقِهِ، وهذا جائز فِي اللغة، وإنْ لَمْ يكن للأمر ساقٌ، وهذا كما يقال: أَسْفَرَ وَجْهُ الأمْرِ، واسْتَقامَ صَدْرُ الرَّأْيِ[٢]، قال الشاعر يصف حَرْبًا / : [٢٤٥/ أ]

٣٨٣ ـ قَدْ شَمَّرَتْ عَنْ ساقِها فَشُدُّوا
وَجَدَّتِ الحَرْبُ بِكُمْ فَجِدُّوا[٣]

وعن عكرمة قال: سُئِلَ ابنُ عَبّاسٍ عن قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، فقال[٤]: إذا خَفِيَ عليكم شَيْءٌ في القرآن فابْتَغُوهُ في الشِّعْرِ، فإنه

= اللغة: الصُّراحُ: الخالص من كل شيء.
التخريج: شعر سعد بن مالك ص ٣٢٧ (ضمن الشعراء الجاهليون الأوائل)، معاني القرآن للفراء ٣/ ١٧٧، تهذيب اللغة ٩/ ٢٣٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٣، المحتسب ٢/ ٣٢٦، الخصائص ٣/ ٢٥٢، شرح الحماسة للتبريزي ٢/ ٣١، الكشف والبيان ١٠/ ١٩، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، شرح الحماسة للمرزوقي ص ٥٠٤، الحلل ص ٢٤٦، عين المعانِي ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٨، اللسان: سوق، البحر المحيط ٨/ ٣١٠، الدر المصون ٦/ ٣٥٨، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٩٩، التاج: سوق.

(١) غُمَّى الأمْرِ: ما التَبَسَ منه، والغُمَّى: الشَّدِيدةُ من شدائد الدهر. اللسان: غمم.

(٢) من أول قوله: «يقال للأمر إذا اشتد» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ١٩.

(٣) البيتان من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائلهما، وقد تَمَثَّلَ بِهِما الحَجّاجُ في خطبة قالها عندما قَدِمَ أميرًا على العراق من قِبَلِ عبد الملك بن مروان.
التخريج: الكامل للمبرد ١/ ٣٨١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٠، العقد الفريد ٤/ ١٢١، الكشف والبيان ١٠/ ١٩، تاريخ دمشق ١٢/ ١٣٠، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٨، المحرر الوجيز ٥/ ١١٨، ٣٥٢، معاهد التنصيص ١/ ٣٤٣، البحر المحيط ٨/ ٨١، ٣١٠، الدر المصون ٦/ ١٥٥، ٣٥٨، اللباب في علوم الكتاب ١٧/ ٤٥٤، ١٩/ ٢٩٩، فتح القدير ٥/ ٢٧٥.

(٤) رواه المبرد في الفاضل ص ١٠، وابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٩، =

ديوان العرب، أما سَمِعْتُمْ قول الشاعر:

٣٨٤ ـ صَبْرًا أُمامَ إنْ شَرَّ باقِ
قَدْ سَنَّ لِي قَوْمُكِ ضَرْبَ الأعْناقِ
وَقامَتِ الحَرْبُ بِنا عَلَى ساقِ[١]

والعرب تقول لِسَنةِ الحَرْبِ: كَشَفَتْ عن ساقها، قال الشاعر:

٣٨٥ ـ عَجِبْتُ مِنْ نَفْسِي وَمِنْ إشْفاقِها
وَمِنْ طِرادِي الطَّيْرَ عَنْ أرْزاقِها
فِي سَنةٍ قَدْ كَشَفَتْ عَنْ ساقِها
حَمْراءَ تَبْرِي اللَّحْمَ عَنْ عُراقِها[٢]

= والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٩٩ كتاب التفسير: سورة «ن والقلم»، وينظر: السنن الكبرى للبيهقي ١٠/ ٢٤١.

(١) الأبيات من مشطور الرجز، لَمْ أقف على قائلها.
التخريج: إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٩، العقد الفريد ٤/ ٤١٨، الكشف والبيان ١٠/ ١٩، زاد المسير ٨/ ٣٤١، تاريخ دمشق ٣٩/ ٣٦٤، تفسير القرطبي ١/ ١٦٤، ١٩/ ١١٣، البحر المحيط ٨/ ٣١٠، الدر المصون ٦/ ٣٥٨، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٩٩، فتح القدير ٥/ ٢٧٥، روح المعاني ٢٩/ ٣٥.

(٢) الأبيات من مشطور الرجز، لِعُمَرَ بن الخطاب، ونُسِبت لِرُؤْبةَ بن عُيَيْنةَ، ولِرُؤْبةَ بن العَجّاج.
اللغة: تَبْرِي اللَّحْمَ: تَقْشِرُهُ وتَنْحَتُهُ، العُراقُ: العَظْمُ الذي قد أخذ لحمه، فَإنْ كان عليه لَحْمٌ فهو عَرْقٌ.
التخريج: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨١، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٧١، البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي ٩/ ١١٤، الكشف والبيان ١٠/ ١٩، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، أساس البلاغة: سوق، شمس العلوم ٧/ ٤٤٧٠، ١٠/ ٦٩٤٩، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٨، التذكرة الحمدونية ٣/ ٢٢٣، حَماسة الظرفاء =

ورَوَى مقاتل بن سليمان عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾، يعني: عن ساقه اليُمْنَى، فَيُضِيءُ نُورُ ساقِهِ الأرضَ، فذلك قوله تعالى: ﴿ وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[1]، يعني: بِنُورِ ساقِهِ اليُمْنَى.

وقال ابن قتيبة[2]: أَصْلُ هذا أَنَّ الرَّجُلَ إذا وقع في أَمْرٍ عَظِيمٍ احتاج إِلَى الجِدِّ فيه شَمَّرَ عن ساقه، فاسْتُعِيرَ الكَشْفُ عن السّاقِ في موضع الشِّدّةِ، وأنشد لِدُرَيْدِ بن الصِّمّةِ:

٣٨٦ـ كَمِيشُ الإزارِ، خارِجٌ نِصْفُ ساقِهِ صَبُورٌ عَلَى الجُلَّى[3]، طَلَّاعُ أَنْجُدِ[4]

= ١/ ٢٧٦، اللسان: عرق، البحر المحيط ٤/ ٦٠، ٨/ ٣٠٩، ٣١٠، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٢٩٨، ٢٩٩، التاج: عرق، فتح القدير ٥/ ٢٧٥، روح المعاني ٢٩/ ٣٤.

(١) الزمر ٦٩.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ١٣٧.

(٣) رواه ابن قتيبة: «على الجَلَّاءِ» بالمد، وبها يستقيم وزن البيت، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ١٣٧.

(٤) البيت من الطويل، لِدُرَيْدِ بن الصِّمّةِ، يرثي أخاه عبد الله الذي قتله بنو عَبْسٍ، ورواية ديوانه: «صَبُورٌ عَلَى العَزّاءِ»، وعلى رواية «الجُلَّى» بالقصر يختل الوزن.
اللغة: كَمِيشُ الإزارِ: مُشَمِّرٌ جادٌّ، ورَجُلٌ كَمِيشٌ: عَزُومٌ ماضٍ سَرِيعٌ فِي أُمُورِهِ، الجُلَّى: الأَمْرُ العَظِيمُ، والجَلاَّءُ: الخَصْلَةُ العَظِيمةُ، أَنْجُدٌ: جَمْعُ نَجْدٍ وَهُوَ ما غَلُظَ مِنَ الأرْضِ وارْتَفَعَ واسْتَوَى، وَطَلَّاعُ أَنْجُدٍ؛ أَيْ: ضابِطٌ لِلأُمُورِ غالِبٌ لَها سامٍ لِمَعالِي الأُمُورِ.
التخريج: ديوانه ص ٦٦، التعازي والمراثي للمبرد ص ٢٣، الكامل للمبرد ١/ ٣٨٤، الاختيارين ص ٤١٢، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٥٢، العقد الفريد ٥/ ٣٤٢، المقصور والممدود للقالي ص ٤١٢، التهذيب ٩/ ٢٣٤، ١٠/ ٤٨٨، ديوان المعاني ١/ ٥٦، المخصص ١٦/ ٣٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٩، الوسيط ٤/ ٣٤٠، شرح الحماسة للتبريزي ٢/ ١٥٨، شرح الحماسة للمرزوقي ص ٨١٨، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٢، منتهى الطلب ٣/ ٣٢٣، اللسان: جلل، سوق، فتح القدير ٥/ ٢٧٥.

وقولـه: «الجُلَّى» بالضم مع التشـديد والقَصْرِ علـى «فُعْلَى»: هو الأمر العظيم، وجمعه جُلَلٌ[١].

وتأويل الآية: يَوْمَ يَشْتَدُّ الأمْرُ كما يَشْتَدُّ بِمَنْ يَحْتاجُ فيه إِلَى أنْ يَكْشِفَ عن سـاقٍ ﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعني الكفار والمنافقين ﴿فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ قال المفسرون[٢]: يَسْجُدُ الخَلْقُ كُلُّهُمْ لله سَجْدةً واحدةً، ويَبْقَى الكفار والمنافقون يريدون أن يسجدوا فلا يستطيعون؛ لأن أصْلابَهُمْ تَيْبَسُ فلا تَلِينُ لِلسُّجُودِ.

فصل

عن أَبِي سـعيد الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: سـمعتُ رسـول الله ﷺ يقول: «يَكْشِـفُ رَبُّنا عن ساقه[٣]، فَيَسْجُدُ له كُلُّ مُؤْمِنٍ ومُؤْمِنةٍ، ويَبْقَى كُلُّ مَنْ كانَ يَسْجُدُ فِي الدُّنْيا رِياءً وَسُمْعةً فَيَذْهَبُ فَيَعُودُ ظَهْرُهُ طَبَقًا واحِدًا»[٤].

وعـن أَبِـي بُرْدةَ[٥] ـ رضـي الله عنه ـ عن أبيه أنه سَـمِعَ رسـولَ اللهِ ﷺ

---

(١) قالـه ابن قتيبـة في أدب الكاتب ص ٨٤، وقـال ابن الأنباري: «والجَـلَّاءُ: الخَصْلةُ الجليلة العظيمة، إذا فُتِحَ جيمُها مُدَّتْ، وإذا ضُمَّتْ قُصِرَتْ». الزاهر ٢/ ١٥٣، وقال أبو عَلِيٍّ القالِي: «والجَـلَّاءُ بفتح الجيم ممدود: الأمْرُ العظيم مثـل الجُلَّى». المقصور والممدود ص ٤١٢، وينظر: الصحاح ٦/ ٢٣٠٣.

(٢) حكاه الواحدي في الوسيط ٤/ ٣٤٠.

(٣) في الأصل: «يكشف ربنا الدنيا عن ساق».

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ٧٢ كتاب تفسير القرآن: سـورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾، ٨/ ١٨٢ كتـاب التوحيد: باب قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾، وينظر: الدر المنثور ٦/ ٢٥٤.

(٥) هو عامر، وقيل: الحارث بن أبي موسى الأشعري، تابِعِيٌّ ثِقةٌ ثَبْتٌ فَقِيهٌ، كان قاضي الكوفة، رَوَى عن أبيه وعن عَلِيٍّ وعائشة وغيرهم، توفِّي سنة (١٠٣هـ)، وقيل: (١٠٤هـ). [تهذيب الكمال ٣٣/ ٦٦-٧١، الأعلام ٣/ ٢٥٣].

يقـول: «إذا كان يَوْمُ القيامـة مُثِّلَ لِكُلِّ قَوْمٍ ما كانوا يعبـدون في الدنيا، ويَبْقَى أهْـلُ التوحيد، فيُقالُ لهم: ما تَنْتَظِـرُونَ / وقد ذَهَبَ الناسُ؟، فيقولون: إنَّ لَنا رَبًّـا كُنّا نَعْبُـدُهُ فِي الدنيا لَمْ نَرَهُ، فيقال لهم: أوَتَعْرِفُونَـهُ إذا رَأيْتُمُوهُ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيُقالُ لَهُمْ: كَيْفَ تَعْرِفُونَهُ وَلَمْ تَرَوْهُ؟، قالوا: إنه لا شَـبِيهَ لَهُ، فيُكْشَفُ لَهُمْ عـن الحِجابِ، فينظرون إلى الله عـزّ وجلّ، فَيَخِرُّونَ له سُـجَّدًا، ويَبْقَى أقْوامٌ ظُهُورُهُـمْ مِثْلُ صَياصِي البَقَرِ، يريدون السـجودَ فلا يسـتطيعون، وذلك قوله عزّ وجـلّ: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾، فيقول الله عزّ وجلّ: عِبادِي: ارْفَعُوا رُؤوسَـكُمْ، فَقَدْ جَعَلْتُ بَـدَلَ كُلِّ رَجُلٍ منكم رَجُلًا من اليَهُودِ والنَّصارَى فِي النّارِ»[١]. [٢٤٥/ ب]

وقولـه: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ﴾ يعنـي: ذليلةً خاضعـةً حين أيْقَنُـوا بالعذاب، وعايَنُوا النّارَ، وهو نصب على الحال، و ﴿أَبْصَٰرُهُمْ﴾ رفع بفعله، ويجوز رفعهما جميعًا على الابتداء والخبر[٢].

وقوله: ﴿تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾؛ أي: تَغْشـاهُمْ نَدامةٌ وحَسْـرةٌ ﴿وَقَدْ كَانُواْ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾ يعنـي: بالأذانِ في دار الدنيـا والإقامةِ، ويُؤْمَـرُونَ بالصلاة المكتوبة ﴿وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ مُعافَوْنَ، ليس في أصْلابِهِمْ مِثْلُ سَفافِيدِ الحَدِيدِ.

قولـه تعالـى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ «إنْ» عنـد الكوفييـن بمعنى «ما»، واللام بمعنى «إلّا»، تقديره: وما يكاد الذين كفروا إلّا لَيُزْلِقُونَكَ، و«إنْ» عنـد البصرييـن مخففة من الثقيلة، واسـمها مضمر معهـا، واللّام لام

---

(١) ينظر: الوسـيط ٤/ ٣٤٠، ٣٤١، تاريخ دمشـق ٤٣/ ٣٣٤، عين المعاني ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٤٩، الدر المنثور ٦/ ٢٩٢.

(٢) وهذا في غير القرآن، وهذا قول النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٥، وينظر: الفريد ٤/ ٥١١.

التأكيـد لَزِمَتْ هذا النوعَ لِئَلّا تُشْـبِهَ «إنْ» الَّتِي بمعنـى «ما»[١]، وقال ثعلب[٢]: «إنْ» هاهُنا بِمَعْنَى «قَدْ».

قرأ أهل المدينـة: ﴿لَيَزْلِقُونَكَ﴾ بفتح الياء، وقـرأ غيرهم بِضَمِّهِ، وهما لغتـان[٣]، وقراءة العامّةِ أكْثَرُ وأوْسَـعُ، يقال: زَلَقَـهُ يَزْلِقُهُ زَلْقًـا، وأزْلَقَهُ يُزْلِقُهُ إزْلاَقًا، بمعنًى واحدٍ، ويقال: زَلِقَ من مكانه وأزْلَقْتُهُ أنا، وزَلِقَ هو وزَلَّقْتُهُ مثل: حَزِنَ وحَزَّنْتُهُ.

واختلفوا في تأويله، فقيل[٤]: معناه: يُنْفِذُونَكَ يا محمدُ بأبصارهم، يقال: زَهِقَ السَّهْمُ وَزَلِقَ: إذا نَفَذَ، وقيل[٥]: يَصْرِفُونَكَ عَمّا أنت عليه من تبليغ الرسالة، وقيـل[٦]: يَعِينُونَـكَ، وقيل: يُصِيبُونَـكَ بِعُيُونِهِمْ، وقيـل[٧]: يَرْمُونَكَ، وقيل[٨]:

---

(١) سبق التعرض لهذه المسألة في عدة مواضع، ينظر ينظر مثلاً: ٢/ ٢٣٠، ٢٨٨، وينظر أيضًا: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٠.

(٢) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٥٧/ ب، تهذيب اللغة ١٥/ ٥٦٨، اللسان: أنن.

(٣) قـرأ نافع وحـده: ﴿لَيَزْلِقُونَكَ﴾ بفتح الياء، وقرأ الباقون بضمها، ينظر: السـبعة ص ٦٤٧، معانِي القراءات ٣/ ٨٤، الحجة للفارسي ٤/ ٥٨.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد والضحاك، ينظر قولهم في: جامع البيان ٢٩/ ٥٦، ٥٧، الكشـف والبيان ١٠/ ٢٣.

(٥) قاله الكلبي، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣.

(٦) هـذا القول والقـول الذي يليه معناهما واحد، وقد قاله الفراء فـي معانِي القرآن ٣/ ١٧٩، وحـكاه ابن قتيبـة عنه في غريب القرآن ص ٤٨٢، وحكاه الثعلبي عن السُّـدِّيِّ والنضرِ بنِ شُمَيْلٍ والأخفشِ في الكشف والبيان ١٠/ ٢٤.

(٧) هذا القول ذكره الفراء بغير عزو في معانِي القرآن ٣/ ١٧٩.

(٨) قالـه السجسـتانِيُّ في غريب القـرآن ص ١٦١، وقال الفراء: «والعرب تقـول للذي يَحْلِقُ الرأس: قد زَلَقَهُ وأزْلَقَهُ». معانِي القرآن ٣/ ١٧٩، وينظر: تهذيب اللغة ٨/ ٤٣٢.

يَسْتَأْصِلُونَكَ، من قولهم: زَلَقَ رَأْسَهُ وأَزْلَقَهُ: إذا حَلقَهُ، وقيل(١): معناه: لَيَقْتُلُونَكَ، وهذا كما يُقالُ: صَرَعَنِي بِطَرْفِهِ / ، وقَتَلَنِي بِعَيْنِه، قال الشاعر: [٢٤٦/ أ]

٣٨٧ ـ تَرْمِيكَ مُزْلِقةُ العُيُونِ بِطَرْفِها وَتَكِلُّ عَنْكَ نِصالُ نَبْلِ الرّامِي(٢)

وقال آخر:

٣٨٨ ـ يَتَقارَضُونَ إذا التَقَوْا فِي مَوْطِنٍ نَظَرًا يُزِيلُ مَواطِئَ الأَقْدامِ(٣)

وهذا مُسْتَعْمَلٌ فِي الكلام، يقول القائل: نَظَرَ إِلَيَّ نَظَرًا يكاد يَصْرَعُنِي، ونَظَرًا يكادُ يَأْكُلُنِي(٤).

---

(١) قاله الحسن وابن قتيبة، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٢، تهذيب اللغة ٨/ ٤٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ٢٤، زاد المسير ٨/ ٣٤٤.

(٢) البيت من الكامل، لَمْ أقف على قائله.
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٢٤، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٦.

(٣) البيت من الكامل، لَمْ أقف على قائله.
اللغة: المُقارَضةُ تكون في العمل السَّيِّئِ والقَوْلِ السَّيِّئِ يَقْصِدُ به الإنسانُ صاحِبَهُ، والمراد هنا تَلاحُظَ الأعداءِ.
التخريج: البيان والتبيين ١/ ١١، تأويل مشكل القرآن ص ١٧١، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٢، المعانِي الكبير ص ٨٤٥، ١١٢٩، المُحَبُّ والمحبوب ١/ ١٢١، تهذيب اللغة ٨/ ٣٤٢، ٤٣٢، معانِي القراءات ٣/ ٨٥، الحجة للفارسي ٤/ ٥٨، مقاييس اللغة ٣/ ٢١، الصناعتين ص ٣٥٧، الوسيط ٤/ ٣٤٢، الكشاف ٤/ ١٤٨، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٤، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب، القرطبي ١٨/ ٢٥٦، التذكرة الحمدونية ٤/ ٧١، محاضرات الأدباء ١/ ٧٣، اللسان: زلق، قرض، البحر المحيط ٨/ ٣١١، التاج: قرض، زلق.

(٤) قاله ابن قتيبة والزجاج، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٢، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٨/ ٤٣٢.

وقولـه: ﴿لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ﴾ يعنـي القـرآن ﴿وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ۝٥١﴾ يعنـون محمَّـدًا ﷺ، ﴿وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾ أي: موعظـة ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ ۝٥٢﴾؛ أي: للمؤمنيـن، يعني محمَّدًا ـ عليه السـلام ـ، وقيل: القرآن ذِكْرٌ، ذَكَّرَهُم اللهُ تعالى فيه بنفسه، فَأَعْلَمَهُمْ ما يأتون مِمّا يُحِبُّ، وما يَذَرُونَ مِمّا يَكْرَهُ ويَسْخَطُ، وهو مبتدأ وخبر، والضمير يعود على الذِّكْرِ المتقدمِ.

فصل

قال الحسن: «دَواءُ إصابةِ العَيْنِ أن يَقْرَأ الإنسانُ هذه الآيةَ: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ إلى آخرها»[1]، وقد قال رسول الله ﷺ: «العَيْنُ حَقٌّ، وَإِنَّ العَيْنَ لَتُدْخِلُ الرَّجُلَ القَبْرَ والجَمَلَ القِدْرَ»[2]. والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

(١) ينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ٢٤، الكشـاف ٤/ ١٤٨، المحـرر الوجيز ٥/ ٣٥٥، مجمع البيان ١٠/ ١٠١، عين المعانِي ورقة ١٣٦/ ب.

(٢) هـذا الحديث متفق عليه بلفظ: «العَيْنُ حَقٌّ» فقط بـدون الزيادة التي ذكرها المصنف، وقد رواه الإمام أحمد عن ابن عباس في المسند ١/ ٢٧٤، ٢٩٤، والبخاري عن أبِي هريرة في صحيحـه ٧/ ٢٣ كتاب الطـب: باب «العَيْنُ حَقٌّ»، ٧/ ٦٤ كتاب اللباس: باب الواشِـمةِ، ورواه مسـلمٌ فِي صحيحه ٧/ ١٣، ١٤ كتاب السلام: باب الطب، وأما الزيادة «وَإِنَّ العَيْنَ لَـتُدْخِـلُ... إلخ» فهي حديـث ضعيف رواه ابن عدي في الكامل فـي الضعفاء ٦/ ٤٠٨، وينظر: الجامع الصغير ٢/ ١٩٦، كنز العمال ٦/ ٧٤٤، كشف الخفاء ٢/ ٧٦-٧٧، تذكرة الموضوعات ص ٢٠٧.

سورة الحاقة

مكية

وهي ألف وأربعمائة وثمانون حرفًا، ومائتان وست وخمسون كلمةً، واثنتان وخمسون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ الحاقّةِ حاسَبَهُ اللهُ حِسابًا يَسِيرًا، وَلَمْ تَكْتُبْهُ المَلائِكةُ مِنَ الغاوِينَ»[١].

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ الحاقّةِ كُتِبَ لَهُ بِها فِي اللَّوْحِ المَحْفُوظِ حَسَنةٌ، وَمُحِيَ عَنْهُ سَيِّئةٌ، وَرُفِعَ لَهُ دَرَجةٌ فِي الجَنّةِ».

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿ٱلْحَآقَّةُ ۝١ مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٢﴾؛ أي: القيامةُ ما القيامةُ؟ سُمِّيَتْ حاقّةً لأنَّها ذاتُ الحَواقِّ من الأمور وحَقائِقِها، فهي الصادقة الواجبةُ الصِّدْقِ،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٥، الوسيط ٤/ ٣٤٣، الكشاف ٤/ ١٥٥، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ١٠٢.

[٢٤٦/ ب] وجميع/ أحكام القيامة صادقة واجبة الوقوع والوجود، ولأنه فيها يَحِقُّ الجَزاءُ على الأعمال أي: يَجِبُ، واشتقاقها من: حَقَّ الشَّيْءُ يَحِقُّ: إذا وَجَبَ، يقال: حَقَّ عليه الشَّيْءُ: إذا وَجَبَ يَحِقُّ حُقُوقًا(١).

فالحاقّةُ الأُولى رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده(٢)، و﴿مَا﴾ بمعنى الاستفهام الذي معناه التفخيم والتعظيم لشأنها والتَّعْجِيبُ، كما تقول: زَيْدٌ ما زَيْدٌ؟، قال أبو النَّجْمِ(٣):

٣٨٩ - أنا أبُو النَّجْمِ وَشِعْرِي شِعْرِي(٤)

أي: الذي يُعْرَفُ.

---

(١) من أول قوله: «ولأنه فيها يحق الجزاء» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٢٥، ٢٦، وينظر: الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٥١٥.

(٢) يعني أن ﴿الْحَاقَّةُ﴾ مبتدأ، و﴿مَا﴾ مبتدأ ثانٍ، و﴿الْحَاقَّةُ﴾ الثانية خبر ﴿مَا﴾، والجملة من المبتدأ الثانِي وخبره في محل رفع خبر المبتدأ الأول، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٣، إعراب القرآن ٥/ ١٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠١.

(٣) هو الفضل بن قُدامةَ العِجْلِيُّ، من بكر بن وائل، من أكابر الرُّجّازِ، ومن أحسن الناس إنْشادًا للشعر، نبغ في العصر الأموي، وكان يحضر مجالس عبد الملك بن مروان وابنِهِ هشامٍ، وهو أبلغ من العَجّاجِ في الوصف، توفِّي سنة (١٣٠هـ). [الشعر والشعراء ص ٦٠٧-٦١٣، طبقات فحول الشعراء ص ٧٤٥-٧٥٣، الأعلام ٥/ ١٥١].

(٤) البيت من الرجز المشطور، لأبِي النجم العجلي.

التخريج: ديوانه ص ١٠٦، الكامل للمبرد ١/ ٤٤، الخصائص ٣/ ٣٣٧، أمالِي المرتضى ١/ ٣٥٠، شرح ديوان الحماسة للمرزوقي ص ١٠٣، ٢٩٠، ١٦١٠، الحلل ص ٣٥٩، شرح المفصل ١/ ٩٨، ٩/ ٨٣، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٠٤، شرح الكافية للرضي ١/ ٢٦٦، ٢٨٩، مغني اللبيب ص ٤٣٤، ٥٧١، ٨٦٣، همع الهوامع ١/ ٢٠١، ٢/ ٤٥٧، شرح شواهد المغني ص٩٤٧، ٩٤٨، خزانة الأدب ١/ ٤٣٩، ٨/ ٣٠٧، ٩/ ٤١٢.

وقيل[١]: الحاقّةُ الأُولَى مرفوعة بالثانية؛ لأن الثانية بِمَنْزِلةِ الكناية عنها، والحاقّةُ الثانية مرفوعة بـ﴿مَا﴾، و﴿مَا﴾ بِمَعْنَى: أيُّ شَيْءٍ؟، وهو رَفَعَ الحاقة الثانية، ومثله: ﴿ٱلْقَارِعَةُ ۝١ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾[٢] ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ﴾[٣] ونَحْوُهُما.

ثم زاد في التهويل، فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ يا محمد ﴿مَا ٱلْحَآقَّةُ ۝٣﴾؛ أي: كَأنَّكَ لَسْتَ تعلمها، إذْ لَمْ تُعايِنْها، ولَمْ تَرَ ما فيها من الأهوال، لولا أن الله تعالى أدْراكَ ما هي، فَسَمّاها الحاقّة.

و﴿مَا﴾ الأولى ابتداء، و﴿مَا﴾ الثانية ابتداءٌ ثانٍ، و﴿ٱلْحَآقَّةُ﴾ خبرها، والجملة في موضع نصب بـ﴿أَدْرَىٰكَ﴾، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ وما اتصل به خبر عن ﴿مَا﴾ الأولى، وفي ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ ضميرُ فاعلٍ يعود على ﴿مَا﴾ الأُولَى، و﴿مَا﴾ الأولى والثانية استفهام فلذلك لَمْ يعمل ﴿أَدْرَىٰكَ﴾ في ﴿مَا﴾ الثانية وعَمِلَ في الجملة، وهو استفهام فيه معنى التعظيم[٤] والتَّعْجِيبِ، و﴿أَدْرَىٰكَ﴾ فعل يتعدى إلَى مفعولين، الكاف المفعول الأول، والجملة في موضع الثانِي، ومثله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ۝١٧ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾[٥]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾[٦]، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ﴾[٧]،

---

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٨٠، وهو مذهب الكوفيين في أن المبتدأ والخبر يترافعان.

(٢) القارعة ١-٢.

(٣) الواقعة ٢٧.

(٤) في الأصل: «فيها التعظيم».

(٥) الانفطار ١٧-١٨.

(٦) المطففين ١٩.

(٧) المطففين ٨.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾[(١)]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾[(٢)]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾[(٣)]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡقَارِعَةُ﴾[(٤)]، ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾[(٥)] كُلُّـهُ علـى قيـاسٍ واحدٍ، فَقِسْ بَعْضَهُ على بعضٍ[(٦)].

قوله: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ وَعَادُۢ بِٱلۡقَارِعَةِ ۝٤﴾ يعني السـاعة، سُمِّيَتْ قارعةً لأنها تَقْرَعُ قُلُوبَ العِبادِ بالمَخافةِ.

ثـم أَخْبَرَ عنهمـا جميعًا، فقـال: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ﴾ ابتـداء ﴿فَأُهۡلِكُواْ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥﴾ خبـره، يعني: عُذِّبُوا بِطُغْيانِهِمْ في نِعَمِ الله، والطُّغْيانُ حَمَلَهُمْ على تكذيب صالحٍ عليه السـلام، والطاغي من كل شـيء: ما عَلَا وَجاوَزَ الحَدَّ، والطّاغِيةُ: / [٢٤٧/ أ] الصَّيْحـةُ، وقيل: الصاعقـة؛ أي: أَخَذَتْهُمْ، وهو ما أَخْبَرَ اللهُ تعالى عنه في سـورة الذاريات، وهو قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ﴾[(٧)]، والطاغية قيل[(٨)]: هي مصدر كالجاثِيةِ، وقيل[(٩)]: هي نعت مجازه: بِفِعْلَتِهِم الطّاغِيةِ.

---

(١) الطارق ٢.

(٢) البلد ١٢.

(٣) القدر ٢.

(٤) القارعة ٣.

(٥) الهمزة ٥.

(٦) هـذه الفقرة مـن أول قوله: «وما الأولـى ابتداء» نقلها المؤلف من مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٤٠١، ٤٠٢.

(٧) الذاريات ٤٤، وانظر ما تقدم ٣/ ١٧٦.

(٨) قالـه أبو عبيدة وابن قتيبة والزجاج، ينظر: مجاز القـرآن ٢/ ٢٦٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص٤٨٣، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٣، وحكاه الطبري عن ابن عباس وابن زيد ومجاهد والحسـن ومقاتل في جامع البيان ٢٩/ ٦٠، وينظر: زاد المسـير ٨/ ٣٤٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٨.

(٩) أو بالصيحة الطاغية، وهذا قول مجاهد وابن زيد وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٦٠، ٦١، =

قوله: ﴿وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُواْ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾ فالصَّرْصَرُ: الصَّوْتُ الذي لها، وقيل[١]: الباردة، والعاتية: الشديدة، عَتَتْ عَلَى خُزّانِها، فَلَمْ تُطِعْهُمْ، وجاوَزَت المِقْدارَ، فَلَمْ يَعْرِفُوا كَمْ خَرَجَ منها، ثم عَتَتْ على عادٍ حتى فَتَّتَتْ أَفْئِدَتَهُمْ، والعاتِي: الذي لا يُطاقُ ولا يَلِينُ.

فصل

عن قُبَيْصةَ بن ذُؤَيْبٍ[٢] أنه قال: «ما يَخْرُجُ من الرِّيحِ شَيْءٌ إلّا عليها خُزّانٌ يعلمون قَدْرَها وعَدَدَها وكَيْلَها، حتى كانت الرِّيحُ الَتِي أُرْسِلَتْ على عادٍ، فانْدَفَقَ منها شَيْءٌ لا يَعْلَمُونَ قَدْرَهُ غَضَبًا لله تعالى، ولِذَلِكَ سُمِّيَتْ عاتِيةً»[٣].

وعن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: «ما أَرْسَلَ اللهُ تعالى شيئًا مِنْ رِيحٍ إلّا بِمِكْيالٍ، ولا قَطْرةً مِنْ مَطَرٍ إلّا بِمِكْيالٍ، إلّا يَوْمَ عادٍ وَيَوْمَ قَوْمِ نُوحٍ، فإن

= الكشف والبيان ١٠/ ٢٦، المحرر الوجيز ٥/ ٣٥٧، زاد المسير ٨/ ٣٤٦، عين المعاني ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٨.

(١) قال أبو عبيدة: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾: الشَّدِيدةُ الصوتِ العاصفُ». مجاز القرآن ٢/ ١٩٦، وقال أيضًا: «صَرْصَرًا: شَدِيدةً ذاتَ صَوْتٍ». مجاز القرآن ٢/ ٢٤٠، وقال أبو عمر الزاهد: ﴿رِيحًا صَرْصَرًا﴾ أي: باردة». ياقوتة الصراط ص ٤٥٣، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٢/ ١٠٦.

(٢) قُبَيْصةُ بن ذُؤَيْبِ بن حَلْحَلةَ، أبو سعيد الخُزاعِيُّ المَدَنِيُّ، نزيل دمشق، ولد عام الفتح ورَوَى عن عثمان وحذيفة وعائشة رضي الله عنهم، كان من فقهاء الصحابة، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان بالشام، توفِّي بدمشق سنة (٨٦هـ). [أسد الغابة ٤/ ١٩١-١٩٢، تهذيب الكمال ٢٣/ ٤٧٦-٤٨١].

(٣) ينظر: الوسيط ٤/ ٣٤٤، مجمع البيان ١٠/ ١٠٤، الدر المنثور ٦/ ٢٥٩.

الماءَ يَوْمَ نُوحٍ طَغَى عَلَى الخُزّانِ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، ثُمَّ قَرَأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾، والرِّيحُ لَمّا كانَ يَوْمُ عادٍ عَتَتْ على الخُزّانِ فلم يَكُنْ لَهُمْ عَلَيْها سَبِيلٌ، ثُمَّ قَرَأ: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾[١].

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ﴾ يعني: أَرْسَلَها وسَلَّطَها على قوم عاد ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ يعني مُتَتابِعةً، وإنما أَثْبَتَ الهاءَ في «ثَمانِيَةَ»، وحَذَفَها من ﴿سَبْعَ﴾ فَرْقًا بَيْنَ المذكر والمؤنث، ونصب ﴿سَبْعَ﴾ و«ثَمانِيَةَ» على الظرف[٢]، و ﴿حُسُومًا﴾ على الحال والقطع[٣]، وقيل[٤]: على النعت للأيام، وقيل[٥]: على المصدر؛ أي: تَحْسِمُهُمْ حُسُومًا، يعني: تِباعًا.

والحُسُومُ: الشُّؤومُ، يقال: هذه لَيالِي الحُسُومِ؛ لأنها تَحْسِمُ الخَيْرَ عن أهلها[٦]، وهو مأخوذ من: حُسِمَ الدّاءُ: إذا كَواهُ صاحِبُهُ؛ لأنه يُتابِعُ عليه

---

(١) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٦١، ٦٢، شفاء الصدور ورقة ١٥٨/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٢٦، عين المعاني ورقة ١٣٦/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٩، تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٦١، ٢٦٢، الكشاف ٤/ ١٥٠، الدر المنثور ٦/ ٢٥٩.

(٢) انتصبا على الظرف لإضافتهما إلى ظرف، قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٢.

(٣) وصاحب الحال هو الهاء في «سَخَّرَها»، قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٢٧، وينظر: الدر المصون ٦/ ٣٦٢.

(٤) قاله النحاسُ ومَكِّيٌّ، وعلى هذا يكون جمع حاسِمٍ، كشاهِدٍ وشُهُودٍ، وقاعِدٍ وقُعُودٍ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٢، وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ٤٥٧، الفريد للهمداني ٤/ ٥١٧.

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٤، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٥٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٣.

(٦) قاله الخليل في العين ٣/ ١٥٣، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٥٨/ ب، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٤/ ٣٤٤، وحكاه السجاوندي عن عكرمة في عين المعاني ١٣٦/ ب.

بِالمِكْواةِ مَرّةً بعدَ مَرّةٍ حَتَّى يَبْرَأ، فجُعِلَ مَثَلًا فيما يُتابَعُ[١].

وقولـه: ﴿فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا﴾؛ أي: فـي تِلْكَ اللَّيالِـي والأيّامِ ﴿صَرْعَىٰ﴾ جمع صَرِيعٍ، يعني: أنَّهُمْ صُرِعُوا بمَوْتِهِمْ، وهو اسمٌ مقصورٌ في موضع نصب على الحالِ، وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧﴾ يعني: ساقطةٍ، وقيل: خاليةِ الأجواف، شَـبَّهَهُم اللهُ تعالـى بالنَّخْلِ إذا قَعَرَتْها الرِّيـحُ وقَلَعَتْها من أُصُولِها، فَألْقَتْها على الأرض، وإنما شَبَّهَهُم اللهُ بالنَّخْلِ لِطُولِهِمْ.

وقوله: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ يعني: فَهَلْ تَرَى منهم أحَدًا، وقيل: فَهَـلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ أثَرٍ أو بَقاءٍ، وقيل: فَهَلْ تَـرَى لَهُمْ مِنْ نَفْسٍ باقِيةٍ، يعني: لَمْ يَبْقَ منهم أحَدٌ.

قوله تعالى: ﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ﴾ يعني: مِنَ الأُمَمِ الكافِرةِ، قرأ أبو عمرو والكسائيُّ ويعقوبُ والحَسَنُ وأبو عبد الرحمن السُّلَمِيُّ وعاصمٌ الجَحْدَرِيُّ بكسر القاف وفتح الباء؛ أي: وَمَنْ مَعَهُ ومَنْ يَلِيهِ ويَحُفُّ به من جُنُودِهِ وأتْباعِهِ، وهو اختيار أبِي عُبَيْدٍ وأبِي حاتم[٢]، اعتبارًا بقراءة عبد الله وأُبَيٍّ: «وَمَنْ مَعَهُ»، وقرأ أبو موسـى الأشعريُّ: «وَمَنْ تِلْقاءَهُ»، وقـرأ الباقون بفتح القاف وجزم الباء[٣]؛ أي: وَمَنْ تَقَدَّمَهُ من القُرُونِ الخالِيةِ، وهو منصوب على ظرف المكان.

---

(١) قالـه الفراء وابـن قتيبة، ينظـر: معانِي القـرآن للفـراء ٣/ ١٨٠، غريب القـرآن لابن قتيبة ص ٤٨٣، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ١٥٨/ ب، التهذيب ٤/ ٣٤٤، غريب القرآن للسجستانِي ص ١٦٢.

(٢) ينظر اختيار أبِي عبيد وأبِي حاتم في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ٢٧، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦١.

(٣) ينظر في هذه القراءات: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٨٠، السـبعة ص ٦٤٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٥، الحجة للفارسي ٤/ ٥٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦١، ٢٦٢، البحر المحيط ٨/ ٣١٦.

قولـه تعالـى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ﴾ يعني قُـرَى قَوْمِ لُـوطٍ، والمعنـى: وَأَهْلُ المُؤْتَفِكاتِ، ويجـوز أن يريد الأمم والجماعات الذين ائْتُفِكُوا بِخَطِيئَتِهِمْ، قرأه العامة بالألف، وقرأ الحسن: «والمُؤْتَفِكَةُ» بغير ألف[1]، وقوله: ﴿بِٱلْخَاطِئَةِ ۝٩﴾ يعني: بالمعصية، وهي الشرك والكفر بالله، والخاطِئَةُ مصدر كالخَطَأِ والخَطِيئةِ.

قوله: ﴿فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ﴾ يعني لوطًا وموسـى عليهما السلام، ﴿فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ۝١٠﴾؛ أي: نامِيـةً زائِـدةً على عذاب الأُمَمِ، يقال: رَبا الشَّـيْءُ يَرْبُو: إذا زادَ وتَضاعَفَ ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ﴾؛ أي: عَتا وَجاوَزَ حَدَّهُ حَتَّى عَلاَ كُلَّ شَـيْءٍ، وارتفع فوقه خمسة عشر ذراعا[2]، يعني: زَمَنَ نُوحٍ عليه السلام ﴿حَمَلْنَٰكُمْ﴾ أي: حَمَلْنا آباءَكُم وأنتم في أَصْلاَبِهِمْ ﴿فِى ٱلْجَارِيَةِ ۝١١﴾ يعني: في السفينة التِي تَجْري في الماءِ؛ ﴿لِنَجْعَلَهَا﴾؛ أي: لِنَجْعَلَ تلك الفِعْلَةَ[3] التي فَعَلْنا من إغْراقِ قَوْمِ نُوحٍ ونَجـاةِ مَنْ أَنْجَيْنا منهم مِمَّنْ حَمَلْنا فيها ﴿لَكُمْ تَذْكِرَةً﴾؛ أي: عِظَةً وعِبْرةً ﴿وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ۝١٢﴾؛ أي: حافظةٌ لِما جاء من عند الله تَسْمَعُهُ وتَعْقِلُهُ وتَحْفَظُهُ.

قرأ طلحة: «وَتَعْيها» بإسكان العين، واخْتُلِفَ فيه عن عاصم وابن كثير[4]، وهي قراءة رَدِيئةٌ غَيْرُ قَوِيّةٍ[5]، وقرأ الباقون بالإشباع.

---

(١) ينظر في هذه القراءة: شواذ القراءة ورقة ٢٤٨، القرطبي ١٨/ ٢٦٢، البحر المحيط ٨/ ٣١٦.

(٢) قاله قتادة، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٦٧، الكشف والبيان ١٠/ ٢٧-٢٨، القرطبي ١٨/ ٢٦٣.

(٣) في الأصل: «الفعل».

(٤) قـرأ طلحة بن مُصَرِّفٍ، وابنُ كثير في رواية القَوّاسِ عنه، وحُمَيْدٌ الأعرجُ، وقُنْبُلٌ في رواية أبي ربيعة عنه، وأبو عمرو في رواية هارونَ وخارجةَ عنه: «وَتَعْيها» بإسكان العين، وقرأ الباقون، وابنُ مجاهد عن قُنْبُلٍ عن ابن كثير، وأبو عمرو في روايةٍ أخرى: «وَتَعِيَها»، وقرأ عُصْمةُ عن عاصمٍ، وابنُ ثوبان: «وَتَعِيَّها» بتشـديد الياء، ينظر: السـبعة ص ٦٤٨، مختصر ابن خالويه ص ١٦١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٧، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٣، البحر المحيط ٨/ ٣١٧.

(٥) المؤلف في هذا مُتابِعٌ لِلثَّعْلَبِيِّ في حُكْمِهِ على هذه القراءة بالرَّداءةِ، فقد قال الثعلبي ذلك =

قولــه تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ وهي النفخة الأُولَى، وقيل: الثانية، وإنما رفع المصدر، وهو[1] النفخة؛ لأنه لَمّا نَعَتَها أقامها مُقام المرفوع؛ لأن الرفع فِي المصدر[2] إذا نُعِتَ أَحْسَـنُ؛ لأنه يَقْرُبُ من الاسم، والنصب جائز[3]، ومثلــه فِي الكلام: ضُرِبَ بِزَيْدٍ ضَرْبٌ شَـدِيدٌ، فإذا لَمْ يُنْعَت المصدرُ كان الوجه النصبَ، وقَبُحَ الرفعُ، وذلك قولك: ضُرِبَ بِزَيْدٍ ضَرْبًا، وسِيرَ بِزَيْدٍ سَيْرًا[4].

قولــه: ﴿وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾ حُمِلَ مــا على الأرض من شَـجَرٍ أو ماء أو شـيء، وحُمِلَت الجبال عن أماكنها / وما فيهــا؛ أي: رُفِعَتْ فَضُرِبَتْ على الأرض ﴿فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ أي: كُسِّـرَتا ودُقَّتــا دَقَّةً واحــدةً، فصارتا هَباءً مُنْبَثًّا، وإنمــا قال: ﴿فَدُكَّتَا﴾، ولَمْ يقل: دُكِكْنَ[5]؛ لأنه جعل الأرض كالشــيء الواحد والجبالَ كالشيء الواحد[6].

[٢٤٨/ أ]

= في الكشف والبيان ١٠/ ٢٨، ولكن العلماء ذكروا لَها أكْثَرَ من وجه في العربية، قال الفارسيُّ: «وَجْهُ قوله: «وَتَعْيَها» أنه جعل حرف المضارعة مع ما بَعْدُ بِمَنْزِلَةِ: «فَخْذٍ»، فأسكن كما يُسَكَّنُ «كَتْفٌ» ونحوه، وهذا يشبه ما من نفس الكلمة، نحو الكاف من «كَتْفٍ»؛ لأن حرف المضارعة لا ينفصل من الفعل، فصار كقولِ مَنْ قال: وَهْوَ وَهْيَ، ومثل ذلك قوله: «وَيَتَّقْهِ»، جعل «تَقْهِ» مِنْ «يَتَّقْهِ» بِمَنْزِلةِ كَتْفٍ، فأسكن، وقد يكون هذا على ما أنشده أبو زيد من قوله:

قالت سليمى اشــتر لنا سويقا

... وقد يجوز أن يكون أجْرَى الوصل مُجْرَى الوقف». الحجة ٤/ ٦٠.

(١) في الأصل: «وهي».

(٢) في الأصل: «بالمصدر»، وهو خطأ. والتصويب من جمل الزجاجي ص ٨١.

(٣) وقد قرأ أبو السمال: ﴿نَفْخةً واحِدةً﴾ بالنصب، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦١، البحر المحيط ٨/ ٣١٧.

(٤) هذا كلام الزجاجي في الجمل ص ٨١.

(٥) في الأصل: «فدكدكن».

(٦) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٨١، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ٧٠، الكشف والبيان ١٠/ ٢٨، زاد المسير ٨/ ٣٤٩.

حُكِيَ عن الرَّبِيعِ بن خُثَيْمٍ أنه كان إذا قرأ هذه الآيةَ أَخَذَ بِجِلْدةِ ذِراعِهِ ويقول: يا لَحْماهُ يا دَماهُ: أين أنتَ يومئذ؟ ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ۝١٥﴾ يعني: وقعت الصيحة الأخرى بعد الصيحة الأولَى، وقامت القيامة، ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعني: انفجرت السماء لِنُزُولِ الرَّبِّ تعالى ومَنْ فيها مِن الملائكة، ﴿فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ۝١٦﴾؛ أي: ضعيفة من الخوف، وهي اليومَ غَلِيظةٌ شديدةٌ، يقال: وَهَى الشَّيْءُ يَهِي، فهو واهٍ: إذا تَشَقَّقَ وتَصَدَّعَ.

قوله: ﴿وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَا﴾ يعني الملائكة، وهو اسم جنس[(١)]، وأرْجاؤُها: نواحيها وأطرافها وجوانبها وأقطارها بلغة هُذَيْلٍ[(٢)]، واحدها رَجًا مقصور، وهو يكتب بالألف؛ لأن تثنيته: رَجَوانِ، مثل: قَفًا وقَفَوانِ[(٣)].

قال الضحاك[(٤)]: إذا كان يومُ القيامة أمَرَ اللهُ السماء الدنيا فَتَشَقَّقَتْ، وتكون الملائكة على حافَّاتِها حتى يأمرهم الرَّبُّ، فَيَنْزِلُونَ إلَى الأرض، فيحيطون بالأرض ومَنْ عليها.

﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ﴾ يعني: فَوْقَ رُؤوسِ الحَمَلَةِ ﴿يَوۡمَئِذٖ﴾ يعني: يوم القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٞ ۝١٧﴾ يعني ثمانية أمْلاكٍ على صورة الأوْعالِ، ما بين أظْلافِهِمْ

---

(١) قال أبو عمر الزاهد: «والمَلَكُ: واحدٌ فِي معنى جَمْعٍ؛ أي: والملائكة». ياقوتة الصراط ص ٥٢٧.

(٢) قاله المُؤَرِّجُ، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٦٠/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٦.

(٣) ينظر: المقصور والممدود للفراء ص ٣٥، المقصور والممدود لابن ولاد ص ٤٥، ياقوتة الصراط ص ٥٢٨.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٧١، الوسيط ٤/ ٣٤٥، زاد المسير ٨/ ٣٥٠.

إلى رُكَبِهِمْ كما بَيْنَ سَماءٍ إلى سَماءٍ، قال رسول الله ﷺ: «هم اليومَ أربعةٌ، فإذا كان يومُ القيامة أَيَّدَهُم اللهُ بأربعةٍ آخرين، فكانوا ثمانيةً»[١].

وفي الحديث: «إنَّ لكل مَلَكٍ منهم وَجْهَ رَجُلٍ، وَوَجْهَ أَسَدٍ، وَوَجْهَ ثَوْرٍ، وَوَجْهَ نَسْرٍ»[٢]، وقيل: معناه: ثمانية صُفُوفٍ من الملائكة، لا يَعلم عَدَدَهُمْ إلا اللهُ تعالى.

فصل

رُوِيَ عن عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: إن الله تعالى خَلَقَ العَرْشَ رابِعًا، لَمْ يَخْلُقْ قَبْلَهُ إلا ثلاثةَ أشياءَ: الهواء والقلم والنور، ثم خلق العرش من ألوانِ أنْوارٍ مختلفةٍ، من ذلك: نُورٌ أَخْضَرُ، منه اخْضَرَّت الخُضْرةُ، ونُورٌ أَصْفَرُ، منه اصْفَرَّت الصُّفْرةُ، ونُورٌ أَحْمَرُ، منه احْمَرَّت الحُمْرةُ، ونُورٌ أَبْيَضُ، وهو نُورُ الأَنْوارِ، ومنه ضوء النهار، ثم جعله/ سبعين أَلْفَ أَلْفِ طَيْفٍ، ليس من ذلك طَيْفٌ إلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ ويُقَدِّسُهُ بأصوات مختلفة، لو أُذِنَ لِلِسانٍ أَنْ يُسْمَعَ لَهَدَّمَ الجِبالَ والقُصُورَ، وَخُسِفَتِ البِحارُ[٣].

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ يعني: على الله ـ سبحانه ـ، فيحاسبكم بأعمالكم ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: نَفْسٌ خافِيةٌ، أو فِعْلةٌ خافِيةٌ[٤]، وقال الكَلْبِيُّ:

---

(١) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٧٣، الكشف والبيان ١٠/ ٢٨، زاد المسير ٨/ ٣٥٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٩، عين المعاني ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٦، الدر المنثور ٣/ ٢٩٨، ٦/ ٢٦١.

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٦٠/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢٩.

(٤) هذان التأويلان قالهما ابن خالويه في إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٦.

يعني: لا يخفى على الله شيءٌ من أعمالكم دون أن تجدوه مكتوبًا مُحْصًى عليكم، و ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدل من الأول[١]، وقوله: ﴿لَا تَخْفَىٰ﴾ قرأه حمزة والكسائي بالياء، وقرأه الباقون بالتاء[٢].

فصل

عن ثابت بن الحَجّاجِ[٣] قال: قال عُمَرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «زِنُوا أنفسكم قبل أن تُوزَنُوا، وحاسِبُوها قبل أن تُحاسَبُوا، فإنه أهْوَنُ عليكم غَدًا، وتَزَيَّنُوا للعرض الأكبر، وذلك يومَ القيامة يومَ ﴿تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾»[٤].

---

(١) يعني بالأول قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾، وهذا وجه، وقال مَكِّيٌّ: «قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ العامل في الظرف: ﴿تُعْرَضُونَ﴾. مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٣، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥١٩.

(٢) قرأ عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب وحمزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ والأعمشُ وابنُ وَثّابٍ وابنُ مُصَرِّفٍ، وابنُ مِقْسَمٍ عن عاصمٍ، وابنُ سعدان: ﴿لاَ يَخْفَى﴾ بالياء وبالإمالة، قال الأزهري: «من قرأ: ﴿تَخْفَى﴾ بالتاء فَلِلَفْظِ ﴿خافِيَةٌ﴾، وهي مؤنثة، ومن قرأ: «لاَ يَخْفَى» أراد: لا يَخْفَى منكم خافٍ، والهاء دخلت للمبالغة». معانِي القراءات ٣/ ٨٦، وينظر: السبعة ص ٦٤٨، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٣، البحر المحيط ٨/ ٣١٨، الإتحاف ٢/ ٥٥٧.

(٣) ثابت بن الحجاج بن جُمَيْعٍ الكِلَابِيُّ الجَزَرِيُّ الرَّقِّيُّ، تابعي ثقة، روى عن زيد بن ثابت وأبِي هريرة وغيرهم، ذكره ابن حبان في ثقاتِ أَتْباعِ التابعين توفِّيَ سنة (١٤٩هـ). [تهذيب الكمال ٤/ ٣٥١-٣٥٢، الثقات ٦/ ١٢٧].

(٤) هذا القول من خطبة قالَها عُمَرُ بعد أن وَلِيَ الخلافةَ، ينظر: المصنف لابن أبِي شيبة ٨/ ١٤٩، الوسيط ٤/ ٣٤٦، تاريخ دمشق ٤٤/ ٢٦٣، ٣١٤، ٣٥٧، الدر المنثور ٦/ ٢٦١، كنز العمال ١٦/ ١٥٩، ١٦٦.

وقال أبو موسى الأشْعَرِيُّ: «يُعْرَضُ الناسُ ثَلاثَ عَرَضاتٍ، فأما عَرْضَتانِ فَجِدالٌ وخُصُوماتٌ ومَعاذِيرُ، وأما العَرْضةُ الثالثة فَعِنْدَ ذلك تَتَطايَرُ الصُّحُفُ في الأيْدِي، فآخِذٌ بِيَمِينِهِ وآخِذٌ بِشِمالِهِ»[1]، وذلك قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ﴾ هذه «ها» التنبيه؛ أي: هاكُمْ[2]، وقيل: تَعالَوْا ﴿ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ يعني: حَسَناتِيَهْ، وهذه أيضًا هاء الوقف، وتسمى أيضًا هاء السَّكْتِ في الاستراحة، قال ابن السِّكِّيتِ[3]: يقال: هاءِ يا رَجُلُ، وهاؤُما يا رَجُلَانِ، وهاؤُمْ يا رِجالُ.

﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: عَلِمْتُ وأيْقَنْتُ فِي الدنيا أنِّي مُحاسَبٌ فِي الآخرة، والظَّنُّ يستعمل فِي اللغة بمعنى اليقين، ويستوي اللفظُ

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي موسى عن النبي ﷺ في المسند ٤/ ٤١٤، وابن ماجَهْ في سننه ٢/ ١٤٣٠ كتاب الزهد: باب ذِكْرِ المَبْعَثِ، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ٧٤، الكشف والبيان ١٠/ ٣٠، عين المعاني ورقة ١٣٧/ أ.

(٢) «ها» هنا هي اسم الفعل، وليست للتنبيه كما قال؛ لأنها لو كانت للتنبيه لكانت حرفا، وإنما قال الجِبْلِيُّ: «هذه «ها» التنبيه «مُتابِعًا في ذلك صاحِبَ كتاب الجمل المنسوب للخليل ص ٢٦٨، وقال ابن قتيبة: «ها» بِمَنْزِلةِ «خُذْ» و«تَناوَلْ»، تقول: ها يا رَجُلُ، وتَأْمُرُ بها ولا تَنْهَى، ومنها قول الله تعالى: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، ويقال للاثنين: هاؤُما اقْرَآ، وفيها لغات، والأصل: هاكُمْ اقْرَءُوا، فحذفوا الكاف، وأبدلوا الهمزة، وألقوا حركة الكاف عليها». تأويل مشكل القرآن ص ٥٥٤، وقال أيضًا: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾، يقال: بمعنى هاكُم اقرءوا كتابيه، أبدلت الهمزة من الكاف». غريب القرآن ص ٤٨٤، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٧، الأصول لابن السراج ٢/ ١٣١، ١٣٢، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢، حروف المعاني ص ٧٣، سر صناعة الإعراب ص ٣١٨، ٣١٩، الصحاح ١/ ٨٤، ٨٥، الصاحبي ص٢٨٠، شرح الكافية للرضي ٣/ ١٧٣، ١٧٤، مغني اللبيب ص ٤٥٥.

(٣) إصلاح المنطق ص ٢٩٠.

بحقيقته فيه، ويُسْتَعْمَلُ بِمَعْنَى الشَّكِّ، قال أهل اللغة[١]: الظَّنُّ من الأضداد، يكون يقينا ويكون شَكًّا، كالرَّجاءِ يكون أَمَلًا ويكون خَوْفًا، وأما في عُرْفِ الشَّرْعِ فقد قال في اللُّمَعِ[٢]: الظَّنُّ: تَجْوِيزُ أَمْرَيْنِ أَحَدُهُما أَظْهَرُ من الآخر، والشَّكُّ: تَجْوِيزُ أَمْرَيْنِ لا مَزِيّةَ لأحدهما على الآخر، وقيل: الظَّنُّ: تَعارُضُ احتمالَيْنِ أَحَدُهُما أَظْهَرُ من الآخر.

قيل[٣]: نزلت هذه الآية في أَبِي أَسْلَمَ بن عبد الله المخزومي، وقيل[٤]: في أَبِي سَلَمةَ بن عبد الأَسَدِ[٥] زَوْجِ أُمِّ سَلَمةَ.

---

(١) قال قطرب: «وقال ابن مقبل:

ظَنِّي بِهِمْ كَعَسَى، وَهُمْ بِتَنُوفةٍ ... يَتَنازَعُونَ جَوائِزَ الأَمْثالِ

قوله: ظَنِّي بِهِمْ؛ أي: يَقِينِي بهم، فذلك ضِدٌّ أيضًا، يكون الظن شَكًّا أو يقينًا... وقال، جل ثناؤه ـ: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمْ﴾، وقال في آية أخرى: ﴿ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾، فهذا يقينٌ، ولو كان ذلك شَكًّا لَمْ يَجُزْ في ذلك المعنى، وكان كُفْرًا، ولكنه يَقِينٌ». الأضداد ص ٧٠-٧١.

وذكر ابن الأنباري أنه من الأضداد، ثم قال: «وقال أبو العباس: إنما جاز أن يقع الظن على الشك واليقين لأنه قولٌ بالقلب، فإذا صحت دلائل الحق، وقامت أماراته كان يقينًا، وإذا قامت دلائل الشك، وبطلت دلائل اليقين، كان كَذِبًا، وإذا اعتدلت دلائل اليقين والشك كان على بابه شَكًّا لا يَقِينًا ولا كَذِبًا». الأضداد ص ١٦، وينظر: الأضداد لأبي الطيب اللغوي ص ٤٦٦-٤٧٣.

(٢) يعني الإمام أبا إسحاقَ إبراهيمَ بن عَلِيٍّ الشِّيرازِيَّ المتوفَّى سنة (٤٧٦هـ)، وانظر ما قاله في اللمع في أصول الفقه للشيرازي ص ٣، وشرح اللمع له ١/ ١٥٠.

(٣) ينظر: زاد المسير ٨/ ٣٥٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٠.

(٤) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٨٢.

(٥) هو عبد الله بن عبد الأسد بن هلال المخزومي أخو النبي ﷺ في الرضاع وابن عمته، كان من السابقين، شهد بدرا، وتُوُفِّيَ بعد أُحُدٍ سنة (٤هـ). [أسد الغابة ٣/ ١٩٥، الإصابة ٤/ ١٣١].

فصل

عن زيد بن ثابت - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «أوَّلُ مَنْ يُعْطَى كِتابَهُ بِيَمِينِهِ مِنْ هذه الأُمّةِ عُمَرُ بن الخطاب، وله شعاع كشعاع الشمس»، فقيل له: فَأَيْنَ أبو بكر؟ قال: «هَيْهاتَ هَيْهاتَ، زَفَّتْهُ المَلائِكَةُ إِلَى الجَنّةِ»[١].

وعن عائشة - رضي الله عنها - قالت: قال رسول الله ﷺ: «يا عائشة: كُلُّ الناس يُحاسَبُونَ يومَ القيامة إلا أبا بكر - رضي الله عنه -»[٢].

قوله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾؛ أي: في حالة من العيش ﴿رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: مَرْضِيّةٍ يرضاها بأن لَقِيَ الثوابَ، وأمِنَ مِنَ العقاب ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ رفيعة المنازل ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ ثمارها قريبة يَنالُها القائمُ والقاعد والمُضْطَجِعُ، وهو جمع قِطْفٍ وهو ما انْقَطَفَ من الثمار.

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾؛ أي: وَيُقالُ لهم: كُلُوا واشربوا في الجنة ﴿هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ﴾؛ أي: قَدَّمْتُمْ لآخِرَتِكُمْ من الأعمال الصالحة ﴿فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ يريد: الماضية، وهي أيام الدنيا، ونصب ﴿هَنِيئًا﴾ على الحال، وقيل[٣]: على النعت لمصدر محذوف.

---

(١) هذا حديث موضوع رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٣٠، وينظر: الموضوعات لابن الجوزي ١/ ٣٢٠، تاريخ بغداد ١١/ ٢٠٢، عين المعاني ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٩، التذكرة للقرطبي ص ٢٩١، تاريخ دمشق ٣٠/ ١٥٤.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٠، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٣٠/ ١٥٢، كنز العمال ١١/ ٥٥٨.

(٣) قاله الزمخشري، وأجاز أيضًا أن يكون مصدرا مؤكدا لفعله المحذوف؛ أي: هَنِئْتُمْ هَنِيئًا، ينظر: الكشاف ٤/ ١٥٣، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٢٠.

فصل

عن سَـلْمانَ الفارِسِـيِّ ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ أحَدُكُم الجنةَ إلّا بِجِوارِ «بِسْـمِ الله الرحمن الرحيم»، هذا كتابٌ من الله لِفُلاَنِ ابنِ فُلانٍ، أدْخِلُوهُ جَنّةً عاليةً، قُطُوفُها دانِيةٌ»(١).

وذُكِرَ أن الله تعالى يقول يوم القيامة: «يا أوليائي، طالَما نَظَرْتُ إليكم فِي الدنيا، وقد قَلَصَتْ شِفاهُكُمْ عن الأشْرِبةِ، وغارَتْ أعْيُنُكُمْ، وخَمِصَتْ بُطُونُكُمْ، فَكُونُوا اليومَ فِي نعيمكم، فَكُلُوا واشْرَبُوا هَنِيئًا بِما أسْلَفْتُمْ فِي الأيّامِ الخالِيةِ»(٢).

وَرَوَى الحَسَـنُ بـن أبِي طَيْبـةَ المالِكِيُّ(٣) عـن أبِي عَلِـيٍّ الأصَمِّ(٤) أنه قال: «يُوضَعُ لِلصُّوّامِ مائِدةٌ يَوْمَ القيامة، فيأكلون عليها والناسُ فِي الحِسـابِ، فيقولون: يا رَبِّ: نَحْنُ فِي الحِسابِ وهؤلاء يأكلون؟، فيقول لهم: إنَّهُمْ طالَما صامُوا وأكَلْتُمْ، وقامُوا وَنِمْتُمْ»(٥).

قوله تعالـى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ قال ابن السـائب(٦): تُلْوَى يَدُهُ

---

(١) رواه الطبرانِـيُّ في المعجم الأوسـط ٣/ ٢٢٤، والمعجم الكبير ٦/ ٢٧٢، وابن عدي في الكامل في الضعفاء ١/ ٣٤٤، وينظر: الوسيط ٤/ ٣٤٧.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٠، الكشاف ٤/ ١٥٣، الدر المنثور ٦/ ٢٦٢.

(٣) هو الحسن بن يوسف بن أبِي طَيْبةَ المصري، أبو علي المَدِينِيُّ القاضي.

(٤) في الأصل: «عن عليٍّ الأصم»، وهو خطأ. وهو الحسين بن يزيد الكوفِيُّ، أبو عَلِيٍّ القُرَشِيُّ بالـولاء الأصَـمُّ، ثقة ليس به بأس، رَوَى عن السُّـدِّيِّ وغيره. [تهذيـب الكمال ٦/ ٣٤٦، الجرح والتعديل ٣/ ٤٣، ميزان الاعتدال ١/ ٥٢٦].

(٥) ينظر: الدر المنثور ١/ ١٨٢، كنز العمال ٨/ ٤٥٧.

(٦) هو عَطاءُ بن السّائِبِ بن زيد الثقفي بالولاء الكوفي، أحد الأعلام، ثقة صالح، روى عن أبيه =

اليُسْـرَى خَلْفَ ظَهْرِهِ، ثم يُعْطَى كِتابَهُ، وقيل: تُنْزَعُ من صدره إِلَى خَلْفِ ظَهْرِهِ ﴿فَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ﴿٢٥﴾ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ﴿٢٦﴾﴾ بإثبـات الهـاء فـي الوقف، وكذا ما تقدم وكذا ما يليه، و ﴿سُلۡطَٰنِيَهۡ﴾ لِبَيانِ الحَرَكةِ، قال الصَّفّارُ[١]: وإثباتها في الوصل لَحْنٌ، لا يجوز عند أحد من أهل العربية عَلِمْتُهُ، ومَن اتَّبَعَ السوادَ، وأراد السلامة من اللحن، ووقف عليها كان مصيبًا من الجهتين.

وقوله: ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ يعني الموت، يتمنى الموتَ فيقول: يا ليتني حين مِتُّ لَمْ أُحْيَ بعدها[٢]، ويقال: القاضية: الموتة لا حياة بعدها، ومعنى القاضية: القاطعة للحياة، تَمَنَّى الكافرُ دَوامَ الموت، وأنه لَمْ يُبْعَثْ للحساب.

وقوله: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: لَمْ يَدْفَعْ عَنِّي من عذاب / الله ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ﴿٢٩﴾﴾ أي: ذَهَبَ عَنِّي مُلْكِي فَصِرْتُ ذليلًا، وقيل: عُذْرِي وحُجَّتِي، حين شَهِدَتْ عليه الجَوارِحُ، وقرأ حمزة: ﴿مالِي﴾ و﴿سُلْطانِي﴾ بغير هاء في الوصل فيهما، ولا خلاف في الوقف أنهما بالهاء[٣]، ومعنى السُّلْطانِ: الحُجَّةُ [٢٤٩/ أ]

= وعن ابن أَبِي أَوْفَى والسُّلَمِيِّ وغيرهم، توفِّي سنة (١٣٦هـ). [تهذيب الكمال ٢٠/ ٨٦-٩٤، سير أعلام النبلاء ٦/ ١١٠: ١١٤]، وينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٣١.

(١) يعني النحاس، وانظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٣، وقد قال أبو حيان معلقا على مثل هذا القول: «وما قاله الزهراوي من أن إثبات الهاء في الوصل لَحْنٌ لا يجوز عند أحد عَلِمْتُهُ، ليس كما قال، بل ذلك منقول نَقْلَ التواتر، فَوَجَبَ قَبُولُهُ». البحر المحيط ٨/ ٣١٩.

(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٨٢.

(٣) في الأصل: «بالياء»، وقد قرأ الجمهور بإثبات الهاء فيهما وفي أمثالهما وصلًا ووقفًا مراعاة لخط المصحف، وقرأ ابن محيصن ومجاهد وحميد ويعقوب بطرح الهاء وإسكان الياء فيها وصلًا ووقفًا، وقرأ ابن أَبِي إسحاق والأعمش بطرح الهاء منها في الوصل فقط، وقرأ حمزة: ﴿مالِي﴾ و﴿سُلْطانِي﴾ بطرح الهاء وفتح الياء في الوصل فقط، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦١، شواذ القراءة ورقة ٢٤٨-٢٤٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٦٩-٢٧٠، البحر المحيط ٨/ ٣١٩.

والبُرْهانُ، والسُّلْطانُ أيضًا: القُوّةُ، وهو يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ[١].

قيل[٢]: نزلت هذه الآية في أَبِي الأَسْـوَدِ بن عبد الأَسَدِ[٣] المخزومي أخِ أَبِي سَـلَمَةَ، قَتَلَهُ حَمْزَةُ بن عبد المطلب ـ رضي الله عنه ـ بِبَدْرٍ على الحوض، وقيل: نزلت في أَبِي جهل بن هشام.

ثم يقول الله لِخَزَنةِ جَهَنَّمَ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠﴾؛ أي: غُلُّوا يَدَيْهِ إلَى عُنُقِهِ، ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١﴾؛ أي: أَدْخِلُـوهُ وأَحْرِقُوهُ، يقال: صَلَّيْتُهُ بالنار وأَصْلَيْتُهُ، و ﴿ٱلْجَحِيمَ﴾ نصب؛ لأنه مفعـولٌ ثانٍ، تقديره: ثم صَلُّوهُ الجَحِيمَ، ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢﴾ يعنـي: فَأَدْخِلُـوهُ، يقال: سَـلَكْتُهُ فـي الطَّرِيقِ وفـي القَيْدِ وغَيْرِهِ: إذا أَدْخَلْتَـهُ فيه[٤]، قال الكَلْبِيُّ[٥]: كما يُسْـلَكُ الخَيْطُ فِي اللُّؤْلُؤِ.

والمعنى: فاسْـلُكُوا السِّلْسِـلةَ، كما تقول: أَدْخَلْتُ القَلَنْسُوةَ في رَأْسِي، والخاتَمَ في إصْبَعِي، وإنما يُدْخَلُ الرَّأْسُ في القَلَنْسُـوةِ، والإصْبَعُ في الخاتَمِ،

---

(١) قاله أبو حاتم، وقال أيضًا: «وأما في القرآن فَمُذَكَّرٌ كله، أراد به الحجة، قال: «بِسُلْطانٍ مُبِينٍ» و«بِسُـلْطانٍ بَيِّنٍ»، وأما «وما كانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُـلْطانٍ» فأراد التسليط». المذكر والمؤنث للسجستانِيِّ ص ١٣٤، وينظـر: المذكـر والمؤنث لابن الأنبـاري ص ١/ ٣٨١، المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٥١، ٨٣، شفاء الصدور ورقة ١٦١/ أ.

(٢) هـذا قول الضحاك ومقاتل، ينظـر: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٢، زاد المسـير ٨/ ٣٥٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٠.

(٣) في الأصل: «بن عبد الأسود».

(٤) هذا القول حكاه الأزهري عن أبي عبيد في تهذيب اللغة ١٠/ ٦٣.

(٥) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٤٨.

وهذا معروف عند العرب[١]، قيل[٢]: إنه تُدْخَلُ السلسلة في دُبُرِهِ، فَتُخْرُجُ من مِنْخَرِهِ، وقيل[٣]: تُدْخَلُ مِنْ فِيهِ، وتُخْرَجُ مِنْ دُبُرِهِ.

واختلفوا في قَدْرِ الذِّراعِ، فقيل: قَدْرُ الذِّراعِ سبعون باعًا، والباعُ كما بينك وبَيْنَ مَكّةَ، وهو قول نَوْفٍ الشّامِيِّ[٤]، وكان في رَحَبةِ مسجد الكوفة، وقيل: كل باعٍ كما بَيْنَ الكوفة إلى مَكّةَ وَأَبْعَدَ، وقال الحَسَنُ[٥]: الله أَعْلَمُ بِأيِّ ذِراعٍ هو، والسلسلة حِلَقٌ مُنْتَظِمةٌ، قيل: لو أن حَلْقةً منها وُضِعَتْ على ذِرْوةِ جَبَلٍ لَذابَ كما يذوب الرَّصاصُ.

فصل

عن عبد الله بن عمرو بن العاص ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أن رَصاصةً مثل هذه ـ وأشار إلى جُمْجُمةٍ ـ، أُرْسِلَتْ إلى الأرض، وهي مسيرة خمسمائة سنة، لَبَلَغَت الأرضَ قَبْلَ الليل، ولو أنها أُرْسِلَتْ من رأس

---

(١) يعني أنَّ في الآية قَلْبًا، وهذا قول الفراء والمبرد والنقاش، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٨٢، ما اتفق لفظه واختلف معناه للمبرد ص ٣٧، شفاء الصدور ورقة ١٦١/ أ، وينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١، البحر المحيط ٨/ ٣٢٠.

(٢) قاله ابن عباس والحسن، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٧٩، الكشف والبيان ١٠/ ٣١، عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ.

(٣) قاله الضحاك، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٧٩، شفاء الصدور ورقة ١٦١/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٣١، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٧٨، ٧٩، شفاء الصدور ورقة ١٦١/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٣١، الوسيط ٤/ ٣٤٧، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١، زاد المسير ٨/ ٣٥٣، عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٢.

(٥) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٦١/ أ، الوسيط ٤/ ٣٤٧، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١.

[٢٤٩/ ب] السلسلة / لَسارَتْ أربعين خريفًا الليلَ والنهارَ قبل أن تَبْلُغَ أَصْلَها أو قَعْرَها»[١].

وَرُوِيَ عن كعب الأحبار أنه قال: لو جُمِعَ حَدِيدُ الدنيا ما وَزَنَ حَلْقَةً منها[٢]، وعن سُوَيْدِ بن أَبِي نُجَيْحٍ[٣] أنه قال: بَلَغَنِي أَنَّ جَمِيعَ أَهْلِ النار في تلك السلسلة، لو أن حلقة منها وُضِعَتْ على جَبَلٍ لَذابَ مِنْ حَرِّها.

قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣﴾؛ أي: لا يُصَدِّقُ بتوحيد الله وعظمته ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤﴾؛ أي: لا يُطْعِمُ المسكينَ فِي الدنيا، ولا يأمر أهلَه بذلك ﴿فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا﴾ يعني: في الآخرة ﴿حَمِيمٌ ۝٣٥﴾؛ أي: قريب وصديق يمنعه من عذاب الله، وهو رفع؛ لأنه اسم «لَيْسَ»، ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾ وهو صَدِيدُ أَهْلِ النار، مأخوذ من الغَسْلِ، قال الأخفش[٤]: هو ما يُغْسَلُ من لُحُومِ أَهْلِ النار ودمائهم، وزِيدَ فيه الياءُ والنونُ كما زِيدَ «عِفِرِّينُ»،

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٩٧، والترمذي في سننه ٤/ ١٠٩ أبواب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٣٨ كتاب التفسير: سورة «حم» المؤمن، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ٧٩، الكشف والبيان ١٠/ ٣١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٢، تفسير ابن كثير ٤/ ٤٤٤، الدر المنثور ٦/ ٢٦٢.

(٣) ويقال: سُوَيْدُ بن نُجَيْحٍ، أبو قُطْبَةَ الكُوفِيُّ، ثقة يكتب حديثه، روي عن الشعبي وعكرمة، وتُوُفِّيَ في خلافة أَبِي جعفر المنصور. [الثقات ٦/ ٤١٢-٤١٣، الجرح والتعديل ٤/ ٢٣٦-٢٣٧]، وينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٣١، الوسيط ٤/ ٣٤٨، زاد المسير ٨/ ٣٥٣، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٢.

(٤) قال الأخفش: «وقال: «إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ»، جعله، والله أعلم، من الغَسْلِ، وزاد الياءَ والنونَ بِمَنْزِلةِ عِفِرِّينَ وكِفِرِّينَ». معاني القرآن ص ٥٠٦-٥٠٧. وأما العِفِرِّينُ فهي المَأْسَدةُ، وقيل لكل ضابطٍ قَوِيٍّ: لَيْثُ عِفِرِّينَ، ويقال للرجلِ الكاملِ ابنِ الخمسين: لَيْثُ عِفِرِّينَ، ينظر: العين ٢/ ١٢٣، الصحاح ٢/ ٧٥٣، اللسان: عفر.

وقيل[١]: هو غُسالةُ أجْوافِ أهْلِ النار، وكُلُّ جُرْحٍ ودَبَرٍ غَسَلْتَهُ فَخَرَجَ منه شَيْءٌ فهو غِسْلِينٌ، أي: فِعْلِينٌ من غَسْلِ الجِراحِ والدَّبَرِ[٢].

قال ابن عباس[٣]: لو أن قطرة من الغِسْلِينِ وقعت في الأرض لأفْسَدَتْ على الناس معايشهم، وقال الضحاك والربيع[٤]: هو شجر يأكله أهل النار، وذلك قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾﴾ المذنبون، وهم الكافرون.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ يعني: مِنْ ظاهِرِ القُدْرةِ ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ من أسرار القدرة؛ أي: ما تَرَوْنَ وما لا تَرَوْنَ، وأراد جميع المَكُوناتِ والمَوْجُوداتِ، وقيل: أراد الدنيا والآخرة، وقيل: ما في ظَهْرِ الأرض والسماء وبَطْنِهِما، وقال جعفر الصادق[٥]: ﴿بِمَا تُبْصِرُونَ﴾ من صُنْعِي في مُلْكِي، ﴿وَمَا لَا تُبْصِرُونَ﴾ من بِرِّي بأوليائي، وفيه تفاسير يطول شرحها هاهنا.

و«لا» في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ صلة، تقديره: فَأُقْسِمُ[٦] ﴿إِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن

---

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٦٨، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٦٢، اللسان: غسل.

(٢) الدَّبَرُ: جَمْعُ دَبَرةٍ وهي قُرْحةُ البعير والدّابّةِ، يقال: دَبِرَ البَعِيرُ يَدْبَرُ دَبَرًا. اللسان: دبر.

(٣) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٤٨.

(٤) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٦١/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٣٢، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦١، زاد المسير ٨/ ٣٥٤.

(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٣٢.

(٦) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٤، وقيل: «لا» ليست صلة، ولكنها نَفِيٌ لِما ادَّعَوْهُ من أنه لا بعث، فقيل لهم: «لا»، ليس الأمرُ كما تَدَّعُونَ، ثم قال: ﴿أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ﴾، وتُؤَيِّدُ هذا الرأيَ قراءةُ الحَسَنِ: ﴿فَلَأُقْسِمُ﴾، ينظر: كشف المشكلات ٢/ ٣٨٢، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢، البحر المحيط ٨/ ٣٢١.

﴿لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾ يعني محمَّدًا ﷺ، والمعنى: إنه لَتِلاَوةُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، فحذف كقوله تعالى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[1] وبابِه، ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾؛ أي: لا تصدقون بأن القرآن من عند الله ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾؛ أي: تَتَّعِظُونَ بالقرآن، قرأ ابن عامر وابن كثير ويعقوب وأبو حاتم: ﴿يُؤْمِنُونَ﴾/ [٢٥٠/ أ] و﴿يَذَّكَّرُونَ﴾ بالياء فيهما[2] إخْبارًا عن المشركين، وقرأ الباقون بالتاء فيهما، وخَفَّفَ حَمْزةُ والكسائيُّ وحَفْصٌ الذالَ على أُصُولِهِمْ.

ويريد بالقليل نَفْيَ إيمانهم أصْلًا، كما تقول لِمَنْ لا يزورك: قَلَّما تَأْتِينا، وأنت تريد: لا تأتينا أصلا[3]، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ في الموضعين بـ﴿تُؤْمِنُونَ﴾ و﴿تَذَكَّرُونَ﴾، و﴿مَّا﴾ زائدة، وحقيقته أنه نعت لمصدر محذوف تقديره: وَقْتًا قَلِيلًا أو إيمانًا قَلِيلًا، وكذلك: تَذَكَّرُونَ وَقْتًا قَلِيلًا أو تَذَكُّرًا قَلِيلًا[4].

قوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ يعني القرآن، والتقدير: بل القرآن الذي يجيئكم به محمد ﷺ الذي تزعمون أنه شِعْرٌ وكَهانةٌ وسِحْرٌ تَنْزِيلٌ من رَبِّ العالمين.

---

(١) يوسف ٨٢.

(٢) وقرأ بالياء أيضًا: القُطَعِيُّ عن عبيد عن هارون عن أبي عمرو، وابنُ ذكوان من طريق الصوري، ويعقوبُ وابنُ محيصن والحسنُ والجحدريُّ، ينظر: السبعة ص ٦٤٨، النشر ٢/ ٣٩٠، البحر المحيط ٨/ ٣٢٢، الإتحاف ٢/ ٥٥٩.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٦٢/ أ.

(٤) الوجهان قالهما مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٤، وذهب ابن خالويه إلى أن ﴿قَلِيلًا﴾ «منصوب بـ﴿تُؤْمِنُونَ﴾، و﴿ما﴾ مع الفعل فِي تأويل مصدر، والتقدير: قَلِيلًا إيمانُهُمْ، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٦، وينظر أيضًا: المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٢، البحر المحيط ٨/ ٣٢١، ٣٢٢.

فصل

عن عُمَرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال: «خَرَجْتُ أتَعَرَّضُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ أنْ أُسْلِمَ، فوجدته قد سَبَقَنِي إلَى المسجد، فَقُمْتُ خَلْفَهُ، فاستفتح سُورَةَ الحاقة، فَجَعَلْتُ أعْجَبُ من تأليف القرآن، فقلتُ: هذا ـ واللهِ ـ شاعِرٌ كما قالت قريش، قال: فقرأ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ﴾، قال: قلتُ: كاهِنٌ، فقال: ﴿وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ إلى آخر السورة، قال: فوقع الإسلامُ فِي قلبِي كُلَّ موقع»[(١)].

قوله: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾﴾ يعني محمَّدًا ﷺ، فَزادَ في الوَحْيِ، أو نَقَصَ منه، أو قال علينا ما لَمْ نَقُلْ ﴿لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾﴾ يعني: بالعَدْلِ بلغة قريش[(٢)]، وقيل: بالحق، وهو قول ثعلب[(٣)]، وقيل: بالقوة والقدرة، وهو قول المُبَرِّدِ[(٤)] والفَرّاءِ[(٥)] والزَّجّاجِ[(٦)]، قال الشاعر:

٣٩٠ـ إذا ما رايةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقّاها عَرابةُ بِاليَمِينِ[(٧)]

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٧، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٥٨/ أ، الوسيط ٤/ ٣٤٩، مجمع الزوائد ٩/ ٦٢ كتاب المناقب: باب مناقب عمر بن الخطاب.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٦٢/ أ، وحكاه القرطبي عن الحكيم الترمذي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ١٥/ ٩٤، ٩٥.

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٦٢/ أ، تفسير القرطبي ١٥/ ٩٤.

(٤) ينظر قوله في الإغفال للفارسي ٢/ ١٨٨، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٤٩.

(٥) معاني القرآن ٣/ ١٨٣.

(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٨.

(٧) البيت من الوافر، للشماخ بن ضرار يمدح عَرابةُ الأوْسِيَّ، ويُرْوَى: «**نُصِبَتْ لِمَجْدٍ**».

التخريج: ديوانه ص ٣٣٦، معاني القرآن للفراء ٢/ ٣٨٥، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٨، جمهرة اللغة ص ٣١٩، ٩٩٤، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٢٨، ٢/ ٨٨، ٣٩٠، تهذيب اللغة =

يريد: بالقوة. قال ابن قتيبة[١]: وإنما أقامَ اليَمِينَ مُقامَ القوة؛ لأن قُوّةَ كُلِّ شَيْءٍ في مَيامِنِهِ.

وقال صاحب إنسان العين[٢]: الباء مؤكدة، والمعنى: أَخَذْنا يَمِينَهُ وأَعْجَزْناهُ، أو أخذنا باليمين منه كما تقول: خُذْ بِيَمِينِهِ فَأَخْرِجْهُ.

وقال الثعلبيُّ[٣]: قيل: معناه: لأخذنا منه باليَدِ اليَمِينِ من يديه، وهو مَثَلٌ معناه: لأَذْلَلْناهُ وَأَهَنّاهُ، وهذا كقول ذِي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ إهانةً، قال لبعض أعوانه: خُذْ بِيَدِهِ فَأَقِمْهُ. واعْتَمَدَ محمدُ بن جرير الطبري هذا القول[٤].

﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ (٤٦)﴾ وهو عِرْقٌ يكون في القَلْبِ، يُسَمَّى نِياطَ القَلْبِ،/ فإذا قُطِعَ مات صاحبه، وإنما يُسَمَّى نِياطًا لِتَعَلُّقِهِ بِالقَلْبِ[٥]، وقال [٢٥٠/ ب]

= ٨/ ٢٢١، ١٥/ ٥٢٣، مقاييس اللغة ٦/ ١٥٨، المحتسب ٢/ ٢٣٤، الكشف والبيان ١٠/ ٣٢، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ٤٣٤، عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ٥/ ٢٠، ٨/ ٢٥١، ١٤/ ١٤٧، ١٥/ ٧٥، ٢٧٨، ١٨/ ٢٧٥-٢٧٦، شرح المفصل لابن يعيش ٢/ ٣١، اللسان: عرب، يمن، شرح شواهد شرح الشافية ص ٢٠٤، التاج: عرب.

(١) تأويل مشكل القرآن ص ١٥٤.

(٢) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ.

(٣) الكشف والبيان ١٠/ ٣٢-٣٣.

(٤) قال الطبري: «وقد قيل: إن معنى قوله: ﴿لأَخَذْنا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾: لأخذنا منه باليد اليمنى من يديه، قالوا: وإنما ذلك مَثَلٌ، ومعناه: إنّا كُنّا نُذِلُّهُ وَنُهِينُهُ، ثم نقطع منه بعد ذلك الوتينَ، قالوا: وإنما ذلك كقول ذي السلطان إذا أراد الاستخفاف ببعض مَنْ بَيْنَ يديه لأعوانه: خُذْ بِيَدِهِ فَأَقِمْهُ، وافْعَلْ به كذا وكذا، قالوا: وكذلك معنى قوله: ﴿لأَخَذْنا مِنْهُ بِاليَمِينِ﴾، أي: لأَهَنّاهُ كالذي يُفْعَلُ بالذي وَصَفْنا حالَهُ». جامع البيان ٢٩/ ٨٢.

(٥) قاله ابن عباس والضحاك وابن جبير وابن زيد وأبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن =

ثعلب[١]: الوَتِينُ عِرْقٌ يكون فِي باطن فَخِذِ الإنسان، إذا قُطِعَ مات صاحبه. وقال الواحِدِيُّ[٢]: هو عِرْقٌ يَجْرِي في الظَّهْرِ حتى يتصل بالقلب، إذا انقطع بَطَلَت القُوَى ومات صاحبُهُ. وقيل[٣]: هو عِرْقٌ بَيْنَ العِلْباءِ والحُلْقُومِ.

وقوله: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾؛ أي: مانِعِينَ يَحْجِزُونَنا عن عقوبته وما نفعله به، وإنما جمع وهو فِعْلُ واحِدٍ رَدًّا على معناه، كقوله تعالى: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾[٤] وهو نعت لـ ﴿أَحَدٍ﴾؛ لأنه بمعنى الجماعة، فحمل النعت على المعنى فجمع، وقيل[٥]: هو نصب على خبر «ما» النافية، و ﴿مِّنْ﴾ في قوله: ﴿مِّنْ أَحَدٍ﴾ صِلَةٌ زائِدةٌ.

قوله: ﴿وَإِنَّهُ﴾ يعني القرآن ﴿لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: لَعِظةٌ لِمَن اتقى عِقابَ الله بطاعته ﴿وَإِنَّا لَنَعْلَمُ﴾ يا أهل مكة ﴿أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾ يعني: ندامة على الكافرين يوم القيامة، يندمون على ترك الإيمان به ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾﴾ من الله، والحق هو اليقين، وإنما أضافه إلى اليقين

= ٢/ ٢٦٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٤، جامع البيان ٢٩/ ٨٢، شفاء الصدور ورقة ١٦٢/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٦.

(١) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٦٢/ أ.

(٢) الوسيط ٤/ ٣٤٩.

(٣) قاله الكلبي، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٣، عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٦.

(٤) البقرة ٢٨٥، وهذا قول الفراء والطبري والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٨٣، جامع البيان ٢٩/ ٨٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٨.

(٥) قاله الباقولِيُّ والأنباري والمنتجب الهمدانِيُّ، ولا يعد «مِنْكُمْ» فَصْلًا بين «ما» واسمها؛ لأن الفصل بالجار والمجرور كَلا فَصْلٍ، ينظر: كشف المشكلات للباقولِيِّ ٢/ ٣٨٢، البيان للأنباري ٢/ ٤٥٨-٤٥٩، الفريد للهمدانِي ٤/ ٥٢٢.

توكيدا، وقيل: إنما أضافه إلى نفسه لاختلاف اللفظين، نظيره في آخر سورة الواقعة[١].

ثم أَمَرَهُ بتنزيهه عن السوء بقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٥٢﴾؛ أي: اذْكُر اسم ربك العظيم؛ أي: الذي يكون كُلُّ شَيْءٍ في جَنْبِ عَظَمَتِهِ صغيرًا، بالتوحيد والتَّنْزِيهِ عن كل سُوءٍ، فلا شَيْءَ أعْظَمُ منه ولا أكْبَرُ - جَلَّ وَعَزَّ في عظمته وسلطانه -، والله أعلم.

* * *

(١) الآية ٩٥، وانظر ٣/ ٣٢٤.

سورة المعارج

مكية

وهي ثمانمائة وأحَدٌ وستون حرفًا، ومائتان وسبع عشرة كلمةً، وأربع وأربعون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾، أعْطاهُ اللهُ ثَوابَ الذين ﴿هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾»[1].

وعن أُبَيٍّ أيضًا أنه قال: «مَنْ قَرَأها أعْطاهُ / اللهُ مِن الثواب مِثْلَ ما يُعْطِي الذين يُوفُونَ بِالعَهْدِ، ويُؤَدُّونَ الأماناتِ، وَيُحافِظُونَ عَلَى الصَّلَواتِ»[2]، ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ عُدِلَتْ لَهُ بِعِبادةِ الدَّهْرِ»[3]. [٢٥١/ أ]

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٤، الوسيط٤/ ٣٥٠، الكشاف ٤/ ١٦٠، مجمع البيان ١٠/ ١١٦.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) لَمْ أعثر له على تخريج.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله عزّ وجلّ: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ قرأ أهْلُ المدينة والشـام: «سالَ» بغير هَمْزٍ علـى وزن «قالَ»، وقرأ الباقـون بالهمز، وهو الاختيار[١]، فمن قرأ بالهمز فهو من السـؤال لا غَيْرُ، وله وجهانِ، أحدهما: أن تكون الباء في قوله: ﴿بِعَذَابٍ﴾ بمعنى «عَنْ» كقوله تعالى: ﴿فَسْئَلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[٢]؛ أي: عَنْهُ، وقال عَلْقَمةُ ابن عَبْدَةَ:

فَـإنْ تَسْـألُوني بِالنِّسـاءِ، فَإنَّني ... بَصِيرٌ بِـأدْواءِ النِّسـاءِ طَبِيبُ[٣]

أي: عن النساء، ومعنى الآية: سأل سائل عن عذابٍ ﴿وَاقِعٍ ۝١﴾[٤].

والوجـه الآخـر[٥]: أن تكون الباء صِلـةً زائدةً للتوكيـد، كقوله تعالى:

---

(١) قرأ ابن عباس وابن عامر ونافع وأبو جعفر وابن كثير: «سالَ» بغير همز، وقرأ الباقون: «سَأَلَ» بالهمز، وأجمعوا على همز «سـائِلٌ»، ينظر: السـبعة ص ٦٥٠، البحـر المحيط ٨/ ٣٢٦، الإتحاف ٢/ ٥٦٠

(٢) الفرقان ٥٩.

(٣) تقدم برقم ٥٧، ١/ ٣٨٧، وتكرر في ٣/ ٢٠٢.

(٤) هذا الوجه قاله الزجاج وابن خالويه، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٩، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٣٨٩، وحكاه الأزهري عن ابن الأعرابِيِّ في التهذيب ١٥/ ٦١٤، وينظر أيضًا: الصاحبـي ص ١٣٣، الأزهية للهروي ص ٢٨٤، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٥-٤٠٦، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٥، أمالِيُّ ابن الشجري ٢/ ٦١٤.

(٥) هـذا الوجـه قاله الواحدي في الوسـيط ٤/ ٣٥٠، وحكاه السـجاوندي بغير عزو في عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ، وينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٨.

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾[1]، ومعنى الآية: دَعا داعٍ على نفسه، وَسَألَ سائِلٌ عَذابًا واقِعًا ﴿لِّلْكَٰفِرِينَ﴾؛ أي: على الكافرين، اللام بمعنى «عَلَى».

ومن قرأ بغير همز فله وجهان أيضًا، أحدهما: أنه لغة من السؤال، تقول العرب: سالَ يَسالُ، مثل: نالَ يَنالُ، وخافَ يَخافُ[2]، والثاني: أن يكون من السَّيْلِ[3]، فعلى هذا لَمْ تكن الباء بِمعنَى «عَنْ»، وكانت على بابها وأصلِها للتعدي، والأصل في سالَ: سَوَلَ[4]، فلما تحركت الواو وتحرك ما قبلها قُلِبَتْ

---

(١) مريم ٢٥.

(٢) على هذا الوجه تكون الألف في «سالَ» منقلبةً عن واو، قال سيبويه: «بَلَغَنا أن: سِلْتَ تَسالُ لُغةٌ». الكتاب ٣/ ٥٥٥، وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٥/ ٢٧، تهذيب اللغة ١٣/ ٦٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٥، وهذه لغة قريش كما ذكر الزمخشري وغيره، ينظر: الكشاف ٤/ ١٥٦، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٢٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٩، البحر المحيط ٨/ ٣٢٦.

وذهب الأزهري وابن خالويه إلى أن «سالَ» يجوز أن يكون مخففا من «سأل»، ينظر: معانِي القراءات ٣/ ٨٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٩، وقال الجوهري: «وقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سائِلٌ بِعَذابٍ واقِعٍ﴾؛ أي عن عذابٍ، قال الأخفش: يقال خرجنا نسأل عن فلانٍ وبفلانٍ، وقد تُخَفَّفُ هَمْزَتُهُ فيقال: سالَ يَسْالُ، والأمر منه سَلْ بحركة الحرف الثانِي من المستقبَل، ومن الأوّل: اسْألْ». الصحاح ٥/ ١٧٢٣، وينظر أيضًا: لسان العرب: سأل، تاج العروس: سأل.

(٣) يعني الانصباب، وهذا قول النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٧، وقال الأزهري: «من قرأ: «سالَ» بغير هَمْزٍ فالمعنى: جَرَى وادٍ بعذاب من الله، مِنْ سالَ يَسِيلُ، كأنه قال: سالَ وادٍ بعذابٍ واقعٍ». معانِي القراءات ٣/ ٨٨، وحكاه الأزهري بغير عزو في التهذيب ١٣/ ٦٧، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٨٩.

(٤) يعني «سالَ» الذي هو من السؤال في لغة من يُخَفِّفُ هَمْزَتَهُ؛ لأن الألف فيه أصلها واو، وأما «سالَ» من السَّيْلِ فأصل الألف فيه الياء، قاله النحاس والفارسي، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٧، الحجة للفارسي ٤/ ٦١.

أَلِفًا، قال ابن زيد بن أسلم[١]: سالَ من أودية جهنم يقـال له: سائِلٌ.

قيـل[٢]: نزلت هذه الآيـة في النضر بن الحارث، حين دَعا على نفسـه وسـأل العـذابَ، فقـال: «﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. الآيـة»[٣]، فنَزَلَ به ما سَـأَلَ يَوْمَ بَدْرٍ فَقُتِلَ صَبْرًا، وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُۥ دَافِعٌ ۝٢﴾ يعني: العذاب في الآخرة، لا يدفعه عن الكافرين أحَدٌ.

قوله: ﴿مِّنَ ٱللَّهِ ذِى ٱلْمَعَارِجِ ۝٣﴾ قال الفَرّاءُ[٤]: المَعارِجُ من نعت الله تعالى؛ لأن الملائكة تَعْرُجُ في السماوات إلَى الله، فَوَصَفَ نَفْسَهُ. قال مُؤَرِّجٌ[٥]: والمَعارِجُ هي السُّـلَّمُ، وهي الدَّرَجاتُ. وقيل[٦]: هي الفَواضِلُ والنِّعَمُ. وقال الكَلْبِيُّ[٧]: معناه: ذِي السـماوات، وسَـمّاها مَعارِجَ لأن الملائكة تَعْرُجُ فيها،

---

(١) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٨٦، الكشف والبيان ١٠/ ٣٥، عين المعاني ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٧٩.

(٢) رواه الحاكم بسنده عن ابن عباس في المسـتدرك ٢/ ٥٠٢ كتاب التفسـير: سورة ﴿سَأَلَ سائِلٌ﴾، والنسائيُّ في السنن الكبرى ٦/ ٤٩٨ كتاب التفسير: سورة المعارج، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٦٣/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٣٥، أسباب النزول ص ٢٩٤.

(٣) الأنفال ٣٢.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ١٨٤.

(٥) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٦٣/ ب.

(٦) قاله ابن عباس وقتادة، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٨٦، ٨٧، شـفاء الصدور ورقة ١٦٣/ ب، الكشـف والبيان ١٠/ ٣٥، تهذيـب اللغة ١/ ٣٥٥، زاد المسـير ٨/ ٣٥٩، عين المعانِي ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨١، اللسان: عرج.

(٧) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٦٣/ ب، ١٦٤/ أ، الوسيط ٤/ ٣٥١.

وذلك قوله: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾؛ أي: إلى الموضع الذي لا / [٢٥١/ ب] ينبغي لأحد سِواهُ فيه حُكْمٌ، فجعل عُرُوجَهُمْ إلَى ذلك الموضع عُرُوجًا إليه، نظيره قول إبراهيم ـ عليه السلام ـ: ﴿إِنِّى ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾[1]؛ أي: إلى حَيْثُ أمَرَنِي بِالذَّهابِ إليه، وقيل: إلى الله عزّ وجلّ، وقيل: تَعْرُجُ الملائكةُ والرُّوحُ بَيْنَ الله تعالى وَبَيْنَ خَلْقِهِ بأعمالهم.

﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ قرأ الكسائي: ﴿يَعْرُجُ﴾ بالياء[2]، وهي قراءة ابن مسعود، وقرأه الباقون بالتاء، واختلفوا في الرُّوحِ فقيل: هو جبريل ـ عليه السلام ـ، وقيل: الرُّوحُ: خَلْقٌ يُشْبِهُونَ الناسَ، وقيل: هُمْ حَفَظَةٌ على الملائكة كما أن الملائكة حَفَظَةٌ على بَنِي آدَمَ.

وقوله: ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾، قال عكرمة وقتادة: يعني يوم القيامة، وقيل: يعني بذلك أن مِقْدارَ مَوْقِفِ الخَلْقِ في الحساب حَتَّى يُفْصَلَ بينهم خَمْسُونَ أَلْفَ سَنةٍ مِنْ سِنِي الدنيا، وليس يَعْنِي مِقْدارَ يَوْمِ القيامة؛ لأن يوم القيامة له أوَّلٌ وليس له آخِرٌ، وهو يَوْمٌ مَمْدُودٌ أبَدًا، ولو كان له آخِرٌ لانْقَطَعَ، وقيل: معناه: لَوْ صَعِدَ عَبْدٌ ما صَعِدَهُ في خَمْسِينَ أَلْفَ سَنةٍ مِمّا يَعُدُّ أهْلُ الدنيا، والملائكةُ والرُّوحُ تقطعه في يَوْمٍ من أيام الدنيا، والمقدار خمسون ألف سنة، هكذا ذكره النَّقّاشُ[3].

---

(١) الصافات ٩٩.

(٢) قرأ ابن مسعود والكسائيُّ وابنُ مِقْسَمٍ وزائدةُ، والسُّلَمِيُّ عن الأعمش بالياء، ينظر: السبعة ص ٦٥٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨١، البحر المحيط ٨/ ٣٢٧.

(٣) من أول قوله: «وقيل: يعني بذلك أن مقدار موقف الخلق»، قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٦٤/ أ.

وَرُوِيَ عن ابن عباس أنه قال[١]: يَوْمُ القيامة جعله الله على الكافرين خمسين ألف سنة، فأراد أنَّ أهل الموقف يستطيلون ذلك اليَوْمَ، وقيل: معناه: لَوْ وَلِيَ مُحاسَبةَ العباد غَيْرُ الله في ذلك اليوم، لَمْ يَفْرُغْ مِنْهُ في خمسين ألف سنةٍ، واللهُ عزّ وجلّ يَفْرُغُ منه في ساعة من النهار، قاله الكلبي[٢]، وقيل[٣]: هو يَوْمُ القيامة، فيه خَمْسُونَ مَوْطِنًا، كُلُّ مَوْطِنٍ أَلْفُ سَنةٍ، قال الثعلبي[٤]: وفيه تقديم وتأخير، كأنه قال: ليس له دافع من الله، في يَوْمٍ كان مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنةٍ، تعرج الملائكة والروح إليه.

﴿كَانَ﴾ هاهنا بمعنى يَكُونُ، قال الشاعر:

٣٩١ - وَإِنِّي لآتِيكُمْ تَشَكُّرَ ما مَضَى مِنَ العَرْفِ واسْتِيجابِ ما كانَ في غَدِ[٥]

والمعنى: ما يكون فِي غَيْرِ هَذا. قاله الخليل[٦]، و ﴿خَمْسِينَ﴾ نصب خبر ﴿كَانَ﴾، و ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾ نصب على التفسير، والله أعلم.

---

(١) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٨٨، الكشف والبيان ١٠/ ٣٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٢.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٣٦، زاد المسير ٨/ ٣٦٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٢.

(٣) قاله يمان، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٢.

(٤) الكشف والبيان ١٠/ ٣٦.

(٥) البيت من الطويل، لِلطِّرِمّاحِ بن حكيم، ورواية ديوانه: «مِنَ البِرِّ».

التخريج: ملحق ديوان الطرماح ص ٣١٢، معاني القرآن للفراء ١/ ١٨٠، ٢٤٤، سر صناعة الإعراب ص ٣٩٨، الخصائص ٣/ ٣٣١-٣٣٢، أمالِي ابن الشجري ١/ ٦٧، ٢/ ٣٥، ٤٥٣، تفسير القرطبي ١/ ٨٦، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٣٢، اللسان: شكر، كون، همع الهوامع ١/ ٣٨، تاج العروس: كون.

(٦) ينظر: الجمل المنسوب للخليل ص ١١٨-١١٩.

فصل

عن أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قيل لرسول الله ﷺ: يَوْمٌ كان مِقْدارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ؟ ما أَطْوَلَ هَذا اليَوْمَ!، فقال ـ عليه السلام ـ: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى المُؤْمِنِ حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيها في الدُّنْيا»(١).

وقال إبراهيم التَّيْمِيُّ: «ما قَدْرُ ذلك / اليَوْمِ على المؤمن إلّا كما بَيْنَ الظُّهْرِ والعَصْرِ»(٢). [٢٥٢/ أ]

ثم عَزَّى نَبِيَّهُ ﷺ فقال: ﴿فَاصْبِرْ﴾ يا محمد على تكذيبهم إيّاكَ ﴿صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾﴾ وهو الذي لا جَزَعَ فيه، وهذا قَبْلَ أن يُؤْمَرَ بالقتال ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ﴾ يعني العذاب ﴿بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾ غَيْرَ كائِنٍ ﴿وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾﴾ كائنًا؛ لأن كل ما هو آتٍ قَرِيبٌ، ونصب ﴿بَعِيدًا﴾ و﴿قَرِيبًا﴾ على الحال، ولو قلت: نَصْبُهُما لأنهما مفعولان بـ«يَرَى» كان صوابًا(٣).

ثم أخبر متى يقع بهم العذاب فقال: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾﴾؛ أي:

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٧٥، وابن حبان في صحيحه ١٦/ ٣٢٩ باب إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس في ذلك اليوم، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٦، الوسيط ٤/ ٣٥١.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠/ ٣٧، الكشاف ٤/ ١٥٧، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٣، الدر المنثور ٤/ ٣٦٥.

(٣) «رأى» في الموضعين عِلْمِيّةٌ، و﴿بَعِيدًا﴾ و﴿قَرِيبًا﴾ منصوبان على المفعول الثاني، قال المنتجب الهمدانِيُّ: «وقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا﴾ مفعولٌ ثانٍ، ومثله ﴿قَرِيبًا﴾، والرؤية الأولَى بمعنى الظَّنِّ والاعتقاد، والثانية بمعنى العلم واليقين». الفريد للهمداني ٤/ ٥٢٧، وعلى هذا فإن ﴿بَعِيدًا﴾ و﴿قَرِيبًا﴾ ليسا منصوبين على الحال؛ لأن «رأى» ليست بَصَرِيّةً.

كَـدُرْدِيِّ الزَّيْـتِ[١]، وقيل[٢]: كَعَكَـرِ القَطِرانِ المُذابِ، وقيـل[٣]: كالفِضّةِ إذا أُذِيبَتْ، وقد تقدم نظيره وتفسيره في سورة الكهف[٤].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ۝٩﴾ كالصوف الأحمر في خِفَّتِها وَسَيْرِها، وهو أَضْعَفُ الصُّوفِ، فأول ما تتغير الجبال تصير رَمْلًا مَهِيلًا، ثم عِهْنًا مَنْفُوشًا، ثم تصير بعد ذلك هَباءً مَنْثُورًا[٥] ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ۝١٠﴾ لا يَسْأَلُ الرَّجُلُ قَرِيبَهُ من شـدة الأهوال يوم القيامة، والمعنى: لا يَسْأَلُ ذو قرابة عن قرابته لاشتغاله بنفسـه، وَرُوِيَ عـن ابن كثير أنه قرأ: «وَلا يُسْـأَلُ»[٦] بضم اليـاء؛ أي: لا يُقالُ

---

(١) قالـه ابن عباس وأبو عمرو وأبو عبيد وابن قتيبة، ينظر: غريب الحديث لأبِي عبيد ٣/ ٢١٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٧، جامع البيان ١٥/ ٢٩٩، ٢٥/ ١٦٩، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٢٨٢، معانِي القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٣، ٦/ ٤١٢، شفاء الصدور ورقة ١٦٤/ أ، الصحاح ٥/ ١٨٢٢، الكشف والبيان ٦/ ١٦٧، الوسيط ٤/ ٣٥٢.

(٢) قاله عطاء، ينظر: الكشف والبيان ٦/ ١٦٨، الوسيط ٤/ ٣٥٢، مجمع البيان ١٠/ ١٢٠-١٢١.

(٣) قـال أبو عبيد: «والمُهْلُ: كُلُّ فِلِـزٍّ أُذِيبَ، قال: والفِلِزُّ: جواهـر الأرض من الذهب والفضة والنحاس وأشـباهِ ذلك، ومنه حديث ابن مسـعود أنه سُـئِلَ عن المُهْلِ، فَدَعا بِفِضّةٍ فَأَذابَها، فَجَعَلَتْ تَمَيَّعُ وتَلَوَّنُ، فقال: هذا مِنْ أَشْبَهِ ما أنتم راؤُونَ بالمهل». غريب الحديث ٣/ ٢١٧، وينظـر: مجـاز القرآن ١/ ٤٠٠، غريـب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٥، وهـو قول ابن عباس والحسن كما ذكر الطبري في جامع البيان ٢٥/ ١٧٠، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٢٨٢، معانِي القرآن للنحاس ٤/ ٢٣٣، الكشف والبيان ٦/ ١٦٧، ١٦٨، الوسيط ٤/ ٣٥٢.

(٤) الكهف الآية ٢٩، وهو في القسم المفقود من هذا الكتاب.

(٥) قاله الحسن، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٧، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٤.

(٦) قرأ نصر عن البَزِّيِّ عن ابن كثير: ﴿وَلَا يُسْـأَلُ﴾، وقرأ بها أيضًا إسماعيل بن جعفر عن أَبِي جعفر، وأبو حَيْوةَ، والبُرْجُمِيُّ عن أَبِي بكر عن عاصم، وقرأ الباقون: ﴿وَلَاَ يَسْـأَلُ﴾، ينظر: السبعة ص ٦٥٠، مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، حجة القراءات ص ٧٢٢، البحر المحيط ٨/ ٣٢٨.

لِحَمِيمٍ: أيْنَ حَمِيمُكَ؟ قال الفَرّاءُ[١]: ولستُ أشْتَهِي ضَمَّ الياء؛ لأنه مُخالِفٌ للتفسير، وَلِما أجْمَعَ عليه القُرّاءُ.

قوله: ﴿يُبَصَّرُونَهُمْ﴾؛ أي: يُعَرَّفُونَهُمْ وَيُرَوْنَهُمْ، والمعنى: يُعَرَّفُ الحَمِيمُ حَمِيمَهُ حتى يعرفه، وهو مع ذلك لا يَسْأَلُ عن شأنه لِشُغْلِهِ بنفسه، يقال: بَصَّرْتُ زَيْدًا بكذا: إذا عَرَّفْتَهُ إيّاهُ، ثم يُحْذَفُ الجارُّ فَيُقالُ: بَصَّرْتُهُ كذا، والآية على حذف الجارِّ[٢].

﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ﴾؛ أي: يَتَمَنَّى المُشْرِكُ والكافر ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾ زوجته ﴿وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾ يعني عشيرته التي فُصِلَ منهم، تَضُمُّهُ ويَأْوِي إليها ﴿وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآ﴾؛ أي: كَلاًّ لا يُنْجِيهِ ذلك الفِداءُ من عذاب الله، وتَمَّ الكلامُ، ثم استأنف فقال: ﴿إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾﴾ وقيل: حَقًّا إنَّها لَظَى، فيكون الكلام متصلًا[٣].

ولَظَى ـ نعوذ بالله منها ـ: اسمٌ من أسماء جهنم، فلذلك لَمْ تَنْصَرِفْ[٤]، وقيل[٥]: هي الدَّرَكَةُ الثانية، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تَتَلَظَّى، قال الله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ

---

(١) معانِي القرآن ٣/ ١٨٤، باختلاف في ألفاظه.

(٢) قاله الفارسي في الحجة ٤/ ٦٣، وينظر: الوسيط ٤/ ٣٥٢، الفريد للهمداني ٤/ ٥٢٧.

(٣) قال مَكِّيُّ بن أبِي طالب: «الوقف على ﴿كَلَّآ﴾ حَسَنٌ مَخْتارٌ على معنى: لا يُنْجِيهِ أحَدٌ مِمَّنْ في الأرض ولو افتدى به، وقيل: المعنى: انْتَبِهُوا وازْدَجِرُوا، إنَّ الأمر الذي يُعَذَّبُونَ به لَظَى. ويجوز الابتداء بـ«كَلاًّ» على معنى: ألا إنَّها لَظَى، تجعلها افتتاح كلام، ولا يَحْسُنُ أن يُبْتَدَأَ بـ﴿كَلَّآ﴾ على معنى «حَقًّا»؛ لأنه يلزم فتح «أنَّ»... والفتح لَمْ يَقْرَأْ به أحَدٌ». الوقف على كلا وبلى في القرآن ص ٥٦.

(٤) قاله الفراء وأبو حاتم وغيرهما، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٨٤، المذكر والمؤنث لأبي حاتم ص ١٦٤، وينظر: المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٦٧، ١٠٦، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٩٥.

(٥) قاله الضحاك، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٨، عين المعانِي ورقة ١٣٧/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٧.

﴿نَارًا تَلَظَّىٰ﴾[1] والالتِظـاءُ: الإيقـادُ، ومعناها في اللغة: اللَّهَـبُ الخالص، يقال: لَظِيَتِ النّارُ تَلْظَى لَظًى[2].

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ۝١٦﴾؛ أي: هـي نَزّاعةٌ لِلشَّـوَى، قـرأه العامـة بالرفع على الابتداء والخبر، وقيل: على نعت لَظَى[3]، ورَوَى حَفْصٌ عن عاصم بالنصب[4] على الحال والقطع / للتنوين من ﴿لَظَىٰ﴾، إذْ كانت نكرةً متصلةً بمعرفة، وفي هذه القراءة إشـكال؛ لأنه ليس هاهنا عامل مشـتق، ولا واقعٌ موقع المشـتق، ولكن ﴿لَظَىٰ﴾ ـ وإن كان عَلَمًا من أسـماء جهنم ـ ففيها معنى التَّلَظِّي، وذلك المعنى هو العامل فِي الحال، كأنها تَتَلَظَّى وتَتَوَقَّدُ نَزّاعةً لِلشَّوَى[5]. [٢٥٢/ ب]

وقيل[6]: نصب ﴿نَزَّاعَةً﴾ بتقديـر: أعْنِي، وقيل[7]: إنها حال مؤكدة كما

---

(١) الليل ١٤.

(٢) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ١٤/ ٣٩٥، وينظر: اللسان: لظي.

(٣) وذهب سيبويه إلى أن ﴿نَزّاعةٌ﴾ خَبَرٌ ثانٍ لـ﴿إنَّ﴾، ينظر: الكتاب ٢/ ٨٣، وينظر في هذين الوجهيـن وغيرهما: معانِي القـرآن للأخفش ص ٥٠٨، معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١، إعراب القرآن ٥/ ٣٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٧.

(٤) قرأ حَفْصٌ عن عاصم، وابنُ أبِي عَبْلَةَ وأبو حَيْوةَ والزعفرانِيُّ وابن مقسم واليزيدي: ﴿نَزّاعةً﴾ بالنصب، وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم بالرفع، ينظر: السـبعة ص٦٥٠-٦٥١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٧، البحر المحيط ٨/ ٣٢٨.

(٥) قالـه الزجاج والأزهري، ينظر: معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ٢٢١، معانِي القراءات ٣/ ٩٠، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٧.

(٦) قاله الفارسي في الحجة ٤/ ٦٢.

(٧) قالـه الزجاج والأزهري، ينظر: معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ٢٢١، معاني القراءات ٣/ ٩٠، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٧.

قـال تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا﴾[١]، قال ابن الأنبـاري[٢]: ويجوز نصبها على المدح على معنى: اذْكُرْ نَزّاعةً، كما تقول: مَرَرْتُ بِهِ العاقِلَ الفاضِلَ.

و«الشَّوَى» جَمْعُ شَواةٍ، وهي جِلْدةُ الرَّأْسِ[٣]، قال الأفْوَهُ الأوْدِيُّ[٤]:

٣٩٢ - إنْ تَرَيْ رَأْسِـيَ فِيهِ قَزَعٌ وَشَـواتِي خَلّـةٌ فِيهـا دُوارُ[٥]

وقيل[٦]: هي الأطراف: اليدان والرجلان، قال امرؤ القيس الشاعر:

٣٩٣ - سَلِيمِ الشَّظَى عَبْلِ الشَّوَى شَنِجِ النَّسـا[٧]

---

(١) فاطر ٣١.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٤٨.

(٣) قالـه ابن قتيبة والزجاج وابن الأنباري وغيرهم، ينظـر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٦، معانِـي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٢٩، وينظر: ياقوتة الصراط ص ٥٢٩، الصحاح ٦/ ٢٣٩٦.

(٤) هو صَلَاءةُ بن عمرو بن مالك، أبو ربيعة الأوْدِيُّ، شـاعر يَمانِيٌّ جاهليٌّ، لُقِّبَ بالأفْوَهِ لِغِلَظِ شـفتيه، وظهور أسنانه، كان سَـيِّدَ قَوْمِهِ وقائِدَهم في حروبهم، وهو أحد الشعراء الحكماء في عصره، توفِّيَ سـنة ٥٠ قبل الهجرة تقريبًا. [الشـعر والشعراء ص ٢٢٩-٢٣٠، الأعلام ٣/ ٢٠٦-٢٠٧].

(٥) البيت من الرَّمَلِ، لِلأفْوَهِ الأوْدِيِّ، من قصيدة يذكر فيها انتصار قومه على عرب الشمال.
اللغة: القَزَعُ: بقايا الشـعر المُنَتَّفِ في الرَّأْسِ، الشَّـواةُ هنا: الرَّأْسُ، الخَلّةُ: المهزولة القليلة اللَّحْمِ.
التخريج: ديوانه ص ٧٢، الشعر والشعراء ص ٢٢٣، الحماسة البصرية ص ١٦٥، الجمان في تشبيهات القرآن ص ٢٢٦.

(٦) قاله الفراء وأبو عبيدة والزجاج وابن الأنباري وغيرهم، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٨٥، مجـاز القرآن ٢/ ٢٦٩، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٣٠، وينظر أيضًا: ياقوتة الصراط ص ٥٢٩، تهذيب اللغة ١١/ ٤٤٢، الصحاح ٦/ ٢٣٩٦.

(٧) هذا صدر بيت من الطويل، لامرئ القيس، وعجزه: =

وقال الأعشى:

٣٩٤ ـ قالَتْ قُتَيْلةُ: ما لَهُ قَدْ جُلِّلَتْ شَيْبًا شَواتُهْ[١]

قال مقاتل[٢]: تَنْزِعُ النّارُ الأطرافَ فلا تَتْرُكُ لَحْمًا ولا جِلْدًا إلا أحْرَقَتْهُ، وقال الضحاك[٣]: تَنْزِعُ الجِلْدَ واللَّحْمَ عن العَظْمِ.

= لَهُ حَجَباتٌ مُشرِفاتٌ عَلى الفالِ

وله بَيْتٌ آخَرُ من قصيدة قافيتها الألف المقصورة، يقع هذا الصَّدْرُ عَجُزًا فيه، وهو قوله:

طَوِيلِ القَرا نَهْدِ التَّلِيلِ مُشَذَّبٍ سَلِيمِ الشَّظا، عَبْلِ الشَّوَى، شَنِجِ النَّسا

اللغة: الشَّظا: عَظْمٌ دَقِيقٌ إذا زالَ عَنْ مَوْضِعِهِ شَظِيَ الفَرَسُ؛ أيْ: فُلِقَ شَظاهُ، عَبْلُ الشَّوَى: غَلِيظُ القَوائِمِ، النَّسا: عِرْقٌ يَمْتَدُّ مِنَ الوَرِكِ إلَى الكَعْبِ، وشَنِجُ النَّسا؛ أيْ: مُتَقَبِّضُهُ، وَهُوَ مَدْحٌ لَهُ؛ لأنَّ الفَرَسَ إذا تَقَبَّضَ نَساهُ لَمْ تَسْتَرْخِ رِجلاهُ، حَجَباتٌ: جَمْعُ حَجَبَةٍ وَهِيَ رَأْسُ الوَرِكِ، الفالُ: لُغَةٌ فِي الفائِلِ وَهُوَ عِرْقٌ فِي الفَخِذَيْنِ.

التخريج: ديوانه ص ٣٦، ٣٣٤، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٣٠، تهذيب اللغة ٤/ ١٦٢، ١١/ ٣٩٨، ١٥/ ٣٧٦، الجليس الصالح الكافي ١/ ٥٤٢، الكشف والبيان ١٠/ ٣٨، شرح أدب الكتاب للجواليقي ص ١٤٩، محاضرات الأدباء ٢/ ٦٤٧، أساس البلاغة: شنج، عين المعاني ورقة ١٣٧/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٨، اللسان: حجب، شظي، شنج، فيل، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٦٥، التاج: شنج، عبل، فيل، شظي، نسي.

(١) البيت من مجزوء الكامل للأعشى.

التخريج: ملحق ديوانه ص ٢٣٨ (الصبح المنير في شعر أبي بصير)، مجاز القرآن ٢/ ٢٦٩، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢١، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٣٠، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٧٨، تهذيب اللغة ١١/ ٤٤٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩٠، الجليس الصالح الكافي ١/ ٥٤٣، الكشف والبيان ١٠/ ٣٨، أساس البلاغة: شوي، المحرر الوجيز ٥/ ٣٦٧، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٨، اللسان: شوي، البحر المحيط ٨/ ٣٢٥، الدر المصون ٦/ ٣٧٧، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٦٤.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٥٢.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٩٥، الكشف والبيان ١٠/ ٣٨، الوسيط ٤/ ٣٥٢، عين المعاني ورقة ١٣٧/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٨.

وقوله: ﴿تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ﴾ يريد: عن الإيمان ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾﴾ عن الحَقِّ، فتقول النارُ: إلَيَّ يا مُشْرِكُ، إلَيَّ يا مُنافِقُ، إلَيَّ يا فاسِقُ، إلَيَّ يا ظالِمُ، تدعوهم بأسمائهم بِلِسانٍ فَصِيحٍ، ثم تَلْتَقِطُهُمْ كما يَلْتَقِطُ الطَّيْرُ الحَبَّ[١].

قوله: ﴿وَجَمَعَ﴾ يعني: جَمَعَ المالَ ﴿فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ أَمْسَكَهُ فِي الوِعاءِ، وَلَمْ يُنْفِقْـهُ في طاعة الله، وَلَمْ يُؤَدِّ حَـقَّ الله منه، ولا وَصَلَ رَحِمًا، رُوِيَ عن عبد الله ابن عُكَيْمٍ[٢] أنه كان لا يَرْبِطُ كِيسَهُ، ويقول: سمعتُ اللهَ عزّ وجلّ يقول: ﴿وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ﴾[٣].

قولـه تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾﴾ الهَلُـوعُ: الحريص على ما لا يَحِلُّ له، الشَّـحِيحُ الضَّجِرُ، ويقال: الشَّرِهُ الذي لا يَشْبَعُ، وقيل: هو الجَبانُ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «شَرُّ ما أُعْطِيَ العَبْدُ شُحٌّ هالِعٌ وجُبْنٌ خالِعٌ»[٤]، وهو مأخوذ من الهَلَعِ وهو شِـدّةُ الحِرْصِ وقِلّةُ الصَّبْرِ، وقيل: الهَلُوعُ: الذي لا يَرْضَى عند الموجود، ويَسْـخَطُ عند المفقود، وقيل: هو الذي إذا افْتَقَرَ جَزِعَ، وإذا أَيْسَرَ مَنَعَ[٥]، ويَدُلُّ

---

(١) قاله ابن عباس، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٦٥/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٣٨، الوسيط ٤/ ٣٥٣، زاد المسير ٨/ ٣٦٢.

(٢) عبد الله بن عُكَيْمِ بن زيد بن لَيْثٍ، أبو معبد الجُهَنِيُّ، تابِعِيٌّ ثِقةٌ أَدْرَكَ النَّبِيَّ ﷺ، ولَمْ يسمع منه شيئًا، سَمِعَ عُمَرَ وابنَ مسعود وحُذَيْفةَ بن اليمان، كان إمام مسجد جُهَيْنَةَ بالكوفة، وتوفِّيَ في إمارة الحجاج. [تهذيب الكمال ١٥/ ٣١٧-٣٢٠، سير أعلام النبلاء ٣/ ٥١٠-٥١٢].

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٩٦، الكشف والبيان ١٠/ ٣٩، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٩.

(٤) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٣٠٢، ٣٢٠، وأبو داود في سننه ١/ ٥٦٤ كتاب الجهاد: باب في الجرأة والجبن، ورواه ابنُ أبي شيبة في مصنفه ٦/ ٢٥٣ كتاب الأدب: باب في الشح، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٣٩.

(٥) ينظر في هذه الأقوال: معاني القرآن للفراء ٣/ ١٨٥، جامع البيان ٢٩/ ٩٦-٩٧، الكشف والبيان ١٠/ ٣٩، عين المعاني ورقة ١٣٧/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٠.

على صِحّةِ هذا التأويل ما بعده[١]، وَرُوِيَ ذلك عن ابن عباس، ونصب ﴿هَلُوعًا﴾ على الحال، وهي الحال المُقَدَّرةُ؛ لأنه إنَّما يَحْدُثُ فيه الهَلَعُ بعد خَلْقِهِ لا في حالِ خَلْقِهِ[٢].

وقوله: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾﴾ يعني: إذا أصابه الفَقْرُ لا يَصْبِرُ، وإذا أصابه المالُ مَنَعَهُ/ . [٢٥٣/ أ]

والمَنُوعُ: الذي يَمْنَعُ غَيْرَهُ، والمَنِيعُ: الذي يَمْنَعُ نَفْسَهُ[٣]، وهما منصوبان على تقدير خبر «كانَ» مضمرةً؛ أي: يَكُونُ جَزُوعًا وَيَكُونُ مَنُوعًا[٤]، وقيل[٥]: نصبهما على النعت لِهَلُوع.

ثم استثنى الموحدين، فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ﴾ يعني المكتوبة ﴿دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يُقِيمُونَها في أوقاتها، لا يلتفتون يَمِينًا ولا شِمالًا، فهذا

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾، قال أبو عبيدة: «إنَّ الإنْسانَ خُلِقَ هَلُوعًا»، قد فَسَّرَها اللهُ: لا يَصْبِرُ ﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾. مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠، وينظر: الوسيط ٤/ ٣٥٣.

(٢) قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٨، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٦١، الفريد ٤/ ٥٢٩.

(٣) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٣١.

(٤) قالـه مَكِّيٌّ والأنباريُّ، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٨، البيان للأنباري ٢/ ٤٦١، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٥٢٩.

(٥) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ١/ ٣٧٧، ٣/ ١٨٥، إعراب القرآن ٥/ ٣١، قال مَكِّيٌّ: «وهو بعيد؛ لأنك تنوي به التقديم قبل «إذا»». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٨، وينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٥٢٩.

معنى قوله: ﴿دَآئِمُونَ﴾، وليس المراد أنهم يُصَلُّونَ أبدًا، رُوِيَ ذلك عن عُقْبَةَ بن عامرٍ[١]، واختاره الزَّجّاجُ[٢].

والمَعْنِيُّ بِهَذا الاستثناء قيل: هم الصحابة خاصّةً، وقيل: هم المؤمنون عامّةً، وإنما استثنى الجمع من الواحد لأن الإنسان اسم الجنس، فهو فِي معنى الجمع.

وما بعد هذا ظاهر التفسير إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ وقُرِئَ: «بِشَهاداتِهِمْ»[٣]، والإفراد أوْلَى؛ لأنه مصدر، ومَنْ جَمَعَ ذهب إِلَى اختلاف الشهادات، والمعنى أنهم يقومون فيها بالحق ولا يكتمونها.

قوله تعالى: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: فَما بالُهُمْ؟ نزلت هذه الآية[٤] في جماعة من الكفار جلسوا حول النبي ﷺ، يَسْتَهْزِئُونَ بالقرآن، ويُكَذِّبُونَ به، فقال الله تعالى: ما لَهُمْ ينظرون إليك يا محمد ويجلسون عندك وهم لا ينتفعون بما يسمعون؟

ونصب ﴿قِبَلَكَ﴾ على الظرف، وقد مضى تفسير الإهْطاعِ في سورة

---

(١) رَوَى الطَّبَرِيُّ بسنده عن عقبة بن عامر، رحمه الله، قال: «هُم الذين إذا صَلَّوْا لَمْ يَلْتَفِتُوا خَلْفَهُمْ ولا عن أيمانهم ولا عن شَمائِلِهِمْ». جامع البيان ٢٩/ ٩٨، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩١.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٢.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وأبو عمرو وحمزة والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «بِشَهادَتِهِمْ» بالإفراد، وقرأ الباقون، وحَفْصٌ عن عاصم، وعباسٌ عن أَبِي عمرو، والحُلْوانِيُّ عن أبي مَعْمَرٍ عن عبد الوارث عن أَبِي عمرو: «بِشَهاداتِهِمْ» بالجمع، ينظر: السبعة ص ٦٥١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩٣، البحر المحيط ٨/ ٣٢٩.

(٤) ينظر: الوسيط ٤/ ٣٥٤، زاد المسير ٨/ ٣٦٤.

إبراهيم و ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾[(١)]، وهو منصوب على الحال[(٢)]، وقيل: على خبر «مالِ»، قاله الخليل[(٣)].

وقوله: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾﴾ يعني: متفرقين جَماعةً جَماعةً، وعُصْبةً عُصْبةً، وحِلَقًا خَلْفَ حِلَقٍ، لا يَدْنُونَ من النَّبِيِّ ﷺ، والعِزُونَ: جَماعاتٌ في تَفْرِقةٍ، واحدتها عِزةٌ[(٤)] وهي العُصْبةُ من الناس، قال الشاعر:

---

(١) إبراهيم ٤٣، وهي في القسم المفقود من هذا الكتاب، وانظر الآية ٨ من سورة القمر ٣/ ٢٣٣.

(٢) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٣، إعراب القرآن ٥/ ٣٣، وينظر أيضًا: عين المعاني ورقة ١٣٧/ ب.

(٣) جاء في الجمل المنسوب للخليل في باب النصب بخبر «ما بال» وأخواتها: «قولهم: ما بالُ زَيْدٍ قائمًا؟ ومالَكَ ساكِتًا؟ وما شَأْنُكَ واقِفًا؟ قال الله، جل ذكره، في ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، وفي المدثر: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾، نصب «مهطعين» و«معرضين»؛ لأنهما خبر «مالِ»، ومثله في النساء: «فَما لَكُمْ فِي المُنافِقِينَ فِئَتَيْنِ»؛ لأنه خبر مالِ». الجمل المنسوب للخليل ص ٥٨.
وهذا قول الكوفيين، ففي قوله تعالى: «وَما لَنا أَلَّا نُقاتِلَ» قال الفراء: «جاءت «أنْ» في موضع، وأُسْقِطَتْ من آخر، فقال في موضع آخر: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ﴾، وقال في موضع آخر: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ﴾، فمن ألقى «أنْ» فالكلمة على جهة العربية التي لا علة فيها، والفعل في موضع نصب، كقول الله عز وجل: ﴿فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ﴾، وكقوله: ﴿فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، فهذا وجه الكلام في قولك: مالَكَ؟ وَما بالُكَ؟ وما شَأْنُكَ؟، أن تنصب فعلها إذا كان اسما، وترفعه إذا كان فعلًا أوله الياء أو التاء أو النون أو الألف». معاني القرآن ١/ ١٦٣، وقال مثله في المعاني ١/ ٢٨١.
وقال النحاس في آية النساء: «وقال الأخفش: ﴿فِئَتَيْنِ﴾ على الحال كما يقال: مالَكَ قائِمًا، وقال الكوفيون: هو خَبَرُ ما لَكُمْ، كخبر كانَ وظَنَنْتُ، وأجازوا إدخال الألف واللام فيه». إعراب القرآن ١/ ٤٧٨-٤٧٩.

(٤) قاله أبو عبيدة والزجاج، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٠، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٣، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ٣/ ٩٨، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٣٥٤.

٣٩٥ - كَأَنَّ الجَماجِـمَ مِـنْ وَقْعِها خَناطِيـلُ يَهْوِيـنَ شَـتَّى عِزِينـا[1]

وأصلـه عِزْهةٌ، كما أن أصل السَّـنةِ سَـنْهةٌ، ثم حُذِفَت الهـاءُ[2]، فَجُعِلَ جَمْعُهُ بالواو والنون عِوَضًا من الحذف، وإنما جُمِعَ بالواو والنون وهو مؤنث لا يعقل؛ ليكون ذلك عِوَضًا مِمّا حُذِفَ منها[3]، وهو منصوب على الحال.

قوله: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾﴾ قـرأ الحسـن

---

(١) البيت من المتقارب، لَمْ أقف على قائله.
اللغة: الخَناطِيلُ: القُطْعانُ المُتَفَرِّقةُ من الإبِلِ والدَّوابِّ ونحوها، واحدها خُنْطُولةٌ، وقيل: لا واحد لها من لفظها.
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٤١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٣.

(٢) يعنـي أن المحـذوف من عِزةٍ هاءٌ، وهي مثل «سَـنةٍ»، وقد ذكر سـيبويه أن منهم من يجعل المحذوف من سِنةٍ واوًا، ومنهم من يجعله هاءً، ينظر: الكتاب ٣/ ٣٦٠، قال ابن يعيش بعد أن ذكر أن أصل شَفةٍ: شَفَهةٌ: «أو يكون كَسَنةٍ وَعِضةٍ في أنه يكون له أصلان: الهاء والواو». شرح الملوكي ص ٤١٩.
وذهب الأصمعي إلى أن اللام المحذوفة من عِزةٍ ياءٌ، وأن أصلها عِزْيَةٌ، ووافقه الجوهري، وذهـب الخليل والليث والفراء والأزهري إلـى أن لامها واوٌ، وأن أصلها عِزْوةٌ، وينظر في هـذه المسـألة: العيـن ٢/ ٢٠٥، معاني القرآن للفـراء ٢/ ٩٢، ٩٣، الأصـول ٣/ ٣٢١، تهذيب اللغة ٣/ ٩٨، المسائل البغداديات ص ١٥٨، ٥٠٤، المسائل الحلبيات ص ٣٤٦، المسائل العسكرية ص ١٧١، المسائل العضديات ص ٣٢، سر صناعة الإعراب ص ٤١٨، ٥٤٨، ٦٠٦، الصحاح ٦/ ٢٤٢٥، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٩، المخصص ١٤/ ٧، الكشـاف ٤/ ١٦٠، أمالي ابن الشـجري ٢/ ٢٧٨-٢٧٩، شـرح المفصل ٥/ ٣٨، البحر المحيط ٨/ ٣٢٥، الدر المصون ٦/ ٣٧٩.

(٣) هذا مذهب البصريين، وهو أن عِزِينَ وما أشبهه جُمِعَ بالواو والنون، ليكون ذلك عوضًا مِمّا حُذِفَ منه، وأما الكوفيون فإنهم يرون أن هذا ونحوه جُمِعَ بالواو والنون؛ لأنه كان يجب أن يُجْمَعَ على «فُعُولٍ»، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٩٣، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٨٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠٩.

[٢٥٣/ ب] وطلحة: «يَدْخُلَ» / بفتح الياء وضم الخاء، ومِثْلَهُ رَوَى المُفَضَّلُ عن عاصم، وقرأ الباقون بِضِدِّهِ[1]، والمعنى: أَيَطْمَعُ كُلُّ رَجُلٍ من الكفار أن يَدْخَلَ جَنَّتِي كما يدخلها المسلمون، ويَتَنَعَّمَ فيها، وقد كَذَّبَ نَبِيِّي ﴿كَلَّآ﴾ لا يكون ذلك ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ۝٣٩﴾ يريد: مِنْ نُطْفةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغةٍ، فلا يَسْتَوْجِبُ أَحَدٌ الجَنّةَ بكونه شَرِيفًا؛ لأن الناس كُلَّهُم من أصلٍ واحدٍ، وإنما يَتفاضَلُونَ بالإيمان والطاعة[2].

وقيل[3]: معناه: إنا خلقناهم مِنْ أَجْلِ ما يعلمون، وهو الأمر والنهي والثواب والعقاب، فحذف «أَجْلَ»، كقول الشاعر:

٣٩٦ ـ أَأَزْمَعْتَ مِنْ آلِ لَيْلَى انْتِظارا وَشَطَّتْ عَلَى ذِي هَوًى أَنْ تُزارا[4]

أي: مِنْ أَجْلِ آلِ لَيْلَى.

---

(١) قرأ الحسنُ وطلحةُ، والمفضلُ عن عاصمٍ، وأبو رجاءٍ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ وابنُ يَعْمُرَ: «يَدْخُلَ» بالبناء للفاعل، وقرأ الباقون، وحَفْصٌ وأبو بكر عن عاصمٍ: «يُدْخَلَ» بالبناء للمفعول، ينظر: السبعة ص ٦٥١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩٣، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٤، البحر المحيط ٨/ ٣٣٠.

(٢) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٤١، وينظر: زاد المسير ٨/ ٣٦٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٤.

(٣) هذا الرأي قاله النقاش في شفاء الصدور ١٦٦/ ب، وبه قال الباقوليُّ في كشف المشكلات ٢/ ٣٨٦، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٢، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٣١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٥.

(٤) البيت من المتقارب، للأعشى، وهو مطلع قصيدة يمدح بها قيس بن معدي كرب، ورواية ديوانه: «ابْتِكارًا» بدل «انتظارًا»، وأزمعَ الأمْرَ: مَضَى فيه، وثَبَّتَ عليه عَزْمَهُ، شَطَّتْ: بَعُدَتْ.
التخريج: ديوانه ص ٩٥، العين ١/ ٣٦٨، الشعر والشعراء ص ٢٥٩، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٢٩، الصاحبي ص ٣٩٢، عين المعانِي ١٣٧/ ب، القرطبي ١٨/ ٢٩٥، اللسان: زمع، ارتشاف الضرب ص ٢٤٤١، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٧٥، خزانة الأدب ٣/ ٣٠٣، ٣٧٥، التاج: زمع.

فصل

عن بُسْرِ بْنِ جحاشٍ[1] قال: تَلَا رسولُ الله ﷺ هذه الآيةَ: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾، ثُمَّ بَزَقَ فِي كَفِّهِ، وَوَضَعَ عليها إِصْبَعَهُ، وقال: «يقول اللهُ تعالى: بُنَيَّ آدَمَ! أَتُعْجِزُنِي وقد خَلَقْتُكَ من مِثْلِ هَذِهِ؟ حتى إذا سَوَّيْتُكَ وَعَدَلْتُكَ مَشَيْتَ بَيْنَ بُرْدَيْنِ، ولِلأَرْضِ مِنْكَ وَئِيدٌ ـ وقيل: هَزِيزٌ ـ، فَجَمَعْتَ وَمَنَعْتَ، حتى إذا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ قُلْتَ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنَّى أوانُ الصَّدَقَةِ؟»[2]؛ أي: وَمِنْ أَيْنَ له أَنْ تُقْبَلَ منه الصَّدَقَةُ فِي تلك الحال؟

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ «لا» هاهنا صلة زائدة، والمعنى: فَأُقْسِمُ بِرَبِّ المشارق والمغارب، يعني مشارق الصيف والشتاء ومغاربهما، وإنما جَمَعَ بينهما لاختلاف مَشْرِقِ كُلِّ يَوْمٍ ومَغْرِبِهِ[3]، وقرأ أبو حَيْوَةَ الشّامِيُّ: «بِرَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ»[4] على الواحد ﴿إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ۝٤٠ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ﴾؛ أي: على أن نَخْلُقَ أَمْثَلَ منهم وأَطْوَعَ لله حين عَصَوْا هُمْ، ﴿وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ۝٤١﴾؛ أي: بِمَغْلُوبِينَ على ذلك.

---

(١) بُسْرُ بنُ جِحاش القُرَشِيُّ، صحابِيٌّ سكن حِمْصَ، رَوَى عنه جُبَيْرُ بن نُفَيْرٍ، وتوفِّي بِحِمْصَ. [أسد الغابة ١/ ١٨١، ١٨٤، الإصابة ١/ ٤٢٣، الوافِي بالوفيات ١٠/ ١٣٣].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢١٠، وابن ماجَهْ في سننه ٢/ ٩٠٣ كتاب الوصايا: باب النهي عن الإمساك في الحياة، والوَئِيدُ: شِدّةُ الوَطْءِ عَلَى الأَرْضِ يُسْمَعُ كالدَّوِيِّ مِنْ بُعْدٍ، والهَزِيزُ: صَوْتُ دَوَرانِ الرَّحَى، وَمَعْناهُ هُنا تَحَرُّكُ الأَرْضِ. اللسان: وأد، هزز.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٤، وهو قول ابن عباس، ذكره الطبري في جامع البيان ٢٩/ ١٠٩، والنحاس في معانِي القرآن ٦/ ٩، وإعراب القرآن ٥/ ٣٤.

(٤) قرأ بالإفراد أبو حَيْوَةَ وابن مُحَيْصِنٍ وعبد الله بن مسلم وعاصم الجَحْدَرِيُّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٥، البحر المحيط ٨/ ٣٣٠.

قال الزجاج(١): إنْ أَرَدْنا أن نَخْلُقَ خَلْقًا غَيْرَكُمْ لَمْ يَسْبِقْنا سابِقٌ ولا يَفُوتُنا. قال صاحب إنسـان العين: وهذه الباء كقولك: ما الأمر بكذا، جوابُ مَنْ قال: إنَّ الأمْرَ لَكَذا، تُجْعَلُ الباءُ بِإزاءِ اللّامِ، و«ما» بإزاء «إنَّ».

قوله: ﴿فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا﴾ بِرَبِّكَ في باطلهم ﴿وَيَلْعَبُوا﴾ في دُنْياهُمْ، أمْرُ وَعِيدٍ وتَهْدِيدٍ ﴿حَتَّىٰ يُلَٰقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ وهذه الآية منسوخة بآية القتال.

[٢٥٤/ أ] قولـه تعالى: ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ﴾ / يعني القبور ﴿سِرَاعًا﴾ قرأه العامّةُ: ﴿يَخْرُجُونَ﴾ بفتـح اليـاء وضم الراء، وقرأ عاصـم الجَحْدَرِيُّ بضـم الياء وفتح الراء(٢)، ونصب يوما على البدل من ﴿يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾، والأجْداثُ: القُبُورُ، واحدها جَدَثٌ، وقوله: ﴿سِرَاعًا﴾ يعني: مُسْرِعِينَ إلى إجابة الداعي، وهو نصب على الحال.

وقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: يُسْرِعُونَ، والإيفاضُ: الإسْراعُ، يقال: أوْفَضَ إيفاضًا، قال الشاعر:

٣٩٧ ـ تَخالُهـا نَعـامـةً مِيفـاضـا(٣)

---

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ١١٤، وقد قاله عند تفسيره للآيتين ٦٠، ٦١ من سورة الواقعة.

(٢) هذه ليست قراءة عاصم الجَحْدَرِيِّ، وإنما قرأ بها عَلِيُّ بنُ أَبِي طالب والأعمشُ والسُّلَمِيُّ، وعاصـمٌ في رواية الأعشـى وأبِي بكر عنه، ينظـر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسيـر القرطبي ١٨/ ٢٩٦، البحر المحيط ٨/ ٣٣٠.

(٣) البيت من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائله، ويروى: «**لأَنْعَتَنْ نَعامةً**.. »، وبعده:

خَرْجاءَ تَغْدُو تَطْلُبُ الإضاضا

اللغة: خَرْجاءُ: ذاتُ لَوْنَيْنِ، نصفها أبيض ونصفها أسود، الإضاضُ: المَلْجَأُ.

التخريـج: معانِي القـرآن للفراء ٣/ ١٨٦، جامع البيـان ٢٩/ ١١٠، الصحاح ص ١٠٦٥، ١١١٢، تهذيب اللغة ١٢/ ٨٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩٤، ديوان الأدب ٣/ ٢٢٨، =

قرأ العامة: «نَصْبٍ» بِنَصْبِ النون وجَزْمِ الصاد، يعنون: إلى شَيْءٍ مَنْصُوبٍ، والنَّصْبُ: كُلُّ شَيْءٍ نُصِبَ مِن الحجارة وغَيْرِها، فَعَبَدُوهُ ودارُوا به، والصَّنَمُ: الصُّورةُ من حجارة أو حديد أو صُفْرٍ[١].

وقرأ ابن عامر: ﴿إِلَىٰ نُصُبٍ﴾[٢] بضم النون والصاد، وهي رواية حَفْصٍ عن عاصم، يعني أوثانهم التي كانوا يعبدونها من دون الله تعالى.

قال الأخفشُ[٣] والفَرّاءُ[٤]: النُّصُبُ جَمْعُ النَّصْبِ مثل رَهْنٍ ورُهُنٍ، والأنْصابُ جَمْعُ النُّصُبِ، فهي جَمْعُ الجمع، وقيل[٥]: النُّصُبُ والأنصابُ واحدٌ.

= أساس البلاغة: أضض، الجمان فِي تشبيهات القرآن ص ٣٢٠، اللسان: أضض، وفض، البحر المحيط ٨/ ٣٣٠، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٧٨، تاج العروس: أضض، وفض.

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٦٧/ أ.

(٢) قرأ الحسنُ وابنُ عامر، وحفصٌ عن عاصم: «نُصُبٍ» بضم النون والصاد، وقرأ الحسن وأبو عمران الجَوْنِيُّ ومجاهدٌ: «نَصَبٍ» بفتحهما، وقرأ الحسنُ وقتادةُ وعمرو بنُ ميمون وأبو رجاء وأبو العالية: «نُصْبٍ» بضم النون وإسكان الصاد، وقرأ الباقون: «نَصْبٍ» بفتح النون وإسكان الصاد، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١١٠، السبعة ص ٦٥١، حجة القراءات ص ٧٢٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٦، البحر المحيط ٨/ ٣٣٠، مفاتيح الغيب ٣٠/ ١٣٣.

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٦٧/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٤٢، عين المعانِي ورقة ١٣٧/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٦.

(٤) هذا معنى كلام الفراء، فقد قال: «قرأ الأعمش وعاصم: «إلى نَصْبٍ»: إلى شيءٍ منصوبٍ يَسْتَبِقُونَ إليه، وقرأ زيدُ بن ثابت: «إلى نُصُبٍ يُوفِضُونَ»، فكأن النُّصُبَ الآلِهةُ التي كانت تُعْبَدُ من دون الله، وكُلٌّ صوابٌ، وهو واحدٌ، والجمع أنْصابٌ». معانِي القرآن ٣/ ١٨٦.

(٥) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ١٠/ ٤٢، وينظر: شَمس العلوم لنشوان الحميري ١/ ٦٦١٣، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٩٦.

قوله: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ يعني: ذليلةً خاضعةً عند مُعايَنةِ النار، وهي نصب على الحال، و﴿أَبۡصَٰرُهُمۡ﴾ فاعل، وقوله: ﴿تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٌ﴾ يعني: يَغْشاهُمْ هَوانٌ، ومنه: غُلامٌ مُراهِقٌ: إذا غَشِيَ الاحتلامَ ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾ فيه من العذاب، والله أعلم.

* * *

سورة نوح
مكية

وهي تسعمائة وتسعة وعشرون حرفًا، ومائتان وأربع عشرة كلمةً، وثَمانٍ وعشرون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ نُوحٍ كانَ مِن المؤمنين الذين تُدْرِكُهُمْ دَعْوةُ نُوحٍ عليه السلام»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ نُوحٍ ـ عليه السلام ـ كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ قَطْرةٍ نَزَلَتْ يَوْمَ الغَرَقِ حَسَنةٌ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ﴾ وهو نُوحُ بن لَمَكَ بن مَتُّوشَلَخَ ابنِ أَخْنُوخَ ـ وهو إِدْرِيسُ عليه السلام(٣).

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٣، الوسيط ٤/ ٣٥٦، الكشاف ٤/ ١٦٦، مجمع البيان ١٠/ ١٣٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ١، ٢، جامع البيان ٧/ ٣٤٠، شفاء الصدور ورقة =

[٢٥٤/ ب] ونوح بالسُّرْيانِيّةِ معناه السّاكِنُ / لأن الأرض طُهِّرَتْ من خَبَثِ الكفار وسَكَنَتْ إليه، وفي الحديث: «أوَّلُ بَنِي إسْرائِيلَ نُوحٌ ـ عليه السلام ـ»[١]، قاله السجاونديُّ[٢]. وسُمِّيَ نُوحًا؛ لأنه كان كَثِيرَ النِّياحةِ على نفسه.

والأصل في ﴿إِنَّآ﴾ إنَّنا، حُذفت النون الثانية تخفيفًا، قال صاحب إنسان العين[٣]: لأنه لو حُذِفَت الأولَى لَبَقِيَتْ نُونانِ متحركتان، فيجب الإدغام ويُكْرَهُ الإعلال بعد الإعلال، والثالثة اسم «إنَّ» فلا تحذف، وقوله: ﴿أَرْسَلْنَا﴾ سكنت اللام في الأصل لاجتماع الحركات وأنه مَبْنِيٌّ، واسم نوح اسم أعجمي انصرف لأنه على ثلاثة أحرف[٤].

وقوله: ﴿أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ﴾ النِّذارةُ: التحذير والتخويف، و﴿أَنْ﴾ في موضع

= ١٦٧/ ب، الأنساب للسمعاني ١/ ٢٥، الإيناس بعلم الأنساب ص ٢٠٣، البداية والنهاية ١/ ١١٣، فتح الباري ٦/ ٢٦٤، ٢٦٦.

(١) هذا الحديث لا أصل له؛ لأن نُوحًا عليه السلام ليس من بَنِي إسرائيل، فقد رَوَى الطَّبَرانِيُّ والحاكم وغيرهما عن ابن عباس قال: «كان الأنبياء من بني إسرائيل إلّا عَشْرَةً: نُوحٌ وصالِحٌ وهُودٌ ولُوطٌ وشُعَيْبٌ وإبْراهِيمُ وإسْماعِيلُ وإسْحاقُ وعِيسَى ومُحَمَّدٌ». المعجم الكبير ١١/ ٢٢١، المستدرك ٢/ ٣٧٣ كتاب التفسير: سورة الأنبياء. ولكنْ ربما يكون مقصودُ المؤلف أن نُوحًا عليه السلام هو أوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ، فقد رَوَى ابنُ عساكر عن أنس، رحمه الله، عن النبي ﷺ قال: «أوَّلُ نَبِيٍّ أُرْسِلَ نُوحٌ». تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٤٣، وينظر: القرطبي ١٣/ ٣٣٢، ١٦/ ١٠، الدر المنثور ٣/ ٩٤، كنز العمال ١١/ ٥١٢.

(٢) من أول قوله: «ونوح بالسريانية» قاله السجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٣٧/ ب.

(٣) هذا القول ليس في عين المعانِي.

(٤) قال سيبويه: «وأما نوح وهود ولوط فتنصرف على كل حال لِخِفَّتِها». الكتاب ٣/ ٢٣٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٧.

نصب على حذف حرف الجر؛ أي: بأن أنذر قومك[١]، وقيل[٢]: لا موضع لَها من الإعراب، إنما هي للبيان بمعنى «أيْ»، ومثلها: ﴿ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ ﴾[٣] على الوجهين.

وقولـه: ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١﴾ يعنـي الطوفـان والغـرق، والمعنى: أرْسَـلْناهُ لِيُنْذِرَهُم بالعذاب الأليم إنْ لَمْ يؤمنوا ﴿قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٢ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ۝٣ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ ۝٤﴾.. الآيـة، هذا جواب الأمـر، و ﴿مِن﴾ هاهنا صلة معناه: يَغْفِرْ لكـم ذُنُوبَكُمْ[٤]، ولَـمْ تدخـل لتبعيـض الذنـوب، كقوله تعالـى: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ﴾[٥]؛ أي: اجْتَنِبُوا الرِّجْسَ الذي هو الأوْثانُ[٦].

---

(١) قاله الخليل والفراء والزجـاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٨٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٧، وأجاز الزجاج أيضًا أن تكون «أنْ» في موضع خفض مع سقوط الباء؛ لأن «أنْ» يحسن معها سقوطُ الباء.

(٢) يعني أنها مفسـرة، وهذا قول النحاس ومَكِّيٍّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٣٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٠، وينظر أيضًا: الكشاف للزمخشري ٤/ ١٦١، كشف المشكلات للباقولِي ٢/ ٣٨٧، البيان للأنباري ٢/ ٤٦٤، الفريد للهمدانِي ٤/ ٥٣٣.

(٣) الآية الثالثة من هذه السورة.

(٤) هذا القول حكاه ابن الأنباري عن الكسـائي وهشـام الضرير في إيضـاح الوقف والابتداء ١/ ١٦، ١٧، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِي ٤/ ٥٣٣.

(٥) الحج ٣٠.

(٦) كلام المؤلف هنا مناقضٌ لِما ذكره قبل قليل من أنها صلة، لأنه هنا يعني أن «مِنْ» لبيان الجنس، وهـو مـا اختاره في الآية ٣٠ من سـورة الحج ١/ ٢٤٧، وهذا قول الزجـاج في معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ٢٢٨، قال ابن عطية: «وهـذا ضعيف؛ لأنه ليس هنا جِنْسٌ يُبَيَّنُ». المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٢.

وذهـب الفراء إلى أن «مِنْ» هنا بمعنى «عَـنْ»، قاله في معانِي القرآن ٣/ ١٨٧، واختار ابن عطيـة أنها للتبعيـض، فقال: «وقال آخرون: هـي للتبعيض، وهذا عندي أبْيَـنُ الأقوال، =

قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥﴾ هما ظرفا زمان، والعامل فيهما ﴿دَعَوْتُ﴾، ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيَ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ يعني: نِفارًا وإدْبارًا عنه، وتَباعُدًا مـن الإيمان، وهو مفعـولٌ ثانٍ لـ ﴿يَزِدْهُمْ﴾، قرأ الكوفيون: «دُعائِي» بإسـكان الياء، وحركها الباقون[1].

﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ﴾ يريد: إلى طاعتك والإيمانِ بِكَ ﴿لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ﴾ كي لا يسمعوا صوتِي ودعائي ﴿وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ﴾ يعني: غَطَّوْا بِهـا وُجُوهَهُمْ حَتَّى لا يَرَوْنِي ﴿وَأَصَرُّواْ﴾؛ أي: أقاموا على الكفر، ﴿وَٱسْتَكْبَرُواْ﴾ يعني: تكَبَّـرُوا على الله وعلى دِينِهِ الذي جاءهم به ﴿ٱسْتِكْبَارًا ۝٧﴾ يعنِي تكَبُّرًا، و﴿كُلَّمَا﴾ نصب على الظـرف، والعامل فيه ﴿جَعَلُوٓاْ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾؛ أي: مُعْلِنًا لهم بالدعاء بأعلى صوتِي، وهو نصب على الحال[2]، وقيل[3]: على المصدر، ﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ

= وذلـك أنـه لو قال: يَغْفِرْ لَكُـمْ ذُنُوبَكُمْ لَعَمَّ هـذا اللَّفْظُ ما تَقَدَّمَ من الذنـوب وما تَأَخَّرَ عن إيمانهم، والإسـلام إنما يَجُبُّ ما قبله، فهي بَعْضٌ من ذنوبهم». المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٢، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٣٣، البحر المحيط ٨/ ٣٣٢، الدر المصون ٦/ ٣٨٢.

(١) قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو ونافع وأبو جعفر: «دُعائِيَ» بفتح الياء، وقرأ الباقون بإسكانها، ورَوَى عباسُ بن منصور عن أبِي عمرو أنه كان يُسَكِّنُ الياءَ، ينظر: السبعة ص ٦٥٢، الإتحاف ٢/ ٥٦٣.

(٢) قال الزجاج: «وجِهارًا: مصدر موضوع موضع الحال، والمعنى: دَعَوْتُهُمْ مُجاهِرًا بالدعاء». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٨-٢٢٩، وبه قال مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١١.

(٣) يعنـي أنـه مصدر من معنى الفعـل دَعا، وهو قول النحـاس في إعراب القـرآن ٥/ ٣٨، وقال الزمخشري: ﴿وجِهارًا﴾ منصوب بـ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾ نَصْبَ المصدر؛ لأن الدعاء أحَدُ نَوْعَيْهِ الجِهارُ، فَنُصِبَ به نَصْبَ القُرْفُصاءِ بـ«قَعَدَ» لكونها أَحَدَ أنواع القُعُودِ، أو أراد بـ﴿دَعَوْتُهُمْ﴾: جاهَرْتُهُمْ». الكشاف ٤/ ١٦٢، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٣٤، البحر المحيط ٨/ ٣٣٣.

/ ﴿إِسْرَارًا ⁽⁹⁾﴾ يعني: دَعَوْتُهُمْ على كل حال سِـرًّا وعَلاَنِيةً، قرأ نافع وابن كثير [٢٥٥/ أ] وأبو عمرو: ﴿ثُمَّ إِنِّيَ﴾ بفتح الياء[1]، وأسكنها الباقون ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ﴾ يعني: من الشِّـرْكِ ﴿إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ⁽10⁾﴾ لمن استغفره وتاب إليه من الذنوب، وأصل الغُفْرانِ السَّتْرُ، معناه: يستركم إنه كان سَتّارًا.

﴿يُرْسِلِ السَّمَاءَ﴾ جواب الأمر ﴿عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ⁽11⁾﴾ كَثِيرَ الدَّرِّ مُتَتابِعًا، وهو التَّحَلُّـبُ بالمَطَرِ، ولَمْ تَثْبُتْ فيه الهاءُ؛ لأن «مِفْعـالًا» للمؤنث بغير هاء يكون إذا كان جارِيًـا على الفعل نحو: امْرَأَةٌ مِـذْكارٌ ومِئْناثٌ[2]، وهو منصوب على الحال، وأراد بالسماء هاهنا المَطَرَ، وجمعه أَسْمِيةٌ[3].

فصل

عن الشَّـعْبِيِّ قال: «قَحَطَ المَطَرُ على عهد عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ، فَصَعِدَ المِنْبَرَ يَسْتَسْـقِي للناس، فَلَمْ يَزِدْ على الاسـتغفار حَتَّى نَـزَلَ، فَقِيلَ له: يا أمير

---

(١) وهي أيضًا قراءة أَبِي جعفر المدنِيِّ، ينظر: تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠١، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٦٣.

(٢) قال سـيبويه: «وزعم الخليل، رحمه الله، أن «السَّـماءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ» كقولـك: «مُعَضِّلٌ«لِلْقَطاةِ، وكقولك: «مُرْضِعٌ» لِلَّتِي بها الرِّضاعُ، وأما المُنْفَطِرةُ فيجيء على العَمَلِ كقولك: «مُنْشَـقّةٌ»، وكقولك: «مُرْضِعةٌ» لِلَّتِي تُرْضِعُ». الكتاب ٢/ ٤٧، وينظر: المذكر والمؤنث للمبرد ص ٩٤، ١١١، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٣٨، ٣٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١١.

(٣) قال السِّجِسْتانِيُّ: «والسماء التي تُظِلُّ الأرْضَ مؤنثة، وكذلك السماء إذا أَرَدْتَ المَطَرَ، يقال: أَصابَتْنا سَـماءٌ مُرْوِيةٌ، وأَسْـمِيةٌ كَثِيرةٌ، وما زلنا نَكْلأُ السماءَ؛ أي: المَطَرَ». المذكر والمؤنث ص ١٨١، وقال المبرد: «فالمستعمل فِي المَبْنِيّةِ سَماواتٌ وسَمايا، وفي سَماء المَطَرِ: أَسْمِيةٌ وسُمِيٌّ». المذكر والمؤنث ص ١٠٩، وينظر: المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٨٣، شفاء الصدور ورقة ١٦٨/ أ، الصحاح ٦/ ٢٣٨١، ٢٣٨٢.

المؤمنين! ما سَمِعْناكَ استسقيتَ، فقال: لقد طلبت الغيث بِمَجادِيح السماء[(١)] التي يُسْتَنْزَلُ بها القَطْرُ، ثم قرأ: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا﴾»[(٢)].

قوله: ﴿وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾ يعني: يُكَثِّرْ أمْوالَكُمْ وأولادَكُمْ، ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ﴾ بساتين ﴿وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ۝١٢﴾ جاريةً، وهذه الأفعال كلها مجزومة بالعطف على جواب الأمر؛ وذلك أن قوم نوح لَمّا كَذَّبُوهُ زمانًا طويلًا، حَبَسَ اللهُ تعالى عنهم القَطْرَ، وأعْقَمَ أرْحامَ نسائهم أربعين سنة، فَهَلَكَتْ أموالهم ومواشيهم، فوعدهم الله ـ تعالى إنْ آمَنُوا ـ أنْ يُمِدَّهُم بالأموال والبنين والبساتين والأنهار.

قوله: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾؛ أي: لا تخافون لله عَظَمة، ولا تخشون له عقابًا، ولا ترجون منه ثوابًا بتوقيركم إيّاهُ، فالرجاء هاهنا بمعنى الخوف، والوَقارُ: العَظَمةُ، اسم من التَّوْقيرِ وهو التعظيم، وهو منصوب على التمييز، قاله السجاوندي صاحب العين[(٣)].

[٢٥٥/ ب] ومعنى الآية: ما لَكُمْ لا تعلمون حَقَّ عَظَمَتِهِ فَتُوَحِّدُوهُ/ وتُطِيعُوهُ، وقد جَعَلَ لكم فِي أنفسكم آيةً تَدُلُّ على توحيده، مِنْ خَلْقِهِ إيّاكُمْ، ومِنْ خَلْقِ

---

(١) المجاديح: جمع مِجْدَح، وهو نَجْمٌ من النجوم كانت العرب تزعم أنها تُمْطَرُ به كالأنواء، فجعل عُمَرُ، رحمه الله، الاستسقاءَ بالاستغفار كاستسقاء العرب بالمجاديح، ولَمْ يُرِد الاستسقاء بالأنواء، وإنما تكلم بما تعرفه العرب، وأراد إبْطالَ الأنواء وتكذيبَها، ينظر: غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٥٩: ٢٦١، النهاية لابن الأثير ١/ ٢٣٦، لسان العرب: جدح.

(٢) رواه عبد الرَّزّاقِ في مُصَنَّفِهِ ٣/ ٨٧ كتاب الصلاة: باب الاستسقاء، والبيهقي في السنن الكبرى ٣/ ٣٥١، ٣٥٢ كتاب صلاة الاستسقاء: باب ما يستحب من كثرة الاستغفار في خطبة الاستسقاء، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ١١٦.

(٣) عين المعانِي ورقة ١٣٧/ ب.

السماوات والأرض[١]؟ وهو قوله: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ يعني ألْوانًا طَوْرًا بعد طَوْرٍ، وقيل: أحوالًا، حالًا بعد حالٍ، نُطْفةً ثُمَّ عَلَقةً ثُمَّ مُضْغةً ثُمَّ لَحْمًا ثُمَّ عَظْمًا، شيئًا بعد شَيْءٍ إلَى تَمامِ الخَلْقِ حَتَّى صِرْتُمْ شِيبانًا وشَبابًا وشُيُوخًا.

قال ابن الأنباري[٢]: الطَّوْرُ: الحال، والطَّوْرُ أيضًا: التّارةُ والمَرّةُ، وجمعه: أطْوارٌ. وهو نصب على الحال[٣].

قوله ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾ بعضها فوق بعض، وهو مصدر[٤]، وقيل[٥]: نعت لـ ﴿سَبْعَ﴾، وأجاز الفَرّاءُ في غير القرآن خَفْضَ طِباقٍ على النعت لـ ﴿سَمَاوَاتٍ﴾[٦]، وقد تقدم نظيرها في سورة «تَبارَكَ»[٧].

قوله: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ يعني: في سَماءِ الدنيا، وهو جائز في كلام

---

(١) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٩.

(٢) قال ابن الأنباري: «طَوْرًا معناه: مَرّةً، وجمعه أطْوارٌ، وقال قوم: الطَّوْرُ: الحالُ، قال الله عز وجل: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ أراد: على حالاتٍ وضُرُوبٍ مُخْتَلِفةٍ». شرح القصائد السبع ص ٣٤٣-٣٤٤.

(٣) ويجوز أن يكون مفعولاً ثانيًا لـ﴿خَلَقَ﴾ على تضمينه معنى جَعَل، قاله المنتجب الهمدانِيُّ في الفريد للهمداني ٤/ ٥٣٤، ٥٣٥.

(٤) أي: أنه مصدر من معنى «خَلَقَ»، والمعنى: طابَقَ سَبْعَ سَماواتٍ طِباقًا، وهذا قول النحاس ومَكِّيٍّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٣٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١١.

(٥) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٨٨، وهو قولٌ آخَرُ للنحاس، قاله في إعراب القرآن ٥/ ٣٩.

(٦) قال الفراء: «ولو كان ﴿سَبْعَ سَماواتٍ طِباقٍ﴾ بالخفض كان وجهًا جَيِّدًا، كما تُقْرَأُ: ﴿ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٍ﴾ و﴿خُضْرٌ﴾. معانِي القرآن ٣/ ١٨٨، وقد قرأ ابن أَبِي عبلة وزيد بن عَلِيٍّ: «سَبْعَ سَماواتٍ طِباقٍ» بالخفض، ينظر: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٥٠، المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٥.

(٧) في الآية رقم ٣، ٣/ ٤٧٤.

العرب، كما يقال: أَتَيْتُ بَنِي تَمِيمٍ، وإنما أَتَيْتَ بَعْضَهم، وفلانٌ يَتَوارَى فِي دُورِ بَنِي فُلاَنٍ، وإنما هو في دارٍ واحِدةٍ[١].

قـال مقاتل[٢]: معنـاه: وجَعَلَ القَمَـرَ مَعَهُنَّ نورًا لأهـل الأرض، «في» بمعنى «مَعَ»، قال ابن عباس[٣]: وَجْهُهُ في السماء، وَقَفاهُ في الأرض، ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا ﴿١٦﴾﴾ يعني: ضِياءً يُسْتَضاءُ به فِي النهار.

وقال عبد الله بن عمر في هذه الآية: «إنَّ الشمس والقمر وُجُوهُهُما قِبَلَ السـماوات، وَأَقْفِيَتُهُمـا قِبَلَ الأرض، يُضِيئانِ في السـماوات كما يُضِيئانِ في الأرض، قـال: وأنا أقرأ عليكم بذلك آيةً في كتاب الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا وَجَعَلَ ٱلشَّمۡسَ سِرَاجٗا﴾[٤]، وهما منصوبان مفعولان بـ«جَعَلَ».

فصل

قيـل لابن عمر ـ رضي الله عنه ـ: ما بالُ الشـمس تُصْلِينا أحيانًا، وتَبْرُدُ علينـا أحيانًـا؟ فقال: «لأنَّها في الصيف في السـماء الرابعة، وفي الشـتاء في

---

(١) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٥٠٩، وحكاه النقاش عن الحسن فِي شفـاء الصدور ورقة ١٦٩/ أ، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، الوسيط ٤/ ٣٥٨، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٤.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، وبه قال أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٣٤، قال الفارسي: «ويَجوز أن يكون ظرفا للفعل الظاهـر، والمعنى: جَعَلَ القَمَرَ فِي جُمْلَةِ السَّماواتِ ومَعَهُنَّ». الإغفال ٢/ ٢١٢.

(٣) ينظر قوله في تفسـير مجاهد ٢/ ٦٩٥، شـفاء الصدور ورقة ١٦٩/ أ، عيـن المعانِي ورقة ١٣٧/ ب، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٥.

(٤) ينظر قول ابن عمر، رحمه الله، في تفسـير عبد الـرزاق ٣/ ٣١٩، جامع البيان ٢٩/ ١٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، الوسيط ٤/ ٣٥٨.

السماء السابعة عند عرش الرحمن، ولو كانت في السماء الدنيا لَما قامَ لَها شَيْءٌ»(١).

قوله: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾﴾ كان حقه: إنْباتًا، ولكنه مصدرٌ مخالف للصدر، وقال الخليل(٢): مجازه: فَنَبَتُّمْ نباتًا. والمعنى: أنه خَلَقَكُمْ مِنْ تُرابِ الأرض، فَنَبَتُّمْ نباتًا، يعني: خَلْقًا، ﴿ثُمَّ/ يُعِيدُكُمْ فِيهَا﴾ بعد الموت إذا [٢٥٦/ أ] مِتُّمْ ﴿وَيُخْرِجُكُمْ﴾ منها بعد النَّفْخةِ الآخِرةِ للبعث ﴿إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾ أحياءً ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾﴾ مِهادًا تَحمِلُكُمْ أحْياءً وتَسْتُرُكُمْ أمْواتًا، والمعنى: أنه تعالى بَسَطَها لِخَلْقِهِ، فجعلها ذَلُولًا وفِراشًا لَهُمْ، قيل: إنها بُسِطَتْ مِنْ تَحْتِ الكَعْبةِ مسيرة خمسمائة عام؛ ﴿لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾ السُّبُلُ: الطُّرُقُ واحدها سَبِيلٌ، والسَّبِيلُ يذكر ويؤنث، وقوله: ﴿فِجَاجًا﴾ يعني: طُرُقًا أيضا واسعةً مختلفة بين الجبال والرمال، واحدها: فَجٌّ.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى﴾ ولَمْ يُجِيبُوا دَعْوَتِي ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾﴾ ضلالًا في الدنيا، وعقوبةً في الآخرة، يعني الرؤساء والأشراف.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم: «وَلَدُهُ» بفتح الواو واللام، وقرأ الباقون:

---

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٦٩/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٥.

(٢) ينظر: الجمل المنسوب للخليل ص ١١٦، ونصه: «وأما قول الله عز وجل: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ أي: أنْبَتَكُمْ فَنَبَتُّمْ نباتًا»، وقد ذكر سيبويه ذلك في باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل؛ لأن المعنى واحد، حيث قال: «وقال الله، تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا﴾؛ لأنه إذا قال: أَنْبَتَهُ فكأنه قال: قد نَبَتَ». الكتاب ٤/ ٨١.

«وُلْدُهُ»[١] بضم الواو وإسكان اللام، جعلوه جَمْعَ وَلَدٍ كوُثْنٍ وَوَثَنٍ[٢]، وقيل[٣]: هي لغةٌ في الواحد، يقال: وَلَدٌ وَوُلْدٌ للواحد بِمَنْزِلةِ بَخَلٍ وبُخْلٍ.

قولـه: ﴿وَمَكَرُواْ مَكۡرٗا كُبَّارٗا ٢٢﴾ يعني: كبيرًا عظيمًا، يقال: كَبِيرٌ وكُبّارٍ، مثل عَجِيبٍ وعُجّابٍ، وطَوِيلٍ وطُوّالٍ، قال الشاعر:

أُزَيْـرِقِ العَـيْـنَـيْـنِ طُـوّالِ الذَّنَـبْ[٤]

ويقال: رَجُلٌ حُسّـانٌ وحُسـانٌ، وكُمّالٌ وكُمالٌ، وقُرّاءٌ للقارئ، ووُضّاءٌ

---

(١) قرأ نافع وعاصم وابن عامر وأبو جعفر والسُّـلَمِيُّ والحسـن وأبو رجاء وابن وَثّابٍ وشيبةُ: «وَلَدُهُ» بفتح الواو واللام، وقرأ أبو عمرو في روايةٍ، والحسـنُ والجَحْدَرِيُّ وقتادةُ وَزِرُّ بن حُبَيْشٍ وطلحةُ وابنُ أَبِي إسـحاق: «وِلْدُهُ» بكسـر الواو وسـكون اللام، وقرأ الباقون وأبو عمـرو، وخارجـةُ عن نافـع: «وُلْدُهُ» بضم الواو وسـكون اللام، ينظر: السـبعة ص ٦٥٢، ٦٥٣، مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٦، البحر المحيط ٨/ ٣٣٤، الإتحاف ٢/ ٥٦٤.

(٢) ذكر الفراء أن قيسًا يجعلون الوَلَدَ واحدًا والوُلْدَ جَمْعًا، ينظر: معانِي القرآن ٢/ ١٧٣، وهذا قول النحاس والفارسيُّ ومَكِّيٍّ أيضًا، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٤١، الحجة للفارسي ٤/ ٦٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١١.

(٣) هذا قول الكسـائي والفراء، قال الفـراء: «والوُلْدُ والوَلَدُ لُغَتانِ مثلما قالـوا: العَدَمُ والعُدْمُ، والوُلْدُ والوَلَدُ، وهما واحد وليس بجمع، ومن أمثال العرب: وُلْدُكِ مَنْ دَمَّى عَقِبَيْكِ، وقال بعض الشعراء:

فَلَيْـتَ فُلاَنًـا مـاتَ فِي بَطْـنِ أُمِّهِ   وَلَيْـتَ فُلاَنًـا كانَ وُلْـدَ حِمـارِ

فهـذا واحد، وقَيْسٌ تَجْعَلُ الوُلْدَ جَمْعًا والوَلَدَ واحدًا». معانِي القرآن ٢/ ١٧٣، وحكاه ابنُ السِّكِّيتِ عن الكسائي في إصلاح المنطق ص ٣٧، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٠، إعراب القرآن ٥/ ٤٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٣٩٥، تهذيب اللغة ١٤/ ١٧٧، الحجة للفارسي ٤/ ٦٦، الصحاح ٢/ ٥٥٣-٥٥٤.

(٤) تقدم برقم ١٩٣ ص ٥٦٨.

لِلوَضِيءِ، وأنشد ابنُ السِّكِّيتِ[1]:

٣٩٨ـ بَيْضاءَ تَصْطادُ القُلُوبَ، وَتَسْتَبِي ... بالحُسْنِ قَلْبَ المُسْلِمِ القُرّاءِ[2]

٣٩٩ـ والمَرْءُ يُلْحِقُهُ بِفِتْيانِ النَّدَى ... خُلُقُ الكَرِيمِ وَلَيْسَ بِالوُضّاءِ[3]

وقرأ ابنُ مُحَيْصِنٍ وعيسى بن عُمَرَ: «كُبارًا» بالتخفيف[4]، فإن زادَ حتى يَبْلُغَ النهايةَ قيل: «كُبّارٌ» بالتشديد[5]، ومعنى المَكْرِ: السَّعْيُ بالفساد، واختلفوا

---

(١) إصلاح المنطق ص ١٠٩.

(٢) البيت من الكامل، لِزَيْدِ بن تُرْكِيٍّ الزُّبَيْدِيِّ، ويُرْوَى: «تَصْطادُ الغَوِيَّ»، قال ابنُ بَرِّيٍّ: «صواب إنشاده: «بَيْضاءَ» بالفتح؛ لأن قبله:

وَلَقَدْ عَجِبْتُ لِكاعِبٍ مَوْدُونةٍ ... أَطْرافُها بِالحَلْيِ والحِنّاءِ

اللغة: القُرّاءُ: الحَسَنُ القِراءةِ، والقارئ: النّاسِكُ، والمراد هنا: القارئ.

التخريج: ديوان الأدب ٤/ ١٧٦، المخصص ١٥/ ٨٩، ١٣٩، الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، البصائر والذخائر ٨/ ٦٣، عين المعاني ورقة ١٣٧/ ب، اللسان: قرأ، البحر المحيط ٨/ ٣٣٥، الدر المصون ٦/ ٣٨٥، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٩٣، التاج: قرأ.

(٣) البيت من الكامل لأبِي صَدَقَةَ الدُّبَيْرِيِّ، وقد أنشده ابن السكيت عن الفراء مع البيت السابق لأبِي صَدَقَةَ الدُّبَيْرِيِّ، وذكر أنهما من قصيدة واحدة، والوُضّاءُ: الحَسَنُ النَّظِيفُ.

التخريج: المحتسب ٢/ ٢٣٠، المخصص ٢/ ١٥٣، ١٥/ ٨٩، ١٦/ ٣٤، البصائر والذخائر ٨/ ٦٤، الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، أساس البلاغة: وضأ، المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٧، اللسان: وضأ، البحر المحيط ٨/ ٣٣٥، الدر المصون ٦/ ٣٨٥، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٩٢، التاج: وضأ.

(٤) وهي أيضًا قراءة أَبِي السَّمّالِ ومجاهد وحُمَيْدٍ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٣٠٧، البحر المحيط ٨/ ٣٣٥.

(٥) هذه العبارة من كلام لأبِي عمر الزاهد، ويبدو أن بها سقطا، فقد قال أبو عمر: «أَخْبَرَنا ثعلبٌ عن سَلَمةَ عن الفَرّاءِ قال: يُقالُ: شَيْءٌ كَبِيرٌ، فإن زاد قيل: كُبارٌ خفيفًا، فإن زاد حتى بَلَغَ النهايةَ قيل: كُبّارٌ مشددًا». ياقوتة الصراط ص ٥٣٤، وينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧١، إصلاح المنطق ص ١٠٨، ١٠٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٨٧.

فِي معنى مَكْرِهِمْ، فقال ابن عباس: قالوا قَوْلًا عظيمًا، وقال الضحاك: افْتَرَوْا على الله كَذِبًا، وكَذَّبُوا رُسُلَهُ، وقيل: إن الرؤساء حَرَّشُوا سِفْلَتَهُمْ[١] على قَتْلِ نُوح، ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ﴾؛ أي: قالوا للضعفاء: لا تَذَرُنَّ عِبادةَ آلِهَتِكُمْ ﴿وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا﴾ أي: عِبادةَ وَدٍّ ﴿وَلَا سُوَاعًا﴾.

قرأ أهل المدينة: «وُدًّا» بضم الواو، وقرأ غيرهم بِفَتْحِهِ[٢]، وهما لغتان، والفتح في وَدٍّ أَشْهَرُ وأَعْرَفُ، قال الأخفش[٣]: ولعل الضم أن يكون / لغةً في اسم الصنم. [٢٥٦/ ب]

قوله: ﴿وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ قَرَأَهُ العامّةُ غَيْرَ مُجْرًى فيهما، قال أبو حاتم[٤]: لأنهما على بناء فِعْلٍ مضارعٍ، وهما على وزن: يَقُومُ ويَقُولُ، وهما ـ مع ذلك ـ أعجميانِ معرفةٌ، فلم ينصرفا.

وقرأ الأعمش وأَشْهَبُ العُقَيْلِيُّ: «وَلاَ يَغُوثًا وَيَعُوقًا» مصروفين[٥]؛ لأنهما جعلاهما نكرتين، وهذا لا معنى له، إذْ لَيْسَ كُلُّ صَنَمٍ اسْمُهُ يَغُوثُ ويَعُوقُ، إنما هما اسمان لِصَنَمَيْنِ معروفين مخصوصين، فلا وجه لتنكيرهما[٦].

---

(١) حَرَّشُوا سِفْلَتَهُمْ: أَغْرَوْهُمْ بِقَتْلِ نُوحٍ. اللسان: حرش.

(٢) قرأ نافع وأبو جعفر وشَيْبَةُ: «وُدًّا» بضم الواو، ورُوِيَتْ عن أبي بكر عن عاصم، وقرأ بقية السبعة وحَفْصٌ عن عاصم، والحسنُ والأعمشُ وطلحةُ بفتح الواو، ينظر: السبعة ص ٦٥٣، البحر المحيط ٨/ ٣٣٥، الإتحاف ٢/ ٥٦٤.

(٣) ينظر قوله في الحجة للفارسي ٤/ ٦٧، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٥٩.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٤٥، ٤٦.

(٥) وبها قرأ أيضًا المُطَّوِّعِيّ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، البحر المحيط ٨/ ٣٣٦، الإتحاف ٢/ ٥٦٤.

(٦) قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٢، وقال الزمخشري: «وهذه قراءةٌ مُشْكِلَةٌ؛ =

قوله: ﴿وَنَسۡرٗا ٢٣ وَقَدۡ أَضَلُّواْ كَثِيرٗاۖ﴾ قال مقاتـل[١]: معناه: أضَلَّ كُبَراؤُهُمْ كَثِيرًا مِـن الناس، ويجوز أن يكون المعنى: أضَلَّ الأصنامُ كثيرًا[٢]؛ أي: ضَلُّوا بعبادتها وَسَـبَبِها، نظيرها قوله ـ تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ﴾[٣]، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلٗا ٢٤﴾ دَعـا عليهـم نُوحٌ بعـد أن أعْلَمَـهُ اللهُ أنَّهُمْ لا يؤمنون، وهو قوله: ﴿أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ﴾[٤].

قوله: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ﴾ يعني: بالطوفان، و«ما» زائدة للتوكيد؛ أي: من خَطِيئاتِهِمْ، وقرأ أبو عمرو: ﴿خَطاياهُمْ﴾، وهو في موضع خفض بـ«مِنْ»، وكلاهما جمع خطيئة، وقرأ أبو حَيْوةَ والأعمشُ: «خَطِيئَتِهِمْ»[٥] على الواحد.

وقوله: ﴿فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا﴾ يعني: فِي الآخرة، ونصب ﴿نَارٗا﴾ لأنه مفعولٌ ثانٍ خَبَرٌ لِما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، وجاء لفظ المُضِيِّ بمعنى الاستقبال لصدق الوعد به[٦]،

= لأنهما إن كانا عَرَبِيَّيْنِ أو عَجَمِيَّيْنِ ففيهما سَبَبا مَنْعِ الصرف، إما التعريف ووزن الفعل، وإما التعريف والعجمة». الكشـاف ٤/ ١٦٤، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٣٦-٥٣٧، البحر المحيط ٨/ ٣٣٦.

(١) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٥٩، ومعناه أن الضمير في «أَضَلُّواْ» للكفار.

(٢) يعني أن الضمير للأصنام، وهذا قول الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٨٩، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٤٢، الوسيط ٤/ ٣٥٩، ٣٦٠، تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٠، البحر المحيط ٨/ ٣٣٦.

(٣) إبراهيم ٣٦.

(٤) هود ٣٦.

(٥) قرأ أبو عمرو والحسن وعيسى بن عمر والأعرج: ﴿خَطاياهُمْ﴾، وقرأ أبو حيوة والأعمش وعاصم الجحدري والأشهب العقيلي، وعبيدٌ عن أبِي عمرو: ﴿خَطِيئَتِهِمْ﴾ بالإفراد، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٠-٣١١، البحر المحيط ٨/ ٣٣٦، الإتحاف ٢/ ٥٦٤.

(٦) قاله الزمخشري وابن عطية، ينظر: الكشاف ٤/ ١٦٥، المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٦.

وقيل[١]: إنهم كانوا يُغْرَقُونَ من جانب، ويَحْتَرِقُونَ من جانب في الدنيا، وأنشد ابن الأنباري:

٤٠٠ ـ الخَلْقُ مُجْتَمِعٌ طَوْرًا وَمُفْتَرِقٌ   والحادِثاتُ فُنُونٌ ذاتُ أطْوارِ
لاَ تَعْجَبَنَّ لأضْدادٍ وَإنْ جُمِعَتْ   فاللهُ يَجْمَعُ بَيْنَ الماءِ والنّارِ[٢]

فصل

رُوِيَ عن الحَسَنِ أنه قال: «لَمّا أغْرَقَ اللهُ قَوْمَ نوحٍ ـ عليه السلام ـ عَلاَ الماءُ فوق كل شيء، قال: وامرأةٌ منهم معها صَبِيٌّ لَها، فلما غَشِيَها الماءُ صَعِدَت الجَبَلَ، فَصَعِدَ الماءُ إليها، فلما رَأتْ ذلك صَعِدَتْ على صَخْرةٍ فِي الجَبَلِ، فَغَشِيَها الماءُ هِيَ والصخرةَ، فلما غَشِيَها الماءُ رَفَعَتْ صَبِيَّها فوق رَأْسِها فَغَشِيَها، قال الحَسَنُ: فَلَوْ رَحِمَ اللهُ أحَدًا منهم لَرَحِمَ تلك المَرْأةَ[٣].

[٢٥٧/ أ] ومثل هذا الحديث رُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ[٤]/ ، ﴿فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾ لَمْ يجدوا أحدًا يمنعهم من عذاب الله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾﴾ يعني: أحَدًا يَدُورُ فِي الأرض فيذهب

(١) قاله الضحاك، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٤٧، الكشاف ٤/ ١٦٥، القرطبي ١٨/ ٣١١.
(٢) البيتان من البسيط، لَمْ أقف على قائلهما، ويروى الثاني: «لأضْدادٍ إنِ اجْتَمَعَتْ».
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٤٧، مجمع البيان ١٠/ ١٣٩، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٣١١، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٤٠٠، روح المعانِي ٢٩/ ٧٩.
(٣) رواه الحاكم عن السيدة عائشة عن النبي ﷺ في المستدرك ٢/ ٣٤٢ كتاب التفسير: سورة هود، ٢/ ٥٤٧ كتاب تواريخ المتقدمين: باب ذِكْرِ نوحٍ عليه السلام، وينظر: جامع البيان ١٢/ ٤٦، شفاء الصدور ورقة ١٧٠/ أ.
(٤) ينظر: تفسير ابن كثير ٤/ ٤٥٦.

ويجيء، ويقال: ما في الدّارِ دَيّارٌ؛ أي: ما بِها أحَدٌ، قال الشاعر:

٤٠١ - وَبَلْدةٍ [لَيْسَ] بِها دَيّارُ
لاَ راكِبٌ يُرَى وَلاَ سَيّارُ[1]

وهو «فَيْعالٌ» من الدوران من: دارَ يَدُورُ، على وزن: قام يقوم، ولا يُتَكَلَّمُ به إلّا في الجحد، يقال: ما في الدار أحَدٌ ولا دَيّارٌ، وأصله: دَيْوارٌ، ثم أُدْغِمَت الواو في الياء مثل القَيّام، أصله: قَيْوامٌ[2]، وقال القُتَيْبِيُّ[3]: أصله من الدار؛ أي: نازِلٌ دارًا.

والمعنى: لا تَدَعْ منهم أحَدًا إلا أهْلَكْتَهُ ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ﴾ شرط ﴿يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ﴾ جواب الشرط ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟﴾ عطف عليه ﴿إِلَّا فَاجِرًا﴾ خارجًا عن طاعتك ﴿كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ لِنِعَمِكَ، والمعنى: ولا وَلَدُوا كقوله: ﴿فَلَا يُؤْمِنُوا۟﴾[4]، معناه: فَلاَ آمَنُوا.

---

(١) البيتان من مشطور السريع، لِجَرِيرٍ، والأول فقط في ملحقات ديوانه، وبعدهما:
تَـنْشَـقُّ فِي مَجْهُولِها الأبْصارُ
التخريج: ملحق ديوان جرير ص ١٠٢٩، أمالي القالي ١/ ٢٥٠، والأول في الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٦٤.

(٢) قال الفراء: «وقوله: ﴿دَيّارًا﴾ وهو من: دُرْتُ، ولكنه «فَيْعالٌ» من الدَّوَرانِ، كما قرأ عمر ابن الخطاب: ﴿اللهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ الحَيُّ القَيّامُ﴾، وهو من: قُمْتُ». معانِي القرآن ٣/ ١٩٠، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣١، شفاء الصدور ورقة ١٦٩/ ب، التهذيب ١٤/ ١٥٤، الصحاح ٢/ ٦٦٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٣.

(٣) قال ابن قتيبة: «دَيّارًا؛ أي: أحَدًا، ويقال: ما بالمنازل دَيّارٌ أي: ما بِها أحَدٌ، وهو من الدّارِ؛ أي: لَيْسَ بِها نازِلٌ دارًا». غريب القرآن ص ٤٨٨.

(٤) يونس ٨٨.

وأصل الفجور المَيْلُ عن الحَقِّ، ويُسَمَّى الكاذِبُ فاجِرًا؛ لأنه مالَ عن الحَقِّ، ولذلك قِيلَ لِلْمائِلِ عن الخَيْرِ: فاجِرٌ، وقال بعض الأعراب لِعُمَرَ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، وكان أتاه، فَشَكا إليه نَقَبَ إبِلِهِ ودَبَرَها، واسْتَحْمَلَهُ فلم يُحْمِلْهُ، فأنشأ يقول:

٤٠٢ ـ أَقْسَمَ بِاللهِ أَبُو حَفْصٍ عُمَرْ
مَا مَسَّهَا مِنْ نَقَبٍ وَلَا دَبَرْ
اغْفِرْ لَهُ اللَّهُمَّ إنْ كانَ فَجَرْ[1]

أي: إنْ كان مالَ عن الصدق[2].

قوله: ﴿رَّبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ﴾ يعني لَمَكَ بنَ مَتُّوشَلَخَ، وشَمْخَى بنت أُنُوشَ، وكان أبواه مؤمنين، وقرأ سعيد بن جبير: «وَلِوالِدِي»[3] على الواحد

(١) الأبيات من الرجز المشطور، لعبد الله بن كَيْسَبَةَ، أو لأحد الأعراب، ونسبه ابن يعيش لِرُؤْبَةَ، وهذا غير صحيح؛ لأن الأبيات في خِطابِ عُمَرَ بن الخطاب رحمه الله، وَرُؤْبَةُ تُوُفِّيَ سنة (١٤٥هـ).

اللغة: النَّقَبُ: رِقّةُ أَخْفافِ البَعِيرِ مِنْ كَثْرةِ السَّيْرِ، الدَّبَرُ: جَمْعُ دَبَرةٍ وَهِيَ الجُرْحُ الَّذِي يَكُونُ في ظَهْرِ الدّابّةِ.

التخريج: العين للخليل ٨/ ٣٠٧، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٤٢، تهذيب اللغة ١١/ ٥٠، إعراب ثلاثين سورة ص ٩٩، الصاحبي ص ٢٩٨، ديوان الأدب ٢/ ١١١، الحلل ص ١٣٣، أساس البلاغة: نقب، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٥، شرح المفصل ٣/ ٧١، شرح الكافية للرضي ٢/ ٣٨٢، ٣٩٩، ٤١٣، اللسان: فجر، نقب، المقاصد النحوية ٤/ ١١٥، التصريح ١/ ١٢١، ٢/ ١٣١، خزانة الأدب ٥/ ١٥٤، ١٥٦، التاج: نقب، فجر.

(٢) من أول قوله: «وأصل الفجور: الميل» قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٧.

(٣) وهي قراءة عاصم الجَحْدَرِيِّ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٢، تفسير القرطبي ١٨/ ٣١٤، البحر المحيط ٨/ ٣٣٧.

﴿وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ﴾؛ أي: داري، وقيل: مسـجدي، وقيل: سـفينتي ﴿مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ عامٌّ فِي كُلِّ مَنْ آمَنَ بالله وَصَدَّقَ رُسُلَهُ.

وقرأ حَفْصٌ وهِشامٌ: ﴿بَيْتِيَ﴾ بفتح الياء، وأسكنها الباقون[1]، ونصب ﴿مُؤْمِنًا﴾ على الحال، ﴿وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني قومه ﴿إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾ يعني هلاكًا ودمارًا، والتَّبارُ مشتق من التَّبْرِ وهو الهلاك والكَسْرُ، وتَبَرْتُ الشَّيْءَ وَتَبَّرْتُهُ: إذا كَسَّرْتَهُ[2]، فاستجاب الله دُعاءَهُ فأهلكهم، ثم مكث نوح عليه السلام بعد ذلك ثلاثمائة سنة وخمسين سنةً، وكان بَيْنَ آدم ونوحٍ ـ عليهما [السلام] ـ ألفا سنة ومائتا سنة[3]، والله أعلم / .

* * *

---

(١) قرأ حفصٌ عن عاصم، وهشـامٌ عـن ابن عامر، وأبو قُرَّةَ عن نافـع: «بَيْتِيَ» بفتح الياء، وقرأ الباقـون وأبو بكر عن عاصم وابنُ ذكوان عن ابن عامر وابنُ جماز عن نافع بسـكون الياء، ينظر: السبعة ص ٦٥٤، الإتحاف ٢/ ٥٦٤.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٤٣، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٦.

(٣) قاله ابن عباس، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٧٠/ أ، وقال ابن قتيبة: «وفي التوراة: وكان بَيْن مَوْتِ آدَمَ وبَيْنَ الطُّوفانِ أَلْفا سَـنةٍ ومِائَتا سَنةٍ وأربعون سـنةً، وبَيْنَ الطُّوفانِ وبَيْنَ مَوْتِ نُوحٍ ثَلاَثُمِائةِ سَنةٍ وخَمْسُونَ سَنةً واثنتانِ». المعارف ص ٥٦-٥٧.

سورة الجن
مكِّية

وهي سبعمائة وتسعة وخمسون حرفًا، ومائتان وخمس وثمانون كلمةً، وثمان وعشرون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عــن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضــي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُــورةَ الجِنِّ أعْطاهُ اللهُ بِعَدَدِ كُلِّ جِنِّيٍّ وشَــيْطانٍ صَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبَ بِهِ عِتْقَ رَقَبَةٍ»[١].

وَرُوِيَ عنــه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُــورةَ الجِنِّ ألْقَى اللهُ في قُلُوبِ الجِنِّ والشَّياطِينِ الخَوْفَ والرَّهْبَةَ مِنْهُ»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ قيل: إنَّهُمْ كانوا تسعةً،

---

(١) ينظر: الكشـف والبيـان ١٠/ ٤٩، الوسـيط ٤/ ٣٦٠، الكشـاف ٤/ ١٧٣، مجمع البيان ١٠/ ١٤٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

وقيل: سبعة من جِنِّ نَصِيبِينَ اسْتَمَعُوا قِراءةَ النَّبِيِّ ﷺ، وقد تقدم ذِكْرُهُمْ في سورة الأحقاف[١].

و«أنَّ» فِي موضع رفع لأنه مفعولُ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ لـ ﴿أُوحِيَ﴾[٢]، ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١﴾ بَلِيغًا، والمعنى: قُرْآنًا ذا عَجَبٍ يُعْجَبُ منه لِبَلاغَتِهِ ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ يدعو إِلَى الصواب من التوحيد والإيمان وترك الشرك والعصيان، ويَحُثُّ على طاعة الرحمن، ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ يعني بذلك القرآن ﴿وَلَن نُّشۡرِكَ﴾؛ أي: نَعْدِلَ ﴿بِرَبِّنَآ أَحَدٗا ۝٢﴾ مِنْ إنْسٍ ولا جانٍّ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾؛ أي: عَظَمَةُ رَبِّنا وجَلالُهُ ﴿مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ﴾ زوجةً ﴿وَلَا وَلَدٗا ۝٣﴾.

قرأ أهل الشام والكوفة إلا أبا بكر: ﴿وَأَنَّهُۥ﴾ بفتح الهمزة من «أَنَّهُ» و«أَنّا» في اثني عشر موضعًا متواليةً، أولها: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾، وآخرها: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلۡمُسۡلِمُونَ﴾[٣]، وفَتَحَ أبو جعفر ما كان مردودًا على الوحي، وكَسَرَ ما كان حكايةً عن الجِنِّ، وكَسَرَها كُلَّها الباقون[٤]، فمن فَتَحَ فهو معطوف على ﴿أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ﴾، أو على تقدير: وَآمَنّا أَنَّهُ، ومَنْ كَسَرَ فعلى الاستئناف.

رَوَى عكرمةُ: ﴿جِدُّ رَبِّنا﴾ بكسر الجيم على ضِدِّ الهَزْلِ، وقرأ ابن السَّمَيْفَعِ: «جَدَى رَبِّنا»[٥]، وهو الجَدْوَى والمنفعة، ومعنى الجَدِّ فِي اللغة:

---

(١) في الآية ٢٩، ينظر ٣/ ٤٥.

(٢) يعني أنه نائب فاعل لـ«أُوحِيَ».

(٣) الجن ١٤.

(٤) ينظر: السبعة ص ٦٥٦، معانِي القراءات ٣/ ٩٦-٩٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٠٠، ٤٠١، الحجة للفارسي ٤/ ٦٨، ٦٩، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٣٩، ٣٤١، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، البحر المحيط ٨/ ٣٤٠.

(٥) قرأ عكرمة وأبو حَيْوةَ وابن السَّمَيْفَعِ: «جِدُّ رَبِّنا» بكسر الجيم، وقرأ ابن السَّمَيْفَعِ والأشْهَبُ =

العَظَمــةُ والارتفــاع، يقال: جَدَّ فُــلاَنٌ في الناس: إذا عَظُمَ فِــي عيونهم، وَجَلَّ فــي صدورهم[١]، والجِدُّ أيضًا: هو الاجتهاد فــي العمل، والجَدُّ:/ أبو الأب، والجَـدَدُ: الطريق يقال منه: جَـدَدْتُ أجِدُّ جَدًّا[٢]، والجِدُّ ـ بالكسـر ـ: الحَقُّ، يقــال: جَدَّ فُلاَنٌ فِي الأمر يَجِدُّ جِـدًّا: إذا صَحَّحَهُ وحَقَّقَ فيه، والجُدُّ: البِئْرُ فِي طُـرُقِ الكَـلأَ[٣]، والجَدُّ: الحَظُّ والبَخْتُ[٤]، ومنه قيل فــي القُنُوتِ: «وَلَا يَنْفَعُ ذا الجَـدِّ مِنْكَ الجَدُّ»[٥]؛ أي: لا يَنْفَــعُ ذا الحَظِّ منك الغِنَى، وإنما يَنْفَعُهُ العَمَلُ الصالحُ[٦]، وجَمْعُ الجَدِّ أجْدادٌ.

= العُقَيْلِيُّ وعكرمةُ وزيد بن عَلِيٍّ: ﴿جَدَى رَبِّنا﴾، و﴿جَدَى رَبُّنا﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٣، شواذ القراءة ورقة ٢٥٠، ٢٥١، المحرر الوجيز ٥/ ٣٧٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٨، ٩، البحر المحيط ٨/ ٣٤١.

(١) هذا قول ابن قتيبة، فقد قال: «يقال: جَدَّ الرَّجُلُ فِي صُدُورِ الناس وفي عُيُونِهِمْ: إذا عَظُمَ، ومنه قول أَنَسٍ: كان الرَّجُلُ إذا قَرَأَ البَقَرةَ وآلَ عِمْرانَ جَدَّ فِينا؛ أي: عَظُمَ». غريب القرآن ص ١٩، وينظر أيضًا: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٦، ١٧، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٤، تهذيب اللغة ١٠/ ٤٥٥.

(٢) قاله النقاش في شـفاء الصـدور ورقـة ١٧١/ أ، وقال الأزهري: «وقــال الأصمعي: يقال للأرض المستوية التي ليس فيها رَمْلٌ ولا اختلاف: جَدَدٌ، وقلتُ: والعرب تقول: هذا طَرِيقٌ جَدَدٌ: إذا كان مستويًا لا حَدَبَ فيه ولا وُعُوثَةَ». تهذيب اللغة ١٠/ ٤٥٩.

(٣) قالــه الأصمعي، ينظر: شــفاء الصدور ورقة ١٧١/ أ، تهذيب اللغــة ١٠/ ٤٥٩، الصحاح ٢/ ٤٥٣، اللسان: جدد.

(٤) قاله ثعلب، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٧١/ أ.

(٥) رُوِيَ حديثُ القنوت عن أكثر من واحد من الصحابة، ينظر: المسند للإمام أحمد ٣/ ٨٧، ٤/ ٩٣، ٩٧، ١٠١، ٤/ ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٥٠، ٢٥٤، ٢٨٥.

(٦) ينظر: غريب الحديث للهروي ١/ ٢٥٧، إصلاح المنطق ص ٢٢، تهذيب اللغة ١٠/ ٤٥٥، الصحاح ٢/ ٤٥٢-٤٥٣.

قولـه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا﴾ يعني: جاهِلُنـا، وقيل: إبليس ﴿عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ۝٤﴾ يعنـي: كَذِبًا وجَوْرًا، وقيل: عُدْوانًا وقَوْلًا عَظِيمًا بأن لله شَـرِيكًا، وهـو منصوب على المصدر[١]، وقيل[٢]: بوقوع القول عليه، وأصل الشَّـطَطِ البُعْـدُ؛ أي: مـا يَبْعُدُ عن صفاته، من: شَـطَّتِ الدّارُ: إذا بَعُدَتْ، والسَّـفَهُ: رِقّةُ الحِلْمِ، وثَوْبٌ سَفِيهٌ؛ أي: رَقِيقٌ.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾؛ أي: حَسِبْنا ﴿أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۝٥﴾ كُنّا نَظُنُّهُمْ صادقين بأن لله شريكًا وصاحبةً ووَلَدًا، حتى سَمِعْنا القُرْآنَ.

قولـه: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦﴾ يعني إثْمًا وأشَرًا وسَفَهًا وظُلْمًا، وقيل: ضلالةً، وقيل: خطيئةً، وقيل: طُغْيانًا، وقيل: خوفًـا، وهو مفعولٌ ثـانٍ، والرَّهَقُ في كلام العرب: الإثْمُ وغِشْـيانُ المَحارِمِ، ورَجُلٌ راهِقٌ: إذا كان كذلك[٣]، قال الأعشى:

٤٠٣ ـ لا شَيْءَ يَنْفَعُنِي مِنْ دُونِ رُؤْيَتِها هَلْ يَشْتَفِي عاشِقٌ ما لَمْ يُصِبْ رَهَقا[٤]

---

(١) قال الزجاج في قوله تعالى: «لَقَدْ قُلْنا إذًا شَـطَطًا»، قال: «وشَطَطًا: منصوب على المصدر، المعنى: لقد قلنـا إذًا قَوْلَ شَـطَطٍ». معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٣٧١، ٣٧٢، ويرى الأنبارِيُّ والعُكْبَرِيُّ أنه صفـة لِمصدر محذوف؛ أي: قَوْلًا شَـطَطًا، ينظر: البيان للأنباري ٢/ ١٠١، التبيان للعكبري ص ٨٣٩، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِي ٤/ ٥٤٢.

(٢) هذا قول آخر للأنباري والعكبري، انظر: البيان للأنباري ٢/ ١٠١، التبيان للعكبري ص ٨٣٩.

(٣) قالـه الليث والأصمعي، ينظر: تهذيب اللغة ٥/ ٣٩٧، ٣٩٨، الكشـف والبيان ١٠/ ٥١، اللسان: رهق.

(٤) البيت من البسيط، للأعشى، ورواية ديوانه: «هَلْ يَشْتَفِي وامِقٌ».

التخريج: ديوانه ص ٤١٥، جامع البيان ٢٩/ ١٣٦، الكشف والبيان ١٠/ ٥١، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٠، مجمـع البيان ١٠/ ١٤٣، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٠، ١٧، التبيان للطوسي ١٠/ ١٤٩، اللسان: رهق، البحر المحيط ٨/ ٣٤١، فتح القدير ٥/ ٣٠٥.

وقال ثَعْلَبٌ[1]: معنى قوله: ﴿رَهَقًا﴾ يعني: خَسارًا، وأصل الرَّهَقِ غِشْيانُ الشَّيْءِ، يقال: رَهِقَتْنا الشَّمْسُ: إذا قَرُبَتْ، وراهَقَ الغُلَامُ: إذا دَنا من الاحتلام.

فصل

عن كَرْدَمِ بن أَبِي السّائِبِ الأنصاريِّ[2] قال: خَرَجْتُ مَعَ أَبِي إلى المدينة، وذلك أَوَّلَ ما ذُكِرَ رَسُولُ الله ﷺ بِمَكّةَ، فَآوانا المَبِيتُ إلى راعِي غَنَمٍ، فلما انتصف الليل جاء ذئب، وَأَخَذَ حَمَلًا من الغَنَمِ، فَوَثَبَ الراعي، فنادى: يا عامِرَ الوادي! جارَكَ، فَنادَى مُنادٍ لا نَراهُ، يقول: يا سِرْحانُ[3] أَرْسِلْهُ، فإذا بالحَمَلِ يَشْتَدُّ حتى دخل في الغَنَمِ لَمْ يُصِبْهُ شَيْءٌ، فأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ بمكة: «﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ / مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾»[4]، وذلك أَنَّهُمْ كانوا يزدادون بِهَذا التَّعَوُّذِ طُغْيانًا، يقولون: سُدْنا الإِنْسَ والجِنَّ. [٢٥٨/ ب]

قوله: ﴿وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا﴾ يعني الجن ﴿كَمَا ظَنَنتُمْ﴾ يا معشر الكفار من الإنس ﴿أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧﴾ بعد موته ﴿وَأَنَّا﴾ يعني الجن ﴿لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ هو من الالتِماسِ، وليس هو من اللَّمْسِ، ﴿فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا﴾ من الملائكة

---

(١) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٧١/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٥١، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ.

(٢) ويُقال: كردم بن أَبِي السَّنابِلِ، له صحبة، سكن المدينة، ذكره ابن حبان في التابعين، وقال: «يَرْوِي المراسيلَ». [الثقات ٣/ ٣٥٥، ٥/ ٣٤١، أسد الغابة ٤/ ٢٣٥، الإصابة ٥/ ٤٣١-٤٣٢].

(٣) السِّرْحانُ: الذِّئْبُ، وجمعه سَراحٍ وسَراحِينُ. اللسان: سرح.

(٤) رواه الطبرانِيُّ فِي المعجم الكبير ١٩/ ١٩١، ١٩٢، والعقيلي فِي الضعفاء الكبير ١/ ١٠١، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٥٠، ٥١، الوسيط ٤/ ٣٦٤، تاريخ دمشق ٢٥/ ٣٣٢، مجمع الزوائد ٧/ ١٢٩ كتاب التفسير: سورة ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾.

﴿وَشُهُبًا ۝٨﴾ من النجوم التي يُرْجَمُ بِها الشياطينُ الذين يَسْتَرِقُونَ السَّمْعَ، قال أَوْسُ بن حَجَرٍ ـ وكان جاهليًّا ـ:

٤٠٤ـ فانْقَضَّ كالكَوْكَبِ الدُّرِّيِّ يَتْبَعُهُ   نَقْـعٌ تَخالُ عَلَى أَرْجائِها طُنُبا[1]

ونصب ﴿حَرَسًا﴾ على التفسير، وإن شِئْتَ على خبر ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ[2]، و«شُهُبًا» عطف عليه.

قولـه: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا﴾ يريـد: من السـماء ﴿مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ فالآن حِينَ حاوَلْنا الاسـتماعَ رُمِينا بِالشُّـهُبِ، وذلك قوله: ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْآنَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾ لِيُرْمَى بِهِ، و﴿مَقَاعِدَ﴾ نصب على الظرف.

قولـه تعالـى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ۝١١﴾ يعني: جَماعاتٍ متفرقين وأهواءً مختلفةً، أَهْلُ مِلَلٍ شَـتَّى، مؤمنون وكافرون، ويهود

---

(١) البيت من البسيط، لأوس بن حَجَرٍ يصف الغُبارَ الناتج من رَكْضِ الفَرَسِ، ورواية ديوانه:

وانْقَضَّ كـالـدِّرِّيءِ يَتْبَعُهُ   نَقْـعٌ يَثُـورُ تَخالُـهُ طُـنُـبـا

وهو بِهَذِهِ الرواية مِن بحر الكامـل، ومعنى «تَخالُهُ طُنُبا»: تَخالُهُ فُسْطاطًا مضروبًا.

التخريج: ديوانه ص ٣، الحيوان ٦/ ٢٧٥، ٢٧٩، تأويل مشكل القرآن ص ٤٣٠، المعانِي الكبير ص ٧٣٩، تهذيب اللغة ١٤/ ١٥٨، الكشـاف ٤/ ١٦٨، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨١، زاد المسير ٤/ ٣٩٠، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١٣، منتهى الطلب ٢/ ٢٣٨، محاضـرات الأدباء ٢/ ١٧٠، ٦٦٢، اللسـان: درأ، البحـر المحيط ٨/ ٣٤٣، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٤٢٠، التاج: درأ.

(٢) قال مَكِّيُّ بن أَبِي طالب: «وحَرَسًا: نصب على التفسير، وكذا شُهُبًا». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٤، ومثلَه قال الأنباريُّ في البيان ٢/ ٤٦٦، وقال المنتجبُ الهمدانِيُّ: و﴿حَرَسًا﴾: تمييزٌ لا مفعولٌ ثانٍ لقوله: ﴿مُلِئَتۡ﴾ باقٍ على أصله كما زعم بعضهم؛ لأن«مَلأَ» لا يتعدى إلَـى مفعولين». الفريد للهمداني ٤/ ٥٤٣-٥٤٤، وأجاز أبو حيان أن يُعَدَّى إلَى مفعولين، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٤٢، وينظر أيضًا: الدر المصون ٦/ ٣٩٢.

ونصارى، وواحد الطرائق طريقة، والقِدَدُ: الفِرَقُ، واحدتها قِدّةٌ[١]، وأصلها من القَدِّ وهو القَطْعُ، قال لَبِيدٌ يَرْثِي أخاه إرْبِدَ[٢]:

٤٠٥ ـ لَمْ تَبْلُغِ العَيْنُ كُلَّ نَهْمَتِها   لَيْلَةَ تُمْسِي الجِيادُ كالقِدَدِ[٣]

وقال آخر:

٤٠٦ ـ وَلَقَدْ قُلْتُ وَزَيْدٌ حاسِرٌ   يَوْمَ وَلَّتْ خَيْلُ عَمْرٍو قِدَدا[٤]

ويُقالُ لِكُلِّ ما قُطِّعَ من الأدِيمِ: قِدّةٌ، وجمعها قِدَدٌ، ويقال: صارَ القَوْمُ قِدَدًا: إذا تَفَرَّقَتْ حالاتُهُمْ، قال مجاهد[٥]: يعني: مسلمين وكافرين، وقال الحسن[٦]: الجِنُّ أمْثالُكُمْ، منهم قَدَرِيّةٌ ومُرْجِئةٌ ورافِضةٌ وشِيعةٌ.

---

(١) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٠، وينظر أيضًا: ياقوتة الصراط ص ٥٣٥، تهذيب اللغة ٨/ ٣٦٨.

(٢) في الأصل: «إربدا».

(٣) البيت من المنسرح لِلَبِيدٍ، ورواية ديوانه:

لَمْ يُبْلِغِ العَيْنَ كُلَّ نَهْمَتِها

اللغة: النَّهْمةُ: كُلُّ ما تَطْمَحُ فِيهِ النَّفْسُ، يعني: أنه لَمْ يَسْمَحْ لِعَيْنِهِ أنْ تَطْمَحَ إلَى هَذِهِ الأُمُورِ في وَقْتِ الشِّدّةِ، القِدَدُ: سُيُورُ الجِلْدِ، يعني: أنَّ الخَيْلَ ضامِرةٌ إمّا لِجَدْبِ الزَّمانِ أوْ اسْتِعْدادًا لِلْحَرْبِ.

التخريج: ديوانه ص ٥٠، السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ٩٩٣، الأغاني ١٥/ ١٣٩، الكشف والبيان ١٠/ ٥١، عين المعاني ورقة ١٣٨/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥، السيرة النبوية لابن كثير ٤/ ١١٣، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٤٢٤، فتح القدير ٥/ ٣٠٦.

(٤) البيت من الرَّمَلِ، لِلَبِيدٍ كما ذَكَرَ الشوكانِيُّ، ولَمْ أقف عليه في ديوانه.

التخريج: تفسير القرطبي ١٩/ ١٦، الكشف والبيان ١٠/ ٥٢، فتح القدير ٥/ ٣٠٦.

(٥) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ١٣٩، الوسيط ٤/ ٣٦٦.

(٦) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٣٦٦، زاد المسير ٨/ ٣٨٠.

قولـه: ﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ﴾ عَلِمْنـا وَأَيْقَنّـا ﴿أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ أي: لَنْ نَفُوتَهُ إذا أراد بنا أمْرًا ﴿وَلَن نُّعْجِزَهُۥ﴾ أن نسبقه ﴿هَرَبًا ﴿١٢﴾﴾ إنْ طَلَبَنا، يعني: أنه يدركنا حيث كُنّا، وهو منصوب على المصدر/ الذي هو في موضع الحال[1]، وقيل[2]: على التفسير. [٢٥٩/ أ]

قولـه: ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ﴾ يعني القرآن ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ﴾؛ أي: صَدَّقْنا به ﴿فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ﴾ أي: يُصَـدِّقْ به وبما جاء به رسـوله محمد ﷺ، ﴿فَلَا يَخَافُ بَخْسًا﴾ أي: نَقْصًـا ﴿وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾﴾؛ أي: ظُلْمًـا فـي قول الفـراء[3]، وقال الأزهريُّ[4]: الرَّهَقُ: اسم من الإرْهاقِ، وهو أن يَحْمِلَ الإنسانُ على نفسه ما لا يُطِيقُ، يقال: أرْهَقْتُهُ أنْ يُصَلِّيَ؛ أي: أعْجَلْتُهُ عن الصلاة، والرَّهَقُ أيضًا: السَّـفَهُ والنَّوْكُ، وهو الحُمْقُ، ورفع ﴿يَخَافُ﴾ على جواب الشـرط بالفاء كقولك: مَنْ يُكْرِمْنِي فَأُكْرِمُهُ.

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ﴾ يعني الذين آمنوا بمحمد ﷺ، ﴿وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ﴾ الجائرون العادلون عن الحق، يقال: أقْسَـطَ الرَّجُلُ فهو مُقْسِـطٌ:

---

(١) وصاحب الحـال هو ضمير الفاعل في قوله: «نُعْجِزَهُ»، وهـذا قول النحاس ومَكِّيٍّ، ينظر: إعـراب القرآن ٥/ ٤٩، مشـكل إعراب القـرآن ٢/ ٤١٥، وينظر أيضًـا: الفريد للهمداني ٤/ ٥٤٤.

(٢) حكاه المنتجب الهمدانِيُّ بغير عزو في الفريد ٤/ ٥٤٥، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ١٩٣.

(٤) قـال الأزهري: «الرهق: اسـم مـن الإرهاق، وهو أن يُحْمَـلَ عليه ما لا يُطِيقُـهُ». التهذيب ٥/ ٣٩٩، وأما قوله: «يقال: أرْهَقْتُهُ أنْ يُصَلِّيَ»، فقد حكاه الأزهري عن النَّضْرِ بن شُـمَيْلٍ، وأما قوله: «والرَّهَقُ أيضًا: السَّـفَهُ والنَّوْكُ»، فقد حكاه الأزهري عن الشَّـيْبانِيِّ في التهذيب ٥/ ٣٩٨.

إذا عَدَلَ، قال الله تعالى: ﴿وَأَقْسِطُوٓاْۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾[١]، وقَسَطَ يَقْسِطُ قُسُوطًا: إذا جارَ[٢]، قال الشاعر:

٤٠٧ ـ قَوْمٌ هُـمُ قَتَلُوا ابْنَ هِنْدٍ عَنْوةً عَمْرًا وَهُمْ قَسَطُوا عَلَى النُّعْمانِ[٣]

أي: جاروا، وأنشد ابن زيد:

٤٠٨ ـ قَسَطْنا عَلَى الأَمْلاكِ فِي عَهْدِ تُبَّعٍ وَمِنْ قَبْلِ ما أَرْخَى النُّفُوسَ عِقابُها[٤]

وقوله: ﴿فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَٰٓئِكَ تَحَرَّوْاْ رَشَدًا ١٤﴾؛ أي: قَصَدُوا طَرِيقَ الحَقِّ، وعَمَدُوا وأَمُّوا الهُدَى وأَتَوْهُ، والمعنى: أصابُوا الرَّشَدَ.

والتَّحَـرِّي كلمة جامعـة للقَصْدِ والتَّعَمُّدِ للشـيء، يقال: فُـلانٌ يَتَحَرَّى الخَبَـرَ: إذا قَصَدَهُ وطَلَبَهُ، ومنه قولهم: هَذا أَحْـرَى، بِمَعْنَى أَوْجَبُ، وتَحَرَّيْتُ الشَّيْءَ أي: قَصَدْتُ الواجِبَ فيه.

---

(١) الحجرات ٩.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ١/ ٩٠، ١٦٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٠، تهذيب اللغة ٨/ ٣٨٨، الصحاح ٣/ ١١٥٢.

(٣) البيت من الكامل، للفرزدق يَرُدُّ على جرير في هجائه للأخطل.

التخريج: ديوانه ٢/ ٣٤٥، شـرح نقائض جرير والفرزدق ٣/ ٩٤، الشـعر والشـعراء ص ٢٣٥، الأغاني ٩/ ١٨٣، الكشف والبيان ١٠/ ٥٢، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٢، مجمع البيان ١٠/ ١٤٩، عين المعاني ورقة ١٣٨/ أ، منتهى الطلب ٥/ ٣٧٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧، البحـر المحيط ٨/ ٣٤٤، اللباب في علوم الكتـاب ١٩/ ٤٢٦، خزانة الأدب ٦/ ٩، روح المعاني ٢٩/ ٨٩.

(٤) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: جامع البيان ٢٩/ ١٤١، الكشـف والبيـان ١٠/ ٥٢، مجمع البيان ١٠/ ١٤٩، عين المعاني ورقة ١٣٨/ أ.

فمن جعله مُشْتَقًّا قال: أصلـه من الحَرا، وهو مَـأْوَى الرَّجُلِ وموضعه الذي يكون فيه، ومَنْ لَمْ يَجْعَلْ له اشتقاقًا يقول: هي كلمة جاءت كما جاء سائر الكلام نُطْقًا، لا مأخوذًا من شيء، وقيل: المُتَحَرِّي: المُتَخَلِّقُ لذلك والمُتَعَمِّدُ له، يقال: فُلاَنٌ حَرِيٌّ بكذا وخَلِيقٌ به وقَمِينٌ به وجَدِيرٌ به وعَشِيٌّ به(١).

ويقال(٢): أصل هذا كله من المقاربة للشـيء، ومنـه: تَحَرِّي القِبْلَةِ لِمَنْ عُمِّيَتْ عليه، قال امرؤ القيس / : [٢٥٩/ ب]

٤٠٩ ـ دِيمـةٌ هَطْلاَءُ فِيها وَطَفٌ طَبَـقُ الأرْضِ تَحَـرَّى وَتَدُرّْ(٣)

قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ﴾ الجائرون الظالمون ﴿فَكَانُواْ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ۝١٥﴾ وَقُودًا للنـار فِي الآخرة ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ﴾ قرأه العامة بكسـر الواو،

---

(١) من أول قوله: «والتحري: كلمة جامعة للقصد» قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٧٢/ أ.

(٢) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ١٧٢/ ب.

(٣) البيت من الرَّمَلِ لامرئ القيس.

اللغة: الدِّيمةُ: مَطَرٌ يَكُونُ مَعَ سُـكُونٍ، وقيل: يَكُونُ خَمْسـةَ أيّامٍ أوْ سِتَّةً، وَقِيلَ: يَوْمًا وَلَيْلَةً، الهَطْـلاَءُ: المَطَرُ الضَّعِيـفُ الدّائِمُ، الوَطَفُ: الدُّنُـوُّ مِنَ الأرْضِ، طَبَـقُ الأرْضِ؛ أيْ: هَذِهِ السَّـحابةُ تُطَبِّقُ الأرْضَ وَتَعُمُّها كُلَّها لِسَـعَتِها وَكَثْرةِ مَطَرِها، تَحَرَّى: تَتَعَمَّدُ المَكانَ وَتَثْبُتُ فِيهِ، تَدُرُّ: يَكْثُرُ ماؤُها.

التخريـج: ديوانـه ص ١٤٤، غريب الحديث للهروي ٤/ ٣١٢، مجـاز القرآن ٢/ ٢٧٢، تهذيـب اللغـة ص ٦/ ١٧٧، ٩/ ٩، ١٤/ ٣٧، ٢١٠، مقاييـس اللغـة ١/ ٢٠٨، ديـوان المعانِي ٢/ ٣، المخصص ٩/ ١١٨، الكشـف والبيان ١٠/ ٥٢، المختار من شـعر بشار ص ١٤٢، أمالِيُّ ابن الشـجري ١/ ٦٠، تصحيح الفصيح ص ٤٧٥، شـرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٣٠٤، محاضرات الأدباء ٢/ ٥٥٧، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، اللسـان: حري، دوم، طبق، هطل، وطف، البحر المحيط ٨/ ٤٣٧، الدر المصون ٦/ ٥٠٠، التاج: وطـف، هـطل، دوم، حري.

وقرأ يحيى والأعمش بضم الواو[١]، وقوله: ﴿ٱلطَّرِيقَةِ﴾ يعني الحق والإيمان والهدى ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ⑯﴾ كثيرًا، وذلك بعدما رُفِعَ عنهم المَطَرُ سَبْعَ سِنِينَ، وقيل: لأعطيناهم مالًا كثيرًا وعَيْشًا رَغَدًا، وإنما ضَرَبَ الماءَ الغَدَقَ مَثَلًا لأن الخير كُلَّهُ والرِّزْقَ يكون بالمطر.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾؛ أي: لِنَخْتَبِرَهُمْ، فَنَعْلَمَ كيف شُكْرُهُمْ فيما خُوِّلُوا ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ﴾ يعني القرآن ﴿يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ⑰﴾ يعني: شِدَّةَ العَذابِ الذي لا راحةَ فيه، وهو شرط وجزاء، قرأ الكوفيون ويعقوب وأيوبُ: ﴿يَسْلُكْهُ﴾ بالياء وهي الاختيار، وقرأ مُسْلِمُ بن جُنْدُبٍ[٢]: «نُسْلِكْهُ بضم النون وكسر اللام، وقرأ الآخرون بفتح النون وضَمِّ اللام[٣]، وهما لغتان، يقال: سَلَكَهُ وأَسْلَكَهُ بِمَعْنًى واحدٍ[٤]، ومعناه: يُدْخِلْهُ عَذابًا صَعَدًا شاقًّا، والمعنى: ذا صَعَدٍ

---

(١) ذكر سيبويه أنها لغة قليلة، ينظر: الكتاب ٤/ ١٥٥، وينظر أيضًا: الأصول ٢/ ٣٧٠، إعراب القرآن ١/ ١٩٢، ٥/ ٤٩، الخصائص ٣/ ١٣٢، المحتسب ٢/ ٣٣٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨، البحر المحيط ٨/ ٣٤٥.

(٢) مُسْلِمُ بن جُنْدُبٍ الهُذَلِيُّ، أبو عبد الله القاضي المَدَنِيُّ، تابعي مقرئ محدث ثقة، روى عن الزبير ابن العوام وأبي هريرة وابن عمر وغيرهم، كان قاضيَ أهل المدينة، ويقضي بغير أجر، كان من فصحاء الناس، وهو الذي أَدَّبَ عمرَ بن عبد العزيز، توفِّي سنة (١٠٦هـ). [غاية النهاية ٢/ ٢٩٧، تهذيب الكمال ٢٧/ ٤٩٥-٤٩٦].

(٣) قرأ عاصم وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف والأعمش: «يَسْلُكْهُ» بالياء، وقرأ مسلم ابن جندب وطلحة والأعرج: «نُسْلِكْهُ» بضم النون وكسر اللام، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: «نَسْلُكْهُ» بفتح النون وضم اللام، ينظر: السبعة ص ٦٥٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩، البحر المحيط ٨/ ٣٤٥، الإتحاف ٢/ ٥٦٦.

(٤) قاله أبو عبيدة وأبو عبيد وابن الأعرابِيِّ، ينظر: مجاز القرآن ١/ ٣٤٧، وقول أبي عبيد وابن الأعرابِيِّ في تأويل مشكل القرآن ص ٤٣٢، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٥١، تهذيب اللغة ١٠/ ٦٣، الصحاح ٤/ ١٥٩١.

أي: ذا مَشَقّةٍ، ونصب ﴿عَذَابًا﴾ لأنه مفعول ﴿يَسْلُكْهُ﴾، بمعنى: في عذاب[١].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾؛ أي: الأرضُ لله، والمساجد لله: السُّجُودُ ومَواضِعُهُ من الأرض، والواحد مَسْجِدٌ بكسر الجيم[٢]، وقيل[٣]: المَساجِدُ: الأعضاء واحدها مَسْجَدٌ بفتح الجيم، قال رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أسْجُدَ على سبعة أعْضاءٍ، ولا أكُفَّ شَعَرًا ولا ثَوْبًا»[٤].

وقيل[٥]: إنه يعني المسجد الحرام ومَسْجِدَ الخَيْفِ ومَسْجِدَ بَيْتِ

---

(١) يعني أنه منصوب على نزع الخافض، ذكره الأنباري والمنتجب الهمدانِيُّ، ينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٦٧، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٤٥.

(٢) قاله الحسن وقتادة وابن جبير، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١٤٥، شفاء الصدور ورقة ١٧٣/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٥٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠.
وقال سيبويه: «وأما المَسْجِدُ فإنه اسمٌ للبيت، ولَسْتَ تريد به موضع السجود وموضعَ جبهتك، لو أرَدْتَ ذلك لَقُلْتَ: مَسْجَدٌ». الكتاب ٤/ ٩٠، يعني أنه اسم مكان، وقال ابن قتيبة: «وَأَنَّ المَساجِدَ لله»؛ أي: السُّجُودُ لله، هو جمع مَسْجَدٍ، يقال: سَجَدْتُ سُجُودًا ومَسْجَدًا، كما يقال: ضَرَبْتُ فِي البلادِ ضَرْبًا ومَضْرَبًا، ثم يُجْمَعُ فيقال: المساجد لله، كما يقال: المَضارِبُ في الأرض لطلب الرزق». غريب القرآن ص ٤٩١، وينظر أيضًا: تأويل مشكل القرآن ص ٤٣٢-٤٣٣، وحكى الأزهري عن الليث أن المَسْجَدَ بفتح الجيم في مواضع السجود من الأرض ومن الجسد أيضًا، ينظر: التهذيب ١٠/ ٥٧٠.

(٣) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٩٤، وحكاه عنه ابن السكيت في إصلاح المنطق ص ١٢١، ٢٢٠، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٦، شفاء الصدور ورقة ١٧٣/ أ، الصحاح ٢/ ٤٨٤، الكشف والبيان ١٠/ ٥٤، الوسيط ٤/ ٤٦٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠.

(٤) رواه البخاري عن ابن عباس في صحيحه ١/ ١٩٨، ١٩٩ كتاب الأذان: باب السجود على سبعة أعظم، وباب «لا يَكُفُّ شَعَرًا»، ورواه مسلم في صحيحه ٢/ ٥٢ كتاب الصلاة: باب أعضاء السجود.

(٥) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ١٧٣/ أ، ومَسْجِدُ الخَيْفِ: هو مَسْجِدُ =

المَقْدِسِ، يقول: إنما بُنِيَتْ لِيُعْبَدَ اللهُ تعالى فيها، وقال الحسن[١]: معنى قوله: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ﴾ يعني: الصلاة لله ﴿فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾﴾ يعني: لا تقولوا كما تقول اليهود والنصارى، بل قولوا: لا إله إلا الله وحده لا شريك له.

فصل

عن عَلِيِّ بن أبِي طالب ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «يَأْتِي على الناس زَمانٌ لا يبقى من الإسلام إلا اسْمُهُ، ولا من القرآن إلّا / رَسْمُهُ، يَعْمُرُونَ مَساجِدَهُمْ، وهي خَرابٌ من ذِكْرِ اللهِ، شَرُّ أهْلِ ذلك الزَّمانِ عُلَماؤُهُمْ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الفتنةُ، وَإلَيْهِمْ تَعُودُ»[٢]. [٢٦٠/ أ]

وعن الحسن البصري قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيَأْتِيَنَّ على الناس زمانٌ يكون حَدِيثُهُمْ فِي مَساجِدِهِمْ فِي أُمُورِ دُنْياهُمْ، ليس لله فيهم حاجةٌ، فلا تُجالِسُوهُمْ»[٣]، وعن وَهْبِ بن مُنَبِّهٍ قال: «يُؤْتَى بِالمَساجِدِ يَوْمَ القيامة كَأمْثالِ السُّفُنِ مُكَلَّلَةً بِالدُّرِّ والياقُوتِ، فَتَشْفَعُ لأهْلِها».

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يَحْشُرُ

= مِنًى، سُمِّيَ بذلك لأنه في سَفْحِ جَبَلِها، والخَيْفُ: ما ارتفع عن مَجْرَى السَّيْلِ ومَسِيلِ الماءِ. اللسان: خيف.

(١) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٥٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١.

(٢) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٤/ ٢٢٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٢٨٠، كنز العمال ١١/ ٢٨٠.

(٣) هذا حديث مرسل، رواه ابن أبي شيبة في المصنف ٨/ ٢٦٨، وذكره الهيثمي عن ابن مسعود في موارد الظمآن ص ٩٩، وينظر: كنز العمال ١٠/ ٢٠٥، ١١/ ١٩٢، كشف الخفاء ٢/ ٣٩٥.

اللهُ تعالى مَساجِدَ الدُّنْيا كَأَنَّها نُجُبٌ بِيضٌ[١]، قَوائِمُها مِنَ العَنْبَرِ، وَأَعْناقُها مِنَ الزَّعْفَرانِ، وَرُؤوسُها مِنَ المِسْكِ الأذْفَرِ، وَأزِمَّتُها مِنَ الزَّبَرْجَدِ الأخْضَرِ، والمُؤَذِّنُونَ يَقُودُونَها، والأئِمّةُ يَسُوقُونَها، فَيَعْبُرُونَ مِنْ عَرَصاتِ القِيامَةِ[٢] كالبَرْقِ الخاطِفِ، فَيَقُولُ أَهْلُ القِيامةِ: هَؤُلاءِ المَلائِكةُ المُقَرَّبُونَ والأنْبياءُ المُرْسَلُونَ، هَؤُلاءِ أُمّةُ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ صَلاةَ الجَماعةِ»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ﴾ يعني محمَّدًا ﷺ ﴿يَدْعُوهُ﴾ يقول: لا إله إلا الله ﴿كَادُواْ﴾ يعني الجِنَّ ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ١٩﴾ يعني: يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَيَزْدَحِمُونَ وَيَسْقُطُونَ حِرْصًا منهم على استماع القرآن، وأصل اللِّبَدِ: الجماعاتُ بَعْضُها فوق بَعْضٍ، ومنه قيل لِلْجَرادِ الكثير: لِبَدٌ[٤]، وتَلَبَّدَ الشَّعَرُ: إذا تَراكَبَ، وسُمِّيَ اللِّبَدُ لِبَدًا لِتَراكُمِهِ، ويقال لِلشَّعَرِ الذي على الأسد: لِبْدةٌ، وجمعها لِبَدٌ[٥]، قال زهير:

٤١٠ - لَدَى أَسَدٍ شاكِي السِّلاحِ مُقَذَّفٍ[٦] لَهُ لِبَدٌ أَظْفارُهُ لَمْ تُقَلَّمِ[٧]

(١) النُّجُبُ: جمع نَجِيبٍ ونَجِيبةٍ، وهو وَصْفٌ للإبل بِالكَرَمِ والعِتْقِ، يقال: ناقةٌ نَجِيبٌ ونَجِيبةٌ؛ أي: قوية خفيفة سريعة. اللسان: نجب.

(٢) العَرَصاتُ: جَمْعُ عَرْصةٍ، وهي في الأصل كُلُّ مَوْضِعٍ واسِعٍ لا بِناءَ فيه. اللسان: عرص.

(٣) ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٢٦٨، ٢٨٠، وبعد قوله: «والأنبياء المرسلون» جاء في القرطبي: «فَيُنادَى: ما هَؤُلاءِ بِمَلائِكةٍ وَلا أنْبِياءَ، وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ المَساجِدِ والمُحافِظُونَ عَلَى الصَّلَواتِ».

(٤) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٢.

(٥) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ١٤/ ١٣٠، وينظر: الصحاح ٢/ ٥٣٣.

(٦) في الأصل: «ضيازم» مكان «مقذف»، ولا أعرف لها معنى، ولَمْ تَرِدْ في أيّةِ رواية للبيت.

(٧) البيت من الطويل لزهير بن أبي سلمى. =

وفيه أربع لغات: لِبَدٌ بكسر اللام وفتح الباء، وهي قراءة العامة، واختيار الشيخين أبِي عُبَيْدٍ وأبِي حاتِمٍ، واحدتها لِبْدةٌ بكسر اللام، ولُبَدٌ بضم اللام وفتح الباء، وهي قراءة أبِي حَيْوةَ وهشامٍ، واحدتها لُبْدةٌ[1]، ولُبُدٌ بضم اللام والباء / ، وهي قراءة مجاهد وابن محيصن، واحدتها لُبْدٌ بضم اللام[2]، و«لُبَّدٌ» بتشديد الباء وفتحها، وهي قراء الحَسَنِ والجَحْدَرِيِّ وأبِي جعفر[3]، واحدتها لابِدٌ مثل راكِعٍ ورُكَّعٍ وساجِدٍ وسُجَّدٍ[4].

= اللغة: شاكِي السِّلاَحِ: ذُو الشَّوْكةِ والحَدِّ في سِلاَحِهِ، وَأَصْلُهُ: شائِكٌ مِنَ الشَّوْكِ، ثُمَّ نُقِلَتِ الكافُ، المُقَذَّفُ: المُلَعَّنُ، وَقِيلَ: هُوَ الَّذِي رُمِيَ بِاللَّحْمِ رَمْيًا فَصارَ أَغْلَبَ.

التخريج: شرح ديوان زهير ص ٢٢، الشعر والشعراء ص ٢٠٦، جمهرة اللغة ص ٩٧٤، إعراب القرآن ٥/ ٥٢، تهذيب اللغة ٩/ ٧٦، الصحاح ص ٢٢٠٦، جمهرة أشعار العرب ص ١٦٩، الكشف والبيان ١٠/ ٥٥، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤، اللسان: قذف، مكن، البرهان للزركشي ٣/ ٤٣٤، خزانة الأدب ٣/ ١٦، ٧/ ١٣، تاج العروس: قذف.

(١) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٩٤، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ١٢٩، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، قال أبو حيان: «جَمْعُ لُبْدةٍ كزُبْرةٍ وزُبَرٍ». البحر المحيط ٨/ ٣٤٦.

(٢) قاله السجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٣٨/ أ، ولكن ابن جني يرى أن «لُبُدًا» مفرد، فقد قال: «هذا من الأوصاف التي جاءت على «فُعُلٍ» كرَجُلٍ طُلُقٍ، وناقةٍ سُرُحٍ». المحتسب ٢/ ٣٣٤، وذكر القرطبي أن لُبُدًا جمع لَبِيدٍ، فقال: «وقُرِئَ: «لُبُدًا» بضم اللام والباء، وهو جمع لَبِيدٍ، وهو الجُوالِقُ الصغير». تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤.

(٣) وفيها قراءة خامسة، قرأ ابن محيصن: «لُبْدًا»، ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٦٥٦، مختصر ابن خالويه ص ١٦٣، المحتسب ٢/ ٣٣٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٠٢، ٤٠٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤، البحر المحيط ٨/ ٣٤٦.

(٤) قال الفراء: «ومن قرأ: «لُبَّدًا» فإنه أراد أن يجعلها من صفة الرجال، كقولك: رُكَّعًا ورُكُوعًا، وسُجَّدًا وسُجُودًا». معانِي القرآن ٣/ ١٩٤، وكذلك قال الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ١٢٩، ١٣٠.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ﴾ إنْ عَصَيْتُهُ لَمْ يمنعني منه أحَدٌ ﴿وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ يعني: مَلْجَأً وجِوارًا وحِرْزًا أميل إليه، والمُلْتَحَدُ معناه في اللغة: مَمالٌ، والمعنى: موضعا أَمِيلُ إليه في الالتجاء[١]، ﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾ فإن فيه الجِوارَ والنَّجاءَ والأمانَ، ونصب ﴿بَلَٰغًا﴾ على الاستثناء المنقطع[٢].

قال مقاتل: قال كفار قريش للنبي ﷺ إنك أتَيْتَ بِأمْرٍ عَظِيمٍ لَمْ نسمع بمثله، وقد عادَيْتَ النّاسَ كُلَّهُمْ، فارجع عن هذا الأمر، فنحن نُجِيرُكَ، فأنزل الله تعالى هذه الآيات[٣].

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ يريد: في التوحيد ﴿فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ﴾ جواب الشرط ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ﴾ يعني: من العذاب يوم القيامة ﴿فَسَيَعْلَمُونَ﴾ عند نزول العذاب ﴿مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا﴾ هُمْ أم المؤمنون؟ ﴿وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾﴾ يعني: جُنْدًا، ونصب ﴿خَٰلِدِينَ﴾ على الحال، و ﴿أَبَدًا﴾ على الظرف، و ﴿نَاصِرًا﴾ و﴿عَدَدًا﴾ على التفسير.

فلما سمعوا هذا، يعني: كفار قريش، قال النضر بن الحارث: ما هذا

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٣، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ٩٥، والمَمالُ: مصدر مالَ يَمِيلُ مَيْلًا ومَمالًا ومَمِيلًا. اللسان: ميل.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ١٩٥، وذهب الزجاج إلى أنه استثناء متصل، فقال: «ونصب «بَلاَغًا» على البدل من قوله: «مُلْتَحَدًا»، المعنى: وَلَنْ أجِدَ مِنْ دُونِهِ مَنْجًى إلّا بَلاَغًا». معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧، وينظر أيضًا: الكشاف ٤/ ١٧١، البيان للأنباري ٢/ ٤٦٧، الفريد للهمداني ٤/ ٥٤٦، ٥٤٧، الدر المصون ٦/ ٣٩٧.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٥٦، مجمع البيان ١٠/ ١٥٢، عين المعاني ورقة ١٣٨/ ب، تفسير تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥.

الـذي تُوعِدُنا به يا محمد؟ فأنـزل الله تعالى: ﴿قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ﴾؛ أي: ما أدري ﴿أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ﴾ ابتداء وخبر، يعني: من العذاب، وقيل: القيامة ﴿أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ٢٥﴾ أجـلًا وغايـةً وبُعْدًا، قال عطاء: يريـد أنه لا يعرف متى يوم القيامة إلّا اللهُ وَحْدَهُ.

والمعنـى: أنَّ عِلْمَ وَقْتِ العَـذابِ غَيْبٌ، ولا يعلمه إلا الله، وذلك قوله: ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ يعنـي: غيب كل شـيء، لا يعلم ذلـك غيره ﴿فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦﴾؛ أي: فلا يُطْلِعُ على الغيب الذي يعلمه أحَدًا من الناس.

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ﴾ يعني جبريل عليه السلام، وقيل[1]: يعني الرسـل؛ لأنه يُسْـتَدَلُّ على نُبُوَّتِهِمْ بالآية المُعْجِـزةِ بِأَنْ يُخْبِرُوا بالغيب، والمعنى: إلّا من ارتضاه للنبوة والرسالة، فإنه / يَصْطَفِيهِ وَيُطْلِعُهُ على ما يشاء أنْ يُطْلِعَهُ عليه من غَيْبِهِ. [٢٦١/ أ]

وفي هذه الآية دليل على أن من ادَّعَى أن النجوم تَدُلُّهُ على ما يكون من حادث، فقد كفر بما في القرآن[2].

و﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ رفع على نعـت الرب تعالى، وقيل: معناه: هو عالِمُ الغَيْبِ، و﴿مَنِ﴾ في موضع نصب على الاستثناء[3].

---

(١) قاله الزجاج والنقاش، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧، شفاء الصدور ورقة ١٧٤/ ب، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ٣٦٩.

(٢) قاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٧، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ٣٦٩، زاد المسير ٨/ ٣٨٥.

(٣) يعني أن «مَنْ» مسـتثنًى من قولـه: «أحَدًا»؛ لأنه بمعنى الجماعـة، قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٧.

ثم ذكر أنه يحفظ ذلك الذي يُطْلِعُ عليه الرسولَ، فقال: ﴿فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: يجعل بين يديه وخَلْفَهُ رَصَدًا من الملائكة؛ أي: حَفَظَةً يحفظون الوحي من الشياطين واستماع الجن، لِئَلّا يَسْتَرِقُوهُ فَيُلْقُوهُ إلى كَهَنَتِهِمْ.

وقال مقاتل وغيره[1]: كان الله تعالى إذا بعث رسولاً أتاه إبليسُ في صورة جبريل يخبره، فبعث الله تعالى مِنْ بين يديه ومن خلفه رَصَدًا من الملائكة، يحيطون بالرسول ويحرسونه ويطردون عنه الشياطين، فلما جاء الشيطان في صورة مَلَكٍ قالوا: هذا شَيْطانٌ فاحْذَرْهُ، وإذا جاءه مَلَكٌ قالوا: هذا رَسُولُ رَبِّكَ.

ونصب ﴿رَصَدًا﴾ على المصدر؛ أي: يَرْصُدُونَهُ رَصَدًا[2]؛ ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ قرأ ابن عباس ويعقوب بضم الياء[3]؛ أي: ليعلم الناس أن الرسل ﴿قَدْ أَبْلَغُوا۟ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ وقرأ الآخرون بفتح الياء؛ أي: لِيَعْلَمَ الرَّسُولُ محمدٌ ﷺ أن الرُّسُلَ قبله قد أَبْلَغُوا رسالات ربهم كما بَلَّغَ هُوَ[4]، إذْ كانوا محروسين من الشياطين.

(١) وهو قول ابن زيد والضحاك وقتادة أيضًا، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١٥١، الكشف والبيان ١٠/ ٥٦، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩.

(٢) وقال العكبري: «ورَصَدًا مفعول «يَسْلُكُ» أي: ملائكةً رَصَدًا». التبيان ص ١٢٤٥، وينظر أيضًا: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٤٨.

(٣) قرأ ابن عباس ويعقوب وزيد بن عَلِيٍّ ورُوَيْسٌ وحُمَيْدٌ ومجاهدٌ: «لِيُعْلَمَ» بضم الياء، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٣٠، البحر المحيط ٨/ ٣٤٩، الإتحاف ٢/ ٥٦٧.

(٤) قاله قتادة ومقاتل والفراء وابن قتيبة والطبري والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٩٦، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٢، جامع البيان ٢٩/ ١٥٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨، زاد المسير ٨/ ٣٨٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٠.

وقيل[١]: الضمير فِي قولــه: ﴿لِّيَعْلَمَ﴾ يعود على الله عزّ وجلّ، ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ﴾ يعني: عَلِمَ اللهُ ما عند الرسل فَلَمْ يَخْفَ عليه شَيْءٌ ﴿وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٨﴾ قــال ابن عباس[٢]: أَحْصَى ما خَلَقَ، وعَــرَفَ عَدَدَهُمْ، لَمْ يَفُتْهُ عِلْمُ شَيْءٍ حتى مَثاقِيلَ الذَّرِّ والخَرْدَلِ.

ونصب ﴿عَدَدًا﴾ على الحــال[٣]، وقيل[٤]: على البيــان، وقيل[٥]: على المصدر أي: عَدَّهُ عَدَدًا، وبالله التوفيق.

* * *

---

(١) هذا قَوْلٌ آخَرُ لِلزَّجّاجِ، فقد قال: «ويجوز أن يكون، والله أعلم: لِيَعْلَمَ اللهُ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رِسالَاتِهِ، وما بعده يَدُلُّ على هذا، وهو قوله: «وَأَحاطَ بِما لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا»، فهذا المضمر في «وَأَحْصَى» لله عز وجل، لا لِغَيْرِهِ». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨. وبهذا القول قال مَكِّيٌّ في مشــكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٧، وينظر: الكشاف ٤/ ١٧٣، زاد المسير ٨/ ٣٨٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٠-٣١.

(٢) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٣٧٠.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٣١.

(٤) قالــه مَكِّيٌّ في مشــكل إعراب القــرآن ٢/ ٤١٧، وينظر: الفريد للهمدانــي ٤/ ٥٤٩، الدر المصون ٦/ ٤٠٠.

(٥) وعلــى هذا فهو مصدر من معنى الفعل «أَحْصَى»، وهو قول الزَّجّاجِ، فقد قال: «ويجوز أن يكون «عَدَدًا» فِي موضع المصدر المحمول على معنى «وَأَحْصَى»؛ لأن معنى أَحْصَى وعَدَّ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٨.

واعتــرض عليه مَكِّيٌّ، فقال: «ولو كان مصدرا لقلتَ: عَدًّا، مُدْغَمٌ». مشــكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٧، وذكر محقق المشــكل أن في إحدى النســخ: «لقلتَ عَدًّا مُدْغَمًا»، وينظر أيضًا: البيان للأنباري ٢/ ٤٦٨، التبيان للعكبري ص ١٢٤٥.

سورة المُزّمِّل

مكيـة إلّا قولـهُ تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ﴾ إلَـى آخر السـورة فَمَدَنِيٌّ، وهي ثمانمائـة وثلاثون حرفًا، ومائتـانِ وخَمْسٌ وثمانون كلمةً، وعشـرون آيةً فِي الكوفِيِّ.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُـورةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ دَفَعَ اللهُ عَنْهُ العُسْرَ فِي الدُّنْيا والآخِرةِ»[١]، وَرُوِيَ أنَّ مَنْ قَرَأها هَوَّنَ اللهُ عليه شِدّةَ الدُّنْيا والآخِرةِ[٢].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُـورةَ المُزَّمِّلِ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كانَتْ مِثْلَ عَدَدِ القَطْرِ/ والحَصَى»[٣].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ①﴾ أي: المُتَلَفِّفُ بِثَوْبِهِ، وقيل: المُتَحَمِّلُ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٥٨، الوسيط ٤/ ٣٧١، الكشاف ٤/ ١٧٩، مجمع البيان ١٠/ ١٥٧.
(٢) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب.
(٣) لَمْ أعثر له على تخريج.

أعْباءَ النُّبُوّةِ، قرأه العامة: ﴿ٱلْمُزَّمِّلُ﴾ بتشديد الزاي وكسر الميم، يريد: المُتَزَمِّلُ بِثِيابِهِ مِنَ الرِّعْدةِ والفَزَعِ حين رَأى المَلَكَ، يعني جبريل ـ عليه السلام ـ، وقرأ عكرمة[1] بتخفيف الزاي وفتح الميم؛ أي: المُحَمَّلُ هذا الأمرَ، ومنه الزّامِلةُ، وأصله المُتَزَمِّلُ، فأدغمت التاء فِي الزاي[2]، ومنه: ﴿المُدَّثِّرُ﴾، يقال: تَزَمَّلَ وتَدَثَّرَ بِثَوْبِهِ: إذا تَغَطَّى به، وزَمَّلَ غَيْرَهُ: إذا غَطّاهُ، قال امرؤُ القيس:

كَأَنَّ ثَبِيرًا فِي عَرانِينِ وَبْلِهِ ... كَبِيرُ أُناسٍ فِي بِجادٍ مُزَمَّلِ[3]

وقال السُّدِّيُّ[4]: معناه: يا أيها النّائِمُ قُمْ فَصَلِّ، وكان النبيُّ ﷺ قد تَزَمَّلَ للنوم، وإنما خُوطِبَ بِهَذِهِ الآيةِ في أَوَّلِ ما بُدِئَ بالوحي، ولَمْ يَكُنْ قد بُلِّغَ شيئًا قبل ذلك، ثم خُوطِبَ بعد ذلك بالنبي والرسول.

وقوله: ﴿قُمِ ٱلَّيْلَ﴾ قرأه العامة بكسر الميم، وقرأ أبو السَّمّالِ العَدَوِيُّ بضم الميم[5] ﴿إِلَّا قَلِيلًا ۝٢﴾ نصب على الاستثناء، وكان قيام الليل فريضةً على رسول الله ﷺ، وتقدير الآية: قُمِ الليل نِصْفَهُ إلا قليلًا، أي: قُمْ نِصْفَ

---

(١) قرأ عكرمة: «المُزَمَّلُ» بتخفيف الزاي وفتح الميم، وقرأ أيضًا: «المُزَمِّلُ» بتخفيف الزاي وكسر الميم، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٤، المحتسب ٢/ ٣٣٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢، البحر المحيط ٨/ ٣٥٣.

(٢) قاله أبو عبيدة والأخفش وغيرهما، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، معانِي القرآن للأخفش ص ٥١٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٢٧، والزّامِلةُ: البَعِيرُ الذي يُحْمَلُ عليه الطَّعامُ والمَتاعُ، اللسان: زمل.

(٣) تقدم عجزه بدون نسبة برقم ٣٢٧، ٣/ ٢٩٨.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٥٩، الوسيط ٤/ ٣٧١.

(٥) قرأ أبو السمال: «قُمُ اللَّيْلَ» بضم الميم، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣، البحر المحيط ٨/ ٣٥٣.

الليل، يعني: صَلِّ من الليل النِّصْفَ إلّا قَلِيلًا، ولهذا بيَّنَهُ فقال: ﴿نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾﴾ يريد: إلَى الثُّلُثِ، ونصب ﴿نِّصْفَهُۥٓ﴾ على البدل من ﴿ٱلَّيْلَ﴾[1]، وهو نصب على الظرف، وقيل: على إضمار: قُمْ نِصْفَهُ، وهما ظرفا زمانٍ.

﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ﴾ يريد: على النصف إلَى الثُّلُثَيْنِ ﴿وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾﴾؛ أي: بَيِّنْهُ بَيانًا، والتَّرْتِيلُ في القراءة: التَّبْيِينُ لَها، كأنه يَفْصِلُ بَيْنَ الحَرْفِ والحَرْفِ، ومنه قيل: ثَغْرٌ رَتَلٌ وَرَتِلٌ: إذا كان مُفَلَّجًا لا يَرْكَبُ بَعْضُهُ بَعْضًا[2]، وهو مصدر جاء على خلاف اللفظ لتأكيد المعنى، قال الشاعر:

٤١١ ـ ذِئابٌ تَحْفِرُ التُّرْبَ احْتِفارا[3]

قوله: ﴿إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾ قال قتادة[4]: ثَقِيلٌ ـ واللهِ ـ فَرائِضُهُ وحُدُودُهُ، وقيل[5]: ثَقِيلٌ بالوعد والوعيد والحلال والحرام.

---

(١) وهو بَدَلُ بَعْضٍ من كُلٍّ، قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٣٩، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٨، الكشاف ٤/ ١٧٥، التبيان للعكبري ص ١٢٤٦، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٥٢.

(٢) من أول قوله: «والترتيل في القراءة» قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ٢٦٢، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٥.

(٣) هذا عجز بيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله، وصدره:

وَلَاحَ بِجانِبِ الجَبَلَيْنِ مِنْهُ

ويُرْوَى:

رُكامٌ يَحْفِرُ الأرْضَ احتفارا

اللغة: تَحْفِرُ الأرضَ: يعني أنها من شِدّة دَوْسِها تَحْفِرُ الأَرْضَ.

التخريج: ارتشاف الضرب ص ١٣٥٤، البحر المحيط ٢/ ٤٤٢.

(٤) ينظر قوله فِي جامع البيان ٢٩/ ١٥٨، الكشف والبيان ١٠/ ٦٠، الوسيط ٤/ ٣٧٢، زاد المسير ٨/ ٣٩٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٨.

(٥) قاله أبو العالية، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٠، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، القرطبي ١٩/ ٣٨.

[٢٦٢/ أ] وقيل(١): قَوْلًا ثَقِيلًا لا يَحْمِلُهُ إلّا قَلْبٌ مُؤَيَّدٌ بالتوفيق/ ونَفْسٌ مُزَيَّنَةٌ بالتوحيد، وقيل(٢): معناه: قَوْلًا خَفِيفًا على اللسان ثَقِيلًا فِي الميزان.

فصل

عن عائشة ـ رضي الله عنه ـ قالت: سأل الحارثُ بن هشام(٣) رَسُولَ اللهِ ﷺ فقال: يا رسول الله! كيف يأتيك الوَحْيُ؟ فقال: «أَحْيانًا يَأْتِينِي مِثْلَ صَلْصَلةِ الجَرَسِ، وهو أَشَدُّ عَلَيَّ، فَيَنْفَصِمُ عَنِّي وَقَدْ وَعَيْتُ ما قالَ، وأَحْيانًا يَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ فِي صُورةِ رَجُلٍ فَأَعِي ما يقول»، قالت عائشةُ: «وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَنْزِلُ عليه فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ البَرْدِ فَيَنْفَصِمُ عنه وَإِنَّ جَبِينَهُ لَيَرْفَضُّ عَرَقًا»(٤).

قوله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ﴾ يعني ساعاته كلها، فَكُلُّ ساعة منه ناشِئةٌ،

(١) قاله أبو بكر بن طاهر والحسين بن الفضل، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٠، عين المعاني ورقة ١٣٨/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٨.

(٢) قاله ابن زيد والحسين بن الفضل، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٠، زاد المسير ٨/ ٣٩٠، عين المعاني ورقة ١٣٨/ ب.

(٣) الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي، أبو عبد الرحمن القرشي، صحابِيٌّ كان شريفًا في قومه في الجاهلية والإسلام، شهد بَدْرًا مع المشركين، وأسلم يوم الفتح، ثم خرج بأهله وماله إلى الشام في عهد عُمَرَ، فلم يزل مجاهدًا بالشام حتى مات في طاعون عَمْواسَ سنة (١٨هـ). [أسد الغابة ١/ ٣٥١، الإصابة ١/ ٦٩٧-٦٩٩].

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ١٥٨، ٢٥٧، والبخاري في صحيحه ١/ ٢ باب «كيف كان بدء الوحي»، ٤/ ٨٠ كتاب بدء الخلق: باب ذِكْرِ الملائكة، ورواه مسلم في صحيحه ٧/ ٨٢ كتاب الفضائل: باب عَرَقِ النَّبِيِّ ﷺ في البَرْدِ وحِينَ يأتيه الوَحْيُ. ومعنى ارْفَضَّ العَرَقُ والدَّمْعُ: سالَ وتَتابَعَ سَيَلانُهُ. اللسان: رفض.

سُـمِّيَتْ بذلك؛ لأنها تَنْشَأُ، ومنه: نَشَأَتِ السَّـحابةُ: إذا زادَتْ، وأَنْشَأها اللهُ[١]، وجمعها ناشِـئاتٌ، وقيل[٢]: ناشـئة الليل هي القيام بعد النـوم، وقيل[٣]: هي القيام مِنْ آخِرِ الليل، وقال المفسرون[٤]: اللَّيْلُ كُلُّهُ ناشِئةٌ.

وقولـه: ﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا﴾؛ أي: أَثْبَـتُ قِيامًـا، قـرأ أبو عمـرو وابن عامر وابن محيصن: «وِطاءً»[٥] بكسـر الواو ممدودًا علـى «فِعالٍ» بمعنى المُواطَأةِ والمُوافَقةِ، وهو أن يُوَطِّئَ المُصَلِّي قَلْبَهُ وسَمْعَهُ وبَصَرَهُ ولِسانَهُ[٦]، وقرأ الباقون بفتح الواو مقصورًا؛ أي: فَراغًا لِلْقَلْبِ.

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤٩٣، وقوله: «ومنه: نشـأت السحابة: إذا زادت»، لعل الصـواب: إذا ابْتَـدَأَتْ كما ذكر ابن قتيبة، وقال الجوهري: «وَنَشَـأَتِ السَّـحابةُ: ارْتَفَعَتْ، وأَنْشَأَها اللهُ». الصحاح ١/ ٧٨.

(٢) هذا قول عائشـة وابن عباس ومجاهد، ينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ٦١، الوسيط ٤/ ٣٧٣، الكشاف ٤/ ١٧٦، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٠، البحر المحيط ٨/ ٣٥٤. وقال ابنُ الأعرابِيِّ: «إذا نِمْتَ من أَوَّلِ اللَّيْلِ ثُمَّ قُمْتَ، فتلك الناشئة، ومنه: ناشِئةُ الليل»، ينظر قوله في أمالِيِّ القالِي ٢/ ٢٢٢، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٧٣، زاد المسير ٨/ ٣٩١.

(٣) هذا قول يَمانٍ وابن كيسـان، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦١، زاد المسير ٨/ ٣٩٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٠.

(٤) قالـه ابـن عباس وابن الزبير وابـن جبير وابن زيد، ينظر: جامع البيـان ٢٩/ ١٥٩، تهذيب اللغـة ١١/ ٤١٩، الكشـاف ٤/ ١٧٦، المحرر الوجيز ٥/ ٣٨٧، ٣٨٨، تفسـير القرطبي ١٩/ ٤٠.

(٥) وهي، أيضًا، قراءة اليَزِيدِيِّ والحَسَـنِ وأبِـي العالية ومجاهد وحُمَيْدٍ ويُونُسَ والمُغِيرةِ وابن أَبِي إسحاق وأَبِي حَيْوَةَ، ينظر: السبعة ص ٦٥٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٠، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥، الإتحاف ٢/ ٥٦٨-٥٦٩.

(٦) قاله ابن قتيبة والأزهري، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٣٦٥، ٣٦٦، تهذيب اللغة ١٤/ ٥١، معانِي القراءات ٣/ ٩٩.

والمعنى: أن صلاة الليل أَشَدُّ على المُصَلِّي من صلاة النهار؛ لأن الليل للنوم، وذلك أن الإنسان إذا نامَ لَمْ يَدْرِ مَتى يَسْتَيْقِظُ[١]، ومنه قوله ﷺ: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ»[٢].

فمن كَسَرَ الواوَ ومَدَّ نَصَبَهُ على المصدر، يقال: واطَأْتُ فُلانًا على كذا مُواطَأَةً وَوِطاءً: إذا وافَقْتَهُ عليه، ومنه قوله تعالى: ﴿لِّيُوَاطِـُٔواْ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[٣]، ومَنْ فَتَحَ الواوَ وقَصَرَ نَصَبَهُ على البيان[٤].

قوله: ﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾ يعني: قَوْلًا؛ أي: وَأَشَدُّ استقامةً، وأَصْوَبُ قِراءةً وعِبادةً، وأَتَمُّ إخلاصًا وبَرَكةً، وهو منصوب على التفسير.

قوله: ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ قرأه العامة بالحاء المهملة غير المعجمة، يعني: فَراغًا وَسَعةً لِنَوْمِكَ وَتَصَرُّفِكَ في حَوائِجِكَ، وأصل/ السَّبْحِ: سُرْعةُ الذَّهابِ، ومنه السباحة في الماء لِتَقَلُّبِ السّابِحِ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، وفَرَسٌ سابِحٌ: إذا كان شَدِيدَ الجَرْيِ[٥]، قال الشاعر: [٢٦٢/ ب]

---

(١) هذا القول حكاه الفراء عن بعضهم في المعانِي ٣/ ١٩٧، وينظر: الحجة للفارسي ٤/ ٧١.

(٢) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد بسنده عن أبِي هريرة في المسند ٢/ ٢٧١، ٤١٨، ٤٧٠، ٥٠٢، ٥٢١، والبخاري في صحيحه ١/ ١٩٥ كتاب الأذان: باب «يهوي بالتكبير حين يسجد».

(٣) التوبة ٣٧.

(٤) المؤلف في قوله هذا مُتابِعٌ لِمَكِّيِّ بن أبِي طالب، فقد قال مكيٌّ: «مَنْ فَتَحَ الواوَ نَصَبَهُ على البيان، ومَنْ كَسَرَها وَمَدَّ نَصَبَهُ على المصدر». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤١٨، وهذا وهم من كليهما، فإنه منصوب على التمييز على القراءتين، وينظر: الدر المصون ٦/ ٤٠٤.

(٥) قاله الأزهري في التهذيب ٤/ ٣٣٨، وينظر: الصحاح ١/ ٣٧٢، الكشف والبيان ١٠/ ٦٢، الوسيط ٤/ ٣٧٤.

٤١٢ ـ أباحُوا لَكُمْ شَرْقَ البِلَادِ وَغَرْبَها فَفِيها لَكُمْ يا صاحِ سَبْحٌ مِنَ السَّبْحِ[١]

وقال آخر:

٤١٣ ـ أعَزُّ مَكانٍ فِي الدُّنا سَرْجُ سابِحٍ وَخَيْـرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمـانِ كِتابُ[٢]

وقـرأ يحيى بن يَعْمُـرَ وعكرمـةُ: «سَـبْخًا»[٣] بالخاء المعجمـة، أراد: خِفّةً وسَـعةً واسـتراحةً للأبدان بالنوم، والتَّسْـبِيخُ: توسـيع القطن والصوف وَتَنْفِيشُـهُما، يُقالُ للمرأة: سَبِّخِي قُطْنَكِ أي: وَسِّـعِيهِ وَنَفِّشِيهِ[٤]، ويقال لِقِطَعِ القُطْنِ: سَبائِخُ[٥]، قال الأخطل يَصِفُ القُنّاصَ والكِلَابَ:

٤١٤ ـ فَأَرْسَلُوهُنَّ يُذْرِينَ التُّرابَ كَما يُذْرِي سَـبائِخَ قُطْنٍ نَـدْفُ أَوْتارِ[٦]

---

(١) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٦٢، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥، روح المعاني ٢٩/ ١٠٥.

(٢) البيت من الطويل، للمتنبي، وروايته في ديوانه: «**فِي الأنام كِتابُ**».
اللغة: الدُّنا: جمع دُنْيا، السّابِحُ: الشَّدِيدُ الجَرِيءُ، فَكَأنَّهُ يَسْبَحُ فِي جَرْيِهِ.
التخريـج: ديوانه ١/ ١٩٣، العمدة ١/ ٢٤٠، المناقـب والمثالب ص ٢٤٠، زهر الآداب ١/ ١٨٤، التاج: دنا.

(٣) وهـي أيضًا قراءة ابن أَبِي عَبْلَةَ والضحاك وأَبِـي وائل، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٠٥، ٤٠٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٢، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥.

(٤) قالـه الفراء والطبري، ينظر: معانِي القرآن ٣/ ١٩٧، جامع البيان ٢٩/ ١٦٤، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٧/ ١٨٩، الكشف والبيان ١٠/ ٦٢، اللسان: سبخ، التاج: سبخ.

(٥) قال الخليل: «والسَّـبائِخُ: قِطَعُ القُطْنِ إذا نُـدِفَ». العين ٤/ ٢٠٤، وينظر: غريب الحديث للهروي ١/ ٣٤، تهذيب اللغة ٧/ ١٨٨.

(٦) البيت من البسيط، للأخطل، ويُرْوَى: «**يُذْرِينَ العَجاجَ كما... يَنْفِي**».
اللغة: يُذْرِينَ التُّرابَ: يُطَيِّرْنَهُ وَيَرْمِينَ بِهِ، النَّدْفُ: ضَرْبُ القُطْنِ بِالمِنْدَفِ وهو الخشبة التي تكون بِيَدِ النَّدّافِ يَطرق بهـا الوتر لِيَـرِقَّ القطنُ. =

وقال ثَعْلَبٌ[١]: السَّبْحُ: التَّرَدُّدُ والاضْطِرابُ، والسَّبْخُ: السُّكُونُ والسُّكُوتُ.

ومنه قول النبي ﷺ: «الحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَسَبِّخُوها بالماءِ»[٢]؛ أي: سَكِّنُوها، والتَّسْبِيخُ أيضًا: التخفيف، يقال: اللَّهُمَّ سَبِّخْ عنه الحُمَّى؛ أي: خَفِّفْها عنه، وسَمِعَ رسولُ الله ﷺ عائشةَ ـ رضي الله عنها ـ تَدْعُو على سارق، فقال: «لا تُسَبِّخِي عَنْهُ بِدُعائِكِ عَلَيْهِ»[٣]؛ أي: لا تُخَفِّفِي عنه من وِزْرِهِ بدعائك عليه، وقال الخليل ـ رحمه الله ـ[٤]: التَّسْبِيخُ: النَّوْمُ.

= التخريج: ديوانه ص ١٤٠، العين ٤/ ٢٠٤، غريب الحديث للهروي ١/ ٣٤، جامع البيان ٢٩/ ١٦٤، جمهرة اللغة ص ٢٨٩، ٦٧٣، تهذيب اللغة ٧/ ١٨٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٠٦، مقاييس اللغة ٣/ ١٢٦، الكشف والبيان ١٠/ ٦٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٣، اللسان: سبخ، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥، الدر المصون ٦/ ٤٠٥، التاج: سبخ، ندف.

(١) مجالس ثعلب ص ٤٠٣، وقد ضبطه الأستاذ عبد السلام هارون في الموضعين بالحاء المهملة، ونَصُّ كَلَامِ ثعلب: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَبْحًا طَوِيلًا﴾: يعني اضْطِرابًا، السَّبْحُ: السُّكُونُ، والسَّبْحُ: الاضطراب»، وينظر قوله بنصه الذي ورد هنا في شفاء الصدور ورقة ١٧٦/ أ، وينظر أيضًا: ياقوتة الصراط ص ٥٣٧، ٥٣٨.

(٢) الحديث وَرَدَ بِهَذا اللفظ في شفاء الصدور ورقة ١٧٦/ أ، مجمع البيان ١٠/ ١٦٠، عين المعاني ١٣٨/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٣، وورد في كُتُبِ الحديث بلفظ «فَأَبْرِدُوها بِالماءِ»، وبلفظ «فَأَطْفِئُوها بِالماءِ»، رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢١، ٨٥، ١٣٤، ٦/ ٥٠، ٩١، والطبراني في المعجم الأوسط ٢/ ٢٤٥، ٣/ ٦٢، ٤/ ٢٠٦، المعجم الكبير ٤/ ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٤/ ١٢٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٤٥، ٢١٥، وأبو داود في سننه ١/ ٣٣٥ كتاب الصلاة: باب الدعاء، ٢/ ٤٥٨ كتاب الأدب: باب فيمن دعا على من ظَلَمَ.

(٤) لَمْ يذكر الخليل أن من معانِي التسبيخ النَّوْمَ، فقد قال: «والتَّسْبِيخُ: نحو السَّلِّ والتَّخْفِيفِ، وقوله ﷺ لعائشة: «لا تُسَبِّخِي عليه بدعائك»؛ أي: لا تُخَفِّفِي». العين ٤/ ٢٠٤، ولكن =

قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ﴾ بالتوحيد والتعظيم ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝٨﴾ أي: أَخْلِصْ لله في الدعاء، وانْقَطِعْ إليه في العبادة انقطاعًا، وهو رفض الدنيا وما فيها، والتِماسُ ما عند الله تعالى.

وأصل البَتْلِ في اللغة: القَطْعُ وتَمْيِيزُ الشيء من الشيء، يقال: بَتَلْتُ الشَّيْءَ؛ أي: قَطَعْتُهُ، وصَدَقَـةٌ مَبْتُولةٌ أي: مقطوعة عن صاحبها وخارجةٌ إلى الله تعالى، لا قـدرة له عليها[1]، وقد نَهَى رسـولُ الله ﷺ عن التَّبَتُّـلِ[2]، وهو الانقطاع عن النكاح، ومنه قيل لِمَرْيَمَ العَذْراءِ: البَتُولُ لانقطاعها عن الأزواج، وسُمِّيَتْ فاطمةُ ـ رضـي الله عنها: البَتُولَ؛ أي: المُنْقَطِعةَ إلى الله تعالى بعبادتها، وقال ثعلبٌ[3]: سُمِّيَتْ بذلك لانقطاعها عن نساء زمانها دِينًا وحَسَبًا وفضلًا، قال امرؤ القيس:

٤١٥ ـ تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالعَشاءِ كَأَنَّها ... مَنـارةُ مُمْسَـى راهِـبٍ مُـتَـبَـتِّـلِ[4]

= الجوهري هو الذي قال ذلك، فقد قال: «والتسبيخ أيضًا: النوم الشديد، أبو عمرو: السَّبْخُ: النَّـوْمُ والفَـراغُ، وقرأ بعضهم: ﴿إِنَّ لَكَ فِي النَّهارِ سَـبْخًا طَوِيـلًا﴾؛ أي: فَراغًا». الصحاح ١/ ٤٢٣، وينظر: اللسان: سبخ.

(١) ينظـر في معانِي هذه المادة: غريب الحديث للهـروي ٤/ ١٩، غريب الحديث لابن قتيبة ص ٤٩٤، معانِـي القـرآن وإعرابـه ٥/ ٢٤١، تهذيب اللغة ١٤/ ٢٩١-٢٩٢، الكشـف والبيان ١٠/ ٦٣، الوسيط ٤/ ٣٧٤، اللسان: بتل.

(٢) رواه الإمام أحمد عن سَمُرةَ بن جُنْدُبٍ والسيدة عائشةَ في المسند ٥/ ١٧، ٦/ ٩٧، ١٢٥، ١٥٧، ٢٥٣، والدارمي في سـننه ٢/ ١٣٣ كتاب النكاح: باب النهي عن التبتل، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٨/ ٢٣٤، والمعجم الكبير ٧/ ٢١٤.

(٣) قـال ثعلب: «وَتَبَتَّـلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا» التَّبَتُّلُ: الانقطاع، أي انْقَطِعْ إليـه انْقِطاعًا، ومنه يقال: مَرْيَمُ البَتُـولُ أي: انقطعـت عن الناس». مجالس ثعلب ص ٥٤٥، وينظـر قوله أيضًا في تهذيب اللغة ١٤/ ٢٩٢، اللسان: بتل.

(٤) البيت من الطويل، لامرئ القيس يصف امرأة. =

[٢٦٣/ أ] / وتَبْتِيلٌ «تَفْعِيلٌ» منه، يقال: بَتَّلَهُ فَتَبَتَّلَ، ومعنى «تَبَتَّلْ إِلَيْهِ»؛ أي: بَتِّلْ إِلَيْهِ نَفْسَكَ، فلذلك جاء ﴿تَبۡتِيلٗا﴾، وهو مصدر جاء على غير الصدر زِيادَةَ تَوْكِيدٍ(١).

قوله تعالى: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ﴾ قال وهب بن مُنَبِّهٍ: رَبُّ المشرق حين تشرق الشمس، ورب المغرب حين تغرب الشمس، قال ابن عباس: تطلع الشمس عند مدينة يقال لها: جابَلْقُ(٢)، لها ألف باب، على كل باب منها ألف حَرَسِيٍّ(٣)، وهم الذين ذكرهم اللهُ في كتابه فقال: ﴿تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم

= **اللغة**: المَنارةُ: الشمعة ذات السراج، مُمْسَى الرّاهِبِ: صَوْمَعَتُهُ.
التخريج: ديوانه ص ١٧، جمهرة اللغة ص ١٠٧٤، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٥٣، ٣٤٦، الصحاح ٢٤٩٢، الصاحبي ص ٤٣٢، جمهرة أشعار العرب ص ١٣٠، الكشف والبيان ١٠/ ٦٣، المختار من شعر بشار ص ١٤٢، مجمع البيان ١٠/ ١٦٠، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٤، اللسان: مسا، البحر المحيط ٨/ ٣٥٢، الدر المصون ٦/ ٤٠٦، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٤٦٧، التاج: مسا، فتح القدير ٥/ ٣١٧.

(١) قال سيبويه: «هذا باب ما جاء المصدر فيه على غير الفعل لأن المعنى واحد، وذلك قولك: اجْتَوَرُوا تَجاوُرًا، وَتَجاوَرُوا اجْتِوارًا؛ لأن معنى اجْتَوَرُوا وتَجاوَرُوا واحدٌ، ومثل ذلك: انْكَسَرَ كَسْرًا، وكُسِرَ انْكِسارًا؛ لأن معنى كُسِرَ وانْكَسَرَ واحدٌ، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا﴾؛ لأنه إذا قال: أَنْبَتَهُ فكأنه قال: قد نَبَتَ، وقال الله عز وجل: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾؛ لأنه إذا قال: تَبَتَّلْ فكأنه قال: بَتِّلْ». الكتاب ٤/ ٨١، وينظر: أدب الكاتب ص ٥١٠، ٥١١، المقتضب ١/ ٧٤، ٣/ ٢٠٤، الأصول لابن السراج ٣/ ١٣٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤١، إعراب القرآن ٥/ ٥٧، الخصائص ٢/ ٣٠٩، الكشاف ٤/ ١٧٧، شرح المفصل ١/ ١١١، عين المعانِي ١٣٨/ ب.

(٢) في الأصل: «جابلقا».

(٣) الحَرَسِيُّ: واحد الحَرَسُ، وهم حَرَسُ السلطان وخَدَمُهُ المرتبون لِحِفْظِهِ وحِراسَتِه، وإنما كان الواحد حَرَسِيًّا، لأنه قد صار اسمَ جِنْسٍ فَنُسِبَ إليه، ينظر: الصحاح ٣/ ٩١٦، النهاية لابن الأثير ١/ ٣٥٣، اللسان: حرس.

﴿مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾[1]، وتغرب الشمس عند مدينة يقال لها: جابَرْسُ[2]، لها ألف باب، على كل باب منها ألف حَرَسِيٍّ، فيتضاعفون فرقًا منهم، فلولا صِياحُهُمْ لسمعتم وَجِيبَها إذ هي سقطت.

قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو وحَفْصٌ: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ﴾ بالرفع على الابتداء[3]، وخبره: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ يعني: كفيلًا بما وَعَدَكَ أنه سيفعله لك، وقيل[4]: هو رفع على إضمار «هُوَ»، وقرأ الباقون بالخفض[5] على نعت الرب، وقيل: على البدل من قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾.

قوله: ﴿وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ لك يا محمد من التكذيب والأذى

---

(١) الكهف ٩٠.

(٢) في الأصل: «جابرسا». وأما جابَلْقُ وجابَرْسُ، أو جابَلْصُ، فهما مدينتان، قال الخليل: «جابَلْقُ وجابَلْصُ: مدينتان، إحداهما بالمَشْرِق، والأخرى بالمغرب، ليس خلفها أنيس». العين ٥/ ٢٤٣.
وقال الأزهري: «جابَلْقُ وجابَلْصُ مدينتان إحداهما بالمشرِق والأُخرى بالمغرب، ليس وراءهما إنْسِيٌّ؛ ورُوِيَ عن الحَسَنِ بنِ عَلِيٍّ، رحمه الله، حديثٌ ذَكَرَ فيه هاتين المدينتين، ويقال: جابَلَقُ وجابَرَصُ، قَيَّدَهُما أبو هاشم كذلك». التهذيب ٩/ ٣٨٤، وينظر أيضًا: معجم البلدان ٢/ ٩١، معجم ما استعجم ١/ ٣٥٤، القاموس المحيط ص ٧٩٢ جابلص، ١١٢٥ جابلق، اللسان: جبلق، التاج: جبلق، جبلص.

(٣) قاله الأخفش والنحاس والفارسي، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٥١٣، إعراب القرآن ٥/ ٥٧، الحجة للفارسي ٤/ ٧٢.

(٤) قاله الأزهري والفارسي، ينظر: معاني القراءات ٣/ ١٠٠، الحجة للفارسي ٤/ ٧٢.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو، وحَفْصٌ عن عاصم، وابنُ محيصن ومجاهدٌ وابنُ أبي إسحاقَ: ﴿رَبُّ المَشْرِقِ﴾ بالرفع، وقرأ أبو بكر عن عاصم، وابنُ عامر وحمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ وخلف والأعمش وابن محيصن بالخفض، ينظر: السبعة ص ٦٥٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٥، البحر المحيط ٨/ ٣٥٥، الإتحاف ٢/ ٥٦٩.

﴿وَٱهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ۝١٠﴾ لا جَزَعَ فيه، وهذه الآية نَسَخَتْها آيةُ القتال[(١)].

قوله: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: خَلِّ بَيْنِي وبينهم، فإن قيل: ما معنى قوله: ﴿وَذَرْنِي وَٱلْمُكَذِّبِينَ﴾، واللهُ تعالى يفعل ما يشاء لا يَحُولُ بينه وبين ما أراده شَيْءٌ ولا حائِلٌ دونه؟ قيل: إن العرب إذا أرادت أن تأمر الإنسـان بإزالة هَمِّهِ تقول: ذَرْنِي فَإِنِّي أَكْفِيكَهُ، وكذلك قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[(٢)]، يعني الوليد بن المغيرة بن عبد الله المخزومي، ونصب «المُكَذِّبِينَ» عطفًا على النون والياء أو مفعول معه[(٣)].

وقوله: ﴿أُوْلِي ٱلنَّعْمَةِ﴾ يعني: ذَوِي الغِنَى وكثرة المال، وإنما كُتِبَتْ ﴿أُوْلِي﴾ بزيادة واو بعد الألف فَرْقًا بينه وبين «إلى»[(٤)]، ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ۝١١﴾ تهديد ووعيد، نزلت هذه الآية في صناديد قريش المكذبين المسـتهزئين، قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: «لَمّا نَزَلَتْ هذه الآيةُ لَمْ يَكُنْ إلا يَسِيرًا حتى كانت وَقْعةُ بَدْرٍ»[(٥)].

---

(١) قاله قتادة، ينظر: الناسخ والمنسوخ ص ٦٢، نواسخ القرآن ص ٢٤٨، زاد المسير ٨/ ٣٩٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٥.

(٢) المدثر ١١. وهذا قول الزجاج فِي معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤١، وينظر: شـفاء الصدور ورقة ١٧٦/ ب، ١٧٧/ أ.

(٣) هذا الوجه والذي قبله قالهما النحاس ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٥٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٠.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٥٨، وقال ابن الحاجب: «وَزادُوا في ﴿أُولِي﴾ واوًا فَرْقًا بينـه وبين «إلى»، وأجري ﴿أُولُو﴾ عليه». شـرح الكافية للرضي ٣/ ٣٢٧، وينظر: شـرح الشافية للجاربردي ٢/ ٢٧٤.

(٥) رواه الحاكم في المسـتدرك ٤/ ٥٩٥ كتاب الأهوال: باب «ضِرْسُ الكافر يوم القيامة مثل أُحُدٍ»، وينظر: مسـند أَبِي يعلى ٨/ ٥٦، الوسيط ٤/ ٣٧٥، مجمع الزوائد ٧/ ١٣٠ كتاب التفسير: سورة المزمل.

والنَّعْمةُ ـ بفتح النون ـ: سَعةُ العَيْشِ والرّاحةُ والتَّنَعُّمُ والثروة، والنُّعْمةُ بضم النون: المَسَرّةُ، والنِّعْمةُ / بكسر النون: المِنّةُ، يقال: نَعْمَ وَنَعْمةَ وَنُعْمةَ عَيْنٍ ونُعْمَى عَيْنٍ[١]، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ على النعت لمصدر محذوف أو لظرف محذوف تقديره: إمْهالًا قَلِيلًا أو وَقْتًا قَلِيلًا[٢]. [٢٦٣/ ب]

قوله: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ﴾ أي: عندنا ﴿أَنكَالًا﴾ يعني: قُيُودًا عِظامًا في أرْجُلِ أهْلِ النار، لا تُفَكُّ أبَدًا، وقيل[٣]: الأنْكالُ: الأغلال، واحدها: نِكْلٌ، ﴿وَجَحِيمًا ١٢﴾ يعني: عظيمًا من النار ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾ غير سائِغ يأخذ بالحلق، لا هو نازِلٌ، ولا هو خارِجٌ، وهو الغِسْلِينُ والزَّقُّومُ والضَّرِيعُ، ﴿وَعَذَابًا أَلِيمًا ١٣﴾ وَجِيعًا.

---

(١) ويقال أيضًا: وَنَعْمَ عَيْنٍ، وَنَعْمةَ عَيْنٍ، وَنُعْمةَ عَيْنٍ، وَنُعْمَى عَيْنٍ، وَنُعْمَ عَيْنٍ، وَنَعامَ عَيْنٍ، وَنُعامَ عَيْنٍ، وَنِعامَ عَيْنٍ، وَنَعامةَ عَيْنٍ، وَنَعِيمَ عَيْنٍ، وَنُعامَى عَيْنٍ، هذا كله معناه: أفْعَلُ ذلك كَرامةً لَكَ وَإنْعامًا بِعَيْنِكَ، ومعناه أيضًا: أُقِرُّ عَيْنَكَ بِطاعَتِكَ واتِّباعِ أمْرِكَ، وهذه الصيغ كلها منصوبة عند سيبويه على إضمار الفعل المتروك إظهاره، قال سيبويه: «هذا باب ما ينتصب على إضمار الفعل المتروكِ إظْهارُهُ من المصادر فِي غير الدعاء، من ذلك قولك: حَمْدًا وَشُكْرًا لا كُفْرًا، وَعَجَبًا، وَأفْعَلُ ذَلِكَ وَكَرامةً وَمَسَرّةً وَنُعْمةَ عَيْنٍ وَحُبًّا، ونَعامَ عَيْنٍ». الكتاب ١/ ٣١٨-٣١٩، وقاله مثله في الكتاب ٢/ ٣٠٢.
وحكى الأزهري هذه الصيغ عن الكسائي عن اللحياني في تهذيب اللغة ٣/ ١٠، وينظر أيضًا: الصحاح ٥/ ٢٠٤٤، تصحيح الفصيح وشرحه ص ٣٤٦، الكشاف ٤/ ١٧٧، اللسان: نعم، البحر المحيط ٨/ ٣٥٦.

(٢) الوجهان قالهما النحاس ومكي، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٥٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٠.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٧٧/ أ، وقال القرطبي: «وقال الكَلْبِيُّ: الأنْكالُ: الأغْلاَلُ، والأول أعْرَفُ في اللغة». الجامع لأحكام القرآن ١٩/ ٤٦، وينظر: البحر المحيط ٨/ ٣٥٦.

فصل

عن ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ سَمِعَ قارِئًا يقرأ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، فَصُعِقَ[(١)].

وعن خُلَيْدِ بن حَسّانَ الهَجَرِيِّ[(٢)] قال: «أَمْسَى الحَسَنُ صائمًا، فلما أُتِيَ بإفطاره عَرَضَتْ لـه هذه الآيةُ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا﴾، فَقَلَصَتْ يَدُهُ عن عَشائِهِ، فقال: ارفعوه فَرُفِعَ، فأصبح صائمًا، فلما أُتِيَ بإفطاره عَرَضَتْ له أيضًا هذه الآية فَرُفِعَ، فلما كانت الليلة الثالثة أُتِيَ بالطعام، فَعَرَضَتْ له هذه الآيةُ، فانْطَلَقَ ابْنُهُ إلى ثابِتٍ البَنانِيِّ ويَزِيدَ الضَّبِّيِّ[(٣)] ويحيى البَكّاءِ[(٤)] وناسٍ من أصحابه، فقال: أَدْرِكُوا أَبِي، فإنه لَمْ يَذُقْ طَعامًا منذ ثلاثة أيام، كُلَّما قَرَّبْنا إليه الطعامَ ذَكَرَ هذه الآيَةَ: ﴿إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ﴾، فَيَتْرُكُهُ، فَأَتَوْهُ فَلَمْ يَزالُوا به حتى أَسْقَوْهُ شَرْبَةً من سَوِيقٍ»[(٥)].

---

(١) رواه الطبري بسنده عن حُمْرانَ بن أَعْيَنَ في جامع البيان ٢٩/ ١٦٨، وينظر: الكامل في الضعفاء ٢/ ٤٣٦، الكشف والبيان ١٠/ ٦٣، ٦٤، الوسيط ٤/ ٣٧٥.

(٢) أبو حَسّانَ الهَجَرِيُّ العَصْرِيُّ، من أهل البصرة، ثقة صاحِبَ الحسنَ البصري وروى عنه، سكن بخارى وحدث بها. [التاريخ الكبير ٣/ ١٩٨، الجرح والتعديل ٣/ ٣٨٤، لسان الميزان ٢/ ٤٠٦].

(٣) يَزِيدُ بن نَعامَةَ الضَّبِّيُّ، أبو مودود البصري، تابعي صالح الحديث، أرسل عن النبي ﷺ، وزعم بعضهم أن له صُحْبَةً، روى عن أنس وعتبة بن غَزْوانَ. [الثقات ٣/ ٤٤٢، ٥/ ٥٤٥، تهذيب الكمال ٣٢/ ٢٥٥-٢٥٧].

(٤) هو يحيى بن مسلم، أو ابن سليمان بن أَبِي خُلَيْدٍ البصري من موالي الأَزْدِ، مُحَدِّثٌ ليس بالقوي روى عن ابن المسيب وأَبِي العالية، توفي سنة (١٣٠هـ). [تهذيب الكمال ٣١/ ٥٣٣-٥٣٦، سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٠].

(٥) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٤، الوسيط ٤/ ٣٧٦، الكشاف ٤/ ١٧٧، عين المعاني ورقة ١٣٨/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٧.

ثـم أخبر متـى يكون ذلك، فقـال تعالـى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ﴾ أي: تتحـرك وتضطرب بِمَنْ عليها، والرَّجْفَـةُ: الحركة، ونصب ﴿يَوْمَ﴾ على الظرف[(١)] ﴿وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ يعني: رَمْلاً سـائِلاً مُتَناثِرًا إذا مَسِسْـتَهُ تَتابَـعَ، يقال لكل ما أرْسَـلْتَهُ من يَدِكَ من رَمْلٍ أو تُـرابٍ أو نحو ذلك: قد هِلْتُهُ أَهِيلُهُ هَيْلا[(٢)]، يعني أن الجبال فُتِّتَتْ من زَلْزَلَتِها، حتى صارت كالرمل المُذْرَى، وأصلـه مَهْيُولٌ «مفعول» من قول القائل: هِلْتُ الرَّمْـلَ فأنا أَهِيلُهُ هَيْلًا، وذلك أنـه إذا تَحَرَّكَ أسْـفَلُهُ انْهالَ عليه مِنْ أعلاه[(٣)]، يقال: مَهِيـلٌ ومَهْيُولٌ ومَكِيلٌ / [٢٦٤/ أ] ومَكْيُولٌ ومَعِينٌ ومَعْيُونٌ[(٤)]، قال الشاعر:

---

(١) والعامـل في هذا الظرف هو الاسـتقرار الذي دَلَّ عليه قوله: «لَدَيْنـا»، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٠، البيان للأنباري ٢/ ٤٧٠.

(٢) قاله أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٢٥٢، وحكاه عنه الأزهري في تهذيب اللغة ٦/ ٤١٦، وينظر: الصحاح ٥/ ١٨٨٥، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٦، الوسيط ٤/ ٣٧٦، النهاية لابن الأثير ٥/ ٢٨٨.

(٣) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ١٩٨، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٥٨، شـفاء الصدور ورقة ١٧٧/ أ.

(٤) يعني أن اسم المفعول من الأجوف اليائي هنا يجوز أن يأتِيَ بالإتمام، قال سيبويه: «وبعض العـرب يخرجه على الأصـل فيقول: «مخيوط ومبيوع... ولا نعلمهـم أَتَمُّوا في الواوات؛ لأن الـواوات أثقـل عليهم من اليـاءات». الكتاب ٤/ ٣٤٨، ٣٤٩، وينظـر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ١٩٨، المقتضب ١/ ١٠٠-١٠١، الأصول لابن السراج ٣/ ٢٨٣-٢٨٤، وقال النحاس: «وقد أَجْمَعُوا جَمِيعًا على أنه يجوز: مَهْيُولٌ ومَبْيُوعٌ ومَكْيُولٌ ومَغْيُومٌ، قال أبو زيد: هي لغة لتميم، وقال علقمة بن عبدة:

يَـوْمُ رَذاذٍ عَلَيْهِ الدَّجْـنُ مَغْيُومُ

فهذا جائز في ذوات الياء، ولا يجيزه البصريون في ذوات الواو». إعراب القرآن ٥/ ٥٨، ٥٩، وينظر: الخصائص ١/ ٢٦٠-٢٦١.

٤١٦ ـ قَدْ كانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإخالُ إنَّكَ سَيِّدٌ مَعْيُونُ[١]

قوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾ يعني النبي ﷺ ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾ يعني موسى عليه السلام، ﴿فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ﴾ يعني موسى عليه السلام، وهذا محمول على العهد بلا خلاف ﴿فَأَخَذْنَٰهُ﴾ يعني فرعون ﴿أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾ يعني شديدًا وَخِيمًا صَعْبًا ثَقِيلًا، يقال: ماءٌ وَبِيلٌ أي: وَخِيمٌ لا يُسْتَمْرَأُ وَتَضُرُّ عاقِبَتُهُ، والوَبِيلُ: الوَخِيمُ ضِدُّ المَرِيءِ، وكذلك يقال: كَلأٌ مُسْتَوْبَلٌ وطَعامٌ مُسْتَوْبَلٌ: إذا لَمْ يُسْتَمْرَأْ، ويقال للمطر الشديد: وابِلٌ[٢]، ومنه ماءُ الوَبالُ[٣]، قالت الخنساء:

٤١٧ ـ لَقَدْ أكَلَتْ بَجِيلةُ يَوْمَ لاَقَتْ فَوارِسَ مالِكٍ أكْلًا وَبِيلاَ[٤]

---

(١) البيت من الكامل، للعباس بن مِرْداس يهجو كُلَيْبًا السُّلَمِيَّ، ويُرْوَى: «يَزْعُمُونَكَ سَيِّدًا»، ويُرْوَى: «مَغْيُونُ» بالغين، من قولهم: غَيِنَ عَلَى كذا أي: غُطِّيَ عليه، وكأنه مأخوذ من الغَيْنِ الذي هو الغَيْمُ، ويروى: «مَغْبُونُ» بالباء، والمعيون: الذي أصابته عينٌ.
التخريج: ديوانه ص ١٥٦، الحيوان ٢/ ١٤٢، المقتضب ١/ ٢٤٠، جمهرة اللغة ص ٩٥٦، الخصائص ١/ ٢٦١، أمالِيُّ ابن الشجري ١/ ١٦٧، ٣٢١، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٥٥، ١٩/ ٤٧، شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٣/ ١٤٩، اللسان: عين، البحر المحيط ٨/ ٣١١، المقاصد النحوية ٤/ ٥٧٤، التصريح ٢/ ٣٩٥، شرح شواهد شرح الشافية ص ٣٨٧، ٣٨٩.
(٢) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٣، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٤، إعراب القرآن ٥/ ٦١، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٨٦-٣٨٧.
(٣) قال الجوهري: «ووَبالٌ: اسم ماء لبني أسد». الصحاح ٥/ ١٨٤٠، اللسان: وبل.
(٤) البيت من الوافر للخنساء، ولَمْ أقف عليه فِي ديوانها.
التخريج: الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٥٨، الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٦٤، شمس العلوم ١١/ ٧٠٤٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٩، اللباب فِي علوم الكتاب ١٩/ ٤٧٤، فتح القدير للشوكاني ٥/ ٣١٩.

وتقــول العرب: لقد أُوبِلَ عليك الشَّــرُّ؛ أي: تُوبِعَ، ومعنى الآية: عاقَبْناهُ عُقُوبةً غَلِيظةً وهو الغَرَقُ، وهذا تخويفٌ لأهل مكة.

قولــه: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا﴾؛ أي: عــذاب يــوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾﴾ يعني شُــمْطًا، وَصْفٌ لذلك اليوم من هَوْلِهِ وشِدَّتِهِ، كما يقال: هذا أمْرٌ يَشِيبُ فيه الوَلِيدُ: إذا كان عظيمًا شديدًا، وهو يوم يَسْكَرُ فيه الكَبِيرُ من غير شراب، ويَشِيبُ فيه الصغير من غير كِبَرٍ، من أهوال يوم القيامة.

وهذا مَثَلٌ يُضْرَبُ لِشِدّةِ كُلِّ أمْرٍ وُصِفَ بالشدة، كما تقول العرب: حَتَّى يَبْيَضَّ القارُ وتَشِيبُ النَّواصِي[(١)].

و ﴿شِيبًا﴾ جَمْعُ أشْــيَبَ، ونصــب ﴿يَوْمًا﴾ بـ ﴿تَتَّقُونَ﴾، وليس بظـرف لـ ﴿كَفَرْتُمْ﴾؛ لأنهم لا يكفرون ذلك اليومَ[(٢)]، والمعنى: إذْ كَفَـرْتُمْ فِي الدنيا، يعني: لا سبيل لكم إلى التقوى، ولا تنفعكم التقوى إذا وافَيْتُمْ يَوْمَ القيامة.

وقرأ ابن مســعود وعَطِيّةُ[(٣)]: «فَكَيْفَ تَتَّقُونَ يَوْمًا يَجْعَلُ الوِلْدانَ شِــيبًا إنْ

---

(١) ومثله: حتى يَشِيبَ الغُرابُ، ينظر: الحيوان للجاحظ ٥/ ٥٢٨، أمالِيُّ القالِي ٢/ ٢٣٣، تهذيب اللغــة ١/ ٢٢٦، الصحــاح ٥/ ٢٠٩٦، جمهــرة الأمثال ١/ ٢٩٣، ثمــار القلوب ص ٤٦٢، النهاية لابن الأثيـر ٤/ ٣٦٠، اللسان: قيـر.

(٢) قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٠، وينظر: الكشاف ٤/ ١٧٨، الفريد للمنتجب الهمدانِيِّ ٤/ ٥٥٥-٥٥٦.

(٣) هو عطية بن سعد بن جُنادةَ العَوْفِيُّ الجَدَلِيُّ القَيْسِيُّ، أبو الحسن الكوفيُّ، من رجال الحديث، يعد من شيعة الكوفة، خرج مع ابن الأشعث، فأسره عامل الحجاج على العراق، وطلب منه سَبَّ عَلِيٍّ، رحمه الله، فَأَبَى، فَضَرَبَهُ أربعمائة سوط، وحلق رأسه ولحيته، ثم عاد إلى الكوفة، وتوفي بها سنة ١١١هـ. [تهذيب الكمال ٢٠/ ١٤٥-١٤٩، الأعلام ٤/ ٢٣٧].

كَفَرْتُمْ»[١] على التقديم والتأخير، وقرأ أبو السَّمّالِ العَدَوِيُّ: «فَكَيْفَ تَتَّقُونِ»[٢] بكسر النون على الإضافة.

ثم زاد في وَصْفِ هَوْلِ ذلك اليوم، فقال: ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ ابتداء وخبر، يعني: مُنْشَقّةٌ بِذَلِكَ اليَوْمِ من هوله لِنُزُولِ الملائكة، كما قال: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[٣]، و﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ / نعت للسماء، وإنما أتى ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ بغير هاء، والسماءُ مؤنثةٌ؛ لأنه بمعنى النَّسَبِ؛ أي: السماءُ ذاتُ انْفِطارٍ[٤]، وقيل[٥]: إنما ذَكَّرَ لأن السماء بمعنى السَّقْفِ، والسَّقْفُ مُذَكَّرٌ، وقال الفراء[٦]: السماء يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، فأتى ﴿مُنفَطِرٌۢ﴾ على التذكير، قال الشاعر: [٢٦٤/ ب]

٤١٨ - فَلَوْ رَفَعَ السَّماءُ إِلَيْهِ قَوْمًا لَحِقْنا بِالسَّماءِ مَعَ السَّحابِ[٧]

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٤٩.

(٢) وهي أيضًا قراءة قَعْنَبٍ وحَفْصٍ في روايةٍ، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٥٠، النشر ٢/ ٣٩٣.

(٣) الانفطار ١.

(٤) هذا القول حكاه سيبويه عن الخليل في الكتاب ٢/ ٤٧، وينظر أيضًا: المذكر والمؤنث للمبرد ص ٩٤، ١١١، وقاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٣، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٦١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢١.

(٥) قاله الخليل في العين ٥/ ٨١، وحكاه أبو حاتم عن يونس بن حبيب في المذكر والمؤنث ص١٨١، وهو قولٌ آخَرُ للزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٣، وللكسائي في شفاء الصدور ١٧٨/ أ، وينظر: المذكر والمؤنث لابن التستري ص ٨٣، إعراب القرآن ٥/ ٦١، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٨/ ٤١٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢١، تفسير القرطبي ١٩/ ٥١.

(٦) معانِي القرآن ١/ ١٢٧، ١٢٨، ٣/ ١٩٩، المذكر والمؤنث للفراء ص ٩١.

(٧) البيت من الوافر، للفرزدق يهجو الأَصَمَّ الباهِلِيَّ، ورواية ديوانه: «وَلَوْ رَفَعَ الإِلَهُ إِلَيْهِ».

التخريج: ديوانه ١/ ٣٣، معاني القرآن للفراء ١/ ١٢٨، ٣/ ١٩٩، جامع البيان ٢٩/ ١٧٣، إعراب القرآن للنحاس ٤/ ٣٦٣، إعراب ثلاثين سورة ص ٩٨، المخصص=

وقولــه: ﴿كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾ يعنــي: كائِنًـا بكل ما وَعَـدَ من البعث والحساب والثواب والعقاب ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ يعني السورة والآيات ﴿تَذْكِرَةٌ﴾ موعظة ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝١٩﴾ بالإيمان والطاعة والتصديق.

قولــه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ﴾ يا محمد ﴿تَقُومُ﴾ يعني: إِلَى الصلاة ﴿أَدْنَىٰ﴾؛ أي: أقْرَبَ ﴿مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾، وقرأ هشـام سـاكنة الـلام[1] ﴿وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ﴾ نصبه أهل مكة والكوفة على معنى: وَتَقُومُ نِصْفَهُ وثُلُثَهُ، وقيل: مَنْ نَصَبَ عَطَفَهُ على ﴿أَدْنَىٰ﴾، وهو في موضع نصب، وَخَفَضَهُ الباقون[2] عطفًا على ﴿ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ﴾.

ثم قـال: ﴿وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ﴾ يعني: من المؤمنين، كانوا يقومون معه أيضًا نِصْفَهُ وثُلُثَهُ، ﴿وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾؛ أي: أنه يعلم مقادير الليل والنهار، فيعلم القَدْرَ الذي يقومونه من الليل ﴿عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ﴾؛ أي: لن تطيقوا معرفة ذلك ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾؛ أي: فعاد عليكم، وتَجاوَزَ عنكم بالعَفْوِ والتخفيف ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ﴾ يعني: في الصلاة من غير أن يُؤَقِّتَ وَقْتًا، قال الحَسَنُ[3]: هو ما يُقْرَأُ فِي صلاة المغرب والعشاء.

= ١٧/ ٢٢، أماليُّ ابن الشـجري ٣/ ٩٤، زاد المسـير ٨/ ٣٩٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٥١، اللسان: سما، البحر المحيط ٨/ ٣٥٧.

(١) قرأ ابنُ عامر في رواية الحُلْوانِيِّ عن هشـام عنه، وأبو حَيْوةَ وابنُ السَّـمَيْفَع والحسنُ وشيبة وقُنْبُلٌ في رواية ابن مجاهد: «ثُلْثَيِ اللَّيْلِ» بإسكان اللام، وجاء ذلك عن نافع، ينظر: السبعة ص ٦٥٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٥٢، البحر المحيط ٨/ ٣٥٨.

(٢) قـرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر: «وَنِصْفِهِ وَثُلُثِهِ» بالخفض، وقرأ بقية السـبعة وزَيْدُ بن عَلِيٍّ وخَلَفٌ وابن محيصن والأعمش بالنصب، ينظر: السبعة ص ٦٥٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٠٧، ٤٠٨، الحجـة للفارسـي ٤/ ٧٢، تفسـير القرطبـي ١٩/ ٥٢، البحـر المحيط ٨/ ٣٥٨، النشر ٢/ ٣٩٣، الإتحاف ٢/ ٥٦٩.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٦٥، زاد المسير ٨/ ٣٩٦.

ثـم ذكر عذرهم، فقال تعالـى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ فلا يُطِيقُونَ قِيـامَ اللَّيْلِ، و﴿أَن﴾ مخففة من الثقيلـة، والهاء مضمرة، و﴿سَيَكُونُ﴾ الخَبَرُ، تقديره: عَلِمَ أَنَّهُ سَـيَكُونُ، ومثلـه: ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾[1]، تأويله: أفـلا يعلمون أنه لا يَرْجِعُ إليهم قولًا، وأتى ﴿سَيَكُونُ﴾ على لفظ التذكير لأن تأنيث ﴿مَّرْضَىٰ﴾ غير حقيقي.

قولـه: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ يريـد: للتجـارة ﴿يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾؛ أي: يطلبون الرزق ﴿وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ فلا يطيقون قيام الليل، فهذه رُخْصةٌ من الله تعالى لَهُمْ بعد التشديد / و«آخَرُونَ» عطف على ﴿مَّرْضَىٰ﴾. [٢٦٥/ أ]

قولـه: ﴿فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ يعني: من القـرآن ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ يعني: أَتِمُّـوا الصلواتِ الخَمْسَ بوضوئها وركوعها وسـجودها والمواظبة عليها فِي مواقيتهـا ﴿وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾؛ أي: أعطوا الـزكاة المفروضة مـن أموالكم، وهما فريضتان واجبتان، لا رخصة فيهما ﴿وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ طَيِّبةً بها نُفُوسُكُمْ، يريـد صدقةَ التطوع وصلـةَ الرحم وقِرَى الضَّيْـفِ ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ﴾ يعنـي من صَدَقةٍ فَرِيضةٍ أو تَطَوُّعٍ ﴿تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي: تجدوا ثوابه في الآخرة ﴿هُوَ خَيْرًا﴾ يعني: من الشُّحِّ والتَّقْصِير ﴿وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ يعني: أفضل أجرًا من ذلك الذي قَدَّمْتُمُوهُ لو لَمْ تكونوا قَدَّمْتُمُوهُ.

ونصـب ﴿خَيْرًا﴾ و﴿أَعْظَمَ أَجْرًا﴾ على أنه مفعول ثانٍ لـ ﴿تَجِدُوهُ﴾، وقيل: على الخبر لـ﴿تَجِدُوهُ﴾، قاله الخليلُ[2]، و﴿أَجْرًا﴾ على التفسير، و﴿هُوَ﴾ فصل في

(١) طه ٨٩، وينظر في هذه المسألة: الكتاب ٣/ ٧٤، ١٦٦، ١٦٧، المقتضب ٢/ ٣١، ٣/ ٧، الأصول لابن السـراج ١/ ٢٣٩، ٢٤٠، إعراب القرآن للنحاس ٢/ ١٤٩، مشـكل إعراب القرآن لمكي ابن أبي طالب ٢/ ٤٢٢.

(٢) الجمل المنسوب للخليل ص ١٦٨.

قول البصريين، وعِمادٌ في قول الكوفيين، لا محل له من الإعراب[١] ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ من ذنوبكم ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ لذنوب المؤمنين ﴿رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾ بِهِمْ.

فصل

عن أبِي ذَرٍّ الغِفارِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الصَّلاةُ عِمادُ الإسْلاَمِ، والجِهادُ سَنامُ العَمَلِ، والصَّدَقةُ شَيْءٌ عَجِيبٌ»، قيل: يا رسول الله: فَأيُّ الصَّدَقةِ أفْضَلُ؟ قال: «أكْثَرُها فَأكْثَرُها»، ثُمَّ قَرَأ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[٢]، قيل: فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ؟ قال: «فَعَفْوُ طَعامِهِ» ـ يعني: قُوتَهُ ـ، قيل: فَإنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قال: «يَتَّقِ النّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرةٍ»، قيل: فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قال: «يَكُفُّ نَفْسَهُ وَلاَ يَظْلِمُ النّاسَ»[٣].

وعن أبِي الدَّرْداءِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طَلَعَتْ شَمْسٌ إلّا بُعِثَ بِجَنْبَتَيْها مَلَكانِ يُنادِيانِ يَسْمَعُهُما أهْلُ الأرْضِ إلّا الثَّقَلَيْنِ، يقولان: أيُّها الناسُ: هَلُمُّوا إلَى رَبِّكُمْ، فَإنَّ ما قَلَّ وَكَفَى خَيْرٌ مِمّا كَثُرَ وَألْهَى، وَمَلَكانِ يُنادِيانِ: اللَّهُمَّ عَجِّلْ لِمُنْفِقٍ خَلَفًا وَلِمُمْسِكٍ تَلَفًا»[٤].

---

(١) لا مَحَلَّ له من الإعراب عند البصريين، وأما عند الكوفيين فله مَحَلٌّ، فقال الكسائي: مَحَلُّهُ بحسب ما بعده، وقال الفراء: مَحَلُّهُ بحسب ما قبله، ينظر: الكتاب ٢/ ٣٨٩ وما بعدها، معاني القرآن للفراء ١/ ٥١-٥٢، ٤٠٩-٤١٠، ٢/ ٣٥٢-٣٥٣، ٣/ ٢٩٩، المقتضب ٤/ ١٠٣ وما بعدها، الأصول ٢/ ١٢٥، ١٢٦، الإنصاف ص ٧٠٦، ٧٠٧، ارتشاف الضرب ٢/ ٩٥٨، مغني اللبيب ص ٦٤٥.

(٢) آل عمران ٩٢.

(٣) ينظر: جامع البيان ٣/ ٤٧١، زاد المسير ١/ ٤٢٢، الدر المنثور ٢/ ٥٠.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ١٩٧، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٣/ ١٨٩، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٤٥ كتاب التفسير: سورة «حم. عسق».

ورُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «السَّخاءُ شَجرةٌ أصْلُها فِي الجَنَّةِ وأغْصانُها / مُتدلِّياتٌ فِي الدنيا، فَمَنْ تَعلَّقَ بغُصْنٍ مِنْها قادَهُ[1] إلَى الجنة، والبُخْلُ شَجَرةٌ أصْلُها فِي النار، وَأغْصانُها مُتَدلِّياتٌ فِي الدنيا، فَمَنْ تعلَّقَ بِغُصْنٍ منها قادَهُ إلَى النار»[2]. [٢٦٥/ ب]

وعن نَزّالِ بن سَبْرةَ[3] أنه قال: «مَكْتُوبٌ على باب الجنة ثلاثة أسْطُرٍ، أولها: لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ، والثانِي: أُمّةٌ مُذْنِبةٌ وَربٌّ غَفُورٌ، والثالث: وَجَدْنا ما عَمِلْنا، رَبِحْنا ما قَدَّمْنا، خَسِرْنا ما خَلَّفْنا»[4].

ويقال: «مَنْ مَنَعَ خَمْسًا مَنَعَ اللهُ منه خَمْسًا، مَنْ مَنَعَ الزَّكاةَ مَنَعَ اللهُ منه حِفْظَ المالِ، والثاني: مَنْ مَنَعَ الصَّدَقةَ مُنِعَتْ منه العافِيةُ، والثالث: مَنْ مَنَعَ العُشْرَ مَنَعَ اللهُ منه بَرَكةَ أرْضِهِ، والرابع: مَنْ مَنَعَ الدُّعاءَ مُنِعَ الإجابةَ، والخامس: مَنْ تَهاوَنَ بالصلاة مُنِعَ منه عند المَوْتِ قَوْلُ: لا إله إلّا الله، مُحَمَّدٌ رسول الله ﷺ».

وَرُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «حَصِّنُوا أمْوالَكُمْ بِالزَّكاةِ، وداوُوا مَرْضاكُمْ بِالصَّدَقةِ، واسْتَقْبِلُوا أنْواعَ البَلاَءِ بِالدُّعاءِ»[5]، والله أعلم.

---

(١) في الأصل: «مده».

(٢) هذا حديث موضوع رُوِيَ عن عدد من الصحابة، ينظر: كتاب المجروحين ١/ ٢٤٥، الكامل في الضعفاء ١/ ٢٣٥، الموضوعات لابن الجوزي ٢/ ١٨٢، ١٨٤، الجامع الصغير ٢/ ٦٧، كنز العمال ٦/ ٣٣٧.

(٣) النَّزّالُ بن سَبْرَةَ الهِلاَلِيُّ العامِرِيُّ الكُوفِيُّ، مُخْتَلَفٌ فِي صُحْبَتِهِ، رَوَى عن أبِي بكر وعَلِيٍّ وابن مسعود وعثمان رضي الله عنهم، وهو ثقة من كبار التابعين. [أسد الغابة ٥/ ١٥، تهذيب الكمال ٢٩/ ٣٣٤-٣٣٧].

(٤) ينظر: الجامع الصغير ١/ ٦٤٥، كنز العمال ٤/ ٢٥١، كشف الخفاء ١/ ١٩٧.

(٥) رواه الطبرانِي عن ابن مسعود في المعجم الأوسط ٢/ ٢٧٤، والكبير ١٠/ ١٢٨، والبيهقيُّ في السنن الكبرى ٣/ ٣٨٢ كتاب الجنائز: باب وضع اليد على المريض والدعاء له.

سورة المدثر

مكية

وهي ألف وعشرة أحرف، ومائتان وخمس وخمسون كلمةً، وست وخمسون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ ـ رضي الله عنه ـ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الأجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ مَنْ صَدَّقَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ وَكَذَّبَ بِهِ بِمَكَّةَ»[(١)]، وَرُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قالَ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ المُدَّثِّرِ كُتِبَ مِنَ الصّابِرِينَ»[(٢)].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عزّ وجلّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١﴾ المُتَحَمِّلُ لأعْباءِ النُّبُوّةِ، وقيل: المُدَّثِّرُ: المُتَلَفِّفُ بِثِيابِهِ من الدِّثارِ، وأصله: المُتَدَثِّرُ، ثم أُدْغِمَتِ التاءُ فِي الدال؛ لأنهما

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٦٧، الوسيط ٤/ ٣٧٩، الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٨، مجمع البيان ١٠/ ١٧١.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

من مخرج واحد، والدال أقوى من التاء؛ لأنها مجهورة والتاء مهموسة، فَرُدَّا بلفظ الأقوى منهما؛ لأن ذلك تَقْوِيَةٌ لِلْحَرْفِ، وَلَمْ يُرَدَّا بلفظ التاء لأنه إضْعافٌ لِلْحَرْفِ؛ لأن رَدَّ الأقوى إلى الأضعف نَقْصٌ فِي الحَرْفِ، وكذلك أكثر الإدغام فِي الحرفين المختلفين أن يُرَدَّ الأضعفُ منهما إلى لَفْظِ الأقوى[1].

[٢٦٦/ أ] قرأ العامة: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بكسر الثاء؛ أي: المُتَلَفِّفُ بِثِيابِهِ، وقرأ عكرمة / وغيره بفتح الثاء[2]؛ أي: دُثِّرْتَ هذا الأمْرَ وَكُلِّفْتَهُ وَأُلْزِمْتَهُ، فَقُمْ بِهِ.

فصل

عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «فَتَرَ عَلَيَّ الوَحْيُ فَتْرةً، فَبَيْنا أنا أَمْشِي إذْ سَمِعْتُ صَوْتًا من السماء، فَرَفَعْتُ بَصَرِي قِبَلَ السَّماءِ فَإذا المَلَكُ الذي أتاني بِحِراءَ قاعِدٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السماء والأرض، فَجُئِثْتُ[3] منه فَرَقًا حَتَّى هَوَيْتُ إلَى الأرْضِ، فَجِئْتُ أهْلِي، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي زَمِّلُونِي، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلْمُدَّثِّرُ ① قُمْ فَأَنذِرْ﴾.. الآيات»[4].

وقوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ②﴾؛ أي: أَنْذِرْ الخَلْقَ، وَحَذِّرْهُمْ عَذابَ الله، والنَّذارةُ: التَّخْوِيفُ والتَّحْذِيرُ.

---

(١) من أول قوله: «وأصله المتدثر» قاله مَكِّيٌّ بنصه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٣.

(٢) قرأ عكرمة: «المُدَثَّرُ» بتخفيف الدال وفتح الثاء، وقرأ عكرمة أيضًا: «المُدَثِّرُ» بتخفيف الدال وكسر الثاء، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٤، المحتسب ٢/ ٣٣٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٢.

(٣) جُئِثْتُ: ذُعِرْتُ وَفَزِعْتُ. اللسان: جأث.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٣٠٦، ٣٢٥، ٣٧٧، ٣٩٢، والبخاري في صحيحه ١/ ٤، كتاب الإيمان: باب كيف كان بدء الوحي، ٦/ ٧٤، ٧٥، ٨٩ كتاب تفسير القرآن: سورة المدثر، وسورة «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ»، ورواه مسلم في صحيحه ١/ ٩٨، ٩٩ كتاب الإيمان: باب بدء الوحي إلى رسول الله.

قولــه: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾؛ أي: فَعَظِّمْ، فهو العَظِيمُ فـلا أعْظَمَ منه، وهو نصب؛ لأنه مفعول مقدم على الفعل، وكذلك: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾، ودخلت الفاء على غير جواب الجزاء، المعنى: قُمْ فَأَنْذِرْ، قُمْ فَكَبِّرْ[1]، ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾، قال ثعلبٌ[2]: اختلف الناس في ذلك، فقالت طائفة: الثياب هاهنا القَلْبُ؛ أي: طَهِّرْ قَلْبَكَ، فَكَنَّى بالثياب عن القلب. قال عنترة:

٤١٩ ـ فَشَـكَكْتُ بِالرُّمْحِ الطَّوِيلِ ثِيابَهُ

أي: قَلْبَهُ، وتَمامُهُ:

لَيْـسَ الكَرِيـمُ عَلَـى القَنا بِمُحَـرَّمِ[3]

---

(١) الظاهر من كلامه أنه يعني أن الفاء عاطفة، وذهب الزجاج إلى أنها داخلة على معنى جواب الجزاء، فقال: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾؛ أي: صِفْهُ بالتعظيم وأنه أكْبَرُ، ودخلت الفاء على معنى جواب الجـزاء، المعنـى: قُمْ فَأَنْذِرْ؛ أي: قُمْ فَكَبِّرْ رَبَّكَ». معانِـي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٥، وذهب الأخفش والفارسـي وابن جني وغيرهم إلى أنها زائدة، قال ابن جني: «أخبرنا أبو عَلِيٍّ أن أبا الحسن حَكَى عنهم: أَخُوكَ فَوَجَدَ، يريد: أَخُوكَ وَجَدَ، ومن ذلك قولهم: زَيْدًا فاضْرِبْ، وَعَمْرًا فاشْـكُرْ، وبِمُحَمَّدٍ فامْرُرْ، إنما تقديره: زَيْدًا اضْرِبْ، وعَمْرًا اشْـكُرْ، وبِمُحَمَّدٍ امْرُرْ، وعلى هذا قوله، عز اسمه ـ: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ أي: وَثِيابَكَ طَهِّرْ، ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ أي: والرُّجْزَ اهْجُرْ، ﴿وَلِرَبِّكَ فاصْبِرْ﴾ أي: لِرَبِّكَ اصْبِرْ». سر صناعة الإعراب ١/ ٢٦٠. وهذه الحكاية التـي أشـار إليها ابن جِنِّي حكاهـا الأخفشُ في معانِي القـرآن ص ١٢٤، ١٢٥، وأبو علي الفارسي في المسائل المشكلة ص ٣٠٩.

وقال ابن الشـجري: «وأقول: إنها زائدة لا محالة في قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾؛ لأنـك إن لَمْ تحكم بزيادتها أَدَّى ذلك إلَى دخـول الواو العاطفة عليها وهي عاطفة». أمالِيُّ ابن الشجري ٣/ ٨٩، ٩٠، وينظر: شرح كافية ابن الحاجب للرضي ١/ ٤٠٥-٤٠٦، ٤٣٠.

(٢) ينظر قوله في ياقوتة الصراط ص ٥٤١، تهذيب اللغة ١٥/ ١٥٤ باختلاف في ألفاظه.

(٣) البيت من الكامل، لعنترة من معلقته، ورواية ديوانه:

كَمَّشْـتُ بِـالـرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيـابَـهُ =

وقال ابن سِيرِينَ(١): اغْسِلْها بالماء، وقال الفَرّاءُ(٢): أَصْلِحْ عَمَلَكَ، وقيل: قَصِّرْ ثِيابَكَ، وقالت طائفة(٣): الثِّيابُ هاهنا اللِّباسُ؛ أي: لا تَلْبَسْها على معصية ولا على دَنَسٍ، وقال الحَسَنُ(٤): معناه: وَخُلُقَكَ فَحَسِّنْهُ، وكذلك قال القُرَيْظِيُّ، دليلها قول الشاعر:

٤٢٠ ـ وَيَحْيَى لاَ يُلاَمُ بِسُوءِ خُلْقٍ فَيَحْيَى طاهِرُ الأَثْوابِ حُرُّ(٥)

أي: حَسَنُ الأَخْلاَقِ.

= **اللغة**: شَكَّهُ بالرُّمْحِ: خَرَقَهُ وانْتَظَمَهُ.

التخريج: ديوانه ص ١٩٨، جمهرة اللغة ص ١٣٩، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٣١، جمهرة أشعار العرب ص ٣٦٥، الكشف والبيان ١٠/ ٦٨، أساس البلاغة: شكك، زاد المسير ٨/ ٤٠٠، بهجة المجالس ١/ ٤٧٥، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٣، اللسان: شكك، طهر، نظف، البحر المحيط ٨/ ٣٦٣، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٣٩٥، التاج: شكك.

(١) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ١٨٣، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٣٣، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٦، زاد المسير ٨/ ٤٠١.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ٢٠٠ باختلاف في ألفاظه.

(٣) قاله ابن عباس وعكرمة وقتادة والضحاك، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١٨١-١٨٢، تهذيب اللغة ١٥/ ١٥٤، الكشف والبيان ١٠/ ٦٨.

(٤) ينظر قول الحسن والقريظي في شفاء الصدور ورقة ١٧٩/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٦٩، زاد المسير ٨/ ٤٠١، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٤.

(٥) البيت من الوافر، لِمُخَيِّسِ بن أَرْطاةَ الأَعْرَجِيِّ، في مدح رَجُلٍ من بني حَنِيفةَ يقال له: يَحْيَى، ويُرْوَى:

وَما بِيَ أَنْ أَكُونَ أَعِيبُ يَحْيَى وَيَحْيَى طاهِرُ الأَثْوابِ بَرُّ

التخريج: الكامل للمبرد ١/ ٤٣، الكشف والبيان ١٠/ ٦٩، معجم البلدان: بقعاء، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ أ، القرطبي ١٩/ ٦٤، البحر المحيط ٨/ ٣٦٤، فتح القدير ٥/ ٣٢٤، روح المعانِي ٢٩/ ١١٧.

وقال ابن عباس[١]: معناه: لا تكُـنْ غادِرًا، فإن الغادر دَنِسُ الثِّيابِ، قال السُّدِّيُّ[٢]: يقال للرجل إذا كان صالحًا: إنه لَطاهِرُ الثِّيابِ، وإذا كان فاجِرًا: إنه لَخَبيثُ الثِّيابِ، وقال عكرمةُ[٣]: البَسْـها على غَيْرِ غَـدْرٍ وَغَيْرِ فَجْرٍ، وقال: أما سَمِعْتَ قَوْلَ الشاعر:

٤٢١ - وَإنِّي بِحَمْدِ اللهِ لاَ ثَوْبَ فاجِرٍ   لَبِسْـتُ وَلاَ مِـنْ غَـدْرةٍ أَتَقَنَّـعُ[٤]

قوله: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥﴾ قال جماعة المفسرين[٥]: يريد: عبادة الأوثان / ، قرأ الحَسَـنُ وعِكْرِمةُ ومُجاهِدٌ وحُمَيْدٌ وأبو جَعْفَرٍ وشَـيْبةُ ويَعْقُوبُ وحَفْصٌ:

---

(١) ينظر قوله في غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٣.

(٢) ينظر قوله فِي الكشف والبيان ١٠/ ٦٩، الوسيط ٤/ ٣٨٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٣.

(٣) هـذا القول حـكاه عكرمة عن ابن عباس، ينظـر: جامع البيـان ٢٩/ ١٨١، إيضاح الوقف والابتداء ص ٦٣، الوسيط ٤/ ٣٨٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٥.

(٤) من الطويل، لابن مَطَرٍ المازِنِيِّ، ونُسِبَ لبَرْذَعِ بن عَدِيٍّ الأَوْسِيِّ، ولغَيْلَانَ بنِ سَلَمةَ الثَّقَفِيِّ، ويُرْوَى:

.... لاَ ثَـوْبَ غـادِرٍ   لَبِسْتُ وَلاَ مِـنْ خِـزْيـةٍ....

اللغة: تَقَنَّعَ في الشيءِ: دَخَلَ فِيهِ، والمُقَنَّعُ: المُغَـطِّي رَأْسَهُ.

التخريـج: غريـب القرآن لابن قتيبـة ص ٤٩٥، مجالس ثعلـب ص ٢١٠، إيضاح الوقف والابتـداء ص ٦٣، معجـم الشـعراء ص ٤٣٦، تهذيـب اللغـة ٦/ ١٧٢، ١٥/ ١٥٤، الكشـف والبيان ١٠/ ٦٨، الوسيط ٤/ ٣٨٠، أساس البلاغة: قنع، خزي، المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٢، زاد المسـير ٨/ ٤٠٠، عين المعانِي ورقـة ١٣٩/ أ، التذكرة الحمدونية ٣/ ٨، تفسـير القرطبي ١/ ٢٥، ١٠/ ٢٧٦، ١٩/ ٦٣، اللسـان: ثوب، طهر، قوا، البحر المحيط ٦/ ٤٦، ٨/ ٣٦٣، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٤٩٥، التاج: ثوب، طهر، قوا، فتح القدير ٥/ ٣١٥.

(٥) قاله ابن عباس وعكرمة وابن زيد ومجاهد وقتادة والزهري والسدي، ينظر: الوسيط ٤/ ٣٨٠، زاد المسير ٨/ ٤٠١، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٦.

﴿وَٱلرُّجْزَ﴾ بضم الراء، وقرأ الباقون بالكسر[١]، واختاره أبو عبيد، وقال: لأنه أفْشَى اللغتين وأكْثَرُهما، وهما لغتان بمعنًى واحدٍ[٢]، وقيل[٣]: الزاي فيه منقلبة عن السين، والعرب تُعاقِبُ بين السين والزاي لقرب مخرجهما، ودليل هذا التأويل قوله تعالى: ﴿فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَـٰنِ﴾[٤].

والرِّجْزُ في اللغة معناه العَذابُ[٥]، وفيه لغتان: كَسْرُ الراء وَضَمُّهُ كما ذكرنا، وقيل[٦]: الرِّجْزُ بكسر الراء: العَذابُ، وبالضم: الصَّنَمُ، وقيل: هما شيء واحد كما تقدم، ومعناهما الإثم والظلم، وهو منصوب بـ«اهْجُرْ»، ولو كان في الأفعال الهاء لكان النصب أوْلَى أيضًا؛ لأن الأمْرَ بالفعل أوْلَى[٧].

---

(١) قرأ حمزةُ والكسائيُّ وأبو عمرو وابنُ عامر وابنُ كثير ونافعٌ وأبو بكر عن عاصم: ﴿والرِّجْزَ﴾ بكسر الراء، ينظر: السبعة ص ٦٥٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٧، البحر المحيط ٨/ ٣٦٤، الإتحاف ٢/ ٥٧١.

(٢) قاله الفراء والأخفش وثعلب، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٠١، معانِي القرآن للأخفش ص ٩٨، مجالس ثعلب ص ٢١٧، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٥، معانِي القراءات ٣/ ١٠٢.

(٣) قال ابن خالويه: «قالوا: والكسر أفصح؛ لأن الرِّجْزَ والرِّجْسَ سِيّانِ، العرب تُبْدِلُ الزّايَ سِينًا، ومثله: الأزْدُ والأسْدُ». إعراب القراءات السبع ٢/ ٤١٠، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٩/ أ.

(٤) الحج ٣٠.

(٥) هذا قول الكلبي كما ذكر الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٠١، وبه قال ابن قتيبة في غريب القرآن ص٥٠.

(٦) قاله مجاهد كما ذكر الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٠١، وقال الأخفش: «وذكروا أن الرُّجْزَ صَنَمٌ كانوا يعبدونه». معانِي القرآن ص ٩٨، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤١٠، الحجة للفارسي ٤/ ٧٤، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٧.

(٧) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٦٥، ومعناه: أنه لو كان في الفعل هاءٌ لانتصب الاسم المتقدم على الاشتغال.

قوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ قرأه العامّةُ بإظهار التضعيف، وقرأ أبو السَّمّالِ العَدَوِيُّ: ﴿وَلاَ تَمُنَّ﴾[1] بنون مدغمة مفتوحة ﴿تَسْتَكْثِرُ﴾، وقرأ الحسن[2] بالجزم على جواب النهي، وهو رَدِيءٌ؛ لأنه ليس بِجَوابٍ، وقرأ الأعمش بالنصب على توهم لام «كَيْ»، وقرأ الآخرون بالرفع على تقدير: لا تَضْعُفْ يا محمدُ أنْ تَسْتَكْثِرَ من الخَيْرِ، فلما حذفت «أنْ» رُفِعَ، ودليله قراءة ابن مسعود: ﴿وَلا تَمْنُنْ أنْ تَسْتَكْثِرَ﴾، ورفع لأنه فعل مستقبل في موضع الحال تقديره: مُسْتَكْثِرًا[3].

ومعنى الآية: لاَ تُعْطِ شيئًا من مالِكَ لِتَأْخُذَ أكْثَرَ منه[4]، وقيل[5]: معناه: وَلاَ تَمُنَّ بِالنُّبُوّةِ على الناس؛ فَتَأْخُذَ عليها منهم أجْرًا وَعِوَضًا من الدنيا، وهذا لِلنَّبِيِّ ﷺ خاصّةً، أدَّبَهُ اللهُ تعالى بأشرف الآداب.

قوله: ﴿وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾ يُعَزِّي نَبِيَّهُ ﷺ لِيَصْبِرَ على الأذى والتكذيب من كفار مكة، والمعنى: لأجل الله؛ أي: لأجل ثوابه فاصبر على البلاء، فإنه يَمْتَحِنُ أحِبّاءَهُ وأصْفِياءَهُ، وقيل: معناه: فاصبر على طاعة الله وفرائضه.

---

(١) قرأ أبو السَّمّالِ والحَسَنُ والأشْهَبُ العُقَيْلِيُّ: ﴿وَلَا تَمُنَّ﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٨، البحر المحيط ٨/ ٣٦٤.

(٢) قرأ الحَسَنُ وابن أبِي عَبْلَةَ: ﴿تَسْتَكْثِرْ﴾ بالجزم، وقرأه الأعمش والحسن ويحيى بن وثاب بالنصب، وقرأ ابن مسعود: ﴿أنْ تَسْتَكْثِرَ﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٤، المحتسب ٢/ ٢٣٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٩، البحر المحيط ٨/ ٣٦٤.

(٣) قاله المبرد في الكامل ١/ ٢٨٦، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٦٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٣.

(٤) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٠١، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٦، وحكاه الطبري عن ابن عباس وعكرمة والضحاك وقتادة في جامع البيان ٢٩/ ١٨٥، ١٨٦، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٦٧.

(٥) قاله ابن زيد، ذكره الطبري في جامع البيان ٢٩/ ١٨٧، ورَجَّحَهُ النحاسُ في إعراب القرآن ٥/ ٦٦، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧٠، زاد المسير ٨/ ٤٠٢.

قوله: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾؛ أي: نُفِخَ في الصُّورِ، وهي النفخة الثانية التي يَنْفُخُ إسرافيلُ ـ عليه السلام ـ فيه، ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾﴾ أي: شديد ﴿عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾﴾ [٢٦٧/ أ] / يعني: غَيْرُ هَيِّنٍ، وَيُهَوَّنُ ذلك اليَوْمُ على المؤمنين، و﴿ذَٰلِكَ﴾ رفع بالابتداء، و﴿يَوْمَئِذٍ﴾ نصب؛ لأنه مضاف إلَى غير متمكن وهو «إذْ»، وما كان بهذه الصفة فهو نصب، وإن كان موضعه رَفْعًا؛ لأنه خبر ابتداء، و﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ رَفْعٌ بَدَلٌ من خَبَرِ الابتداء وهو ﴿يَوْمَئِذٍ﴾[١]، و﴿غَيْرُ﴾ نعت لـ﴿يَوْمٌ﴾.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أَنْعَمُ وَصاحِبُ الصُّورِ قد التَقَمَ الصُّورَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، وهو يستمع متى يؤمر فينفخ؟»، فقال أصحاب رسول الله ﷺ: كيف نقول؟ قال: «قُولُوا: حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، على الله تَوَكَّلْنا»[٢].

قوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾﴾؛ أي: خَلَقْتُهُ في بطن أُمِّهِ وحيدًا فريدًا، لا مال له ولا وَلَدَ، يعني الوليد بن المغيرة، وكان يُسَمَّى الوَحِيدَ في

---

(١) ويجوز أن يكون ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ بدلًا من ﴿ذَٰلِكَ﴾، ويكون قوله: ﴿يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾ هو الخبر، ويجوز أن يكون قوله: «يَوْمَئِذٍ» في موضع نصب بتقدير: أعْنِي، قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٦٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٤، البيان للأنباري ٢/ ٤٧٣، التبيان للعكبري ص ١٢٤٩، الفريد ٤/ ٥٦٢.

(٢) هذا الحديث رُوِيَ عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ وزَيْدِ بن أَرْقَمَ أيضًا، رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٣٢٦، ٣/ ٧، ٧٣، ٤/ ٣٧٤، والترمذيُّ في سننه ٥/ ٥٠ أبواب تفسير القرآن: سورة الزمر، والحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥٩ كتاب الأهوال: باب «ينتظر صاحب الصور متى يُؤْمَرُ بِنَفْخِهِ»، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٨٩، شفاء الصدور ورقة ١٥٩/ ب، ١٨٠/ أ.

قومه[١]، والمعنى: خَلِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، فأنا أنفرد بِهَلَكَتِهِ، و«مَنْ» في موضع نصب عطفًا على النون والياء، وقيل: مفعول معه[٢]، ونصب ﴿وَحِيدًا﴾ على الحال.

قوله تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا ۝١٧﴾ يعني الوليد بن المغيرة؛ أي: سَأُكَلِّفُهُ مَشَقَّةً من العذاب، لا راحةَ له فيها، والصَّعُودُ: العَقَبةُ الصَّعْبةُ المُرْتَقَى[٣]، ونصب ﴿صَعُودًا﴾ لأنه مفعولٌ ثانٍ[٤]، وقيل[٥]: معناه: سَأُكَلِّفُهُ أنْ يَصْعَدَ صَعُودًا.

فصل

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال في قوله تعالى: ﴿سَأُرۡهِقُهُۥ صَعُودًا﴾ قال: «هو جَبَلٌ فِي النّارِ مِنْ نارٍ يُكَلَّفُ أنْ يَصْعَدَهُ، فإذا وَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ ذابَتْ، فإذا رَفَعَها عادَتْ، فإذا وَضَعَ رِجْلَهُ عليه ذابَتْ، فإذا رَفَعَها عادَتْ»[٦].

---

(١) قاله ابن عباس، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٨٠/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٧١، مجمع البيان ١٠/ ١٧٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٧١.

(٢) هذا الوجه والذي قبله قالهما النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٦٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٤.

(٣) قاله أبو عبيد في غريب الحديث ٣/ ٣٨٨، وابن السكيت في إصلاح المنطق ص ٣٣٤، وينظر: معانِي القرآن للنحاس ٢/ ٤٨٨، ٤٨٩، شفاء الصدور ورقة ١٨٠/ ب، تهذيب اللغة ٢/ ٩.

(٤) وعلى هذا فالكلام على تقدير مضاف، أي: سَأُرْهِقُهُ ارْتِقاءَ صَعُودٍ، قاله الهمدانِي في الفريد ٤/ ٥٦٣.

(٥) يعني أنه مصدر لفعل محذوف، ولَمْ أقف على صاحب هذا القول.

(٦) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٥/ ٣٦٦، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧٢، الوسيط ٤/ ٣٨٢، مجمع الزوائد ٧/ ١٣١ كتاب التفسير: سورة المدثر.

وعن أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ أيضًا عن النبي ﷺ أنه قال: «الصَّعُودُ: جَبَلٌ مِنْ نارٍ، يَتَصَعَّدُ فيه سبعين خَرِيفًا، ثم يَهْوِي فيه كذلك أبَدًا»(١).

وقال الكلبي: هو جبل من صخرةٍ مَلْساءَ في النار، يُكَلَّفُ أن يصعدها، حتى إذا بلغ أعلاها حُدِّرَ إلَى أسفلها، ولَمْ يُتْرَكْ أن يَتَنَفَّسَ، ثم يُكَلَّفُ أيضًا أن يصعدها، فذلك دَأْبُهُ أبَدًا، يُجْذَبُ من أمامِهِ بِسَلاَسِلِ الحَدِيدِ، ويُضْرَبُ مِنْ خَلْفِهِ بِمَقامِعِ الحَدِيدِ، فَيَصْعَدُها فِي أربعين سنة(٢).

[٢٦٧/ ب] قوله تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾﴾ / يعني الوليد أيضًا؛ أي: سأدخله، قيل: هو الباب الخامس من أبواب جهنم، يقال له: سَقَرُ المُهِينةُ، فيها ألوانُ المَهانةِ والهَوانِ، تقول العرب: سَقَرْتُهُ بِلِسانِي؛ أي: أهَنْتُهُ، وهو مفعولٌ ثان، ولَمْ يصرفه؛ لأنه من أسماء جهنم، وهو اسم لمؤنث، وقيل: لأنه اسم أعجمي، والأول هو الصواب؛ لأن الأعجمي إذا كان على ثلاثة أحرف انصرف، وإن كان متحرك الأوسط، وأيضًا فإنه اسم عَرَبِيٌّ مُشْتَقٌّ، يقال: سَقَرَتْهُ الشَّمْسُ: إذا أحْرَقَتْهُ(٣)، وهو اسم علم لا ينصرف للتعريف والتأنيث، وكذلك جَهَنَّمُ ولَظَى ـ نعوذ بالله تعالى منها ـ.

فصل

عن أَبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «سَأَلَ موسى

---

(١) رواه الترمذي في سننه ٤/ ١٠٤ أبواب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة قعر جهنم، ٥/ ١٠١ أبواب تفسير القرآن: سورة المدثر، ورواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٩٦ كتاب الأهوال: باب «وَيْلٌ جَبَلٌ فِي جهنم».

(٢) هذا القول حُكِيَ عن عكرمة وعن الضحاك أيضًا، ينظر: الوسيط ٤/ ٣٨٢، مجمع البيان ١٠/ ١٨٠، زاد المسير ٨/ ٤٠٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠، ٧٣.

(٣) من أول قوله: «وهو اسم لمؤنث» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٥/ ٦٨.

عليه السلام رَبَّهُ عزّ وجلّ فقال: يا رَبِّ: أيُّ عِبادِكَ أفْقَرُ؟ فقال: صاحِبُ سَقَرَ»[١].

ثم ذَكَرَ عِظَمَ شأنها فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧﴾ وقد تقدم القول فيه؛ لأنه مثل قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحَآقَّةُ﴾[٢]، والجملة[٣] في موضع نصب بـ﴿أَدۡرَىٰكَ﴾؛ لأن[٤] الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله[٥].

ثم أخبر عنها، فقال: ﴿لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨﴾؛ أي: لا تُبْقِي أهْلَ النار إذا رَأتْهُمْ حَتَّى تَأْكُلَهُمْ وَلاَ تَذَرُهُمْ، إذْ خُلِقُوا لَها حتى تُواقِعَهُمْ، وقيل: لا تُبْقِي مَنْ فيها حَيًّا، ولا تَذَرُ مَنْ فيها مَيْتًا، ولكنها تُحْرِقُهُمْ، كُلَّما أُحْرِقُوا جُدِّدَ خَلْقُهُمْ، ولكل شيء فَتْرةٌ وَمَلاَلَةٌ إلّا لِجَهَنَّمَ.

وقوله: ﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝٢٩﴾ يعني: لِلْخَلْقِ، ويجوز أن يكون جَمْعَ بَشَرةٍ أي: مُغَيِّرةٌ لِلْجُلُودِ[٦]، تقول العرب: لَاحَتْهُ الشَّمْسُ وَلَوَّحَتْهُ، ولَاحَهُ السُّقْمُ والحُزْنُ: إذا غَيَّرَهُ[٧]، قال ابن عباس: ﴿لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ﴾: مُذْهِبةٌ لِلْحُسْنِ والبَهاءِ،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧٣، تاريخ دمشق ٦١/ ١٣٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٧٧، كنز العمال ١٥/ ٩٠٠.

(٢) الحاقة ٣، وينظر ما سبق ٤/ ٣٥ من هذا الكتاب.

(٣) يعني جملة «ما سَقَرُ».

(٤) في الأصل: «إلا أن».

(٥) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٦٩، ومعناه أن الفعل «أدْراكَ» يعمل النصب في الجملة المكونة من المبتدأ والخبر، ولا يعمل في «ما» وحدها؛ لأن الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢١٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٠١-٤٠٢.

(٦) قاله مجاهد وقتادة والزجاج، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٧، زاد المسير ٨/ ٤٠٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٧٨.

(٧) قال ابن قتيبة: «يقال: لَاحَتْهُ الشَّمْسُ: إذا غَيَّرَتْهُ». غريب القرآن ص ٤٩٦، وحكاه الأزهري =

قيل[1]: إنها تَلْفَحُ الجِلْدَ لَفْحةً، فَتَدَعُهُ أَشَدَّ سَوادًا من الليل.

ورفـع ﴿لَوَّاحَةٌ﴾ على إضمار مبتدأ أي: هـي لَوّاحةٌ[2]، وقيل: على نعت ﴿سَقَرُ﴾ في قولـه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ﴾، وقيل: هو رفع على الذَّمِّ، ومثله: «نَزّاعةٌ لِلشَّوَى»[3]، وقرأ عَطِيّةُ العَوْفِيُّ: «لَوّاحةً»[4] بالنصب على الحال، والبَشَرُ جَمْعُ بَشَرةٍ، وجمع البَشَرِ أَبْشارٌ، فهو جمع الجمع[5].

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾ من الخَزَنةِ مالِكٌ ومعه ثمانية عشر من الملائكة، أَعْيُنُهُمْ كالبَرْقِ الخاطِفِ، وأَنْيابُهُمْ كالصَّياصِي، يَخْرُجُ لَهَبُ النّارِ من أفواههم، ما بَيْنَ مَنْكِبَيْ أَحَدِهِمْ مَسِيرةُ / سَـنةٍ، يَسَـعُ كَفُّ أَحَدِهِمْ مِثْلَ رَبِيعةَ وَمُضَرَ، قـد نُزِعَتْ منهـم الرَّحْمةُ، يَرْفَعُ أَحَدُهُمْ سـبعين ألفا فيرميهـم حيث أراد من جهنم[6]. [٢٦٨/ أ]

= عـن الليث فـي التهذيب ٥/ ٢٤٨، وينظر: الزاهر لابن الأنبـاري ١/ ٣٥٦، غريب القرآن للسجستاني ص ١٦٧، الكشف والبيان ١٠/ ٧٣.

(١) قاله مجاهد وأبو رزين، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١٩٨، الكشف والبيان ١٠/ ٧٤، الوسيط ٤/ ٣٨٤، الكشاف ٤/ ١٨٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٧٧.

(٢) قاله ابن الأنباري والنحاس، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٥٥، إعراب القرآن ٥/ ٦٩.

(٣) المعارج ١٦، وهذا على قراءة الرفع، وراجع ما ذُكِرَ فيها في ٤/ ٦٨.

(٤) قرأ عطية العوفِيُّ وزيد بن عَلِيٍّ والحسـن وابن أَبِي عبلة ونصر بن عاصم وعيسـى بن عمر وأبـو معاذ: ﴿لَوّاحةً﴾ بالنصب، ينظر: مختصـر ابن خالويه ص ١٦٥، القرطبي ١٩/ ٧٧، البحر ٨/ ٣٦٧.

(٥) قال الخليل: «والبَشَـرةُ: أعلى جِلْد الوَجْه والجَسَد من الإنسان، وهو البَشَر إذا جَمَعْتَه وإذا عَنَيْتَ به اللَّوْنَ والرِّقَّةُ، وجَمْعُ الجَمْعِ: أَبْشـارٌ». العين ٦/ ٢٥٩، وينظر: المحيط في اللغة ٧/ ٣٣٠، اللسان: بشر، التاج: بشر.

(٦) حكاه الواحدي عن المفسرين في الوسيط ٤/ ٣٨٤، وينظر: زاد المسير ٨/ ٤٠٧.

فصل

رُوِيَ عن النبي ﷺ أنه نَعَتَ خَزَنَةَ النار، فقال: «كَأَنَّ أَعْيُنَهُم البَرْقُ، وكَأَنَّ أَنْيابَهُم الصَّياصِي، يَجُرُّونَ شُعُورَهُمْ، لأحدهم مِثْلُ قُوّةِ الثَّقَلَيْنِ، يَسُوقُ أَحَدُهُم الأُمّةَ وعلى رَقَبَتِهِ جَبَلٌ، فَيَرْمِي بِهِمْ في النار، وَيَرْمِي بِالجَبَلِ فَوْقَهُمْ»[1].

وما بعده ظاهر الإعراب إلَى قوله تعالى: ﴿وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ شَكٌّ وَنِفاقٌ، قاله أكثر المفسـرين[2]، وقال الحسـين بن الفضل[3]: المرض هاهنا: الخلاف لا النفاق؛ لأن السـورة مكية، ولَمْ يكن بِمَكّةَ نِفاقٌ البَتّةَ ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾؛ أي: وليقـول الكافـرون مشـركو مكـة ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ إن جعلتَ «ما» و«ذا» اسمًا واحدًا كانت في موضع نصب بـ ﴿أَرَادَ﴾، وإن جعلتَ «ذا» بمعنى «الَّذِي» كانت «ما» اسـتفهامًا اسمًا تامًّا رفعًا بالابتداء، و«ذا» الخبر، و ﴿أَرَادَ﴾ صلة «ذا»، والهاء محذوفة منه، يعني: ما الذي أراده الله بهذا؟، على تقدير: أَيُّ شَيْءٍ أراده الله بهذا الحديث مثلًا؟ وهو نصب على البيان[4].

ومعنى الآية: ماذا أراد الله بِوَصْفِ عَدَدِ خَزَنةِ جَهَنَّمَ بِتِسْعةَ عَشَرَ؟ وذلك أن أبـا جهل بن هشـام ـ لعنه الله ـ قال: يا معشـر قريش! ألا تَـرَوْنَ أن محمَّدًا

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧٤، الكشاف ٤/ ١٨٤، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٧٩، الدر المنثور ٦/ ٢٨٤.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٠٢، الكشـاف ٤/ ١٨٥، زاد المسير ٨/ ٤٠٨، تفسـير القرطبي ١٩/ ٨٢.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٧٤، المحرر الوجيز ٥/ ٣٩٦، زاد المسير ٨/ ٤٠٩.

(٤) مـن أول قوله: «إن جعلت «ما» و«ذا» اسـمًا واحدًا»، قاله مَكِّيٌّ فِي مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٦.

يُخَوِّفُكُمْ بِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ، وزعم أنهم تِسْعةَ عَشَرَ، وأنتم الدُّهْمُ، أفَيُعْجِزُ كُلَّ مِائةٍ منكم أن يَبْطِشُوا بِرَجُلٍ من خَزَنَةِ جهنم، فتخرجوا منها؟، قال أبو الأشَدَّيْنِ ـ واسمه: أُسَيْدُ بن كَلَدةَ بنِ أُسَيْدِ بنِ خَلَفٍ الجُمَحِيُّ[١] ـ: يا معشر قريش: إذا كان يومُ القيامة فأنا أمشي بين أيديكم على الصراط، فأَدْفَعُ عَشْرةً بِمَنْكِبِي الأيْمَنِ وَتِسْعةً بِمَنْكِبِي الأيْسَرِ في النار، ونَمْضِي نَدْخُلُ الجَنّةَ[٢].

وقيل[٣]: إنه قال لأبي جهل: بل أنا أكفيك تسعةً على ظهري، وثمانيةً على صدري، واكْفُونِي أنتم اثنين، وإنما سُمِّيَ أبا الأشَدَّيْنِ لِشِدَّتِهِ، وكنيته أبو الأعور، وكان أعْوَرَ شَدِيدَ البَطْشِ، فلما سَمِعَ المسلمون ما قال أبو جهل وأبو الأشدين قالوا: يَقِيسُ الملائكةَ إلى الحَدّادِينَ؟[٤] يعني: يقيس الملائكةَ إلَى السَّجّانِينَ من الناس، والعرب تُسَمِّي السَّجّانَ حَدّادًا، وكُلُّ مانِعٍ عند العرب/ [٢٦٨/ ب] حَدّادٌ[٥]، وفي هذا المعنى يقول الشاعر:

٤٢٢ ـ إنَّما الفَقْرُ والغِناءُ مِنَ اللَّـ ـهِ فَهَذا يُعْطَى وَهَذا يُحَدُّ[٦]

---

(١) كان من عُتاةِ الكافرين، دَعا النَّبيَّ ﷺ إلَى المصارعة، وقال: إنْ صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بِكَ، فَصَرَعَهُ رَسُولُ الله ﷺ، فلم يؤمن، ينظر: الروض الأُنُفُ للسهيلي ٢/ ٦٥.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ١٩٩، الوسيط ٤/ ٣٨٤، زاد المسير ٨/ ٤٠٨، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب، لباب النقول ص ٢٠٦-٢٠٧.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧٤، الكشاف ٤/ ١٨٤، زاد المسير ٨/ ٤٠٨.

(٤) يُضْرَبُ مَثَلًا في الصغير يُقاسُ بالكبير، ينظر: الفاخر للمفضل بن سلمة ص ١١٢، جمهرة الأمثال ١/ ٢١٧، مجمع الأمثال ١/ ٢٣٨.

(٥) قاله ابن الأنباري في الزاهر ١/ ٢٨٨، وينظر: شفاء الصدور ١٨١/ ب، تهذيب اللغة٣/ ٤٢١.

(٦) البيت من الخفيف، لَمْ أقف على قائله.

اللغة: الغِناءُ: الغِنَى، ولكنه مَدَّهُ للضرورة.

التخريج: الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ص ٧٤٧.

أي: يُمْنَعُ، وقال آخر:

٤٢٣ ـ لَقَدْ أَلَّفَ الحَدّادُ بَيْنَ عِصابةٍ   تَسـاءَلُ فِي الأَقْتـادِ مـاذا ذُنُوبُها[1]

ومنه قيل لِلْبَـوّابِ: حَدّادٌ؛ لأنه يَمْنَعُ الدّارَ مَنْ يَدْخُـلُ مِنْ غَيْرِ أَهْلِها[2]، قال الأعشى:

٤٢٤ ـ فَقُمْنـا وَلَمّـا يَصِـحْ دِيكُنـا   إلـى جَـوْنـةٍ عِـنْـدَ حَـدّادِهـا[3]

أراد: بَوّابِها، وسُمِّيَ الحَدِيدُ حَدِيدًا لِمَنْعِهِ من السلاح ووصوله إلى لاَبِسِهِ.

قولـه: ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي: كَما أَضَلَّ مَنْ أَنْكَرَ عَـدَدَ الخَزَنةِ، وَهَدَى مَنْ صَدَّقَ ذلـك ﴿يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَمَا يَعۡلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ يعنـي: من الملائكة الذين خلقهم الله لِتَعْذِيبِ أَهْلِ النار، لا يعلم عِدَّتَهُمْ إلا اللهُ، وهذا جواب لأبي جهل بن هشام حين قال: أما لِمُحَمَّدٍ أعْوانٌ إلا تسعة عشر؟ والمعنى: أن تسعة

---

(١) البيت من الطويل، لِلسَّمْهَرِيِّ العُكْلِيِّ، ورواية ديوانه:

لَقَـد جَمَّـعَ الحَـدّادُ بَيْـنَ عِصابةٍ   تَساءَلُ فِي الأَسْـجانِ ماذا ذُنُوبُها

اللغة: العِصابةُ: جَماعةُ ما بين العشرة إلى الأربعين، الأَقْتادُ: جَمْعُ قَتَدٍ وهو خَشَبُ الرَّحْلِ.

التخريج: ديوانه ص ٣٦ (ضمن أشعار اللصوص)، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٨٩، الأغاني ص ٨٤٧٦ ط دار الشعب.

(٢) قاله أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٣٧، ٣٨، وينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ٣٩، الصحاح ٢/ ٤٦٢.

(٣) البيت من المتقارب، للأعشى من قصيدة يمدح بها سلامة بن يزيد الحميري.

اللغة: الجَوْنةُ: السـوداء، يعني خابية الخمر لأنها كانت تُطْلَى بالقار حتى لا ترشح، الحَدّادُ هنا: الخَمّارُ، وَسَمّاهُ حَدّادًا لأنه يَمْنَعُ الخَمْرَ ويُمْسِكُها حتى يُبْذَلَ له ثَمَنُها.

التخريج: ديوانـه ص ١١٩، غريب الحديث للهروي ٢/ ٣٨، جمهرة اللغة ص٩٥، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٨٩، الأزهية للهروي ص ١٩٧، تصحيح الفصيح وشرحه لابن درستويه ص ٢٤٠، التذكرة الحمدونية ٨/ ٣٥٩، زاد المسير ١/ ١٩٣، خزانة الأدب ٨/ ٢٢٦.

عشر هم خزنة النار، ولهم من الأعوان والجنود من الملائكة ما لا يعلمه إلّا الله.

فصل

عن الأوْزاعِيِّ قال: قال موسى ـ عليه السلام ـ: «رَبِّ: مَنْ مَعَكَ فِي السماء؟ قال مَلاَئِكَتِي، قال: كم عدتهم يا رَبِّ؟ قال: اثنا عشر سِبْطًا، قال: كم عدد كُلِّ سِبْطٍ؟ قال: عَدَدُ التراب»[1].

ثم رَجَعَ إِلَى ذِكْرِ سَقَرَ، فقال تعالى: ﴿وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾ يعني: موعظة لِلْعالَمِ، و ﴿هِيَ﴾ رفع ابتداء وخبَرٌ محقق، تقديره: هي ذكرى للبشر ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ أقسم ـ سبحانه ـ بالقمر، وله أن يقسم بما شاء من خلقه، يعني: حَقًّا والقَمَرِ ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني: وَلَّى ذاهِبًا بظلمته.

قرأ نافع وحمزة وخلف ويعقوب وحفص وابن محيصن: «إِذْ» بغير ألف ﴿أَدْبَرَ﴾ بألف، غير أن وَرْشًا ينقل حركة الهمزة إلى الذال، ويحذف الهمزة، وقرأ غيرهم بِضِدِّهِ[2] وهما لغتان[3]، قال الشاعر:

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٧٥، عين المعاني ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٣.

(٢) قرأ: «إِذْ أَدْبَرَ» أيضًا الحَسَنُ وابنُ جُبَيْرٍ والسُّلَمِيُّ وابنُ سِيرِينَ والأَعْرَجُ وزَيْدُ بنُ عَلِيٍّ، وقرأ وَرْشٌ: «إِذَ دْبَرَ» بِحَذْفِ الهمزة وَنَقْلِ حَرَكَتِها إِلَى الذال، وقرأ الحَسَنُ وأبو رُزَيْنٍ وأبو رجاء وابنِ يَعْمُرَ والسُّلَمِيُّ وطلحة والأعمش ويونس بن عبيد: «إذا أَدْبَرَ»، وكذلك هو في مصحف ابن مسعود وأُبَيٍّ، وقرأ ابن عباس وابن الزبير وبقية السبعة، وأبو بكر عن عاصم، ومجاهدٌ وعطاءٌ وشيبة وقتادة والحسن وطلحة وعمر بن عبد العزيز: «إذا دَبَرَ»، ينظر: السبعة ص ٦٥٩، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٤، البحر المحيط ٨/ ٣٦٩.

(٣) يعني: دَبَرَ وأَدْبَرَ، قال الفراء: «ولا أراهما إلا لغتين، يقال: دَبَرَ النَّهارُ والشِّتاءُ والصَّيْفُ وأَدْبَرَ». معاني القرآن ٣/ ٢٠٤، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٨، تهذيب اللغة ١٤/ ١١١، معانِي القراءات ٣/ ١٠٣.

٤٢٥ ـ صَدَعَتْ غزالةُ قَلْبَهُ بِفوارِسٍ تَرَكَتْ مَسامِعَهُ كَأمْسِ الدّابِرِ[١]

قولـه: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾ يعني: أضاءَ وَتَنَـوَّرَ عن ظلمة الليل / ، قرأه [٢٦٩/ أ] العامـة بالألف على معنى: أضـاءَ، وقرأ ابن السَّـمَيْفَع: «سَـفَرَ»[٢] بغير ألف، وهما لغتان يقال: سَـفَرَ وَجْهُ فُلانٍ وَأسْـفَرَ: إذا أضاءَ، وَسُـفِرَ البَيْتُ: إذا كُنِسَ، ويقال لِلْمِكْنَسةِ: المِسْفَرةُ[٣]، ويجوز أن يكون من قولهم: سَفَرَ وَجْهُ المَرْأةِ: إذا أَلْقَتْ خِمارَها عن وجهها[٤]. والليل والصبح خفض بالعطف على القمر بواو القسم[٥].

قولـه: ﴿إِنَّهَا﴾ يعني سَـقَرَ ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾﴾ يعني: لإحـدى الأمور

---

(١) البيت من الكامل، لِعِمْرانَ بن حِطّانَ يخاطب الحَجّاجَ بن يوسـف، ونُسِبَ لِشَبِيبِ بن يزيد الشَّيْبانِيِّ، ويُرْوَى:

صَدَعَتْ غَزالـةُ جَمْعَهُمْ بِفَوارِسٍ جَعَلَـتْ كَتائِبَهُـمْ كَأمْـسِ الدّابِرِ

اللغة: غَزالةُ: امرأةٌ خارِجِيّةٌ، قيل: إنها زَوْجُ شَبِيبٍ الخارجي.

التخريـج: ديوان الخوارج ص ١١٤، جمهرة اللغـة ص ٩٢٣، الأغاني ١٦/ ١٥٥، العقد الفريد ٥/ ٤٤، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٤١٠، الخصائص ٢/ ٢٦٧، الكشف والبيان ١٠/ ٧٦، التذكـرة الحمدونيـة ٢/ ٤٥٠، تاريـخ دمشـق ١٢/ ١٨٢، ٤٣/ ٤٩٧، ٤٩٨، الحماسة البصرية ص ٢٢٦، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب.

(٢) هذه قراءة ابن السَّمَيْفَعِ وعيسى بن الفضل، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٨٤، البحر المحيط ٨/ ٣٧.

(٣) قاله أبو عبيد في غريب الحديث ١/ ٦٣، وحكاه الأزهري عنه في التهذيب ١٢/ ٤٠١.

(٤) قال الفراء: «وإذا أَلْقَتِ المَرْأةُ نِقابَها أو بُرْقُعَها قيل: سَفَرَتْ فَهِيَ سافِرٌ، ولا يقال: أَسْفَرَتْ». معانِي القرآن ٣/ ٢٣٩، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٤، تهذيب اللغة ١٢/ ٤٠٠، ٤٠١، الصحاح ٢/ ٦٨٦.

(٥) يعني أنهما معطوفان على «القمر» المخفوض بواو القسم.

العِظامِ، وهذا جواب القسم، وأراد بالكُبَرِ دَرَكاتِ جَهَنَّمَ وأبْوابَها، وهي سبعة: جَهَنَّمُ ولَظَى والحُطَمةُ والسَّعِيرُ وسَقَرُ والجَحِيمُ والهاوِيةُ ـ أعاذنا الله منها ـ، والكُبَرُ جمع الكُبْرَى، وهي النار مثل الأُولَى والأُوَلِ والصُّغْرَى والصُّغَرِ.

قوله: ﴿نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ٣٦﴾ يعني: تَذْكِرةً لِلْعالَمِ، قال الزَّجّاجُ[١] والكِسائِيُّ[٢]: هو منصوب على الحال من المضمر في قوله: ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[٣] يريد: قُمْ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ. قال ابن الأنباري[٤]: وهذا قبيح؛ لأن الكلام قد طال فيما بينهما.

وقيل: هو نصب على القطع من قوله: ﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ٣٥ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ﴾؛ لأنها معرفة و﴿نَذِيرًا﴾ نكرة، وإن شئتَ نَصَبْتَهُ على القطع أيضًا من العائد في ﴿سَقَرُ﴾، قاله ابن الأنباري[٥]، وقال الخليل[٦]: النَّذِيرُ مصدر كالنَّكِيرِ، كأنك قلتَ: إنْذارًا للبشر، وقيل[٧]: هو منصوب على إضمار فعل؛ أي: صَيَّرَها اللهُ

---

(١) قال الزجاج: «ويجوز أن يكون ﴿نَذِيرًا﴾ منصوبًا مُعَلَّقًا بأول السورة على معنى: قُمْ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ». معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٩.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن ٥/ ٧٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٧، الوسيط ٤/ ٣٨٥. وقد حكاه الفراء بغير عَزْوٍ، وَرَدَّهُ فقال: «كان بعض النحويين يقول: إنْ نصبتَ ﴿نَذِيرًا﴾ من أول السورة: يا محمد قُمْ نَذِيرًا لِلْبَشَرِ. وليس ذلك بشيء، والله أعلم ـ؛ لأن الكلام قد حدث بينهما شَيْءٌ منه كَثِيرٌ، وَرَفْعُهُ في قراءة أُبَيٍّ يَنْفِي هذا المعنى». معاني القرآن ٣/ ٢٠٥.

(٣) المدثر ٢.

(٤) ينظر قوله في تفسير القرطبي ١٩/ ٨٥.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٥٦.

(٦) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٧٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٥، البحر المحيط ٨/ ٣٧٠، الدر المصون ٦/ ٤١٩-٤٢٠.

(٧) قاله النحاس فِي إعراب القرآن ٥/ ٧٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٦.

نَذِيرًا؛ أي: ذات إنذار، فَذَكَّرَ اللفظ على النَّسَبِ، وقيل[1]: هو نصب على إضمار «أعْنِي»، وقرأ إبراهيم بن أَبِي عَبْلَةَ: «نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ»[2].

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُرْ﴾ بَدَلٌ من قوله: ﴿لِّلْبَشَرِ﴾ ﴿أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)﴾ يعني: يتقدم فِي الخير، أو يتأخر في المعصية، وهذا وعيد وتهديد كقوله تعالى: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾[3]، وكقوله: ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾[4].

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨)﴾ يعني: بِمـا عَمِلَتْ رَهِينَةٌ بعملها فِي جهنم، إلا من اسْتَثْنَى اللهُ تعالى فإنهم غير مُرْتَهَنِينَ، وهم أصحاب اليمين، وذلك قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ (٣٩)﴾ يعني المؤمنين، واليمين صفة لكل خير وسعادة، وهم الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم.

وما بعده ظاهر التفسير إلَى قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩)﴾ يعني كفار/ قريش حين نَفَـرُوا عن القرآن، وأعرضوا عن الإيمان، والتذكرة: التذكيـر بمواعظ القرآن، ونصـب ﴿مُعْرِضِينَ﴾ على الحـال[5]، وقيل: معناه:

---

(١) حـكاه النحاس عن الأخفش الأصغر فـي إعراب القرآن ٥/ ٧٢، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٧.

(٢) قـرأ بالرفـع أُبَيُّ بنُ كعبٍ وإبراهيم بن أَبِي عَبْلَةَ، وعلى هذه القـراءة يكون «نَذِيرٌ» خَبَرًا بعد خَبَرٍ لـ«إنَّ»، أو خَبَرَ مبتدأ محذوف؛ أي: هي نذير، ينظر: الفريد للهمداني ٤/ ٥٦٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٦، البحر المحيط ٨/ ٣٧٠.

(٣) الكهف ٢٩.

(٤) فصلت ٤٠.

(٥) قاله سـيبويه والمبرد وغيرهما، ينظر: الكتـاب ٢/ ٦١، المقتضب ٣/ ٢٣٧، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٤٩، إعراب القرآن ٥/ ٧٤، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ٧.

صارُوا مُعْرِضِينَ، فعلى هذا التأويل يكون منصوبًا على الخبر[١].

ثم شَبَّهَهُمْ في نُفُورِهِمْ عن القرآن بِحُمُرٍ نافِرةٍ، فقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾ قرأ أهل المدينة والشام وأيوبُ بفتح الفاء أي: مُنَفَّرَة مَذْعُورةٌ، وقرأ الآخرون بالكسر[٢]؛ أي: نافِرةٌ، يقال: نَفَرَتْ واسْتَنْفَرَتْ بِمَعْنًى واحِدٍ، وأنشد الفَرّاءُ[٣]:

٤٢٦ ـ أَمْسِكْ حِمارَكَ إِنَّهُ مُسْتَنْفَرٌ فِي إِثْرِ أَحْمِرةٍ عَمَدْنَ لِقُرَّبِ[٤]

---

(١) يعني على خبر «مالِ»، وهذا قول الكوفيين، وينظر ما سبق في قوله تعالى: ﴿ فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴾. المعارج ٣٦ ص ١١٩٤ من هذا الكتاب، وينظر: الجمل المنسوب للخليل ص ٥٨.

(٢) قرأ نافعٌ وابنُ عامر وأبو جعفر والمفضلُ عن عاصم: «مُسْتَنْفَرةٌ» بفتح الفاء، وقرأ الباقون، وحفصٌ وأبو بكر عن عاصم بكسر الفاء، ينظر: السبعة ص ٦٦٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٩، البحر المحيط ٨/ ٣٧٢، الإتحاف ٢/ ٥٧٢.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٠٦.

(٤) البيت من الكامل، لنافع بن لُقَيْطٍ الفَقْعَسِيِّ الأَسَدِيِّ، ويُرْوَى: «ارْبِطْ حِمارَكَ.. عَمَدْنَ لِغُرَّبِ».

اللغة: ارْبِطْ حِمارَكَ: مَثَلٌ يُضْرَبُ لِمَنْ يُؤْذِي قَوْمَهُ، وَمَعْناهُ: كُفَّ نَفْسَكَ عَنْ أَذَى قَوْمِكَ فَإِنَّكَ عُيِّرْتَ في شَتْمِهِمْ كَما يُعَيَّرُ الحِمارُ عَنْ مَرْبِطِهِ، عَمَدْنَ: قَصَدْنَ، غُرَّبٌ: جَبَلٌ دُونَ الشّامِ في بِلادِ بَنِي كَلْبٍ.

التخريج: المعانِي الكبير ص ٧٩٣، جامع البيان ٢٩/ ٢١٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٠، ديوان الأدب ٢/ ٤٣١، تهذيب اللغة ٨/ ١١٩، ١٥/ ٢١٠، معانِي القراءات ٣/ ١٠٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤١٢، الصحاح ص ٨٣٣، الكشف والبيان ١٠/ ٧٨، زاد المسير ٨/ ٤١٢، مجمع البيان ١٠/ ١٨٤، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٩، اللسان: غرب، نفر، البحر المحيط ٨/ ٣٧٢، الدر المصون ٦/ ٤٢٢، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٣٦، التاج: غرب، نفر.

والقَرَبُ: طَلَبُ الماءِ، والقارِبُ: هو الطَّالِبُ[١]، ويُرْوَى:

فِـي إِثْـرِ أَحْمِـرةٍ عَمَـدْنَ لِغُرَّبِ

و«غُرَّبٌ» اسم جَبَلٍ، ذكره صاحب ديوان الأدب[٢].

وقوله: ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ۝٥١﴾ يعني الأسد بلسان العرب، وهو بلسان الحبشة: القَسْوَرةُ، وبلسان فارس: شير، وبلسان النَّبَطِ: أريا[٣].

قال ثعلب[٤]: اختلف الناس فيه، فقالت طائفة: القسورة هاهنا: الأسد، وهي «فَعْوَلةٌ» من القَسْرِ وهو القَهْرُ، سُمِّيَ الأسد بذلك لأنه يقهر السباع كلها، وكل ضخم شديد عند العرب فهو قَسْوَرٌ وقَسْوَرةٌ، وقالت طائفة: هم الرُّماةُ رِجالُ القَنْصِ، لا واحد له من لفظه، وقالت طائفة: القَسْوَرةُ: سَوادُ أَوَّلِ الليل، ولا يُقالُ لِسَوادِ آخِرِ الليل: قَسْوَرةٌ.

والمعنى: أن المشركين كانوا إذا سَمِعُوا النَّبِيَّ ﷺ يقرأ القرآنَ هَرَبُوا منه كما تَهْرُبُ الحُمُرُ الوَحْشِيّةُ من الأسد.

قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ۝٥٢﴾ نصب على خَبَرِ ما لَمْ

---

(١) قال الخليل: «والقُرَّبُ: طَلَبُ الماءِ لَيْلًا». العين ٥/ ١٥٣، وينظر: غريب الحديث للهروي ٣/ ١٨٧، اللسان: قرب، التاج: قرب.

(٢) قال الفارابِيُّ: «وَغُرَّبٌ: اسم موضع». ديوان الأدب ١/ ٣٢٣، ولَمْ يذكر أنه اسم جَبَلٍ.

(٣) قاله ابن عباس، ينظر: جامع البيان ١/ ٢٠، ٢٩/ ٢١٢-٢١٣، شفاء الصدور ورقة ١٨٢/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٧٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٨٩، اللسان: قسر، اللسان: قسر.

(٤) هذا القول حكاه عنه تلميذه أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٤٢، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ١٨٢/ أ، تهذيب اللغة ٨/ ٣٩٩.

يُسَمَّ فاعله[(١)]، والصحف: الكتب، واحدتها صحيفة، و ﴿مُّنَشَّرَةً﴾ معناها: مَنْشُورة.

وذلك أن المشركين قالوا: يا محمد: بَلَغَنا أن الرجل من بَنِي إسرائيل كان يُصْبِحُ مكتوبًا عند رأسه ذَنْبُهُ وكَفّارَتُهُ، فَأْتِنا بِمِثْلِ ذلك، فَكَرِهَ ذلك رسولُ الله ﷺ[(٢)] / [٢٧٠/ أ] فأنزل الله تعالى: ﴿كَلَّا﴾؛ أي: ليس الأمر كما يريدون ويقولون، وقيل: معناه حَقًّا، وكُلُّ ما وَرَدَ عليك من هذا الباب فهذا وجهه[(٣)]، والمعنى: كَلَّا لا يُؤْتَوْنَ الصُّحُفَ.

ثم قال تعالى: ﴿بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۝٥٣﴾ لَكِنْ لا يخافون عذاب الآخرة، والمعنى: أنهم لو خافوا النار لَما اقترحوا الآياتِ بعد قيام الأدلة الواضحات ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ﴾ يعني القرآن ﴿تَذْكِرَةٌ ۝٥٤﴾ تذكير وموعظة ﴿فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ۝٥٥﴾ يعني: فَهِمَهُ وَوَعاهُ واتَّعَظَ به.

ثم رَدَّ المشيئة إلَى نفسه، فقال: ﴿وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ يعني:

---

(١) في الأصل: «على اسمِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعله» وهو خطأ. ومعناه أن ﴿صُحُفًا﴾ مفعول ثانٍ لـ﴿يُؤْتَىٰ﴾، والمفعول الأول هو نائب الفاعل الذي هو ضمير مستتر يعود على قوله: «امْرِئٍ».

(٢) قاله الكلبي، ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٧٩، الكشاف للزمخشري ٤/ ١٨٨، زاد المسير ٨/ ٤١٣.

(٣) هذا مذهب لبعض العلماء، قال مَكِّيٌّ: «وذهبت طائفة إلى أنها [يعني: كَلَّا] يُوقَفُ عليها فِي كل موضع، فإن كان قبلها ما يُرَدُّ ويُنْكَرُ كان معناها: ليس الأمر كذلك... وإذا كان قبلها ما لا يُرَدُّ ولا يُنْكَرُ كان معناها «حَقًّا»، نحو «تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِها فاقِرةٌ. كَلَّا «أي: حَقًّا ما ذُكِرَ». الوقف على كلّا وبلى ونعم في القرآن لمكيٍّ بن أبي طالب ص ٥٠.
ثم قال مَكِّيٌّ: «قوله: «بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرةً. كَلَّا» الوقف على «كَلَّا» حَسَنٌ بالِغٌ، تجعلها رَدًّا لِما قبلها؛ أي: لا يُؤْتَى ذلك... ويجوز الابتداء بـ«كَلَّا» على معنى «ألا» وعلى معنى «حَقًّا»، والوقف عليها أَحْسَنُ». الوقف على كلَّا وبلى ونعم ص ٥٨.

لا يهتدون إلا مَنْ هَداهُ اللهُ، قرأ نافع: «تَذْكُرُونَ»[١] بالتاء على الخطاب للحاضرين، وقرأ الباقون بالياء على الغيبة ﴿هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾ يعني الرَّبُّ نَفْسَهُ تعالى، هو أَهْلٌ أَنْ يُتَّقَى فلا يُعْصَى، وهو أَهْلٌ أَنْ يَغْفِرَ لِمَنْ تاب إليه.

فصل

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: أنا أَهْلٌ أَنْ أُتَّقَى، فَلاَ يُشْرَكَ مَعِي غَيْرِي، وأنا أَهْلٌ لِمَن اتَّقَى أَنْ يُشْرِكَ بِي أَنْ أَغْفِرَ له»[٢].

وَرُوِيَ عن محمد بن النَّضْرِ الحارِثِيِّ[٣] أنه قال: «يقول الله عزّ وجلّ: «أنا أَهْلٌ أَنْ يَتَّقِيَنِي عَبْدِي، فَإِنْ لَمْ يفعل فأنا أَهْلٌ أن أغفر له»[٤]، وقال قتادة: «هُوَ أَهْلٌ أَنْ تُتَّقَى مَحارِمُهُ، وأَهْلٌ أَنْ يَغْفِرَ الذُّنُوبَ»[٥]، والله أعلم.

---

(١) قرأ نافع وسلام ويعقوب: «تَذْكُرُونَ» بالتاء، ينظر: السبعة ص ٦٦٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٠، البحر المحيط ٨/ ٣٧٢.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٤٢، ٢٤٣، وابن ماجَهْ في سننه ٢/ ١٤٣٧ كتاب الزهد: باب ما يُرْجَى من رحمة الله يوم القيامة، وينظر: مسند أبي يعلى ٦/ ٦٦، المعجم الأوسط ٨/ ٢٤٠، شفاء الصدور ١٨٢/ ب، الوسيط ٤/ ٣٨٨.

(٣) أبو عبد الرحمن الحارثيُّ الكوفِيُّ، عابِدُ أَهْلِ زمانه بالكوفة، رَوَى عن الأوزاعي وغيره، اشتغل بالعبادة عن الرواية، وقد أرسل عن النبي ﷺ أحاديثَ. [صفة الصفوة ٣/ ١٦٠، سير أعلام النبلاء ٨/ ١٧٥].

(٤) ينظر: شفاء الصدور ١٨٢/ ب، ١٨٣/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٨٠، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٩١.

(٥) ينظر: تفسير عبد الرزاق ٣/ ٣٣٢، جامع البيان ٢٩/ ٢١٤، الوسيط ٤/ ٣٨٩.

سورة القيامة

مكية

وهـي سـتمائة واثنان وخمسـون حرفًا، ومائة وتسـع وتسـعون كلمةً، وأربعون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عـن أُبَـيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنـه ـ قال: قال رسـول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ القِيامةِ شَهِدْتُ أنا وَجِبْرِيلُ لَهُ يَوْمَ القِيامةِ أَنَّهُ كانَ مُؤْمِنًا بِيَوْمِ القِيامةِ، وَجاءَ وَوَجْهُهُ مُسْفِرٌ عَلَى وُجُوهِ الخَلائِقِ يَوْمَ القِيامةِ»(١)، وَرُوِيَ عنه ـ ﷺ ـ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ لَمْ يَلْحَقْهُ ذَنْبٌ إلّا الشِّرْكُ بِاللهِ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب/

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله ـ عز وجـل ـ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١﴾ قرأها العامة مقطوعة، والألف ممـدودة مهمـوزة ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ مثلها، وقـرأ ابن كثير بروايـة قُنْبُلٍ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٨١، الوسيط ٤/ ٣٩٠، الكشاف للزمخشري ٤/ ١٩٣، مجمع البيان ١٠/ ١٩٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

والحَسَنُ وعبد الرحمن الأعرج: «لَأُقْسِمُ»[١] بغير أَلِفٍ موصولةً ليس بين اللام والهمزة مَدٌّ، ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ مقطوعة ممدودة، على معنى أنه أَقْسَمَ باليوم وَلَمْ يُقْسِمْ بالنفس، والصحيح أنه أقسم بِهِما جميعًا، ولا خلاف في الثاني أنه ممدود.

فإن قيل: ألا يأتون بالنون على هذه القراءة، ولا يحسن في القَسَمِ استعمال اللام بلا نُونٍ، كما لا يحسن استعمال النون بلا لامٍ؟ قيل[٢]: المُعَوَّلُ على قراءة الأكثر والجمهور، والقراءة سُنّةٌ مُتَّبَعةٌ، وَوَجْهُها في العربية أنهم استغنوا بأحد التأكيدين عن الآخر، وقد جاء فِي الشعر النونُ بلا لامٍ كما قال:

٤٢٧ ـ وَقَتِيلِ مُرّةَ أَثْأَرَنَّ....[٣]

أراد: لأَثْأَرَنَّ.

---

(١) وهي أيضًا قراءة الزهري والبَزِّيِّ، ينظر: السبعة ص ٦٦١، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٢، النشر ٢/ ٢٨٢، الإتحاف ٢/ ٥٧٣.

(٢) المؤلف هنا متابع، فيما يبدو، للنحاس وغيره من البصريين في تضعيف هذه القراءة، وحُكْمِهِ على حذف النون هنا بأنه خاصٌّ بالضرورة، فقد حكم النَّحّاسُ على قراءة ابن كثير باللحن، فقال: «وهذا لَحْنٌ عند الخليل وسيبويه». إعراب القرآن ٥/ ٧٧.

وإذا رجعنا إلَى الكتاب وجدنا سيبويه يقول: «وقد يستقيم فِي الكلام: إنَّ زَيْدًا لَيَضْرِبُ وَلَيَذْهَبُ، وَلَمْ يَقَعْ ضَرْبٌ، والأكثر على ألسنتهم، كما خَبَّرْتُكَ، فِي اليمين، فَمِنْ ثَمَّ أَلْزَمُوا النونَ في اليمين لئلّا يلتبس بما هو واقع، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا جُعِلَ ٱلسَّبۡتُ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾. الكتاب ٣/ ١٠٩، وقال الفارسي: «فأما قول ابن كثير: ﴿لَأُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامةِ﴾ فإن اللام يجوز أن تكون التي يصحبها إحدى النونين في أكثر الأمر، وقد حَكَى سيبويه ذلك، وأجازه». الحجة ٤/ ٧٧-٧٨.

وينظر أيضًا: معانِي القراءات ٣/ ١٠٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٨، ٤٢٩، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٩، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٥١، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣١٩-٣٢٠، مغني اللبيب ص ٨٤٥، همع الهوامع ٢/ ٤٠٠.

(٣) هذه قطعة من بيت من الكامل، وهو بتمامه: =

ومعنى قوله: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ اختلفوا فيه، فقال بعضهم[1]: ﴿لَآ﴾ صِلةٌ أي: أُقْسِمُ بِيَوْمِ القيامة، وقيل[2]: ﴿لَآ﴾ تأكيد للقسم كقوله: لَا واللهِ، قال الشاعر:

٤٢٨ ـ فَلاَ وَأَبِيكِ ابْنَةَ العامِرِيِّ لا يَدَّعِي القَوْمُ أَنِّي أَفِرّْ[3]

= وَقَتِيلِ مُرّةَ أَثْأَرَنَّ، فَإِنَّهُ فَرْغٌ، وَإِنَّ أخاهُمُ لَمْ يُقْصَدِ

وهو لِعامِرِ بن الطُّفَيْلِ، ويُرْوَى:

فِرْغٌ وَإِنَّ أخاكُمُ لَمْ يُثْأرِ

اللغة: قَتِيلُ مُرّةَ: هُوَ حَنْظَلَةُ بْنُ الطُّفَيْلِ أخُو الشّاعِرِ، قَتَلَهُ المُرِّيُّونَ، فَرْغٌ: شَرِيفٌ فِي قَوْمِهِ، لَمْ يُقْصَدْ: لَمْ يُقْتَلْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَقْصَدَهُ السَّهْمُ؛ أيْ: قَتَلَهُ.

التخريج: ديوانه ص ٥٦، الحجة للفارسي ٤/ ٧٨، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٤٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٩، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ١٤١، ٥٢٦-٥٢٧، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٥١، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢١٠-٢١١، شرح الكافية للرضي ٤/ ٣١٩، رصف المباني ص ٣٤٠، مغني اللبيب ص ٨٤٥، الدر المصون ٦/ ٢٦٧، ٤٢٥، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٣٠، ١٩/ ٥٤٤، شرح شواهد المغني ص ٩٣٥، همع الهوامع ٢/ ٤٠٠، خزانة الأدب ١٠/ ٦٠، ٦٥.

(١) قاله أكثر المفسرين والنحويين، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٤٦٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٩، الأصول لابن السراج ١/ ٤٠١، ٢/ ٢٥٩، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥١، إعراب القرآن ٥/ ٧٧، حروف المعانِي ص ٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٢٨، مغني اللبيب ص ٣٢٨.

(٢) قاله أبو بكر بن عياش، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢١٦، الكشف والبيان ١٠/ ٨١، عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب، وبه قال الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٨٩، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٧٢.

(٣) البيت من المتقارب، لامرئ القيس، ورواية ديوانه: «لَا وَأَبِيكِ»، وقد أنكر الأصمعيُّ أن يكون هذا البيت أو القصيدة كلها لامرئ القيس، وقال: «هذه القصيدة لِرَبِيعةَ بنِ جُشَمَ المُرِّيِّ».

التخريج: ديوان امرئ القيس ١٥٤، الشعر والشعراء ص ٩٧، ١٢٢، المحتسب ٢/ ٢٧٣، الصاحبي ص ٤١١، الكشاف ٤/ ١٨٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٠١، عين المعانِي ورقة =

والقَسَمُ بالشيء تَنْبِيهٌ على تعظيمه أو ما فيه من لَطِيفِ الصُّنْعِ وعَظِيمِ النِّعْمةِ، وقال ابن عباس: ﴿لَآ﴾ صلة ـ كقول الأول ـ كما قال الشاعر:

تَذَكَّرْتُ لَيْلَى، فاعْتَرَتْنِي صَبابةٌ   وَكادَ ضَمِيرُ القَلْبِ لاَ يَتَقَطَّعُ[1]

وقال الفَرّاءُ[2]: ﴿لَآ﴾ رَدٌّ على الذين أنكروا البعث والجنة والنار، ثم ابتدأ القَسَمَ، فقال: ﴿أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، قال: وكل يمين كانت رَدًّا لكلام، فلا بُدَّ من تقديم ﴿لَآ﴾ قبلها، فتفرق بذلك بين اليمين التِي تكون جَحْدًا وبين اليمين التِي تُسْتَأْنَفُ، ألا ترى أنك تقول مُبْتَدِئًا: واللهِ إنَّ الرَّسُولَ لَحَقٌّ، فإذا قلت: لا واللهِ إنَّ الرَّسُولَ لَحَقٌّ، فكأنك أَكْذَبْتَ قَوْمًا أنكروه.

ومعنى ﴿ٱللَّوَّامَةِ﴾: أنه ليس من نَفْسٍ بَرّةٍ ولا فاجِرةٍ إلا وهي تَلُومُ نَفْسَها يوم القيامة، إن كانت عملت خَيْرًا قالت: هَلّا ازْدَدْتُ منه، وإن كانت عملت شَرًّا قالت: لَيْتَنِي لَمْ أعْمَلْهُ[3]، وجواب القسم محذوف/ [٢٧١/ أ] تقديره: لَتُبْعَثُنَّ ولَتُحاسَبُنَّ[4]، وقيل[5]: جوابه: ﴿بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ﴾.

= ١٣٩/ ب، شرح الكافية للرضي ٤/ ٤٦٦، ارتشاف الضرب ص ٨١٣، ٢٤١٥، مغني اللبيب ص ٣٢٩، الدر المصون ٦/ ٤٢٤، المقاصد النحوية ١/ ٩٦، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٤٢، شرح شواهد المغني ص ٦٣٥، خزانة الأدب ١/ ٣٧٤، ١١/ ٢٢١-٢٢٣.

(١) تقدم برقم ٣٤٢ ص ١٠٢٣.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ٢٠٧ باختلاف يسير في ألفاظه.

(٣) هذا الكلام قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٠٨، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٦٧، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٠.

(٤) قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٥٧، وبه قال الزمخشري في الكشاف ٤/ ١٩٠، والسجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب، وحكاه القرطبي عن النحاس في تفسيره ١٩/ ٩٣.

(٥) ذكر السمين الحلبي أنه قول الحسن البصري، ينظر: الدر المصون ٦/ ٤٢٦.

فصل

قال عُمَرُ بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ: «مَنْ شاءَ أن ينظر يَوْمَ القيامة فَلْيَقْرَأْ: « ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾[1]، وقال المغيرة بن شعبة: «إنكم لتقولون: يَوْمُ القيامة، وإنما قِيامةُ أَحَدِكُمْ مَوْتُهُ»[2]، فنظمه أحدهم فقال:

٤٢٩ ـ خَرَجْتُ مِنَ الدُّنْيا وَقامَتْ قِيامَتِي غَداةَ أَقَلَّ الحامِلُونَ جِنازَتِي[3]

قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ يعني الكافر، وهو عَدِيُّ بن رَبِيعةَ، وقيل: هو أبو جهل بن هشام، أنكر البعث وقال: أَوَيَجْمَعُ اللهُ العِظامَ البالِيَةَ يَوْمَ القيامة يا محمد؟ فقال: «نَعَمْ»، فاستهزأ به، فأنزل الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ۝٣ بَلَىٰ قَـٰدِرِينَ ۝٤﴾؛ أي: نَقْدِرُ على ذلك وعلى ما هو أَعْظَمُ منه، وهو أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ فَنَرُدَّها كما كانت، وَمَنْ قَدَرَ على جَمْعِ صِغارِ العِظامِ كان على جَمْعِ كِبارِها أَقْدَرَ[4].

وقيل: معناه: نجعل أصابع يديه ورجليه شيئًا واحدًا كَخُفِّ البَعِيرِ أو كَحافِرِ الحِمارِ أو كَظَلْفِ الخِنْزِيرِ، أراد: نَجْعَلُ بَنانَهُ مع كَفِّهِ صَحْفَةً مُسْتَوِيةً لا

---

(١) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٢٢، شفاء الصدور ورقة ١٨٣/ أ، الدر المنثور ٦/ ٢٨٧.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢١٧، شفاء الصدور ورقة ١٨٣/ أ، عين المعاني ورقة ١٣٩/ ب.

(٣) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، وقد أورده القرطبي في التذكرة بيتين بعده، وهما:

وَعَجَّلَ أَهْلِي حَفْرَ قَبْرِي وَصَيَّرُوا خُرُوجِي وَتَعْجِيلِي إِلَيْهِ كَرامَتِي
كَأَنَّهُمُ لَمْ يَعْرِفُوا قَطُّ سِيرَتِي غَداةَ أَتَى يَوْمِي عَلَيَّ وَساعَتِي

التخريج: عين المعاني ورقة ١٣٩/ ب، التذكرة للقرطبي ص ٢٤٧.

(٤) قاله ابن قتيبة والزجاج، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٦، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥١، وينظر: الوسيط ٤/ ٣٩١، زاد المسير ٨/ ٤١٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٤.

شُقُوقَ فيها، فلا يمكنه أن يعمل شيئًا، فَيَعْدِمُ الارْتِفاقَ بالأعمال اللطيفة كالكتابة والخياطة وغير ذلك، ولَكِنّا فَرَّقْنا أصابعه حتى يأخذ بها ما شاء، ويقبضها إذا شاء، ويبسطها إذا شاء، فَحَسَّنّا خَلْقَهُ، وهذا قول عامّةِ المفسرين[١].

ونصب ﴿قَٰدِرِينَ﴾ على الحال من فاعلٍ في فعل مضمرٍ، تقديره: بَلَى نَجْمَعُها قادِرِينَ، وهو قول سيبويه[٢]، وقرأ ابن أبي عَبْلَةَ: ﴿بَلَى قادِرُونَ﴾[٣] بالرفع، تقديره: بَلَى نَحْنُ قادرون على أن نُسَوِّيَ بَنانَهُ.

﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني عَدِيَّ بن ربيعة، أو أبا جهل بنَ هشام ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥﴾ يعني: يُقَدِّمُ الذَّنْبَ ويُؤَخِّرُ التَّوْبَةَ، يقول: اليَوْمَ أَتُوبُ، غَدًا أَتُوبُ، حتى يأتيه الموت على شَرِّ أحواله وَأَسْوَإِ أعماله[٤].

وقيل[٥]: يَرْكَبُ رَأْسَهُ في هَواهُ، ويجري هائما حيث قادته نفسه كالماء، و ﴿أَمَامَهُۥ﴾ يحتمل أن يكون نُصِبَ على أنه مفعول، ويحتمل أن يكون نَصْبُهُ

---

(١) قاله ابن عباس وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢١٨-٢١٩، إعراب القرآن ٥/ ٨٠، شفاء الصدور ورقة ١٨٣/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٨٣، الوسيط ٤/ ٣٩١، زاد المسير ٨/ ٤١٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٤.

(٢) قال سيبويه: «وأما قوله جَلَّ وَعَزَّ: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ﴾ فهو على الفعل الذي أُظْهِرَ، كأنه قال: بَلَى نَجْمَعُها قادِرِينَ، حدثنا بذلك يونسُ». الكتاب ١/ ٣٤٦.

(٣) وهي قراءة ابن السَّمَيْفَعِ أيضًا، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٩٤، البحر المحيط ٨/ ٣٧٦.

(٤) قاله الكلبي وابن جبير والفراء وثعلب، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٨، تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٦، شفاء الصدور ورقة ١٨٣/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٨٣، الكشاف ٤/ ١٩٠، زاد المسير ٨/ ٤١٨.

(٥) حكاه السجاوندي بغير نسبة في عين المعاني ورقة ١٣٨/ ب.

علـى الظرف تقديره: أنْ يَفْجُرَ في أمامِـهِ[١]، وأصل الفجور: المَيْلُ، ومنه قيل للفاجر والكاذب والفاسق والكافر: فاجِرٌ لِمَيْلِهِمْ/ عن الحق[٢].

﴿يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝٦﴾ يقـول: مَتَـى يكون يـوم القيامـة؟ تكذيبًا به، و﴿أَيَّانَ﴾ ظرف زمان بمعنى «مَتَى»، وهو مبني على الفتح، وكان حقه الإسكان لكن اجتمع سـاكنان: الألف والنون، ففتحت النون لالتقاء السـاكنين، وإنما وجـب لــ ﴿أَيَّانَ﴾ البناء؛ لأنهـا بمعنى «مَتَـى»، ففيها معنى الاسـتفهام، فلما أشبهت حروف الاستفهام بُنِيَتْ، إذ الحروف أصلها البناء[٣].

قوله: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧﴾ يعني: شَخَصَ بَصَرُهُ عند الموت، قرأ نافع وأبو جعفر وابن أَبِي إسحاق ونصر بن عاصم: «بَرَقَ»[٤] بفتح الراء؛ أي: لَمَعَ، وقرأ أبو عمرو وعاصم وشـيبة وابن عامر وابن كثير وحمزة والكسائي بكسر الراء؛ أي: حارَ وَفَزِعَ من أَمْرِ المَوْتِ وأَمْرِ القيامة.

وأصل البَرِقِ: الدَّهَشُ، يقال: بَرِقَ الرَّجُلُ يَبْرَقُ بَرَقًا[٥]، قال الشاعر:

---

(١) لَمْ أقف على من قال: إنه مفعول به، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٢٥٤، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٧٣، الدر المصون ٦/ ٤٢٦.

(٢) قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٧، وينظر: تهذيب اللغة ١١/ ٤٩.

(٣) من أول قوله: «وأيّانَ ظرف زمان» قاله مَكِّيٌّ بنصه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٠.

(٤) قـرأ بفتح الراء أيضًا زَيْدُ بن ثابـت، وأبانٌ عن عاصم، وأبو حيوة وابنُ أَبِي عَبْلَةَ والزَّعْفَرانِيُّ وابنُ مِقْسَمٍ وزيدُ بنُ عَلِيٍّ والحَسَنُ وعاصمٌ الجَحْدَرِيُّ، وهارونُ ومحبوبٌ كلاهما عن أبي عمرو، ينظر: السبعة ص ٦٦١، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٥، البحر المحيط ٨/ ٣٧٦.

(٥) قالـه ابن قتيبة في غريـب القرآن ص ٤٩٩، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٨٠، شـفاء الصدور ورقة ١٨٤/ أ، معانِي القراءات ٣/ ١٠٦.

٤٣٠ ـ وَلَوْ أَنَّ لُقْمانَ الحَكِيمَ تَعَرَّضَتْ لِعَيْنَيْهِ مَيٌّ سافِرًا كادَ يَبْرُقُ[١]

وقال آخر:

٤٣١ ـ فَنَفْسَكَ فانْعَ، وَلاَ تَنْعَنِي وَداوِ الكُلُومَ، وَلا تُبْرِقِ[٢]

أي: لاَ تَفْزَعْ من الكُلُومِ التي بِكَ، والكسر أَوْلَى، قاله صاحب «إنسان العين»[٣]، ومن قرأ بالفتح فعلى معنى: شَقَّ عَيْنَيْهِ وَفَتَحَهُما، وأنشد أبو عبيدة[٤]:

٤٣٢ ـ لَمّا أتانِي ابْنُ عُمَيْرٍ راغِبًا أَعْطَيْتُهُ عِيسًا صِهابًا[٥] فَبَرَقْ[٦]

---

(١) البيت من الطويل، لِذِي الرُّمّةِ.

التخريج: ديوانه ص ٤٦١، تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٥، جمهرة اللغة ص ٣٢٢، مجمل اللغة ص ١٢١، الصحاح ص ١٤٤٩، المخصص ١٦/ ١٢٤، الكشف والبيان ١٠/ ٨٤، التبيان للطوسي ١/ ٣٠١، الاقتضاب ٢/ ١٣٢، زاد المسير ١/ ٤٥، عين المعانِي ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٦، اللسان: برق، البحر المحيط ٨/ ٣٧٣، الدر المصون ٦/ ٤٢٧، التاج: برق.

(٢) البيت من المتقارب، لِطَرَفَةَ بن العَبْدِ، ويُرْوَى: «وَلَا تَبْرَقِ» بفتح التاء والراء.

اللغة: النَّعْيُ: خَبَرُ المَوْتِ، الكُلُومُ: جَمْعُ كَلْمٍ وهو الجُرْحُ.

التخريج: ديوانه ص ٢١٨، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٠٩، جامع البيان ٢٩/ ٢٢٣، تهذيب اللغة ٩/ ١٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ٨٤، التبيان للطوسي ١٠/ ١٩٢، زاد المسير ٨/ ٤١٨، عين المعاني ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٦، اللسان: برق، حنن، الدر المصون ٦/ ٤٢٧، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٥٠، التاج: برق.

(٣) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٣٨/ ب.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧، والرواية فيه: «ابنُ صُبَيْحٍ راغِبًا».

(٥) في الأصل: «صهبا».

(٦) البيت من الرجز لأبِي عُبَيْدَةَ الكِلَابِيِّ، ونُسِبَ لِلأَعْوَرِ بن بَراءٍ الكِلَابِيِّ.

التخريج: العين ٥/ ١٥٦، إصلاح المنطق ص ٤٥، ٤١٥، جامع البيان ٢٩/ ٢٢٣، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤١٥، الحجة للفارسي ٤/ ٧٨، شرح ديوان أبِي محجن الثقفي =

أي: فَتَحَ عَيْنَيْهِ، والفتح في ﴿بَرِقَ﴾ لغة[١]، ويَجُوزُ أن يكون من البَرِيقِ، قاله الثعلبي[٢].

قوله: ﴿وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ⑧﴾ يعني: ذَهَبَ ضَوْؤُهُ، ويحتمل أن يكون بمعنى: غابَ كقوله: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾[٣]، و«خَسَفَ» و«كَسَفَ» سَواءٌ[٤]، وقيل[٥]: الخُسُوفُ عِبارةٌ عن القمر، والكُسُوفُ عِبارةٌ عن الشمس، وقرأ بعضهم: «وَخُسِفَ»[٦] بضم الخاء.

= ص ٢٩، الكشف والبيان ١٠/ ٨٤، تهذيب إصلاح المنطق ص ١٢٦، مجمع البيان ١٠/ ١٩٢، عين المعاني ورقة ١٣٩/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٦، الدر المصون ٦/ ٤٢٧، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٥١.

(١) قال الفراء: «قرأها الأعمش وعاصم والحسن وبعض أهل المدينة: «بَرِقَ» بكسر الراء، وقرأها نافعٌ المَدَنِيُّ: «فَإِذا بَرَقَ البَصَرُ» بفتح الراء من البَرِيقِ: شَخَصَ لِمَنْ فَتَحَ، وقوله: «بَرِقَ»: فَزِعَ... ومن قرأ: «بَرَقَ» يقول: فَتَحَ عَيْنَيْهِ، وَبَرَقَ بَصَرُهُ أيضًا كذلك». معاني القرآن ٣/ ٢٠٩، وينظر: إصلاح المنطق ص ٤٥، ١٩٣.

وقال ابن خالويه: «قال أهل اللغة: بَرَقَ وَبَرِقَ لغتان، يُقالُ لِلْمَيِّتِ إذا شَخَصَ: قَدْ بَرِقَ بَصَرُهُ». إعراب القراءات السبع ٢/ ٤١٥، وينظر: تهذيب اللغة ٩/ ١٣٢، الصحاح ٤/ ١٤٤٩.

(٢) الكشف والبيان ١٠/ ٨٤.

(٣) القصص من الآية ٨١، وكونه بمعنى غاب هو قول ابن كيسان، ذكر الثعلبي ذلك في الكشف والبيان ١٠/ ٨٤.

(٤) هذا قول الخليل وأبي عبيدة وابن قتيبة، ينظر: العين ٥/ ٣١٤، مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٤٩٩، وحكاه الأزهري عن الليث وأبي الهيثم وأبي زيد في تهذيب اللغة ٧/ ١٨٣ خسف، ١٠/ ٧٦، ٧٧ كسف، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٨٣/ ب، الصحاح ٤/ ١٣٤٩، غريب القرآن للسجستاني ص ١٦٨، النهاية لابن الأثير ٢/ ٣١.

(٥) قال الجوهري: «قال ثعلب: كَسَفَتِ الشَّمْسُ، وَخَسَفَ القَمَرُ، هذا أجْوَدُ الكَلَامِ». الصحاح ٤/ ١٣٥٠ خسف، ٤/ ١٤٢١ كسف، وينظر: النهاية لابن الأثير ٤/ ١٧٤، اللسان: خسف.

(٦) هذه قراءة زَيْدِ بن عَلِيٍّ وأبي حَيْوةَ وابن أبي عَبْلَةَ ويَزِيدَ بن قُطَيْبٍ وابن أبي إسحاق وعيسى ابن عمر والأعرج، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٩٦، البحر المحيط ٨/ ٣٧٦.

﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩﴾ يعني: جُمِعَ بينهما في ذَهابِ الضَّوْءِ كالبَعِيرَيْنِ القَرِينَيْنِ، قال عَلِيُّ بن أَبِي طالب ـ رضي الله عنه ـ: «يُجْعَلانِ في نُورِ الحُجُبِ»[1]، وَرُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «الشَّمْسُ والقَمَرُ ثَوْرانِ يُكَوَّرانِ يَوْمَ القيامة»[2].

[٢٧٢/ أ] ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ المُكَذِّبُ بيوم القيامة ﴿يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠﴾/ يعني: أين المَهْرَبُ حَتَّى أُحْرِزَ نَفْسِي؟، فيقول الله تعالى: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١﴾؛ أي: لا مَلْجَأَ وَلاَ مَفَرَّ ولاَ جَبَلَ ولاَ حِرْزَ يُلْجَأُ إليه، وحِمْيَرُ تُسَمِّي الجَبَلَ وَزَرًا[3]، قرأ العامة: ﴿ٱلْمَفَرُّ﴾ بفتح الفاء وهو الاختيار لأنه مصدر، وبالكسر[4]: موضع القرار مثل المَطْلَعِ والمَطْلِعِ[5].

---

(١) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٨٤/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٨٤.

(٢) رواه البخاريُّ بسنده عن أبي هريرة في صحيحه ٤/ ٧٥ كتاب بدء الخلق: باب صفة «الشَّمْسُ والقَمَرُ بِحُسْبانٍ» بلفظ «الشمس والقمر مكوران»، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٨٤/ أ، الجامع الصغير ٢/ ٨٦، الدر المنثور ٦/ ٣١٨، كنز العمال ٦/ ١٥٢.

(٣) روى الطبري عن الضحاك قال: «كَلَّا لَا وَزَرَ» يعني الجبل بلغة حِمْيَرَ». جامع البيان ٢٩/ ٢٢٧، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٢، شفاء الصدور ورقة ١٨٤/ أ، تهذيب اللغة ١٣/ ٢٤٣.

(٤) وقد قرأ: «المَفِرُّ» بكسر الفاء ابنُ عباس والحَسَنُ بن عَلِيٍّ والحَسَنُ بن زيد وعكرمة والحَسَنُ البصريُّ وأيوب السِّخْتِيانِيُّ وكُلْثُومُ بن عِياضٍ ومجاهد وابن يعمر وحماد بن سلمة وأبو رجاء وعيسى بن عمر وابن أَبِي إسحاق وأبو حَيْوةَ وابن أَبِي عَبْلَةَ والزهري، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٩٧، البحر المحيط ٨/ ٣٧٧.

(٥) قال سيبويه: «قال الله عز وجل: «أَيْنَ المَفَرُّ» يريد: أَيْنَ الفِرارُ؟، فإذا أراد المكان قال: المَفِرُّ، كما قالوا: المَبِيتُ حين أرادوا المكان؛ لأنها من: باتَ يَبِيتُ». الكتاب ٤/ ٨٧، ٨٨، وينظر: أدب الكاتب ص ٤٤٤، الأصول ٣/ ١٤١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٢، إعراب القرآن ٥/ ٨١، الصحاح ٢/ ٧٨٠، اللسان: فرر.

قوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾ يعني: المُنْتَهى يوم القيامة إلَى الله تعالى، ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ يعني: بأوَّلِ عَمَلِهِ وآخِرِهِ، وقيل: بما قَدَّمَ من المعصية وَأَخَّرَ من الطاعة، وقيل: بِما قَدَّمَ من أمواله لنفسه وما أَخَّرَ لِوَرَثَتِهِ.

قيل[١]: «خَمسُ مَصائِـبَ في الدُّنْيا أَعْظَمُ من الذنب، أولها: خِذْلَانُ الله لِعَبْدِهِ حَتَّى عَصاهُ، ولو عَصَمَهُ ما عَصاهُ، الثانية: أَنْ سَـلَبَهُ حِلْيَةَ أَوْلِيائِهِ، وَكَساهُ لِبـاسَ أعدائه، الثالثـة: أَنْ أَغْلَقَ عليه بـاب رحمته، وفَتَحَ عليـه باب عقوبته، الرابعة: نَظَرُهُ إليه وهو يَعْصِيهِ، الخامسـة: وقوفـه بين يده يعرض عليه ما قَدَّمَ وَأَخَّرَ من قبائحه، فهؤلاء الخمس في الدنيا أعظم من الذنب».

قولـه تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾﴾ يعني: رُقَباءُ يشـهدون عليه بعملـه: اليَدانِ والرِّجْلاَنِ والعَيْنانِ والأُذُنانِ والذَّكَرُ والسَّـمْعُ والبَصَرُ[٢]، وهو ابتداء وخبر[٣]، ودخول الهاء في بَصِير؛ لأن المراد بالإنســان هاهنا الجوارح، قال القُتَيْبِيُّ[٤]: أَقامَ جَوارِحَهُ مُقامَ نَفْسِهِ، فلذلك أَنَّثَ.

ويجـوز أن يكـون تأنيثـه للإضافة إلَى النفـس، كما تقول فِـي الكلام:

---

(١) هذا القول حكاه الثعلبِيُّ في الكشف والبيان ١٠/ ٨٥.

(٢) قالـه ابن عباس وعكرمة ومقاتـل والكلبي والفراء، ينظر: معانِي القـرآن للفراء ٣/ ٢١١، جامع البيان ٢٩/ ٢٢٩-٢٣٠، شـفاء الصدور ورقة ١٨٤/ أ، الكشـف والبيان ١٠/ ٨٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٩٩-١٠٠.

(٣) قـال النحـاس: «فعلى هذا القول الإنســان مرفوع بالابتداء، و﴿بَصِيرَةٌ﴾ ابتـداءٌ ثانٍ، و﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ خَبَـرُ الثانِي، والجملة خبر الأول». إعراب القرآن ٥/ ٨٢، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣١.

(٤) قال ابن قتيبة: «أي: بل على الإنسان من نفسه بصيرةٌ، يريد شهادة جوارحه عليه؛ لأنها منه، فأقامه مُقامَها». تأويل مشكل القرآن ص ١٩٣.

ذَهَبَتْ بَعْضُ أصابِعِهِ(١)، وقيل(٢): معناه: بل الإنسان على نفسه شاهِدٌ، والهاء في «بَصِير» للمبالغة والتوكيد، كما قالوا: رَجُلٌ داهِيةٌ وعَلاَّمةٌ ونَسّابةٌ وَشَتّامةٌ ونحو ذلك.

و ﴿بَصِيرَةٌ﴾ مرفوعة بِخَبَرِ حرف الصفة، وهي قوله: ﴿عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾، ويجوز أن يكون نعتًا لاسم مؤنث؛ أي: بل الإنسان على نفسه عَيْنٌ بَصِيرةٌ، وأنشد الفراء(٣):

[٢٧٢/ ب] ٤٣٣ - كَأَنَّ عَلَى ذِي العَقْلِ عَيْنًا بَصِيرةً ... بِمَقْعَدِهِ أَوْ مَنْظَرٍ هُوَ ناظِرُهْ /
يُحاذِرُ حَتَّى يَحْسِبَ النّاسَ كُلَّهُمْ ... مِنَ الخَوْفِ لا تَخْفَى عَلَيْهِمْ سَرائِرُهْ(٤)

قال أبانُ بن تَغْلِبَ(٥): البصيرة والبينة والشاهد والدليل واحد.

---

(١) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٨٦، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٧٥.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٧٧، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٨٢، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٨، وحكاه الجوهري عن الأخفش في الصحاح ٢/ ٥٩٢، وينظر: اللسان: بصر، التاج: بصر.

(٣) معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١١، والرواية فيه: «كَأَنَّ عَلَى ذِي الظَّنِّ».

(٤) البيتان من الطويل لِلْفَرَزْدَقِ، ورواية ديوانه:

كَأَنَّ عَلَى ذِي الطِّنْءِ...

والطِّنْءُ: الرِّيبةُ والتُّهْمةُ، وَنُسِبا لِمُضَرِّسِ بن رِبْعِيٍّ الفَقْعَسِيِّ الأَسَدِيِّ، ويُرْوَى الأول أيضًا:

كَأَنَّ عَلَى ذِي الظَّنِّ...... ... بِمَنْطِقِهِ أَوْ مَنْظَرٍ......

التخريج: ديوان الفرزدق ١/ ٢٠٩، تهذيب اللغة ١٢/ ١٧٥، ١٤/ ٢٧، الكشف والبيان ١٠/ ٨٦، التذكرة الحمدونية ٩/ ٢٠٠، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١٠٠، اللسان: بصر، طنأ، البحر المحيط ٨/ ٣٧٧، الدر المصون ٦/ ٤٢٨، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٥٦، التاج: طنأ، بصر، فتح القدير ٥/ ٣٣٨.

(٥) أبانُ بن تَغْلِبَ بن رَباحٍ البكريُّ الجُرَيْرِيُّ بالولاء، أبو سعيد الكوفِيُّ، قارئ لغوي، من =

قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ (١٥)﴾ يعني: سُتُورَهُ، واحدها مِعْذارٌ، وأهل اليمن يسمون السِّتْرَ المِعْذارَ[١]، يريدون: ولو أرْخَى عليه سُتُورَهُ، وقيل[٢]: معناه: اعتذاره؛ أي: لو اعتذر بِحُجَّتِهِ لَمْ ينفعه ذلك، وكان جَسَدُهُ عليه شاهِدًا، قال ثعلب[٣]: وَلَمْ أسْمَعْ له بواحد، ولو قيل: مَعْذِرةٌ كان جائزًا.

قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ (١٧)﴾ يعني القرآن؛ أي: إن علينا أن نجمعه فِي صدرك حتى تحفظه وَتَعِيَهُ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ﴾ يعني: فإذا تلاه عليك جبريلُ ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ (١٨)﴾؛ أي: فاتبع ما فيه، وقيل: فاتبع قِراءَتَهُ[٤]، قال الشاعر:

= غلاة الشيعة، قرأ على عاصم وأبِي عمرو وطلحة بن مُصَرِّفٍ وغيرهم، رَوَى عن عكرمة والحكم وغيرهما، توفي سنة (١٤١هـ)، من كتبه: غريب القرآن، القراءات، معانِي القرآن. [تهذيب الكمال ٦/ ٣٠٨، غاية النهاية ١/ ٤، الأعلام ١/ ٢٦]، وينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٨٦، تفسير الثعالبي (الجواهر الحسان) ٥/ ٥٢٢.

(١) قاله السُّدِّيُّ والضَّحّاكُ وأبو عُبَيْدٍ، ينظر: التهذيب ٢/ ٣١٢، الكشف والبيان ١٠/ ٨٧، الوسيط ٤/ ٣٩٢، المحرر الوجيز ٥/ ١٠٤، عين المعاني ورقة ١٤٠/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١٠٠، اللسان: عذر، البحر المحيط ٨/ ٣٧٨.

(٢) قاله ابن عباس وابن جبير ومجاهد وعكرمة وابن زيد وأبو العالية وعطاء والسُّدِّيُّ ومقاتل وأبو عبيدة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨، جامع البيان ٢٩/ ٢٣٠، تهذيب اللغة ٢/ ٣١٢، الكشف والبيان ١٠/ ٨٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٠١.

(٣) قال ثعلبٌ: «وَلَوْ أَلْقَى مَعاذِيرَهُ» قال: سُتُورَهُ، ومنه: إن اعتذر لَمْ يُقْبَلْ عُذْرُهُ». مجالس ثعلب ص ٥٤٥، ولكنه لَمْ يذكر ما نقله المؤلف عنه هنا، وأما قوله الذي وَرَدَ هنا فقد حكاه عنه النَّقّاشُ في شفاء الصدور ورقة ١٨٤/ ب.

(٤) قال الفراء: «والقِراءةُ والقُرْآنُ مصدران، كما تقول: راجِحٌ بَيِّنُ الرُّجْحانِ والرُّجُوحِ، والمعرفة والعِرْفانِ، والطَّوافِ والطَّوَفانِ». معانِي القرآن ٣/ ٢١١، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٠، جامع البيان ٢٩/ ٢٣٦، الصحاح ١/ ٦٥، ٢٩/ ٢٣٦، اللسان: قرأ.

٤٣٤ ـ يُقَطِّـعُ اللَّيْلَ تَسْـبِيحًا وَقُرْآنا[١]

وقيل: معنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾؛ أي: أَنْزَلْناهُ، وقيل: بَيَّنّاهُ، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: فاستمع له، وقيل: اعْمَلْ بِما فيه، وقيل: اتَّبِعْ حَلاَلَهُ وَحَرامَهُ.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «كان رسول الله ﷺ إذا نَزَلَ عليه القُرْآنُ تَعَجَّلَ به لِشِـدَّتِهِ عليه، فكان يُحَرِّكُ به لِسانَهُ يريد أن يحفظه، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.. الآية. فكان بعد هذا إذا نزل عليه جبريل أَطْرَقَ، فإذا ذَهَبَ قَرَأَ كما وَعَدَهُ اللهُ»[٢].

وقولـه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ١٩﴾ نُبَيِّنُ لك حَلاَلَـهُ من حَرامِهِ ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ

---

(١) هذا عجز بيت من البسيط، وصدره:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوانُ السُّجُودِ بِهِ

وهو لِحَسّانَ بن ثابت في رثاء عثمان بن عفان رحمه الله، وَنُسِبَ لِعِمْرانَ بن حِطّانَ، ولِكُثَيِّرِ ابن عبد الله النَّهْشَلِيِّ، ولأَوْسِ بن مِغْراءَ، ويُرْوَى صدرُهُ:

هَـذا سُـراقةُ لِلْقُـرْآنِ يَدْرُسُـهُ

اللغة: الأَشْمَطُ: الذي اختلط بَياضُ شَعَرِ رَأْسِهِ بِسَوادِهِ، العُنْوانُ: الأَثَرُ.

التخريـج: ديوان حسـان ص ٢١٦، إصـلاح المنطق ص ٢٩٠، تهذيـب اللغة ١/ ١١١، إعراب القراءات السبع ١/ ٧، المسـائل الحلبيات ص ٢٩٥، تهذيب إصلاح المنطق ص ٦٢٥، أدب الكتـاب ص ١٤٣، العقد الفريد ٤/ ١٥٩، ٢٨٤، تصحيح الفصيح ص ٣٤٤، الاقتضاب ١/ ١٩٠، شـمس العلوم ٦/ ٣٩٣٨، شـرح شواهد الإيضاح ص ١٠٠، تفسير القرطبي ١/ ١٢، ٢/ ٢٩٨، اللسـان: ضحا، عنن، البحر المحيط ٨/ ٣٧٩، مغني اللبيب ص ٢٨٨، المقاصد النحوية ٤/ ١٤، خزانة الأدب ٩/ ٤١٨، التاج: عنن.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٢٠، ٣٤٣، والبخاري في صحيحه ١/ ٤ كتاب الإيمان: بـاب كيف كان بدء الوحي، ٦/ ٧٦ كتاب تفسـير القرآن: سـورة القيامة، ٦/ ١١٢ كتاب فضائل القـرآن: باب الترتيل في القراءة، ٨/ ٢٠٨ كتاب التوحيد: باب قول الله تعالى: «لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ»، ورواه مسلم في صحيحه ٢/ ٣٥ كتاب الصلاة: باب الاستماع للقراءة.

﴿ٱلۡعَاجِلَةَ ۝٢٠﴾ يعني: كفار مكة يحبون الدنيا ﴿وَتَذَرُونَ ٱلۡأٓخِرَةَ ۝٢١﴾ أي: تختارون الحياة الدنيا على الآخرة، قرأ أهل المدينة والكوفة: ﴿تُحِبُّونَ﴾ و«تَذَرُونَ» بالتاء، وقرأ غيرهم بالياء[1]، نظيرها في سورة الإنسان: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾[2].

ثم قال تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ﴾ يعني يوم القيامة ﴿نَّاضِرَةٌ ۝٢٢﴾ حَسَنَةٌ مُضِيئةٌ مُسْفِرةٌ ناعِمةٌ غَضّةٌ، يقال: شجرة ناضرة ورَوْضٌ ناضِرٌ، ويقال: نَضَرَ وَجْهُهُ يَنْضُرُ، وَنَضِرَ يَنْضُرُ، وَنَضَرَهُ اللهُ وَأَنْضَرَهُ، ويقال: نَضَّرَ اللهُ وَجْهَ فُلاَنٍ نَضْرةً وَنَضارةً[3]، قال رسول الله ﷺ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ مَقالَتِي فَوَعاها»[4]، ونظير / [٢٧٣/ أ] هذه الآية: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ۝٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾[5].

وقال صاحب ضياء الحلوم[6] في قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ۝٢٣﴾؛ أي:

---

(١) قرأ بالياء أبو عمرو وابن كثير وابن عامر ومجاهد والحسن وقتادة والجحدري، ينظر: السبعة ص ٦٦١، البحر المحيط ٨/ ٣٨٠.

(٢) الإنسان ٢٧.

(٣) قال ابن السكيت: «أبو زيد: يُقال: نَضِرَ الشَّيْءُ يَنْضَرُ، وَنَضَرَ يَنْضُرُ». إصلاح المنطق ص ٢١٣، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٢، وقال الأزهريُّ: «ومعنى قوله، ﷺ، «نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا» أي: نَعَّمَ اللهُ عَبْدًا، والنَّضْرةُ: النِّعْمةُ». التهذيب ١٢/ ٩، وينظر: اللسان: نضر.

(٤) هذا جزء من حديث رُوِيَ عن جُبَيْرِ بن مُطْعِمٍ وجابِرِ بن عبد الله وَأَبِي قِرْصافةَ، رواه الإمام أحمد فِي المسند ٤/ ٨٠، ٨٢، والدارميُّ في سننه ١/ ٧٥ باب الاقتداء بالعلماء، والطبرانِيُّ في المعجم الصغير ١/ ١٠٩، والمعجم الأوسط ٣/ ٢٥٦، ٥/ ٢٧٢، ٧/ ١١٠، والمعجم الكبير ٢/ ١٢٧، ١٧/ ٤٩، ورواه الحاكم فِي المستدرك ١/ ٨٧ كتاب العلم: باب نَضَّرَ اللهُ عَبْدًا سَمِعَ مَقالَتِي فَوَعاها.

(٥) عبس ٣٨-٣٩.

(٦) ينظر: شَمْسُ العُلُومِ ١٠/ ٦٦٥٤-٦٦٥٥.

لِرَحْمةِ رَبِّها مُنْتَظِرةٌ، وقال الشاعر:

٤٣٥ - إنِّـي إلَيْكِ لِما وَعَدْتِ لَناظِرٌ   نَظَـرَ الفَقِيـرِ إلَى الغَنِيِّ المُوسِـرِ[1]

وقيـل: معنى ﴿نَاظِرَةٌ﴾ في الآية من نَظَرِ العَيْـنِ؛ أي: تَنْظُرُ إلَى ثواب الله تعالى، تَلْتَذُّ بذلك، وقيل: ناظرة إلَى الله مُشـاهِدةٌ لـه. قال[2]: وذلك لا يَصِحُّ لأن النظـر لا يقع إلا عن مقابلة إلَى عَيْنٍ، والله تعالى مُتَعالٍ عن ذلك، ويقال: انْظُرْ إلَيَّ نَظَرَ اللهُ إلَيْكَ؛ أي: ارْحَمْنِي رَحِمَكَ اللهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ﴾[3]، ويقـال: نَظَرَ الدَّهْـرُ إلَى القَوْمِ: إذا هَلَكُوا، ويقولـون: إذا نَظَرَ إلَيْكَ الجَبَلُ؛ أي: ظَهَرَ لَكَ».

هكذا ذَكَرَهُ[4]، وهذا مخالف لِمَذْهَبِ أَهْلِ السُّنّةِ والجماعة، وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾؛ أي: هَـذِهِ ناظِـرةٌ، يعني: تَنْظُرُ إلَى رَبِّها عِيانًا بـلا حَدٍّ وَلاَ كَيْفِيّةٍ وَلا مُلاَمَسةٍ، كما نَطَقَ القُرْآنُ، وَتَواتَرَتْ به الأَخْبارُ والآثارُ عن النبي صلى الله عليه وعلى آله المصطفين الأخيار.

فصل

عن ابن عُمَرَ - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أَدْنَى أَهْلِ الجَنّةِ مَنْزِلَـةً لَمَنْ يَنْظُرُ إلَى جِنـانِهِ وَأَزْواجِهِ وَسُـرُرِهِ وَنَعِيمِهِ مَسِـيرةَ أَلْفِ عامٍ، وَإنَّ

---

(١) البيت من الكامل، لجميل بثينة يعاتبها، ورواية ديوانه: «بِما وَعَدْتِ... الغَنِيِّ المُكْثِرِ».
التخريج: ديوانـه ص ٤٢٤، الأغانـي ٧/ ٨٣، معجم الأدباء ١٢/ ٥٨، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٠٩.

(٢) يعني صاحب ضياء الحلوم.

(٣) آل عمران ٧٧.

(٤) يعني صاحب ضياء الحلوم.

أَكْرَمَهُمْ عَلَى الله تعالى لَمَنْ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِهِ ـ تبارك وتعالى ـ غُدْوةً وَعَشِيّةً»، ثم قرأ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾[١].

وعن جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يَتَجَلَّى لَنا رَبُّنا ـ عز وجل ـ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى وَجْهِهِ، فَيَخِرُّونَ لله سُجَّدًا، فيقول: ارْفَعُوا رُؤوسَكُمْ، فَلَيْسَ هذا بِيَوْمِ عِبادةٍ»[٢].

وعن صُهَيْبٍ عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا دَخَلَ أَهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ يَقُولُ اللهُ تعالى: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فيقولون: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنا الجَنّةَ وَتُنْجِنا مِنَ النّارِ؟ قال: فَيَكْشِفُ الحِجابَ، فما أُعْطُوا شَيئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ من النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ»[٣].

وَرَوَى الحَسَنُ عن عَمّارِ بن ياسر قال: كان النبي ـ ﷺ ـ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ النَّظَرَ إِلَى وَجْهِكَ، والشَّوْقَ إِلَى لِقائِكَ، فِي غَيْرِ ضَرّاءَ مُضِرّةٍ، وَلاَ فِتْنةٍ مُضِلّةٍ»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٦٤، والترمذي في سننه ٤/ ٩٣ أبواب صفة الجنة: باب ما جاء في رؤية الرب تعالى، ٥/ ١٠٣ أبواب تفسير القرآن: سورة القيامة، وينظر: مسند أبي يعلى ١٠/ ٧٧، الوسيط ٤/ ٣٩٤.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٨٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٠٩، الدر المنثور ٦/ ٢٩٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٣٢-٣٣٣، ٦/ ١٥، ومسلم في صحيحه ١/ ١١٢ كتاب الإيمان: باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة لربهم، والترمذي في سننه ٤/ ٩٢ أبواب صفة الجنة: باب ما جاء في رؤية الرب تعالى، ٤/ ٣٤٩ أبواب تفسير القرآن: سورة يونس، والطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٢٣٠، والمعجم الكبير ٨/ ٣٩-٤٠.

(٤) هذا جزء من حديث رُوِيَ عن زيد بن ثابت أيضًا، رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٦٤، ٥/ ١٩١، والنسائي في سننه ٣/ ٥٥ كتاب السهو: باب الدعاء بعد الذكر، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٦/ ١٦٥، والمعجم الكبير ٥/ ١١٩، ١٥٧، ١٠/ ٥٧.

[٢٧٣/ ب] قوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾ يعني: كالِحةٌ عابسةٌ كَئِيبةٌ مُتَغَـيِّرةٌ / مُسْوَدّةٌ مُغْبَـرّةٌ ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾﴾؛ أي: داهية، والفاقِرةُ: الداهية العظيمة والأمر الشـديد، وأصلها من الفِقْرةِ والفَقارةِ وهما شـيء واحد، وَسُمِّيَتْ فاقِرةً لأنها تَكْسِرُ فَقارَ الظَّهْرِ[١].

فمـن قال: فَقارةٌ فَجَمْعُهـا فَقارٌ، ومن قال: فِقْـرةٌ فَجَمْعُها فِقَرٌ[٢]، فكأن ﴿فَاقِرَةٌ﴾: داهِيةٌ تقطع فَقارَ ظَهْرِهِ، وهو خَرَزةُ الصُّلْبِ[٣]، واحدها فقارةٌ، تقول: فَقَرْتُ الرَّجُلَ: إذا كَسَرْتَ فَقارَهُ، كما تقول: رَأَسْتُهُ: إذا ضَرَبْتَ رَأْسَهُ[٤].

قولـه: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يُؤْمِنُ الكافرُ بهـذا ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني: إذا بلغـت النَّفْسُ أو الرُّوحُ الحُلْقُومَ، كناية عن غير مذكور، والتَّراقِي جمع تَرْقُوةٍ، وهي عَظْمُ وَصْلٍ بين ثُغْرةِ النَّحْرِ والعاتق[٥]، وَيُكَنَّى بِبُلُوغِ التَّراقِي عن الإشْفاءِ على الموت.

---

(١) قال ابن قتيبة: «ويقولون: عَمِلَ به الفاقِرةَ، وهي الداهية، يُرادُ أنَّها فاقِرةٌ لِلظَّهْرِ، أي: كاسِـرةٌ لفَقاره، يقال: فَقَرَتْهُمُ الفاقِرةُ، ورَجُلٌ فَقِر وفقيرٌ أي: مكسور الفَقار». أدب الكاتب ص ٤٥، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٨٥/ أ، الصحاح ٢/ ٧٨٢، الوسيط ٤/ ٣٩٥، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ أ.

(٢) قاله ابنُ السِّكِّيتِ في إصلاح المنطق ص ١٦٢، والنقاشُ في شفاء الصدور ورقة ١٨٥/ أ، وحكاه الأزهريُّ عن ابن الأعرابي في التهذيب ٩/ ١١٤، وينظر: الصحاح ٢/ ٧٨٢.

(٣) خَـرَزةُ الظَّهْرِ: الفِقْرة من فِقْراتِهِ، والجمع خَرَزٌ، قالـه الأزهري في تهذيب اللغة ٩/ ١١٤، وينظر: اللسان: خرز.

(٤) قالـه ابن قتيبة فـي غريب القرآن ص ٥٠٠، وثعلبٌ في مجالســه ص ٢٦٨، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٨، تهذيب اللغة ٩/ ١١٦.

(٥) قالــه الخليـل في العين ٥/ ١٢٦، وحـكاه الأزهري عن الليث في تهذيــب اللغة ٩/ ٥٤، وينظر: الصحـاح ٤/ ١٤٥٣.

قولـه: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧)﴾ كان حَفْصٌ يقف علـى النون من قوله: ﴿مَنْ﴾ وَقْفةً، ثم يبتدئ: ﴿رَاقٍ﴾[١]، والمعنى: مَنْ يَصْعَدُ بِرُوحِهِ إِلَى السـماء؟ مَلَائِكَةُ الرَّحْمةِ أم مَلَائِكَةُ العَذابِ؟[٢].

وقيل[٣]: معناه: هَلْ مِنْ طَبِيبٍ يَرْقِي؟ هَلْ مِنْ مُداوٍ شافٍ؟ قال قتادة[٤]: التَمَسُوا له الأَطِبّاءَ، فلم يُغْنُوا عنه من قَضاءِ الله شيئًا، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨)﴾؛ أي: عَلِمَ أنه الخروج من الدنيا، كما قال بعضهم:

٤٣٦ ـ فِـراقٌ لَيْـسَ يُشْـبِهُهُ فِـراقٌ   قَـدِ انْقَطَعَ الرَّجـاءُ عَـنِ التَّلاقِي[٥]

فصل

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن العبد لَيُعالِجُ كُرَبَ المَوْتِ وَسَـكَراتِهِ، وَإِنَّ مَفاصِلَهُ يُسَلِّمُ بَعْضُها على بَعْضٍ، تقول:

---

(١) وهي قراة قُنْبُلٍ أيضًا، ينظر: السـبعة ص ٦٦١، معاني القراءات ٣/ ١٠٦، الحجة للفارسي ٤/ ٧٩.

(٢) قاله ابن عباس ومقاتل وأبو العالية وأبو الجوزاء، ينظر قولهم في: جامع البيان ٢٩/ ٢٤٢، غريب القرآن للسجسـتانِيِّ ص ١٦٨، زاد المسـير ٨/ ٤٢٤، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١١١.

(٣) قاله ابن عباس أيضًا والضحاك وقتادة وأبو قلابة وابن قتيبة، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠١، جامع البيان ١٩/ ٢٤٢، غريب القرآن للسجسـتانِيِّ ص ١٦٨، الكشف والبيان ١٠/ ٨٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٠٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١١١.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٢٤٢، الحجة للفارسي ٤/ ٧٩، الكشف والبيان ١٠/ ٨٩، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٥.

(٥) البيت من الوافر، للحسين بن عليٍّ بن أَبِي طالب.

التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٨٩، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١١٢، موسوعة كلمات الإمام الحسين ص ٨٣٧.

عَلَيْكَ السَّلامُ تُفارِقُنِي وَأُفارِقُكَ إِلَى يوم القيامة»[١].

قوله: ﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ يعني شِـدّةَ الدنيا وَشِدّةَ الآخرة، وما في الآخرة من النَّكالِ والزَّلازِلِ والأهوال، ومعنى «التَفَّتْ»: التَصَقَتْ، من قولهم: امْرَأةٌ لَفّاءُ: إذا/ التَصَقَتْ فَخِذاها[٢]، ويقال: هو من التِفافِ سـاقَي الرَّجُلِ عند السِّياقِ، يعني: عند سَوْقِ رُوحِ العبد إِلَى رَبِّهِ، يقال: التَفَّتِ السّاقُ بـالسّاقِ مثل قولهم: شَمَّرَتِ الحَرْبُ عن ساقِها: إذا اشْتَدَّتْ[٣]، قال الشاعر يصف حَرْبًا: [٢٧٤/ أ]

قَـدْ شَـمَّرَتْ عَنْ سـاقِها فَشُـدُّوا
وَجَـدَّتِ الحَرْبُ بِكُـمْ فَجِدُّوا[٤]

وقولـه: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ يعنـي: النهايـة والمرجـع إِلَى الله تعالى في الآخرة، وهو رفع خبر ﴿إِلَىٰ﴾، وإن شئت قلت: رفعه على الابتداء، وخبره ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ مقدم عليه.

قوله: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾﴾ يعني أبا جهل بن هشام، إِذْ لَمْ يُصَدَّقْ بالقرآن، ولا صَلَّـى له ﴿وَلَٰكِن كَذَّبَ﴾ بالقرآن ﴿وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: أَعْرَضَ عن الإيمان بالله ﴿ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾﴾ يعنـي: يَتَبَخْتَرُ، يقال: جاءَ يَمْشِـي المُطَيْطاءَ، وهي

---

(١) هـذا حديث موضوع، ينظر: عيـن المعانِي ورقة ١٤٠/ أ، تفسـير القرطبي ١٧/ ١٣، كنز العمال ١٥/ ٥٦٣، تذكرة الموضوعات ص ٢١٤.

(٢) قالـه الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢١٢، وقال الأزهري: «اللَّيْثُ: اللَّفَفُ: كَثْرةُ لَحْمِ الخَدَّيْنِ والفَخِذَيْنِ، وهو في النساء نَعْتٌ وفي الرجال عَيْبٌ، تقول: رَجُلٌ أَلَفُّ: ثَقِيلٌ». تهذيب اللغة ١٥/ ٣٣٣، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٨.

(٣) قالـه ابن قتيبة والزجاج، ينظـر: غريب القرآن لابن قتيبـة ص ٥٠١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٤، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٨.

(٤) تقدم برقم ٣٨٣، ٤/ ٢٣.

مِشْيةٌ يَتَبَخْتَرُ فيها وَيَمُدُّ مَطاهُ فِي مَشْيِهِ، وأصله من المَطا وهو الظَّهْرُ[١]، وقيل[٢]: أصله: يَتَمَطَّطُ؛ أي: يَتَمَدَّدُ، والمَطُّ: المَدُّ، فَجُعِلَتْ إحدى الطاءين ياءً، كما قيل: يَتَظَنَّى وأصله: يَتَظَنَّنُ.

وقوله: ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ هذا وعيد وتهديد على إِثْرِ وعيد وتهديد من الله تعالى إِلَى أَبِي جهل ـ لعنه الله ـ، قالت الخنساء:

٤٣٧ـهَمَمْتُ بِنَفْسِي كُلَّ الهُمُومِ فَأَوْلَى لِنَفْسِي، أَوْلَى لَها[٣]

(١) قاله الأصمعي وأبو عبيد وأبو عبيدة وغيرهم، ينظر: غريب الحديث للهروي ١/ ٢٢٣، مجاز القرآن ٢/ ٢٧٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٢٣، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٨، الصحاح ٣/ ١١٥٩.
والمُطَيْطاءُ: يُمَدُّ وَيُقْصَرُ، قال ابن وَلَّادٍ: «والمَطا: الظَّهْرُ، مقصور يُكْتَبُ بالألف، والمَطا أيضًا: التَّمَطِّي...، والمَطا: الصاحب، ويقال: مِطْوٌ». المقصور والممدود ص ١٠٣، وينظر أيضًا: المقصور والممدود للقالِي ص ١١٥-١١٦، المسائل العضديات ص ٢٠٦.
وقال ابن الأثير: «المُطَيْطاءُ هي بالمد والقصر: مِشْيةٌ فيها تَبَخْتُرٌ وَمَدُّ اليَدَيْنِ، يقال: مَطَوْتُ وَمَطَطْتُ بمعنى مَدَدْتُ، وهي من المُصَغَّراتِ التِي لَمْ يُسْتَعْمَلْ لَها مُكَبَّرٌ». النهاية في غريب الحديث ٤/ ٣٤٠، وينظر أيضًا: الفائق للزمخشري ٣/ ٢٤٧.
(٢) قال أبو عبيد: «ومن جعل التَّمَطِّيَ من المَطِيطةِ فإنه يذهب به مذهب تَظَنَّيْتُ من الظَّنِّ، وَتَقَضَّيْتُ من التَّقَضُّضِ، كقول العَجّاج:
تَقَضِّيَ البازِي إذا البازِي كَسَرْ
يريد: تَقَضُّضَ البازِي، وكذلك يقال: التَّمَطِّي يريد: التَّمَطُّطَ». غريب الحديث ١/ ٢٢٤، وقاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٥٠١، وحكاه ابن الأنباري عن أبِي عبيدة في الزاهر ١/ ٤٢٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن ص ٤٣٢، ٤٣٣، مجالس ثعلب ص ٤٦٥، شفاء الصدور ورقة ١٨٥/ ب، المسائل العضديات ص ٢٠٦، ٢٠٧، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٨، والمَطِيطةُ: الماءُ الخاثِرُ في أسفل الحَوْضِ، سُمِّي بذلك لأنه يَتَمَدَّدُ.
(٣) البيت من المتقارب، للخنساء ترثي أخاها صَخْرًا، ونسبه الأصفهاني لِعامِرِ بن جُوَيْنٍ الطائي، ويُرْوَى:
=

و﴿أَوۡلَىٰ﴾ كلمة تُقالُ للرجل يصيبه مَكْرُوهٌ يستوجبه، وقيل[١]: هي كلمة تقولها العرب لِمَنْ قارَبَهُ المَكْرُوهُ، وأصله من الوَلْيِ وهو القُرْبُ، قال الشاعر:

٤٣٨ ـ فَصالُوا صَوْلةً فِيمَنْ يَلِيهِمْ وَصُلْنـا صَوْلـةً فِيمَـنْ يَلِينـا[٢]

والعرب تقول للرجل إذا قارَبَ العَطَبَ: أَوْلَى لَكَ أي؛ كِدْتَ تَذْهَبُ[٣]،

= وَهَمَّـتْ بِنَفْسِـي كُلُّ الهُمُـومِ

التخريج: ديوان الخنسـاء ص ١٢١، الكامل للمبـرد ٤/ ٥٠، التعازي والمراثي ص ٩٩، الأغانِي ٨/ ٧٢، العقد الفريد ٣/ ٢٦٨، ٥/ ١٦٧، الكشـف والبيان ١٠/ ٩١، الحماسـة البصرية ص ٦٥١، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ أ، تفسـير القرطبي ١٩/ ١١٥، ٢٠/ ١٠٧، اللسـان: ولي، البحر المحيط ٨/ ٣٨٢، الدر المصون ٦/ ٤٣٣، اللباب في علوم الكتاب ١٩/ ٥٧٥، خزانة الأدب ٩/ ٣٤٦.

(١) هـذا قـول الأصمعي، فقد قال الأزهـريُّ: «وقال أبو نصر: قال الأصمعـيُّ: «أَوْلَى» معناه: قارَبَكَ ما تَكْرَهُ، أي: نَزَلَ بِكَ يا أبا جهل ما تَكْرَهُ وَقارَبَكَ، وأنشد الأصمعي:

فـعـادَى بين هـادِيَـتَـيْـن منها وأَوْلَـي أن يَزِيـد علـى الثَّـلاثِ

أي: قارَبَ أن يَزِيدَ، قال أبو العَبّاسِ: لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ في «أَوْلَى لَكَ» أَحْسَنَ مِمّا قال الأصمعيُّ». التهذيب ١٥/ ٤٤٨، وينظر: الخصائص ٣/ ٤٤، الصحاح ٦/ ٢٥٣٠-٢٥٣١، الكشـف والبيان ١٠/ ٩١، اللسان: ولي.

(٢) البيت من الوافر، لعمرو بن كلثوم، ورواية ديوانه: «**فَصالُوا صَوْلَهُمْ... وَصُلْنا صَوْلَنا**».

اللغة: صالَ عَلَى قِرْنِهِ صَوْلَةً: حَمَلَ عَلَيْهِ في الحرب.

التخريج: ديوانه ص ٦٦، شرح القصائد السبع الطوال ص ٤١٢، شرح القصائد المشهورات ٢/ ١١٤، العقد الفريد ٥/ ٢٤٦، الكشـف والبيان ١٠/ ٩١، جمهرة أشـعار العرب ص ٢٩٢، تاريـخ دمشـق ١٠/ ١٤٣، منتهى الطلب٢/ ١٤١، أسـاس البلاغة: صول، شـرح المعلقات السبع للزوزنِيِّ ص ١٨٣.

(٣) قال المبرد: «يقول الرَّجُلُ إذا حاوَلَ شَـيْئًا فَأَفْلَتَهُ من بعد ما كاد يصيبه: أَوْلَى لَهُ، وإذا أَفْلَتَ من عَظِيمةٍ قال: أَوْلَى لِي، وَيُرْوَى عن ابن الحَنَفِيّةِ أنه كان يقول إذا مات مَيِّتٌ في جِوارِهِ أَوْ في دارِهِ: أَوْلَى لِي، كِدْتُ، واللهِ، أَكُونُ السَّـوادَ المُخْتَرَمَ». الكامل ٤/ ٥١، وقاله النقاش =

و﴿لَكَ﴾ فـي هذا الموضع بمعنى «بكَ»؛ لأن العـرب تضع هذه اللام موضع الباء، تقول: لِما صَبَرُوا، والمعنى: أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى، فكَرَّرَهُ على وجه التأكيد[١].

وقـال بعض أهل اللغة[٢]: جـاء ﴿أَوْلَىٰ﴾ غَيْرَ مُنَوَّنٍ؛ لأن تقديره «أَفْعَلُ»، مثل: أَعْمَى وَأَعْشَـى، ومعناه من الوَيْلِ، ويُقالُ[٣]: إن الوَيْلَ مُشْتَقٌّ من فعل قد مات فِعْلُهُ، ومنه قول جَرِيرٍ/ : [٢٧٤/ ب]

٤٣٩ ـ يَضْرِبْـنَ بِالأكْبـادِ وَيْـلًا وائِلا
يَتْرُكْـنَ أَطْـرافَ الخُصَـى جَلاجِلا[٤]

= في شـفاء الصـدور ورقة ١٨٥/ ب، وينظـر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٣١٣، تفسـير القرطبي ١٦/ ٢٤٤، البحر المحيط ٨/ ٧٢، الدر المصون ٦/ ١٥٣.

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٨٦/ أ.

(٢) حـكاه النَّقّاشُ عن رَجُلٍ من أهل اللغة دون أن يُسَـمِّيَهُ في شـفاء الصـدور ورقة ١٨٦/ أ، ومعنى هذا الكلام أن «أَوْلَى» ممنوع من الصرف للصفة ووزن الفعل، والصواب أنه ممنوع للعلميـة ووزن الفعـل، وقال بعضهـم: إن «أَوْلَى» وزنه «فَعْلَى»، والألـف فيه للإلحاق لا للتأنيـث، قال العكبري: «وهو على القولين هنا عَلَمٌ، فلذلك لَمْ يُنَوَّنْ، وَيَدُلُّ عليه ما حُكِيَ عن أَبِي زَيْدٍ فِي النوادر: هي أَوْلاةُ بالتاء غير مصروف». التبيان ص ١٢٥٥، وينظر: المحرر الوجيز ٥/ ١١٧، البيان للأنباري ٢/ ٤٧٥، ٤٧٨، شرح الكافية للرضي ٣/ ٣٢٩.

(٣) حكاه النقاش أيضًا بغير عزو فِي شـفاء الصدور ورقـة ١٨٦/ أ، وابن فارس في الصاحبي ص ٢٨٥، ٢٨٦، وحـكاه أبو حيان عن الجرجاني في البحر المحيط ٨/ ٧٢، وينظر: الدر المصون ٦/ ١٥٣.

(٤) البيتان من الرجز المشـطور لجرير، من قصيدة يهجو بها غَسّـانَ بن ذُهَيْلٍ السَّلِيطِيَّ، ورواية الثاني فـي ديوانه: «يَتْرُكُ أَصْفـانَ الخُصَى»، والضمير في «يَضْرِبْنَ» يعـود إلى الحَمِيرِ التي ذكرها في بيت سـابق، يريد: أن هذه الحَمِيرَ يَضْرِبْنَ بُطُونَهُنَّ بِجَرادِينَ ضِخامٍ، ووَيْلًا وائِلًا؛ أي: شَـدِيدًا جِدًّا، الأَصْفانُ: جمع صَفَنٍ وهو جِلْدُ الأُنْثَيَيْنِ، الجَلاَجِلُ: الأَجْراسُ، واحدها جُلْجُلٌ. =

فتقدير ﴿أَوْلَىٰ﴾: «أَفْعَلُ» من الوَيْلِ، وكان يجب أن يكون أَوْيَلَ، إلّا أن عين الفعل جُعِلَتْ موضع اللام، وَجُعِلَت اللامُ موضع اللام، كما قالوا: قَوْسٌ وَقِسِيٌّ.

ومعنى الآية: كأنه يقول لأبي جَهْلٍ: الوَيْلُ لَكَ يَوْمَ تَجِيءُ، والوَيْلُ لَكَ يَوْمَ تَمُوتُ، والوَيْلُ لَكَ يَوْمَ تُبْعَثُ، والوَيْلُ لَكَ يَوْمَ تَدْخُلُ النّارَ، وَرُوِيَ أن النَّبِيَّ ﷺ كان يقول: «لِكُلِّ أُمّةٍ فِرْعَوْنٌ، وَإِنَّ فِرْعَوْنَ هَذِهِ الأُمّةِ أبو جهل ـ لَعَنَهُ اللهُ»[1].

وقوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني أبا جهل ﴿أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾؛ أي: مُهْمَلًا فلا يُؤْمَرَ بِخَيْرٍ، ولا يُنْهَى عن شَرٍّ، ولا يُحاسَبَ بِعَمَلِهِ في الآخرة، كقوله: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾[2]، يُقالُ: أَسْدَيْتُ حاجَتِي؛ أي: ضَيَّعْتُها، وَإِبِلٌ سُدًى: تَرْعَى حيث شاءَتْ بلا راعٍ، و ﴿سُدًى﴾ في موضع نصب على الحال[3]، وإن شئت على خَبَرِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ[4]، وقرأ أهل الكوفة: «سُدَى» بالإمالة في حال الوقف[5].

= التخريج: ديوانه ص ٩٧٤، شرح نقائض جرير والفرزدق ١/ ٢٩، ٣٠، تهذيب اللغة ١٢/ ٢٠٧، الصاحبي ص ٢٨٥، المحكم والمحيط الأعظم ٥/ ٢١٣، اللسان: صفن، غضض.

(١) رواه عبد الرزاق في تفسيره ٣/ ٣٨٤، وينظر: جامع البيان ٣٠/ ٣٢٢، الكشف والبيان ١٠/ ٩٢.

(٢) المؤمنون ١١٥.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٩٣، وصاحب الحال هو الضمير في قوله: «يُتْرَكَ»، و«أنْ يُتْرَكَ» في تأويل مصدرٍ سَدَّ مَسَدَّ مَفْعُولَيْ «حَسِبَ»، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٣، التبيان للعكبري ص ١٢٥٦، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٧٩.

(٤) أي: أنه مفعول ثانٍ لـ«يُتْرَكَ»، والأول هو نائب الفاعل وهو الضمير المستتر، ولَمْ أقف على صاحب هذا القول.

(٥) ينظر: التيسير للداني ص ١٥١، النشر ٢/ ٣٧، الإتحاف ٢/ ٥٧٥.

قوله: ﴿أَلَمۡ يَكُ نُطۡفَةٗ مِّن مَّنِيّٖ يُمۡنَىٰ ۝٣٧﴾ يُمْنِيهـا الرَّجُلُ في الرَّحِمِ أي: يَصُبُّها، قرأ الحسن وابن مُحَيْصِنٍ ويعقوبُ وسَلاَّمٌ: ﴿يُمۡنَىٰ﴾ بالياء، وهي رواية حَفْصٍ والمُفَضَّـلِ عن عاصم واختيـار أبي عُبَيْدٍ لأجل المَنِيِّ، وقـرأ الباقون بالتاء[١] لتأنيث النُّطْفةِ، وهو اختيار أبي حاتم.

ومعنـى قولـه: ﴿تُمۡنَىٰ﴾؛ أي: تُقَـدَّرُ وَتُخْلَقُ، والمَنِيُّ مُشَـدَّدٌ وهو الذي يخرج بالشهوة مُتَتابِعًا، والذي يخرج بعد البول: الوَدْيُ، وهو مُخَفَّفٌ، وَحُكِيَ بالتشديد أيضًا[٢].

قولـه: ﴿ثُمَّ كَانَ عَلَقَةٗ﴾ يعني: بَعْدَ النُّطْفـةِ، والعَلَقةُ: الدَّمُ ﴿فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٣٨﴾ يعني: فَسَوَّى خَلْقَهُ ﴿فَجَعَلَ مِنۡهُ﴾ يعني: مِنَ الدَّمِ ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ۝٣٩﴾ الذَّكَرُ زَوْجٌ، والأُنْثَى زَوْجٌ، وهما بَدَلٌ من ﴿ٱلزَّوۡجَيۡنِ﴾، و﴿جَعَلَ﴾ هاهنا بمعنى «خَلَقَ»، فلذلك تعدى إِلَى مفعول واحد[٣].

قوله: ﴿أَلَيۡسَ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي فعل هذا ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحۡـِۧيَ ٱلۡمَوۡتَىٰ ۝٤٠﴾ وهذا تقريـرٌ لَهُمْ؛ أي: مَنْ قَدَرَ على الابتداء أَقْدَرُ على البعث بعد الموت، وفي هذه

---

(١) قـرأ: «يُمْنَى» بالياء أيضًا الجَحْدَرِيُّ ومجاهدٌ وهشـامٌ في روايةٍ عنـه، وأبو عمرو في روايةِ عَيّاشٍ عنه، وقرأ ابنُ كثير ونافعٌ وأبو بكر عن عاصمٍ، وحمزةُ والكسـائيُّ وهشـامٌ، وهارونُ عن أَبِي عمرو: «تُمْنَى» بالتاء، ينظر: السـبعة ص ٦٦٢، تفسـير القرطبي ١٩/ ١١٧، النشر ٢/ ٣٩٤، البحر المحيط ٨/ ٣٨٢، الإتحاف ٢/ ٥٧٥.

(٢) قالـه النقاش في شـفاء الصدور ورقـة ١٨٦/ ب، قـال الأزهري: «وروى أبـو عبيد: قال الأُمَوِيُّ: هو المَذْيُّ والمَنِيُّ والوَدِيُّ مُشَـدَّداتٍ، قال: وغَيْـرُهُ يخفف، قال: وقال أبو عبيد: المَنِيُّ وحده مشدد، والآخران مخففان، ولا أعلمني سَمِعْتُ التخفيف في المَنِيِّ». تهذيب اللغـة ١٤/ ٢٣١، وينظـر: إعراب القراءات السـبع ٢/ ٤١٨، الصحاح ٦/ ٢٥٢١ ودي، اللسان: مذي، مني، ودي.

(٣) قاله مَكِّيُّ بن أَبِي طالب في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٣.

[٢٧٥/ أ] الآيــة رَدٌّ على الدَّهْرِيّةِ / وأصحابِ [عبــد اللهِ بنِ][١] معاوية والنَّصارَى الذين يزعمون أن الأجساد لا تُبْعَثُ[٢].

ولا يجــوز الإدغام في الياءين عند النحويين كما لا يجوز إذا لَمْ يُنصب الفعــل؛ لأنك لو أدغمت لالتَقَى ســاكنانِ، إذ الثانِي ســاكنٌ، والأول لا يُدْغَمُ حَتَّــى يُسَــكَّنَ، وكذلك كل حَــرْفٍ أدْغَمْتَهُ فِي حرف بعده، لا بدَّ من إســكان الأول، وقــد أجمعــوا على منع الإدغام فِي حال الرفــع، فأما فِي حال النصب فقد أجــازه الفَرّاءُ لأجل تَحَرُّكِ الياء الثانية[٣]، وهو لا يجوز عند البصريين[٤]؛ لأن الحركة عارضة ليست بأصل.

---

(١) مــا بين المعكوفيــن زيادة يقتضيها الســياق. وأصحاب عبد الله بن معاويــة: فرقة من غلاة الشــيعة، وَيُسَــمَّوْنَ أيضًا بِالجَناحِيّةِ، وهم أتباع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبِي طالب، وهؤلاء يزعمون أن الأرواح تتناسخ، وأن روح الله حَلَّتْ في آدم ثُمَّ في الأنبياء بعــده إلَى محمدٍ ﷺ، ثم في عَلِيٍّ ثم في أولاده الثلاثة من بعده، ثم صارت إلَى عبد الله بن معاوية، وأنه حَيٌّ لَمْ يَمُتْ، ينظر: الأنساب للسمعانِيِّ ٢/ ٩٠، الفَرْقُ بَيْنَ الفِرَقِ للإمام عبد القادر بن طاهر البغدادي ص ٢٣٥، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٥، ١٩٨٢م.

(٢) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٨٧/ أ.

(٣) قال الفراء: «وقد يســتقيم أن تدغم الياء والياء في «يحيا» و«يعيا»، وهو أقل من الإدغام في «حَــيَّ»؛ لأن «يَحْيا» يســكن ياؤهــا إذا كانت في موضع رفع، فالحركة فيها ليســت لازمة، وجــواز ذلــك أنك إذا نصبتها كقول الله، تبارك وتعالى ـ: «أَلَيْسَ ذَلِــكَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى«اســتقام إدغامها هاهنا». معانِي القرآن ١/ ٤١٢، وأنشــد الفراء شاهدا لذلك، وهو قول الشاعر:

وَكَأَنَّها بَيْنَ النِّســاءِ سَــبِيكةٌ تَمْشِــي بِسُــدّةِ بَيْتِهــا فَتَعَــيُّ

معانِي القرآن ٣/ ٢١٣.

(٤) قال ســيبويه: «وإذا قُلْتَ: يُحْيِــي أو مُعْيِ، ثم أدركه النَّصْبُ فقلتَ: رَأَيْــتُ مُعْيِيًا، وَيُرِيدُ أَنْ يُحْيِيَــهُ، لَــمْ تُدْغِمْ لأن الحركة غير لازمة... والدليل على أن هذا لا يُدْغَمُ قَوْلُهُ عز وجل: =

فصل

عن البَراءِ بن عازِبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، قال الرسولُ ﷺ: «سُبْحانَكَ، بَلَى»[(١)].

وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: من قرأ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١][(٢)] إمامًا كان أو غَيْرَهُ، و ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾، فقال: سُبْحانَكَ، وَبَلَى، غُفِرَ لَهُ»[(٣)]، والله أعلم، وبالله التوفيق.

* * *

= «أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ المَوْتَى». الكتاب ٤/ ٣٩٧، وينظر: المقتضب ١/ ٣١٨، إعراب القرآن ٥/ ٩٤، الإغفال ٢/ ٢٨٦ وما بعدها، التكملة للفارسي ص ٢٧١-٢٧٢، وقال ابن جني: «فأما قول الشاعر:

وَكَأَنَّها بَيْنَ النِّساءِ سَبِيكَةٌ ... تَمْشِي بِسُدّةِ بَيْتِها فَتَعَيُّ

فَبَيْتٌ شاذٌّ، وقد طُعِنَ في قائله، والقياس يَنْفِيهِ وَيُسْقِطُهُ». المنصف ٢/ ٢٠٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٣.

(١) رواه عبد الرزاق في مصنفه ٢/ ٤٥٢، وأبو داود في سننه ١/ ٢٠٢ كتاب الصلاة: باب الدعاء في الصلاة، وينظر أيضًا: جامع البيان للطبري ٢٩/ ٢٥٠، الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٩٢، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٧، الدر المنثور للسيوطي ٦/ ٢٩٦.

(٢) الأعلى ١.

(٣) ينظر: الوسيط ٤/ ٣٩٧.

سورة الإنسان

مدنية، وقيل: مكية

وهي ألف وأربعة وخمسون حرفًا، ومائتان واثنتان وأربعون كلمةً، وإحدى وثلاثون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عــن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضــي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ كانَ جَزاؤُهُ عَلَى اللهِ جَنّةً وَحَرِيرًا»[١].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ فِي الجَنّةِ أعْلَى مِنْهُ إلّا نَبِيٌّ»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قولــه تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ يعني آدَمَ عليه الســلام، وهو أوَّلُ مَنْ

(١) ينظر: الكشـف والبيـان ١٠/ ٩٣، الوسـيط ٤/ ٣٩٨، الكشـاف ٤/ ٢٠١، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٢٠٦.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

سُمِّيَ به، و﴿هَلۡ﴾ هاهنا خَبَرٌ بمعنى «قَدْ»، وليس باستفهام[١]، وقيل[٢]: هو استفهام، والإنسان عامٌّ.

وقوله: ﴿حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ﴾ وَقْتٌ من الدهر ﴿لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا ١﴾ بِأمْرٍ وَلاَ نَهْيٍ ولا شَرَفٍ ولا غَيْرِهِ، قال ابن عباس[٣]: الإنسان: آدم، والحِينُ: أربعون سنةً، كان جَسَدُهُ مُلْقًى من طين على باب الجنة قبل أن يُنْفَخَ فيه الرُّوحُ، وقيل[٤]: كان مُلْقًى بين مكة والطائف، وقال صاحب «إنسان العين»[٥]: تسعة أشهر، والإنسان عامٌّ.

وقوله: ﴿إِنَّا خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ يعني وَلَدَ آدَمَ ﴿مِن نُّطۡفَةٍ﴾ يعني مَنِيَّ الرَّجُلِ ومَنِيَّ المرأة، وكُلُّ ماءٍ قَلِيلٍ فِي وِعاءٍ فهو نُطْفَةٌ كقول عبد الله بن رَواحةَ الأنصاريِّ / : [٢٧٥/ ب]

---

(١) قاله أكثر العلماء، وجعله ابن الأنباري من الأضداد، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١٣، مجاز القرآن ٢/ ٢٧٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٢، المقتضب ١/ ١٨١، ١٨٢، ٣/ ٢٨٩، الأضداد لابن الأنباري ص ١٩٢، تهذيب اللغة ٥/ ٣٦٤، الصحاح ٥/ ١٨٥٣، أماليُّ ابن الشجري ١/ ٣٢٤، ٣٢٥، زاد المسير ٨/ ٤٢٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١١٩.

(٢) هذا قول الزجاج وابن جني ومَكِّيِّ بن أَبِي طالب، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٧، الخصائص ٢/ ٤٦٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٤، وذكره العكبري في التبيان ص ١٢٥٧، وأنكر أبو حيان وابن هشام أن تكون «هَلْ» بمعنى «قَدْ» أصلًا، وقالوا: كونها بمعنى «قَدْ» هو تفسيرُ معنًى، والاستفهام بها معناه التقرير، ينظر: ارتشاف الضرب ٥/ ٢٣٦٤-٢٣٦٥، مغني اللبيب ص ٤٦٠-٤٦١.

(٣) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٥٢، تفسير القرطبي ١٩/ ١١٩.

(٤) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ١٠/ ٩٣.

(٥) حكاه صاحب إنسان العين عن ابن عباس في عين المعانِي ورقة ١٤٠.

٤٤٠ ـ هَـلْ أنْتِ إلّا نُطْفَةٌ فِي شَـنَّهْ[١]

وجمعها: نِطافٌ وَنُطَفٌ، وأصلها من: نَطَفَ: إذا قَطَرَ[٢].

وقوله: ﴿أَمۡشَاجٖ﴾؛ أي: أَخْلاَطٍ، وهو من نعت النُّطْفَةِ، واحدها: مِشْـجٌ ومَشِـيجٌ مثل خِدْنٍ وخَدِينٍ، يقال: مَشَـجْتُ هذا بِهَذا: إذا خَلَطْتَهُ فهو مَمْشُوجٌ وَمَشِيجٌ مثل مَخْلُوطٍ وخَلِيطٍ[٣].

قال أهل المعانِي[٤]: وَبِناءُ الأَمْشـاجِ بِناءُ جَمْعٍ، وهي في معنى الواحد؛ لأنه نعت النطفة، وهذا كما يُقالُ: بُرْمةٌ أَعْشارٌ، وَجَفْنَةٌ أَكْسارٌ، وَثَوْبٌ أَسْمالٌ،

---

(١) البيت من الرجز المشطور، لعبد الله بن رواحة يعاتب نفسه قبل أن يستشهد في غزوة مُؤْتَةَ، وقبله:

أَقْسَـمتُ يـا نَفـسُ لَتَنزِلِنَّـهْ
مـا لِـي أراكِ تكرَهيـنَ الجَنَّـهْ

التخريج: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٨٣٣، السنن الكبرى للبيهقي ٩/ ١٥٤، المحاسن والمساوئ للبيهقي ص ٤٣٠، جامع البيان ٢٩/ ٢٥٢، تاريخ دمشق ٢٨/ ١٢١، ١٢٣، ١٢٦، أسد الغابة ٣/ ١٥٩، شرح نهج البلاغة لابن أَبِي الحديد ١٥/ ٦٩، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٠.

(٢) من أول قوله: «مني الرجل ومني المرأة» قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٩٣، وينظر: تهذيب اللغة ١٣/ ٣٦٦، ٣٦٧، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٠.

(٣) قالـه الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانـي القرآن للفراء ٣/ ٢١٤، غريـب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٢، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٥٢، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٩، الكشف والبيان ١٠/ ٩٣.

(٤) ذكره الثعلبي في الكشـف والبيان ١٠/ ٩٤، وبه قال الزمخشـري في الكشاف ٤/ ١٩٤، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٨٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢١، وقال النحاس: «ومن قال: الأَمْشاجُ: العَلَقةُ والمُضْغةُ، فالتقدير عنده: مِنْ نُطْفةٍ ذاتِ أَمْشاجٍ». إعراب القرآن ٥/ ٩٥.

وَبُرْدٌ أخْلاَقٌ، وحَبْلٌ أرْمامٌ[١]، وَوَصْفُ الجماعة منها كَوَصْفِ الواحد، ومعناه أن ماء الرجل وماء المرأة يختلطان في الرَّحِمِ، فيكون الوَلَدُ منهما جميعًا[٢].

وقيل[٣]: هو اختلاط النطفة بالدم، وماء الرجل أبيض غليظ، وماء المرأة أصفر رقيق، فما كان مِنْ عَصَبٍ وَعَظْمٍ وَقُوَّةٍ فهو من ماء الرجل، وما كان مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ وَشَعَرٍ فهو من ماء المرأة، فَأَيُّهُما عَلا ماءَ صاحِبِهِ كان الشَّبَهُ لَهُ.

وَتَمَّ الكلام، ثم قال: ﴿نَّبۡتَلِيهِ﴾؛ أي: نَخْتَبِرُهُ بالأمر والنهي والدِّينِ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا ۝٢﴾ قال الفَرّاءُ[٤]: فيه تقديم وتأخير، المعنى: جَعَلْناهُ سَمِيعًا بَصِيرًا لِنَبْتَلِيَهُ، ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ يعني: بَيَّنّا له الطَّرِيقَ طَرِيقَ الهُدَى والضَّلالَةِ والخَيْرِ والشَّرِّ ﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ۝٣﴾ يعني: إما مؤمنًا سعيدًا وإما كافرًا شَقِيًّا، معناه: خلقناه إما كذا وإما كذا، وهما منصوبان على الحال، وقيل: معنى الكلام الجَزاءُ، يعني: بَيَّنّا له الطريق إنْ شاءَ شَكَرَ، وَإنْ شاءَ كَفَرَ، وهو اختيار الفَرّاءِ[٥]، وهذا على مذهب الكوفيين، أجازوا أن تكون «ما»

---

(١) حَبْلٌ أرْمامٌ: بالٍ، واحده رُمّةٌ، وجَفْنةٌ أكْسارٌ: عظيمة مُوَصَّلةٌ لِكِبَرِها أو قدمها، كأنهم جعلوا كل جزء منها كِسْرًا ثم جمعوه على أكْسارٍ. اللسان: رمم، كسر.

(٢) قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد والحسن، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٥٣، الكشف والبيان ١٠/ ٩٤.

(٣) قاله ابن عباس والحسن، ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٨٧/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٩٤، الوسيط ٤/ ٣٩٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢١، البحر المحيط ٨/ ٣٨٦.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

(٥) قال الفراء: «و«إمّا» هاهنا تكون جزاءً أي: إنْ شَكَرَ وَإنْ كَفَرَ». معاني القرآن ٣/ ٢١٤، ولكن الفراء أجاز أيضًا أن تكون «إمّا» حرف عطف على أصلها، فقال: «وتكون على «إمّا» التي مثل قوله: ﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمۡ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ﴾، فكأنه قال: خَلَقْناهُ شَقِيًّا أوْ سَعِيدًا». معاني القرآن ٣/ ٢١٤.

زائدة، و«إنْ» للشرط، ولا يجوز هذا عند البصريين[١].

وقيل[٢]: هي حال مقدرة، والتقدير: إمّا أنْ يَحْدُثَ مِنْهُ عند فَهْمِهِ الشُّكْرُ، فهو علامة السعادة، وَإمّا أنْ يَحْدُثَ مِنْهُ الكُفْرُ، فهو علامة الشقاوة، وذلك كُلُّهُ على ما سَبَقَ في عِلْمِ الله فيهم.

ثم بَيَّنَ ما أعَدَّ للكافرين، فقال: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ﴾ يعني: في جهنم، كل سلسلة سبعون ذراعًا بذراع الرجل الطويل من الخَلْقِ الأول/ [٢٧٦/ أ] ﴿وَأَغۡلَٰلًا﴾ يعني: في أيديهم تُغَلُّ إلَى أعناقهم ﴿وَسَعِيرًا ٤﴾ وَقُودًا شديدًا.

قرأ أبو جعفر وشيبةُ ونافعٌ، وعاصمٌ برواية أبِي بكر، وهشامٌ والأعمشُ وأيوبُ والكسائيُّ: ﴿سَلاسِلًا﴾ بإثبات الألف في الوقف والتنوينِ في الوصل،

---

(١) والدليل على أن البصريين لا يجيزون هذا: أن «إمّا» قد تُحْذَفُ منها «ما» في ضرورة الشعر، ومع ذلك تبقى «إنْ» بمعنى «إمّا»، ولا تكون شرطيةً، فإذا كانت كذلك مع حذف «ما» منها، فَأَوْلَى أن تبقى «إمّا» على معناها، قال سيبويه: وأما قول الشاعر:

لَقَدْ كَذَبَتْكَ نَفْسُكَ فاكْذِبَنْها فَإنْ جَزَعًا، وَإنْ إجْمالَ صَبْرِ

فهذا على «إمّا»، وليس «إنِ» الجزاءِ، كقولك: إنْ حَقًّا وَإنْ كَذِبًا، فهذا على «إمّا» محمول، ألا ترى أنك تُدْخِلُ الفاءَ، ولو كانت على «إنِ» الجزاء، وقد استقبلت الكلام، لاحتجت إلَى الجواب، فليس قوله: «فَإنْ جَزَعًا» كقوله: «إنْ حَقًّا وَإنْ كَذِبًا»، ولكنه على قوله تعالى: ﴿فَإِمَّا مَنًّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾. الكتاب ١/ ٢٦٦، ٢٦٧، وذكر مثله في ٣/ ٣٣٢، وينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥١٩، الكامل للمبرد ١/ ٢٨٩، المقتضب ١/ ١٤٩، ٣/ ٢٨، ٢٩، إعراب القرآن ٥/ ٩٦، المسائل الحلبيات ص ٣٢٩، ٣٣٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٤، ٤٣٥، النكت للأعلم ص ٣٤٢.

(٢) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ٩٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٥، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ١٢٨.

وكذلك «قَوارِيرًا. قَوارِيرًا»، وقرأ ضِدَّهُ خَلَفٌ وَحَمْزةُ وحَفْصٌ ويعقوبُ برواية وَرْشٍ[١].

وفيه وجهان، أحدهما: أنَّ مِن العرب مَنْ يَصْرِفُ جَمِيعَ ما لا ينصرف، وهو لغةُ الشعراء؛ لأنهم اضطروا إليه فِي الشِّعْرِ فَصَرَفُوهُ، فَجَرَتْ على ألسنتهم كذلك[٢].

والوجه الآخر: أن هذا الجمع أَشْبَهَ الآحادَ؛ لأنهم قالوا: «صَواحِباتُ يُوسُفَ»[٣]، ويقولون: مَوالِياتٌ في جمع المَوالِي، فمن حيث جَمَعُوهُ جَمْعَ الآحادِ المُنْصَرِفةِ، وجعلوه في حكمها، صَرَفُوهُ، وأنشد النحويون للفرزدق:

وَإذا الرِّجالُ رَأَوْا يَزِيدَ رَأَيْتَهُمْ ... خُضُعَ الرِّقابِ نَواكِسَ الأَبْصارِ[٤]

---

(١) قرأ: ﴿سَلَاسِلا﴾ بالتنوين أيضًا: ابنُ مسعود وَرُوَيْسٌ، وابنُ عامر في رواية هشام عنه، وابنُ كثير في رواية شبل عنه، وقرأ قُنْبُلٌ والبَزِّيُّ كلاهما عن ابن كثير، وأبو عمرو وحمزةُ، وابنُ ذكوان عن ابن عامر، وحفصٌ عن عاصم، وطلحةُ وعمرُو بنُ عبيد: «سَلَاسِلَ» بغير تنوين لا وصلا ولا وقفًا، وَرَوَى بعضُهم عن حفص عن عاصم وعن ابن ذكوانَ، وعن البَزِّيِّ عن ابن كثير أنهم يقفون بالألف، وَرُوِيَ عنهم أيضًا الوقفُ بغير ألف، ينظر: السبعة ص٦٦٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٣، النشر ٢/ ٣٩٤، ٣٩٥، البحر المحيط ٨/ ٣٨٧، الإتحاف ٢/ ٥٧٦-٥٧٧.

(٢) قاله الزجاجي في أماليه ص ٨٤، وينظر: أخبار أبي القاسم الزجاجي ص ٢٢٨-٢٢٩، وحكى النحاس عن الكسائي أن العرب تصرف جميع ما لا ينصرف إلا «أفعل منك». إعراب القرآن ٤/ ٤٤، ٥/ ٤٢، ١٠١، وذكر النحويون أن هذه لغة حكاها الأخفش عن بعض العرب، ينظر: الأصول لابن السراج ٣/ ٤٣٦ وما بعدها، الحجة للفارسي ٤/ ٨٠، الإنصاف للأنباري ص ٤٩٣ وما بعدها، شرح الكافية للرضي ١/ ٩٢، ارتشاف الضرب ٢/ ٨٩١، همع الهوامع ١/ ١٢١، التصريح ٢/ ٢٢٧، ٢٢٨، الأشموني ٣/ ٢٧٥.

(٣) هذا جزء من حديث رُوِيَ عن أبي بُرْدةَ وعائشةَ، رواه الإمام أحمد في المسند٤/ ٤١٢، ٥/ ٣٦١، وابنُ ماجَهْ في سننه ١/ ٨٩، ٩٠ كتاب إقامة الصلاة: باب ما جاء في صلاة النبي ﷺ في مرضه.

(٤) تقدم برقم ٣٥٦، ٣/ ٣٩١.

وَرَوَوْهُ بكسر السين من نَواكِسِ، وأصله «نَواكِسِينَ»، فَحُذِفَت النونُ للإضافة والياءُ لالتقاء الساكنين، فبقيت السين مكسورةً في اللفظ، فَدَلَّ جَمْعُهُ على أنه يُجْمَعُ كسائر الجموع، والجُمُوعُ كُلُّها منصرفة، فَصُرِفَ هذا أيضًا على ذلك[١].

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿قَوارِيرًا﴾ الأولى بالألف، والثانيةَ بغير ألف[٢]، قال أبو عبيد[٣]: رأيتُ في الإمام مُصْحَفِ عُثْمانَ: ﴿قَوارِيرًا﴾ الأولى بِأَلِفٍ مُثْبَتةٍ، والثانية كانت بالألف فَحُكَّتْ، وَرَأَيْتُ أَثَرَها بَيِّنًا هناك.

ثم ذَكَرَ ما أَعَدَّ للشاكرين فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ﴾ يعني المطيعين لله، واحدهم: بارٌّ مثل: ناصر والأنصار، وبَرٌّ أيضًا مثل: نَهْرٍ وأَنْهارٍ[٤]﴿يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ﴾؛ أي: من إناء فيه خَمْرٌ ﴿كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥﴾ وَصَفَها الله

---

(١) المؤلف هنا نقل باختصار ما قاله الفارسي في الحجة ٤/ ٨٠، ٨١، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٦-٤٣٧، الكشف عن وجوه القراءات ٣٥٢، الوسيط للواحدي ٤/ ٣٩٩.

(٢) قرأ ابن كثير وخلف وابن محيصن وهشام: «قَوارِيرًا. قَوارِيرَ» بصرف الأول، ومنع الثانِي، ويقفون على الأول بالألف، وقرأ أبو بكر عن عاصم، ونافعٌ والكسائيُّ وأبو جعفر والحسنُ والأعمشُ، وابنُ شَنَبُوذٍ عن هشامٍ بتنوينهما معًا، ويقفون عليهما بالألف، وقرأ أبو عمرو وحمزة وابن عامر وحفص بمنعهما من الصرف مَعًا، ووقف حَفْصٌ على الأول بالألف، وعلى الثانِي بغير ألف، ووقف أبو عمرو عليهما بالألف، ورُوِيَ عن ابن عامر الوجهان، ينظر: السبعة ص٦٦٣، ٦٦٤، النشر ٢/ ٣٩٥، البحر المحيط ٨/ ٣٨٩، الإتحاف ٢/ ٥٧٧-٥٧٨.

(٣) ينظر قول أبي عبيد في إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٦٨، الكشف والبيان ١٠/ ٩٥.

(٤) قال النحاس: «واحد الأبْرارِ بَرٌّ، وربما غَلِطَ الضعيفُ في العربية فقال: هو جمع «فَعْلٍ» شُبِّهَ بـ«فَعِلٍ»، وذلك غلط، إنما هو جمع «فَعِلٍ»، يقال: بَرِرْتُ والِدِي فأنا بارٌّ وبَرٌّ، فَبَرٌّ «فَعِلٌ» مثل حَذِرْتُ فأنا حَذِرٌ، و«فَعِلٌ» و«أَفْعالٌ» قياس صحيحٌ». إعراب القرآن ٥/ ٩٧، وقال الأزهري: «وَرَجُلٌ بَرٌّ بِذِي قَرابَتِهِ، وَبارٌّ من قَوْمٍ بَرَرةٍ وَأَبْرارٍ». تهذيب اللغة ١٥/ ١٩٠، ١٩١، وينظر: اللسان: برر.

بِبَرْدِ الكافُورِ وَرِيحِ المِسْكِ وَطَعْمِ الزَّنْجَبِيلِ، ليس كَكافُورِ الدنيا، ولا كَمِسْكِ الدنيا، ولا كَزَنْجَبِيلِ الدنيا، ولَكِنْ يُشَبِّهُ ما عنده بما عندكم لكي تَهْتَدِيَ إليها القلوبُ[١]، ويقال[٢]: إنَّ فِي الجنة عَيْنًا يُقالُ لها: الكافُورُ تُمْزَجُ بِها الخَمْرِ.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ وَلَدٍ بارٍّ يَنْظُرُ إِلَى أَبَوَيْهِ نَظْرةَ رَحْمةٍ، إلّا كانَ لَهُ بِكُلِّ نَظْرةٍ حِجّةٌ مَبْرُورةٌ»، قيل: يا رسول الله: وَإنْ نَظَرَ كُلَّ يَوْمٍ مِائةَ مَرّةٍ؟ قال: «نَعَمْ! اللهُ أَطْيَبُ وَأَكْثَرُ»[٣].

[٢٧٦/ ب] ثم ذَكَرَ اللهُ الكافورَ / ، فقال تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ الباء صلة؛ أي: يَشْرَبُها عِبادُ اللهِ[٤]، يعني: أولياء الله ﴿يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ قيل[٥]: مَعَهُمْ قُضْبانُ الذَّهَبِ يَضْرِبُونَ بِها حيث شاؤوا، وحيث أمالُوا قُضْبانَهُمْ مالَتْ، يُفَجِّرُونَ بِها

---

(١) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٨٨/ أ.

(٢) قاله الفراء في المعاني ٣/ ٢١٥، وينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٥٧، شفاء الصدور ورقة ١٨٨/ أ، وحكاه الأزهري عن الفراء في التهذيب ١٠/ ٢٠٢، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٩٥.

(٣) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٨٨/ أ، وهذا الحديث منكر كما قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٩/ ٢٠٨، وينظر: الدر المنثور ٤/ ١٧٣، كنز العمال ١٦/ ٤٧٧.

(٤) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢١٥، وأنشد شاهدًا لذلك:

شَرِبْنَ بِماءِ البَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

وهو أحد قولين لابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٤١٥، وتأويل مشكل القرآن ص ٢٤٨، وبه قال الطبري في جامع البيان ٢٩/ ٢٥٧، وينظر: أماليُّ المرتضى ٢/ ١٠١، المحرر الوجيز ٥/ ٤١٠.

(٥) رواه النقاش عن ابن شوذب في شفاء الصدور ورقة ١٨٨/ أ.

تلك العَيْنَ، وقيل[١]: الباء بمعنى «مِنْ»؛ أي: يَشْـرَبُ مِنْها عِبادُ الله، يعني: مِنْ مَنازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ حيث يريدون، وَيَقُودُونَها حيث شاؤوا، كما يُفَجِّرُ الرَّجُلُ منكم النَّهَرَ يكون له في الدنيا إلَى حيث يريد.

ونصـب ﴿عَيْنًا﴾ على البَدَلِ مـن الكافور[٢]، وقيل[٣]: علـى البَدَلِ من ﴿كَأْسٍ﴾ على الموضع، وقيل[٤]: على الحال والقطع، وقيل[٥]: نصب بإضمار فعل أي: يشربون عَيْنًا، يعني: مِنْ ماءِ عَيْنٍ، ثم حُذِفَ المضافُ، وقال المُبَرِّدُ[٦]: انتصب على إضمار «أعْنِي»، وقيل: على المدح، وهو قول الأخفش[٧]، وقال الفراء[٨]: هي كالمُفَسِّـرِ للكافور، وقال الزَّجّاجُ[٩]: الأجود أن يكون المعنى: مِنْ عَيْنٍ يَشْرَبُ بِها عِبادُ الله. وكُلُّ هذه الوجوهِ مُحْتَمِلةٌ لَها.

---

(١) قاله ابن قتيبة والزجاجي وابن فارس، ينظر: أدب الكاتب ص ٤٠٨، تأويل مشـكل القرآن ص ٥٧٥، حـروف المعانِـي للزجاجـي ص ٤٧، الصاحبي ص ١٣٣، وينظـر: أمـالِيُّ بن الشجري ٢/ ٦١٣، البيان للأنباري ٢/ ٤٨٢.

(٢) قاله الفراء والأخفش، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١٥، معانِي القرآن للأخفش ص ٥١٩، وبه قال مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧.

(٣) ذكره مَكِّيٌّ بغير عزو في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٨٢.

(٤) قاله الفراء والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١٥، إعراب القرآن ٥/ ١٠٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧.

(٥) قالـه الأخفش والنحاس، ينظر: معانِي القـرآن ص ٥١٩، إعراب القرآن ٥/ ١٠٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧.

(٦) ينظر قوله في إعراب القرآن ٥/ ٩٧، ٩٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٧.

(٧) معانِي القرآن ص ٥١٩.

(٨) معانِي القرآن ٣/ ٢١٥، ومعناه أن ﴿عَيْنًا﴾ بدل من الكافور.

(٩) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٨.

وقولــه: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ﴾ وهذا من صفات الأبرار فِي الدنيا؛ أي: كانوا في الدنيا كذلك يوفون بطاعة الله من الصلاة والزكاة والحج والعمرة وغيرها من الواجبـات، ومعنى النَّذْرِ في اللغة: الإيجـابُ، والمعنى: ما أَوْجَبَهُ اللهُ عليهم من الطاعــات ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا﴾ يعني يوم القيامــة ﴿كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ يعني: طويلًا مُمْتَدًّا، وقيل: فاشِـيًا مُنْتَشِـرًا، يقال[1]: اسْـتَطارَ الصَّدْعُ في الزجاجة: إذا امْتَدَّ، واسـتطار الحَرِيقُ: إذا انتشر، واستطار الفَجْرُ: إذا انْتَشَرَ الضَّوْءُ، قال الأعشى:

٤٤١ ـ فَبانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الفُؤا دِ صَدْعًـا عَلَـى نَأْيِها مُسْـتَطِيرا[2]

ويقال: اسْتَطارَ واسْتَطالَ بمعنًى واحدٍ[3]، وهو يَوْمَ تَنْشَقُّ السَّماءُ، وَتَنْفَطِرُ الأَرْضُ، وَتَتَناثَـرُ النُّجُومُ، وَتَفْزَعُ المَلائِكةُ، وَتُكَوَّرُ الشَّـمْسُ والقَمَرُ، فَيَذْهَبُ ضَوْؤُهُما، وَتُزَلْزَلُ الأَرْضُ، وَتَنْشَقُّ الجِبالُ فَتَغُورُ المِياهُ، وَيُكَسَّرُ كُلُّ شَيْءٍ على

---

(١) قاله الأزهري في التهذيب ١٤/ ١٣-١٤، وينظر: الوسيط ٤/ ٤٠٠.

(٢) البيت من المتقارب للأعشى، ولم يَرِدْ فِي ديوانه بهذا اللفظ، وله في ديوانه بيت آخر يشبهه، وهو قوله:

فَبانَـتْ وَقَـدْ أورَثَـتْ فِـي الفُؤا دِ صَـدْعًـا يُـخـالِـطُ عَـثّـارَهـا

اللغة: أَسْأَرَتْ: أَبْقَتْ، وأصله من السُّؤْرِ، وهو بَقِيّةُ الشَّيْءِ، العَثّارُ: الشَّرُّ والمَكْرُوهُ.

التخريج: ديوانه ص ١٤٣، ٣٦٧، جامع البيان ١/ ٧٢، ٢٩/ ٢٦٠، تهذيب اللغة ٢/ ٣٢٦، مجمـل اللغـة ص ٦٤٧، الجليس الصالح الكافِي ٢/ ٣٥٥، الكشـف والبيـان ١٠/ ٩٦، شمس العلوم ٥/ ٣٣١٣، ٧/ ٤٢١٠، زاد المسير ٨/ ٤٣١، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٨، اللسان: عثر، البحر المحيط ٨/ ٣٨٤، الدر المصون ٦/ ٤٤١، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢١، التاج: عثر.

(٣) قال الفراء: «والعرب تقول: اسْتَطارَ الصَّدْعُ فِي القارُورةِ وَشِبْهِها، واسْتَطالَ». معانِي القرآن ٣/ ٢١٦، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٨٨/ ب.

[٢٧٧/ أ] الأرض من جَبَلٍ أو بِناءٍ أو شَجَرٍ، فَفَشا / شَرُّ ذلك اليَوْمِ وانْتَشَرَ، ونصب ﴿يَوۡمًا﴾ بـ﴿يخافُونَ﴾.

قوله: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ﴾ قيل[١]: الهاء عائدة على الطعام؛ أي: على حُبِّهِمُ الطَّعامَ وَشِدَّةِ فاقَتِهِمْ إلَيْهِ، وقيل: الهاء عائدة إلَى الله تعالى؛ أي: على حُبِّ الله ـ سبحانه ـ، قاله أبو سليمان الدّارانِيُّ[٢] ﴿مِسۡكِينًا﴾ يعني: الذي لا مال له ﴿وَيَتِيمًا﴾ لا أبَ له ﴿وَأَسِيرًا ٨﴾ في أيديهم.

قيل[٣]: نزلت هذه الآية في عَلِيٍّ بن أبي طالب ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ، أَجَّرَ نَفْسَهُ لَيْلَةً يَسْقِي نَخْلًا بِشَيْءٍ من الشَّعِيرِ، فلما أصْبَحَ وَقَبَضَ الشَّعِيرَ طَحَنَ ثُلُثَهُ، فجعلوا منه شيئًا ليأكلوه يقال له: الحَرِيرةُ[٤]، فلما تَمَّ إنْضاجُهُ أتَى مِسْكِينٌ فَسَألَ، فأخرجوا إليه الطعامَ، ثُمَّ عُمِلَ الثُّلُثُ الثّانِي، فلما تَمَّ إنْضاجُهُ أتَى يَتِيمٌ فَسَألَ فَأطْعَمُوهُ إيّاهُ، ثُمَّ عُمِلَ الثُّلُثُ الباقي، فلما تَمَّ إنْضاجُهُ أتَى أسِيرٌ من المشركين فَسَألَ، فَأطْعَمُوهُ إيّاهُ، وَطَوَوْا يَوْمَهُمْ ذلك، فَنَزَلَتْ هذه الآيةُ، وقيل:

---

(١) هذا قول جمهور المفسرين، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٦٠، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٩، الوسيط ٤/ ٤٠٠، زاد المسير ٨/ ٤٣٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٨.

(٢) هو عبد الرحمن بن أحمد بن عَطِيّةَ العَنْسِيُّ، أبو سليمان الدّارانِيُّ، من أهل دارِيّا بِغُوطةِ دِمَشْقَ، زاهد من كبار المتصوفة، وله أخبار في الزهد، رحل إلى بغداد، فأقام بها مدة، ثم عاد إلى الشام، وتوفِّي ببلده سنة (٢١٥هـ). [حلية الأولياء ٩/ ٢٥٤-٢٨٠، سير أعلام النبلاء ١٠/ ١٨٢-١٨٦، الأعلام ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤]، وينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ١٨٨/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٩٦، زاد المسير ٨/ ٤٣٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٢٨.

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٩٢/ ب، ١٩٣/ أ، أسباب النزول ص ٢٩٦، الوسيط ٤/ ٤٠١، مجمع البيان ١٠/ ٢١٠، زاد المسير ٨/ ٤٣٢.

(٤) الحَرِيرةُ: دَقِيقٌ يُطْبَخُ بِلَبَنٍ أو دَسَمٍ. اللسان: حرر.

الأسير هو المسجون، وقيل: المملوك، وقال أبو حمزة الثُّماليُّ[١]: الأسير: المرأة بدليل قوله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بالنساء خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ عَوانٍ عِنْدَكُمْ»[٢]، والعَوانِي: الأَسِيراتُ[٣].

فصل

عن أَبِي سعيد الخُدْرِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «ما مِنْ مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِمًا عَلَى جُوعٍ إِلّا أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمارِ الجَنّةِ، وما مِنْ مُسْلِمٍ كَسا أَخاهُ عَلَى عُرْيٍ إِلّا كَساهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الجَنّةِ، وَمَنْ سَقَى مُسْلِمًا على ظَمَأٍ سَقاهُ اللهُ من الرَّحِيقِ المَخْتُومِ»[٤].

قوله: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ يعني: لله وَلِما يُرْضِيهِ ﴿لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾﴾ يعني: لا نريد منكم ثَناءً ولا مُكافَأَةً، والمعنى واحد لاختلاف اللفظين،

---

(١) هو ثابت بن دينار الثُّماليُّ الأَزْدِيُّ بالولاء، من أهل الكوفة، ومن رجال الحديث الثقات عند الإمامية، وهو لَيِّنٌ ضعيف الحديث عند أهل السُّنّةِ، قُتِلَ ثلاثةٌ من أبنائه مع زيد بن عَلِيٍّ، توفِّي سنة (١٥٠هـ)، من كتبه: تفسير القرآن، النوادر. [الكامل في الضعفاء ٢/ ٩٣، تهذيب الكمال ٤/ ٣٥٧-٣٥٩، الأعلام ٢/ ٩٧].

(٢) هذا الحديث من خطبة الوداع، رواه الترمذي في سننه عن سليمان بن عمر بن الأحوص عن أبيه ٢/ ٣١٥ أبواب الرضاع: باب ما جاء في حق المرأة على زوجها، ٤/ ٣٣٧ أبواب تفسير القرآن: سورة التوبة، ورواه ابن ماجَهْ في سننه ١/ ٥٩٤ كتاب النكاح: باب حق المرأة على الزوج.

(٣) تفسير أَبِي حمزة الثمالِي ص ٣٤٥.

(٤) رواه أبو داود في سننه ١/ ٣٧٩ كتاب الزكاة: باب في فضل سَقْيِ الماءِ، والبيهقي في السنن الكبرى ٤/ ١٨٥ كتاب الزكاة: باب ما ورد في سَقْيِ الماءِ، وينظر: مسند أَبِي يَعْلَى ٢/ ٣٦٠، الوسيط ٤/ ٤٠٠.

وهو مصدر كالقُعُودِ والدُّخُولِ والخُرُوجِ[(١)].

قوله: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ يعني: شديدًا طويلًا، يقال له: يَوْمٌ قَمْطَرِيرٌ وَقُماطِرُ: إذا كان شديدًا كَرِيهًا[(٢)]، واقْمَطَرَّ اليَوْمُ وازْمَهَرَّ اقْمِطْرارًا وازْمِهْرارًا، وَيَوْمٌ مُقْمَطِرٌّ: إذا كان صَعْبًا شَدِيدًا[(٣)].

واليَوْمُ / العَبُوسُ: الذي تَعْبَسُ فيه الوُجُوهُ مِنْ شِدَّتِهِ وكَثْرةِ أَهْوالِهِ [٢٧٧/ ب] وَمَكارِهِهِ[(٤)]، قال الشاعر:

٤٤٢ - فَفِرُّوا إذا ما الحَرْبُ ثارَ غُبارُها وَلَجَّ بِها اليَوْمُ العَبُوسُ القُماطِرُ[(٥)]

وَأَنْشَدَ الفَرّاءُ[(٦)]:

---

(١) قال الأخفش: «إن شِئْتَ جَعَلْتَهُ جَماعةَ الشُّكْرِ، وجعلتَ الكَفُورَ جَماعةَ الكُفْرِ مثل الفَلْسِ والفُلُوسِ، وإن شِئْتَ جعلته مصدرًا واحدًا في معنى جَمِيعِ مثل: قَعَدَ قُعُودًا، وَخَرَجَ خُرُوجًا». معانِي القرآن ص ٥١٩، وينظر: تهذيب اللغة ١٠/ ١٢.

(٢) قاله ابن قتيبة والزجاج، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٩، وينظر: تهذيب اللغة ٩/ ٤٠٨.

(٣) حكاه الثعلبي عن الكسائي في الكشف والبيان ١٠/ ٩٧، وينظر: اللسان: قمطر، التاج: قمطر.

(٤) قاله ابن قتيبة في تفسير غريب القرآن ص ٥٠٢، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٩.

(٥) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١٦، جامع البيان ٢٩/ ٢٦٢، ديوان الأدب ٢/ ٥٧، الصحاح ص ٧٩٧، الكشف والبيان ١٠/ ٩٧، المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، زاد المسير ٨/ ٤٣٥، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٥، اللسان: قمطر، البحر المحيط ٨/ ٣٨٤، الدر المصون ٦/ ٤٤٢، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٦، التاج: قمطر، فتح القدير ٥/ ٣٤٨.

(٦) إنشاد الفراء ذكره النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٩٩، والبيت ليس في معانِي القرآن للفراء.

٤٤٣ ـ بَنِي عَمِّنا هَلْ تَذْكُرُونَ بَلاءَنا عَلَيْكُـمْ إذا مـا كانَ يَـوْمٌ قُماطِرُ[1]

قولـه: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾ يعني شَـرَّ يَـوْمِ القيامةِ ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ⑪﴾ نَضْرةً: حُسْنًا وَبَياضًا فِي الوجوه، وَسُرُورًا: في القلوب لا انقطاع لـه، وذلك أن المؤمن يَخْرُجُ من قَبْرِهِ يوم القيامة فينظر أمامه، فإذا هو بإنسـانٍ وَجْهُهُ مثل الشمس يضحك، طَيِّبُ النَّفْسِ، عليه ثِيابٌ بيضٌ، وعلى رأسه تاجٌ، فَيَنْظُرُ إليه حتى يَدْنُـوَ منه، فيقـول: سَـلامٌ عَلَيْـكَ يا وَلِيَّ اللهِ، فيقـول: وعليك السلام، مَنْ أَنْتَ يا عبد الله؟ أَنْتَ مَلَكٌ من الملائكة؟، فيقول: لا، فيقول: أَنْتَ نَبِيٌّ من الأنبياء؟ فيقـول: لا واللهِ، فيقول: أنت من المُقَرَّبِينَ؟ فيقول: لا واللهِ، فيقول: مَنْ أَنْتَ؟ فيقول: أنا عَمَلُكَ الصّالِحُ، أُبَشِّـرُكَ بِالجَنّةِ والنَّجاةِ من النار، فيقول له: يا عبد الله: أَبِعِلْمٍ تُبَشِّرُني؟ فيقول: نَعَمْ، فيقول: ما تُرِيدُ مِنِّي؟ فيقول: ارْكَبْني، فيقول: سبحان الله! ما يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يُرْكَبَ عليه، فيقول: بَلَى فَإِنِّي طالَما رَكِبْتُكَ في دارِ الدُّنْيا، فَإِنِّي أَسْـأَلُكَ بِوَجْهِ اللهِ إِلّا رَكِبْتَنِي، فَيَرْكَبُهُ فيقول: لا تَخَفْ، أنا دَلِيلُكَ إِلَى الجَنّةِ، فَيَقَعُ ذلك الفَرَحُ في وَجْهِهِ حتى يَتَلأْلأَ، وَيُرْمَى في وَجْهِهِ النُّورُ، والسُّرُورُ في قَلْبِهِ، فذلك قوله: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[2].

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟﴾ على طاعتـه واجتناب معصيته ﴿جَنَّةً وَحَرِيرًا ⑫﴾؛ أي: دُخُولَ جَنّةٍ وَلُبْسَ حَرِيرٍ، فَحُذِفَ المُضافُ ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ يعنـي: على السُّـرُرِ عليها الحِجالُ، جَمْعُ حَجَلةٍ وهي السُّـتُورُ

---

(١) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.

التخريـج: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٩٩، الكشـف والبيـان ١٠/ ٩٧، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٦.

(٢) هـذا الخبـر رَوَى الطَّبَـرِيُّ مِثْلَهُ عن عمـرو بن قيـس المُلَائِيِّ في جامع البيـان ٧/ ٢٣٦، ١٦/ ١٥٨، ١٥٩، وينظر: تفسير القرطبي ١١/ ١٥١، تفسير ابن كثير ٣/ ١٤٤.

﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا﴾ يُؤْذِيهِمْ حَرُّها؛ لأنَّ الجنة نُورٌ لا يَحْتاجُونَ فيها إلَى شَمْسٍ تُنيرُها ﴿وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣)﴾ ولا يُصِيبُهُمْ بَرْدُ الزَّمْهَرِيرِ؛ لأنه ليس فِي الجنة شِتاءٌ ولا صَيْفٌ، قال النَّبِيُّ ﷺ: «الجَنّةُ سَجْسَجٌ، لا حَرَّ فيها ولا قُرَّ»[١].

قال الفَرّاءُ[٢]: ونصب ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ على القطع. وهو عند البصريين منصوب على الحال / من الهاء والميم، والعامل فيه «جَزاهُمْ»، ولا يجوز أن يعمل فيه ﴿صَبَرُوا﴾؛ لأن ﴿مُتَّكِئِينَ﴾ إنما هو في الجنة، والصبر في الدنيا[٣]، ويجوز أن يكون منصوبًا على أنه نعت للجنة[٤]، وذلك حَسَنٌ لأنه قد عاد الضمير عليها. [٢٧٨/ أ]

وقوله: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ القول فيه كالقول فِي ﴿مُتَّكِئِينَ﴾، ويكون معناه: غَيْرَ رائِينَ[٥]، والزَّمْهَرِيرُ: البَرْدُ الشَّدِيدُ[٦]، وقيل[٧]: هو القَمَرُ

---

(١) رواه ابن أبي شيبة بسنده عن عبد الله في مصنفه ٨/ ٦٩، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٩٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٨، الدر المنثور ٦/ ٣٠٠. والسَّجْسَجُ: الهَواءُ المعتدل بَيْنَ الحَرِّ والبَرْدِ، ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١٢٧، النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٤٣، اللسان: سجج.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢١٦، على أن الفراء والكوفيين يطلقون مصطلح القطع أحيانا ويريدون به الحال، وهذا هو الظاهر من كلام الفراء هنا، وينظر: مصطلحات النحو الكوفِيِّ ص ٥٧.

(٣) من أول قوله: «وهو عند البصريين منصوب على الحال» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٥/ ١٠٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٨.

(٤) هذا الوجه أجازه الفراء، فقد قال: «وَإنْ شئت جعلته تابعا لِلْجَنّةِ، كأنك قلت: جَزاهُمْ جَنّةً مُتَّكِئِينَ فيها». معاني القرآن ٣/ ٢١٦، وأجازه النحاس أيضًا في إعراب القرآن ٥/ ١٠٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٨.

(٥) قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٥/ ١٠٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٨.

(٦) قاله مجاهد وقتادة، ذكره الطبري في جامع البيان ٢٩/ ٢٦٥، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٦/ ٥٢٤، وينظر: الصحاح ٢/ ٦٧٢، الكشف والبيان ١٠/ ٩٨، الفريد ٤/ ٥٨٨.

(٧) قاله أحمد بن يحيى، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٩٨، الكشاف ٤/ ١٩٧، المحرر الوجيز ٥/ ٤١١، زاد المسير ٨/ ٤٣٥، تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٨، البحر المحيط ٨/ ٣٨٤.

بِلُغةِ طيِّئٍ، قال شاعرهم:

٤٤٤ ـ وَلَيْلَـةٍ ظَلاَمُهـا قَـدِ اعْتَكَرْ
قَطَعْـتُهـا والـزَّمْهَرِيرُ مـا زَهَـرْ[(١)]

أي: لَمْ يَطْلُعِ القَمَرُ.

فصل

عـن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: سُـئِلَ رسـولُ الله ﷺ عن الصبر فقال: «الصَّبْـرُ أرْبَعـةٌ، أولها: الصَّبْرُ عنـد الصَّدْمةِ الأُولَى، والصَّبْـرُ على الفرائض، والصَّبْرُ على اجْتِنابِ محارم الله، والصَّبْرُ على المصائب»[(٢)].

قوله تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا﴾؛ أي: دانية منهم ظِلاَلُ أشْجارِها، وَقَرُبَتْ منهم ثِمارُها حتى ينالها القائمُ والقاعدُ والمُضْطَجِعُ ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ لا يَرُدُّ أيْدِيَهُمْ عنها بُعْدٌ ولا شَـوْكٌ، إنْ قامَ تَطاوَلَتِ الشَّجَرُ، وَإنْ كانَ جالِسًا أوْ مُتَّكِئًا انْخَفَضَتْ وَلانَتْ.

---

(١) البيتان من الرجز المشطور، لشاعر طائي، ويُرْوَى الثانِي: «**ما ظَهَرْ**»، ويُرْوَى الأول:

وَلَيْلَـةٍ فِيهـا الظَّـلامُ مُعْتَكِـرْ

اللغة: اعْتَكَرَ اللَّيْلُ: اشْتَدَّ سَوادُهُ واخْتَلَطَ، زَهَرَ النَّجْمُ زُهُورًا: تَلأْلأَ.

التخريـج: الكشـف والبيـان ١٠/ ٩٨، تاريخ دمشـق ٤٥/ ٩٥، الكشـاف ٤/ ١٩٧، زاد المسـير ٨/ ٤٣٥، عيـن المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، غرائب التفسـير للكرمانِي ص ١٢٨٨، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٣٨، البحر المحيط ٨/ ٣٨٥، الدر المصون ٦/ ٤٤٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٩.

(٢) ينظر: القرطبي ١٩/ ١٣٦ عن ابن عمر.

وفِـي نصب «دانِيـةً» أوجه، أحدها: العطف علـى قوله: ﴿مُتَّكِئِينَ﴾[١]، والثانِي: على موضع قولـه: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾؛ أي: وَيَرَوْنَ دانِيةً[٢]، والثالث: على المدح، وإنما أَنَّثَ «دانِيةً»؛ لأن الظلال جَمْعٌ[٣].

وفـي قراءة عبد الله: «وَدانِيًا عَلَيْهِمْ ظِلاَلُها»[٤] لِتَقَدُّمِ الفعل، و ﴿ظِلَالُهَا﴾ رفع على الاستئناف[٥]، وقيل: لأنه فاعل؛ لأن معناه: وَتَدْنُـو عَلَيْهِمْ ظِلاَلُها دانِيةً.

فصل

عـن مجاهد قال: «أَرْضُ الجَنّـةِ من وَرِقٍ، وَتُرابُها مِنْ مِسْـكٍ، وَأُصُولُ شَـجَرِها مِنْ ذَهَبٍ، وَوَرَقُ أَفْنانِها لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَياقُوتٍ، والثَّمَرُ تَحْتَ ذلك،

---

(١) قاله الفراء والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٥٩، وينظر: سر صناعة الإعراب ص ٢٨٤.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٠٠.

(٣) قالـه الفـراء والأخفـش والنحاس، ينظـر: معانِي القـرآن للفـراء ٣/ ٢١٦، معانِي القرآن للأخفش ص ٥٢٠، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٠.

(٤) وهذه قراءة الأعمش أيضًا، ينظر: معانِي القـرآن للفـراء ٣/ ٢١٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٩، البحر المحيـط ٨/ ٣٨٨.

(٥) «ظِلَالُها»يرتفـع على الاسـتئناف على قـراءة أَبِي حَيْـوةَ: ﴿وَدانِيـةٌ عَلَيْهِـمْ ظِلَالُها﴾ برفع ﴿دانِيةٌ﴾، أو على قراءة أُبَيٍّ: ﴿وَدانٍ عَلَيْهِمْ ظِلاَلُها﴾ برفع ﴿دانٍ﴾، فيكون «ظِلاَلُها» مبتدأ، و﴿دانٍ﴾ خبره مقدمًا عليه، والجملة في موضع نصب على الحال من الهاء والميم في قوله: ﴿وَجَزاهُـمْ﴾، أو من المضمر في قوله: ﴿مُتَّكِئِيـنَ﴾، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢١٦، إعراب القرآن ٥/ ١٠١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٨، شواذ القراءة ورقة ٢٥٥.

فَمَنْ أكَلَ قائِمًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أكَلَ قاعِدًا لَمْ يُؤْذِهِ، وَمَنْ أكَلَ مُضْطَجِعًا لَمْ يُؤْذِهِ، فذلك قوله: ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾[1].

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ﴾ وهي الكِيزانُ لا عُرَى لَها ولا آذانَ ﴿كَانَتْ قَوَارِيرَا۟ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ﴾ يعني: في بَياضِ الفِضّةِ وَصَفاءِ القَوارِيرِ، وهو الزُّجاجُ ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ / على قَدْرِ الكَفِّ[2]، وقيل[3]: قَدَّرُوا الكَأْسَ على قَدْرِ رِيِّهِمْ، لا تَزِيدُ ولا تَنْقُصُ من الرِّيِّ، وهو أَلَذُّ الشَّرابِ. [٢٧٨/ ب]

قرأ العامة: ﴿قَدَّرُوهَا﴾ بفتح القاف والدال؛ أي: قَدَّرَها لهم السُّقاةُ والخَدَمُ الذين يطوفون بها عليهم، والضمير فِي ﴿قَدَّرُوهَا﴾ يعود على السُّقاةِ، وَرُوِيَ عن الشَّعْبِيِّ أنه قرأ: «قُدِّرُوها»[4] بضم القاف وكسر الدال؛ أي: قُدِّرَتْ عليهم، فلا زيادة فيها ولا نقصان.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿كَأْسًا﴾ خَبَرُ ما لم يُسَمَّ فاعِلُهُ، يعني

(١) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه ٨/ ٦٧، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٣٩.

(٢) قاله ابن عباس والقرظي وأبو الربيع والضحاك، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٦٩، ٢٧٠، شفاء الصدور ١٩٣/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٣، عين المعاني ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤١.

(٣) قاله ابن عباس والحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد والفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٣، جامع البيان ٢٩/ ٢٦٩، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٠٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٣، الوسيط ٤/ ٤٠٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٢.

(٤) وهي قراءة النبي ﷺ وعَلِيٍّ وابنِ عَبّاسٍ والسُّلَمِيِّ وابن سِيرِينَ والشَّعْبِيِّ وقتادة وزيد بن عَلِيٍّ والجَحْدَرِيِّ وعُبَيْدِ بن عُمَيْرٍ وأَبِي حَيْوَةَ وَأَبانَ، والأصمعي عن أَبِي عمرو، وابن عبد الخالق عن يعقوب، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤١، البحر المحيط ٨/ ٣٨٩.

خَمْرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾ تُشَـوِّقُ وَتُطْرِبُ من غير لَـذْعٍ، والعرب تُحِبُّ الزَّنْجَبِيلَ، وَتَسْتَطِيبُهُ وَتَسْتَطِيبُ رائِحَتَهُ[1]، قال شاعرهم:

٤٤٥ ـ كَأَنَّ جَنِيًّـا مِـنَ الزَّنْجَبِيـ ـــلِ باتا بِفِيهـا وَأَرْيًا مَشُــورا[2]

وقال آخر:

٤٤٦ ـ فَلاَعَبَنِي عَلَى الأَنْماطِ لُعْسٌ عَـلَـى أَفْـواهِـهِـنَّ الـزَّنْـجَـبِـيـلُ[3]

وقيــل[4]: هو عَيْنٌ فِي الجنة يوجد فيها طعم الزنجبيل، وهو قوله: ﴿عَيْنًا

---

(١) قاله الزجاج والأزهري، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٠، التهذيب ١١/ ٢٦٠، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٣.

(٢) البيت المتقارب، للأعشى، ورواية ديوانه:

خالَـطَ فاهـا وَأَرْيًـا مَشُـورا

اللغة: الجَنِيُّ: الثَّمَرُ المُجْتَنَى ما دامَ طَرِيًّا، الأَرْيُ: العَسَلُ، الأَرْيُ المَشُورُ: العَسَلُ المُجْتَنَى مِنْ خَلاياهُ وَمَواضِعِهِ.

التخريج: ديوانه ص ١٤٣، العين ٦/ ٢٨٠، غريب الحديث للهروي ٣/ ٣٢٣، معانِي القرآن وإعرابه ١/ ٤٨٥، ٥/ ٢٦٠، جمهرة اللغة ص ٧٣٥، ١٢٦٣، تهذيب اللغة ١١/ ٢٦٠، ٤٠٤، المخصص ٥/ ١٥، ١٤/ ٢٤١، الكشـف والبيان ١٠/ ١٠٣، الكشـاف ٤/ ١٩٨، المحرر الوجيز ٥/ ٤١٢، اللســان: زنجبيل، شـور، الدر المصون ٦/ ٤٤٦، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٧، التاج: شور، زنجبيل.

(٣) البيت من الوافر لأُحَيْحَةَ بن الجُلاحِ.

اللغة: الأَنْماطُ: جَمْعُ نَمَطٍ وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ البُسُطِ، لُعْسٌ: جَمْعُ لَعْساءَ وَهِيَ المَرْأَةُ البَيْضاءُ التي يَعْلُو شَفَتَيها سَوادٌ.

التخريـج: ديوانه ص ٧٤، البخلاء للجاحـظ ص ١٨٢، جمهرة اللغة ص ١٢١٨، جمهرة أشعار العرب ص ٥١٧.

(٤) قالـه الأزهـري في التهذيـب ١١/ ٢٦٠، وينظر: الكشـف والبيـان ١٠/ ١٠٣، القرطبي ١٩/ ١٤٢.

﴿فِيهَا﴾ يعني: فِي الجنة ﴿تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ يعني: سَلِسةً لَهُمْ مُنْقادةً، يُصَرِّفُونَها حيث شاؤوا[١]، وقيل[٢]: طَيِّبَةَ الطَّعْمِ والمَذاقِ، تقول العرب: هذا شَرابٌ مُسَلْسَلٌ وَسَلْسالٌ وَسَلْسَبِيلٌ، وقيل[٣]: سُمِّيَتْ سَلْسَبِيلًا لأنها تَسِيلُ عليهم في الطُّرُقِ وفي منازلهم، تَنْبُعُ من أصل العرش من جَنّةِ عَدْنٍ إِلَى أهل الجِنانِ، وَشَرابُ الجَنّةِ على بَرْدِ الكافور وطَعْمِ الزَّنْجَبِيلِ وَرِيحِ المِسْكِ.

ومعنى ﴿تُسَمَّىٰ﴾؛ أي: تُوصَفُ؛ لأن أكثر العلماء على أن ﴿سَلْسَبِيلًا﴾ صفةٌ لا اسمٌ، ونصب ﴿عَيْنًا﴾ على ما تقدم من الوجوه في نظيرها أَوَّلًا[٤]، ونصب ﴿سَلْسَبِيلًا﴾؛ لأنه مفعول ثانٍ خَبَرُ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ، وهو اسمٌ أعجميٌّ نكرةٌ، فلذلك انصرف[٥].

---

(١) قاله قتادة كما ذكر الطبري في جامع البيان ٢٩/ ٢٧١، وقال الزَّجّاجُ: «وَسَلْسَبِيلٌ: اسم العَيْنِ، إلا أنه صُرِفَ لأنه رأس آية، وَسَلْسَبِيلٌ فِي اللغة صِفةٌ لِما كان في غاية السَّلاَسةِ، فَكَأَنَّ العَيْنَ، والله أعلم، سُمِّيَتْ بِصِفَتِها». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦١، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٣، ١٠٤.

(٢) هذا قول يَمانٍ ومجاهد وابن الأنباري، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٤، زاد المسير ٨/ ٤٣٨، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٢.

(٣) هذا قول أَبِي العالية وقتادة ومقاتل، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٤، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٣.

(٤) يعني في قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾. الآية ٦، ٤/ ٢٠٠.

(٥) هذا ما قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٩، والجواليقيُّ في المُعَرَّبِ ص ١٨١، وتابعهما عليه المؤلف، ولكن غيرهم من العلماء ذكروا أن سبب صرفه هو أنه رأس آية، قال الأخفش: «هو اسم للعين، وهو معرفة، ولكنْ لَمّا كان رأسَ آية كان مفتوحًا، زِدْتَ فيه الألِفَ كما كانت ﴿قَوَارِيرَا﴾». معانِي القرآن ص ٥٢١، ومثلَهُ قال الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦١.

قوله ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ﴾؛ أي: صِبْيانٌ، واحدهم: وَلِيدٌ، و﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ مُسَوَّرُونَ مُقَرَّطُونَ بالخِلَدةِ وهي القِرطةُ، وجمعها: خِلَدٌ[1]، وليس في الجنة وِلادةٌ، والمعنى: أنهم في قَدِّ الوِلْدانِ مُخَلَّدُونَ، لا يَكْبَرُونَ ولا يَهْرَمُونَ ولا يَشِيبُونَ ولا يَتَغَيَّرُونَ، بل كُلُّهُمْ شَبابٌ مُرْدٌ[2] ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ شَبَّهَهُم اللهُ بِاللُّؤْلُؤِ إذا نُثِرَ من أصْدافِهِ فِي الكَثْرةِ والحُسْنِ والبَياضِ.

فصل

عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ / قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ [٢٧٩/ أ] أدْنَى أهْلِ الجنّةِ مَنْزِلةً الَّذِي له ثَمانُونَ ألْفَ خادِمٍ وَسِتُّونَ زَوْجةً، وَتُنْصَبُ لَهُ قُبَّةٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ وَياقُوتٍ ما بَيْنَ الجابِيةِ إلَى صَنْعاءَ»[3].

قوله: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ﴾ نصب على الظرف، يعني: هناك في الجنة، والمعنى: ما ثَمَّ، والعرب تُضْمِرُ «ما»[4]، وهو ظرف مبني غير معرب لِتَنَقُّلِهِ،

---

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢١٨، وأبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٤٧، والنقاش في شفاء الصدور ورقة ١٩٤/ أ، وحكاه السجاوندي عن ابن عباس في عين المعاني ١٤٠/ ب.

(٢) هذا هو التفسير الثاني لقوله: ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾، قال الفَرّاءُ: «وهو أشبهها بالصواب، والله أعلم، وذلك أن العرب إذا كَبِرَ الرَّجُلُ وَثَبَتَ سَوادُ شَعَرِهِ قيل: إنه لَمُخَلَّدٌ، وكذلك يقال إذا كَبِرَ وَنَبَتَتْ له أسْنانُهُ وَأضْراسُهُ قيل: إنه لَمُخَلَّدٌ ثابِتُ الحالِ، كذلك الوِلْدانُ ثابِتةٌ أسْنانُهُمْ». معاني القرآن ٣/ ٢١٨، وقاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٤٩، وحكاه الطبري عن قتادة في جامع البيان ٢٩/ ٢٧٢-٢٧٣.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٧٦، والترمذي في سننه ٤/ ٩٨ أبواب صفة الجنة: باب ما جاء فيما لأدنى أهل الجنة.

(٤) المؤلف وافَقَ الكوفيين في أن الأصل: «ما ثَمَّ»، فلما حُذفت «ما» نُصِبَ «ثَمَّ» لوقوعه =

وقرأ حُمَيْدٌ الأعْرَجُ: «ثُـمَّ»[١] بضم الثاء ﴿رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ۝٢٠﴾ وهذا جواب «إذا»، قال مقاتلٌ والكلبيُّ[٢]: هو أنَّ رَسُـولَ رَبِّ العِزَّةِ مِنَ الملائكة، لا يدخل عليه إلّا بإذنه.

﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ﴾ قـرأ قتـادة ومجاهد وابن سِـيرِينَ وعَـوْنٌ[٣] وابن مُحَيْصِنٍ وأبو جعفر ونافع والأعمش وحمزة وأيوبُ بإسـكان الياء[٤] على أنه

= موقعـه، قال الفراء: «يقـال: إذا رَأَيْتَ ما ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا، وصلح إضمار «ما» كما قيل: «لَقَدْ تَقَطَّـعَ بَيْنَكُـمْ»، والمعنى: ما بَيْنَكُمْ». معانِي القـرآن ٣/ ٢١٨، وهذا القول حكاه مَكِّيٌّ عن الأخفش في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٩، قال الزجاج: «وهذا غلط؛ لأن «ما» موصولة بقوله: «ثَمَّ» على هذا التفسـير، ولا يجوز إسـقاط الموصول وترك الصلة، ولكن «رَأَيْتَ» يتعدى في المعنى إلَى «ثَمَّ». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦١.

وقـال النحـاس: «و«ثَمَّ» عند جميع النحويين مَبْنِـيٌّ غَيْرُ مُعْرَبٍ لِتَنَقُّلِـهِ، وَحَذْفُ «ما» خطأ عنـد البصريين؛ لأنه يحذف الموصـول ويبقي الصلة، فكأنه جاء ببعض الاسـم». إعراب القـرآن ٥/ ١٠٣، وينظر: التهذيب ١٥/ ٧١، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٩، الكشـاف ٤/ ١٩٩، البيان للأنباري ٢/ ٤٨٣، الفريد للهمداني ٤/ ٥٩٢، اللسان: ثمم، البحر المحيط ٨/ ٣٩٠، ٣٩١.

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٩٤/ أ، شواذ القراءة ورقة ٢٥٦، البحر المحيط ٨/ ٣٩١.

(٢) ينظر قولهما في الوسيط ٤/ ٤٠٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٤.

(٣) هو عَوْنٌ العُقَيْلِيُّ، أبو مَعْمَرٍ، تابعيٌّ ثِقةٌ له اختيار في القراءة، أَخَذَ القراءة عَرْضًا عن نصر بن عاصـم، رَوَى عن أَنَسِ بن مالك وَمُطَرِّفِ بن عبد الله وعبد الرحمن بن أَبِي بَكْرَةَ. [التاريخ الكبير ٧/ ١٥، غاية النهاية ١/ ٦٠٦].

(٤) قرأ بإسكان الياء أيضًا: ابنُ عباس والحسنُ، وأبان والمفضل كلاهما عن عاصم، والأعرجُ وشـيبةُ والمطوعـيُّ كذلك إلا أنه يضم الهاء، وقرأ الباقـون وحَفْصٌ عن عاصم بفتح الياء، ورُوِيَت عن أبان عن عاصم، وأما قتادة ومجاهد وابن سِـيرِينَ فَقَدْ قَرَءُوا: «عَلَيْهِمْ»، لا كما ذكـر المؤلف، وهي أيضًـا قراءة أَبِي حَيْوَةَ وابن أَبِي عَبْلَةَ والزعفراني وأبان، ينظر: السـبعة ص ٦٦٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٥، البحر المحيط ٨/ ٣٩١، الإتحاف ٢/ ٥٧٨.

اسمٌ موصوفٌ بالفعل، تقول: عَلاَهُمْ مِنْ عالِيهِمْ، وهو في موضع رفع بالابتداء، وخبره ﴿ثِيَابُ سُندُسٍ﴾[(١)]، وقرأ الباقون بنصب الياء على الصفة؛ أي: فَوْقَهُمْ، وهو نصب على الظرف[(٢)]، وقيل[(٣)]: على الحال من المضمر فِي «لَقّاهُمْ» أو من المضمر في «جَزاهُمْ»، أعني: الهاء والميم، ومن قرأ: «عَلَيْهِمْ ثِيابُ» فرفعه على الابتداء والخبر.

وقوله: ﴿خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ اختلف القُرّاءُ فيهما أيضًا، فقرأ ابن كثير وأبو بكر والمُفَضَّلُ بالخفض على نعت السندس ﴿وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ بالرفع على نعت الثياب، وقرأ أبو جعفر وابن عامر وأبو عمرو ويعقوب بِضِدِّهِ، وهو الاختيار،

---

(١) وعلى هذه القراءة يكون «عالِيهِمْ» اسم فاعل من عَلَا يَعْلُو، والمعنى: الذي يَعْلُوهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ، قاله النَّحّاسُ والأزهري، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٠٣، معانِي القراءات ٣/ ١٠٩، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٢٦٠.

(٢) قاله الفراء، وَشَبَّهَهُ بالظروف فقال: «والعرب تقول: قَوْمُكَ داخِلَ الدّارِ، فينصبون «داخِلَ الدّارِ»؛ لأنه محل، فـ«عالِيَهُمْ كَذَلِكَ»، معانِي القرآن ٣/ ٢١٨، ٢١٩، وبه قال النحاس وابن خالويه ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٠٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٢٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٩، ولكن الزَّجّاجَ اعترض عليه فقال: «وهذا لا نعرفه فِي الظروف، ولو كان ظرفا لَمْ يَجُزْ إسْكانُ الياءِ». معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٢، وحمله الفارسي على الحال، فقال: «وقد قيل في قوله: «عالِيَهُمْ» في قول مَنْ نَصَبَ: إنه ظرف، والحال أظهر من هذا الوجه، ألا ترى أن عالِيًا لَمْ نعلمه اسْتُعْمِلَ ظَرْفًا كما اسْتُعْمِلَ أعْلَى وَأسْفَلُ ظرفين فِي نحو قوله: «والرَّكْبُ أسْفَلَ مِنْكُمْ»، وَزَيْدٌ أعْلَى الحائِطِ». المسائل الشيرازيات ص ١٢٤، وينظر: تهذيب اللغة ٣/ ١٨٥.

(٣) الزَّجّاجُ يجعله حالًا من أحد شيئين: من الضمير في «عَلَيْهِمْ» من قوله: «يَطُوفُ عَلَيْهِمْ»، أو من الوِلْدانِ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٢، ومثلَهُ قال الأزهري في معانِي القراءات ٣/ ١٠٩، ١١٠، والفارسي في الحجة ٣/ ٨٤، والمسائل الشيرازيات ص ١٢٣، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٣٩.

وقرأ نافع وأيوب وحفصٌ كِلَيْهما[١] بالرفع، وقرأ يحيى والأعمش وحمزةُ والكسائيُّ وَخَلَفٌ كِلَيْهما بِالجَرِّ[٢].

وَقُرِئَ في الشّاذِّ: «وَإِسْتَبْرَقَ»[٣] بفتح القاف، وله وجهان[٤]، أحدهما: أراد به الخفض عطفًا على «خُضْرٍ»، فلم يصرفه، ففتحه على موضع الخفض، والآخر: أراد به الماضِيَ من الاستفعال، مأخوذ من البَرِيقِ، فَسُمِّيَ به هذا الجنس، وَقُطِعَتْ أَلِفُهُ ليخرج من طريق الفعل إِلَى الاسم، وَمَنْ وَصَلَ أَلِفَهُ تركه على أصل شأنه. والسُّنْدُسُ: ما رَقَّ من الدِّيباجِ، والإِسْتَبْرَقُ: ما غَلُظَ منه[٥].

وقوله: ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾ وقال في آية أخرى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾[٦]، فقيل: الفِضّةُ لِلرِّجالِ، والذَّهَبُ لِلنِّساءِ، وقيل: بَلْ يُسَوَّرُونَ بِسِوارٍ من فضة وسِوارٍ/ مِنْ ذَهَبٍ وَسِوارٍ مِنْ لُؤْلُؤٍ. [٢٧٩/ ب]

﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ وذلك أَنَّ على باب الجنة شَجَرةً يَنْبُعُ

---

(١) يعني كلا لفظي «خُضْرٌ» و«إِسْتَبْرَقٌ»، والتوكيد ليس للقارئين.

(٢) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٦٦٤، ٦٦٥، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٦، النشر ٢/ ٣٩٦، البحر المحيط ٨/ ٣٩١، الإتحاف ٢/ ٥٧٨، ٥٧٩.

(٣) قرأ ابن محيصن: «وَإِسْتَبْرَقَ» بفتح القاف، وقرأ أيضًا: «واسْتَبْرَقَ» بفتح القاف ووصل الهمزة، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٦، البحر المحيط ٨/ ٣٩١.

(٤) الوجهان ذكرهما الزَّجّاجُ والنَّحّاسُ والفارِسِيُّ وَمَكِّيٌّ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٢، ٢٦٣، إعراب القرآن ٥/ ١٠٥، الحجة للفارسي ٤/ ٨٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤١.

(٥) ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٦٧، معانِي القرآن للنحاس ٦/ ٤١٦، ياقوتة الصراط ص ٤٦٣، ٤٦٤، تهذيب اللغة ١٣/ ١٥٣، الصحاح ٤/ ١٤٥٠، النهاية لابن الأثير ٢/ ٤٠٩، اللسان: برق، سندس.

(٦) الحج ٢٣، وفاطر ٣٣.

من ساقها عَيْنانِ، فإذا جازَ الرَّجُلُ الصِّراطَ إِلَى العَيْنِ يَدْخُلُ في عَيْنٍ منهما، ويغتسل فيها، فيخرج رِيحُهُ أَطْيَبُ من المِسْكِ، طوله سِتُّونَ ذِراعًا فِي السماء في خَلْقِ آدَمَ وَمِيلاَدِ عِيسَى ابن مريم، ابنَ ثَلاَثٍ وثلاثين سنةً[١].

وأهل الجنة كلهم رجالهم ونساؤهم على قَدْرٍ واحِدٍ، يَكْبَرُ الصَّغِيرُ حتى يكون ابنَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنةً، وَيَنْحَطُّ الشَّيْخُ الكَبِيرُ عن حاله إِلَى ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ سَنةً، وَيَشْرَبُ مِن العَيْنِ الأخرى فَيُشْفَى ما في صدره مِنْ غِلٍّ أَوْ حَسَدٍ أَوْ هَمٍّ أَوْ حَزَنٍ، فَيُطَهِّرُ اللهُ قَلْبَهُ فِي ذلك الماء، فَيَخْرُجُ على قلب أَيُّوبَ، وَلِسانِ مُحَمَّدٍ، وَحُسْنِ يُوسُفَ عليهم السلام.

وقيل: يُطَهِّرُهُمْ من الذنوب والأَدْناسِ والأَنْجاسِ، قال أبو سليمان الدّارانِيُّ في المعنى: سَقاهُمْ رَبُّهُمْ على حاشيةِ بِساطِ الوُدِّ، فَأَنْقاهُمْ مِنْ صُحْبَةِ الخَلْقِ، وَأَراهُمْ رُؤْيَةَ الحَقِّ، ثم أَقْعَدَهُمْ على مَنابِرِ القُدُسِ، وَحَباهُمْ بِتُحَفِ المَزِيدِ، وَأَمْطَرَ عليهم مَطَرَ التَّأْيِيدِ، فَسالَتْ عليهم أَوْدِيَةُ الشَّوْقِ، فَكَفاهُمْ هُمُومَ الفُرْقَةِ، وَحَباهُمْ بِسُرُورِ القُرْبَةِ[٢].

وَسُئِلَ أبو يَزِيدَ البِسْطامِيُّ[٣] عن قوله تعالى: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، فقال: طَهَّرَهُمْ به من مَحَبّةِ غَيْرِهِ، قال: إنَّ لله شَرابًا ادَّخَرَهُ لأفاضل عباده يَتَوَلَّى سَقْيَهُمْ، فإذا شَرِبُوا طاشُوا، فإذا طاشُوا طارُوا، فإذا طارُوا وَصَلُوا،

(١) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٩٥/ أ، وينظر: تفسير القرطبي ١٥/ ٢٨٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٥، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب.

(٣) هو سلطان العارفين طَيْفُورُ بن عيسى بن سَرُوشانَ، كان أبوه مَجُوسِيًّا فأسلم، وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وأبو يزيد زاهد مشهور، نسبته إلى بِسْطامَ بين خراسان والعراق، أصله منها، وله أخبار كثيرة، توفِّيَ ببلده سنة (٢٦١هـ). [حلية الأولياء ١٠/ ٣٣-٤٢، سير أعلام النبلاء ١٣/ ٨٦-٨٩، الأعلام ٣/ ٢٣٥].

فإذا وَصَلُوا اتَّصَلُوا، فَهُمْ في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ(١).

ورُوِيَ عن سهل بن عبد الله أنه صَلَّى بأصحابه صلاة العشاء، فقرأ: ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾، فَجَعَلَ يُحَرِّكُ فَمَهُ كأنه يَمُصُّ شيئًا، فلما فرغ من صلاته قيل له: أتشرب أم تقرأ؟ فقال: «واللهِ لو لَمْ أجِدْ لَذَّتَهُ عند قراءته لَما قَرَأْتُهُ»(٢).

فصل

رُوِيَ عن ابن عُمَرَ - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ أنه قال: «إنَّ أدْنى أهْلِ الجَنّةِ مَنْزِلةً / لَيَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ ألْفَيْ عامٍ يَنْظُرُ أزْواجَهُ وَسُرُرَهُ وَخَدَمَهُ، وَإنَّ أفْضَلَهُمْ مَنْزِلةً لَيَنْظُرُ فِي وَجْهِ الله عزّ وجلّ فِي كل يوم مرتين»(٣). [٢٨٠/ أ]

ويقال: إن الرجل من أهل الجنة له قَصْرٌ، فِي ذلك القَصْرِ سبعون بَيْتًا، كل بيت من لؤلؤة مُجَوَّفةٍ، وطولها فِي السماء فَرْسَخٌ، وَعُرْضُها فَرْسَخٌ فِي فَرْسَخٍ، عليها أربعة آلاف مِصْراعٍ من ذَهَبٍ، في ذلك البيت سَرِيرٌ مَنْسُوجٌ بِقُضْبانِ الدُّرِّ والياقُوتِ، عن يَمِينِ السَّرِيرِ وعن يَسارِهِ أربعة آلاف كُرْسِيٍّ من ذَهَبٍ، قَوائِمُها من ياقُوتٍ أحْمَرَ، على ذلك السرير سبعون فِراشًا، كل فِراشٍ على لَوْنٍ آخَرَ، وهو جالس فوقها مُتَّكِئًا على يساره، وعليه سبعون حُلّةً من الدِّيباجِ،

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٥، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٥، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٧.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ١٣، ٦٤، وابن أبِي شيبة في مصنفه ٨/ ٧٤، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٩ كتاب التفسير: سورة القيامة.

الذي يَلِي جَسَدَهُ حَرِيرةٌ بيضاءُ، وعلى جبهته إكْلِيلٌ مُكَلَّلٌ بِالزَّبَرْجَدِ والياقُوتِ وَألْوانِ الجَوْهَر، كل جوهرة على لونٍ، وعلى رأسه تاجٌ من ذَهَبٍ فيه سبعون ذُؤابةً، فِي كُلِّ ذُؤابةٍ دُرّةٌ تُساوِي مالَ المشرق والمغرب، فذلك قوله تعالى: ﴿وَمُلۡكًا كَبِيرًا﴾، لا يدخل عليهم رسولُ رَبِّ العالمين إلّا بإذْنٍ[1].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني: الذي وُصِفَ لكم في هذه السورة ﴿كَانَ لَكُمۡ جَزَآءً﴾ لأعمالكم ﴿وَكَانَ سَعۡيُكُم مَّشۡكُورًا ﴿٢٢﴾﴾ يعني: شَكَرَ اللهُ أعْمالَهُمْ في الدنيا، فَأثابَهُمْ بِها فِي الجنة.

قوله: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ يعني: فَصَّلْناهُ في الإنزال تفصيلًا آيةً بَعْدَ آيةٍ، وَلَمْ نُنَزِّلْهُ جُمْلةً واحدةً، و ﴿نَحۡنُ نَزَّلۡنَا﴾ ابتداءٌ وخَبَرٌ، وهما جميعًا خبر «إنَّ»، ويحتمل أن يكون ﴿نَحۡنُ﴾ توكيدًا للنون في ﴿إِنَّا﴾[2] وإن كان أحدهما كنايةَ المنصوب؛ لأنه يجوز أن يُؤَكَّدَ المَنْصُوبُ بالمرفوع كقولك: رَأيْتُكَ أنْتَ[3].

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد ﴿لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ حتى يحكم الله بينك وبين أهل مكة ﴿وَلَا تُطِعۡ مِنۡهُمۡ ءَاثِمًا أَوۡ كَفُورًا ﴿٢٤﴾﴾ يعني بالآثِمِ عُتْبةَ بن رَبِيعةَ، وَبِالكَفُورِ الوَلِيدَ

---

(١) هذا الخبر ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ١٩٤/ ب.

(٢) الوجهان قالهما النَّحّاسُ ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٠٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٢.

(٣) قال سيبويه: «هذا باب ما تكون فيه أنْتَ وَأنا وَنَحْنُ وَهُوَ وَهِيَ وَهُمْ وَهُنَّ وَأنْتُنَّ وَهُما وَأنْتُما وَأنْتُمْ وَصْفًا، اعْلَمْ أن هذه الحروف كلها تكون وصفا للمجرور والمرفوع والمنصوب لِلْمُضْمَرِينَ، وذلك قولك: مَرَرْتُ بِكَ أنْتَ، وَرَأيْتُكَ أنْتَ، وانْطَلَقْتَ أنْتَ، وليس وَصْفًا بِمَنْزِلةِ الطَّوِيلِ إذا قلتَ: مَرَرْتُ بِزَيْدٍ الطَّوِيلِ، ولكنه بِمَنْزِلةِ «نَفْسُهُ» إذا قُلْتَ: مَرَرْتُ بِهِ نَفْسِهِ، وَأتانِي هُوَ نَفْسُهُ، وَرَأيْتُهُ هُوَ نَفْسَهُ». الكتاب ٢/ ٣٨٥، يعني سيبويه بالوصف هنا التوكيد.

ابن المُغِيرةِ، قالا لرسـول الله ﷺ: ارْجِعْ عن هذا الأمر وَنَحْنُ نُرْضِيكَ بالمال والتَّزْوِيجِ، وهذا قول مقاتل[١]، وقال قتادة[٢]: «الآثِمُ الكَفُورُ الذي نَهَى اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ عـن طاعته: أبو جهل بن هشـام ـ لعنه الله، لَمّا فَـرَضَ اللهُ على النَّبِيِّ ﷺ الصلاةَ ـ وهو يومئذ بِمَكّةَ ـ نَهاهُ أبو جهل عنها وقال: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي لأطَأَنَّ عُنُقَهُ / فأنزل الله هذه الآيَةَ»[٣]. [٢٨٠/ ب]

و ﴿أَوۡ﴾ بمعنى الواو، والألف صلة يعني: «وَكَفُورًا»[٤]، قال جرير:

٤٤٧ ـ نالَ الخِلاَفةَ، أوْ كانَتْ لَهُ قَدَرًا كَمـا أتَى رَبَّهُ مُوسَـى عَلَـى قَدَرِ[٥]

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ١٩٦/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٦، الوسيط ٤/ ٤٠٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٧٧-٢٧٨، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٦.

(٣) رواه أبـو يعلى الموصلي بسـنده عن ابن عباس فِي مسـنده ٤/ ٤٧١، وينظر: تفسـير عبد الرزاق ١/ ٥٢، ٣/ ٣٣٩، ٣٨٤، جامع البيان ٢٩/ ٢٧٧-٢٧٨، لباب النقول ص ٢٠٨.

(٤) قالـه أبو عبيدة والأخفش وابن الأنباري والفارسـي، ينظر: مجـاز القرآن ٢/ ٢٨٠، معانِي القرآن للأخفش ص ٣٢، إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٤١، ٤٤٢، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٨٢، المسائل المنثورة ص ١٩٨، وينظر: الخصائص ١/ ٣٤٨.

ولا يجيز البصريون ذلك؛ لأن «أوْ» عندهم للإباحة، ينظر: الكتاب ٣/ ١٨٤-١٨٨، المقتضب ١/ ١٤٩، ٣/ ٣٠١، الأصول لابن السراج ٢/ ٥٦٢/ ٥٦، إعراب القرآن ٥/ ١٠٧، حروف المعانِي ص ١٣، ٥١، معانِي الحروف ص ٧٧: ٧٩، شمس العلوم ١/ ١١٦، ١١٧، الإنصاف ص ٤٧٨ وما بعدها، اللسان: أوا، مغني اللبيب ص ٨٨.

(٥) البيت من البسيط، لجرير يمدح عمر بن عبد العزيز، ورواية ديوانه: «إذْ كانَتْ لَهُ قَدَرًا».

التخريـج: ديوانـه ص ٤١٦، إيضاح الوقف ص ٤٤١، المحاسـن والمسـاوئ ص ٢٤٨، الأزهيـة ص ١١٤، أمالِـيُّ ابـن الشـجري ٣/ ٧٤، تفسـير القرطبـي ١/ ٢١٥، ٤٦٣، ١١/ ١٩٨، البحـر المحيط ٦/ ٢٢٨، مغني اللبيب ص ٨٩، المقاصد النحوية ٢/ ٤٨٥، ٤/ ١٤٥، التصريح ١/ ٢٨٣، همع الهوامع ٣/ ١٧٤، شـرح شـواهد المغني ص ١٩٦، خزانة الأدب ١١/ ٦٩.

أراد: نالَ الخِلافَةَ، وَكانَتْ له قَدَرًا، وقال آخر:

٤٤٨ ـ وَقَدْ زَعَمَتْ لَيْلَى بِأَنِّيَ فاجِرٌ لِنَفْسِي تُقاها، أَوْ عَلَيْها فُجُورُها[١]

وأراد: وَعَلَيْها فُجُورُها، وقال الفَرّاءُ[٢]: ﴿أَوْ﴾ بمعنى «لا»، أي: لَا تُطِعْ مَنْ أَثِمَ وَلا مَنْ كَفَرَ، وهو بمعنى الإباحة، قال الشاعر:

٤٤٩ ـ لاَ وَجْدُ ثَكْلَى كَما وَجَدْتُ وَلا وَجْدُ عَجُولٍ أَضَلَّها رُبَعُ

أَوْ وَجْدُ شَيْخٍ أَضَلَّ ناقَتَهُ يَوْمَ تَوافَى الحَجِيجُ فانْدَفَعُوا[٣]

أراد: وَلاَ وَجْدُ شَيْخٍ.

---

(١) البيت من الطويل، لِتَوْبَةَ بن الحُمَيِّرِ، من أبيات قالها في لَيْلَى الأَخْيَلِيّةِ.

التخريج: ديوانه ص ٣٨، إيضاح الوقف ص ٤٤٢، أمالِيُّ القالِي ١/ ٨٨، الجليس الصالح الكافِي ١/ ٣٣٥، الأزهية ص ١١٤، أمالِيُّ المرتضى ٢/ ٥٧، الحماسة البصرية ص ١٢١٨، منتهى الطلب ١/ ٢٢٧، عين المعانِي ورقة ١٠٧/ أ، تفسير القرطبي ١/ ٢١٥، رصف المبانِي ص ١٣٢، ٤٢٧، اللسان: أوا، مغني اللبيب ص ٨٩، شرح شواهد المغني ص ١٩٤، همع الهوامع ص ٣/ ١٧٤، خزانة الأدب ١١/ ٦٨.

(٢) معاني القرآن للفراء ٣/ ٢١٩، وهو أَحَدُ وَجْهَيْنِ قالهما الفَرّاءُ في هذه الآية، والثاني أن «أَوْ» بمعنى الواو، قال الفَرّاءُ: «وقد يكون في العربية: لا تُطِيعَنَّ مِنْهُمْ مَنْ أَثِمَ أَوْ كَفَرَ، فيكون المعنى في «أَوْ» قريبا من معنى الواو، كقولك للرجل: لأُعْطِيَنَّكَ سَأَلْتَ أَوْ سَكَتَّ، معناه: لأُعْطِيَنَّكَ على كل حال». معانِي القرآن ٣/ ٢٢٠.

(٣) البيتان من المنسرح، لِمالِكِ بن حَرِيمٍ الهَمْدانِيِّ، وَنُسِبا لابن رَعْلاَءَ الغَسّانِيِّ.

اللغة: العَجُولُ من النساء والإبل: الوالِهُ الثَّكْلَى التي فَقَدَتْ وَلَدَها، سُمِّيَتْ عَجُولًا لِعَجَلَتِها في مَجِيئِها وَذَهابِها، الرُّبَعُ: الفَصِيلُ الذي يُنْتَجُ في الرَّبِيعِ، وَهُوَ أَوَّلُ النِّتاجِ.

التخريج: الكامل للمبرد ٢/ ٨٦، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٨٢، إيضاح الوقف ص ٤٤٢، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ٥٩، أمالِيُّ القالِي ٢/ ١٢٣، الأزهية للهروي ص ١٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٦، عين المعانِي ورقة ١٤٠/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٤٩، الجنى الدانِي ص ٢٣٠.

قوله: ﴿وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ﴾؛ أي: اذكره بالتوحيد في الصلاة ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ يعني بِالبُكْرةِ صَلاةَ الفَجْرِ، و«أَصِيلًا» صَلاةَ الظُّهْرِ والعَصْرِ، وقيل: يعني صلاة الغَداةِ والعَشِيِّ، وهو المَغْرِبُ، قيل: «كان النبي ﷺ يصلي الغَداةَ ثُمَّ يُكَبِّرُ ثَلاَثًا، فإذا صَلَّى المغرب كَبَّرَ ثَلاَثًا»[١]، وهما منصوبان على الظرف والحال.

و ﴿بُكْرَةً﴾ يكون معرفة فلا ينصرف، ويكون نكرة فينصرف، وهي هاهنا نكرة فلذلك صُرِفَتْ؛ لأن بعدها ﴿وَأَصِيلًا﴾، وهو نكرة ولا يكون معرفة إلا أن تدخل فيه الألف واللام[٢] ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَٱسْجُدْ لَهُۥ﴾ يعني المغرب والعشاء؛ أي: صَلِّ له قَبْلَ أن تَنامَ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾ يعني صلاة التطوع بعد المكتوبة، وهو منصوب على الظرف.

قوله: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يعني كفار مكة ﴿يُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ يعني الدار العاجلة، وهي الدنيا ﴿وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمْ﴾ نصب على الظرف، يعني: أمامهم ﴿يَوْمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾﴾ عَسِيرًا شَدِيدًا، يعني به يوم القيامة، ووَراءَ هاهنا بمعنى أمامَ وقُدّامَ كقوله: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾[٣] يعني: أمامَهُمْ وَقُدّامَهُمْ.

---

(١) رَوَى الإمام أحمد بسنده عن أَبِي أُمامةَ قال: «كان رسول الله ﷺ إذا دخل في الصلاة من الليل كَبَّرَ ثلاثًا، وَسَبَّحَ وَهَلَّلَ ثلاثًا... إلخ». المسند ٥/ ٢٥٣، وينظر: مجمع الزوائد ٢/ ٢٦٥ كتاب الصلاة: باب ما تُسْتَفْتَحُ به الصلاةُ.

(٢) هذا ما حكاه سيبويه عن أبي عمرو ويونس، وقال: «وهو القياس». الكتاب ٣/ ٢٩٣، ٢٩٤، وقال الفراء: «العَرَبُ تُجْرِي غُدْوةً وَبُكْرةً، ولا تُجْرِيهما، وأكثر الكلام في غُدْوةٍ تَرْكُ الإجْراءِ، وَأَكْثَرُهُ في بُكْرةٍ أن تُجْرَى». معاني القرآن ٣/ ١٠٩، وينظر: المقتضب ٣/ ٣٨٠، ٤/ ٣٥٤، الأصول ١/ ١٩٠، إعراب القرآن ٤/ ٢٩٨، ٥/ ١٠٧، تهذيب اللغة ١٠/ ٢٢٤، شرح الكافية للرضي ٢/ ٢٠، ٢١، اللسان: بكر، التاج: بكر.

(٣) الكهف ٧٩، وهذا قول الفراء وأبي عبيدة والأخفش، ينظر: معاني القرآن للفراء =

ثـم ذَكَـرَ قُدْرَتَهُ، فقال: ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ﴾ يعني: فـي بطون أمهاتهم وهم نُطَفٌ ﴿وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ﴾ يعني: خَلْقَهُمْ[1]، والأَسْـرُ: شِدّةُ الخَلْقِ، يقال: شَدَّ اللهُ أسْـرَ فُلاَنٍ؛ أي: قَوَّى خَلْقَهُ[2]، وقال الحَسَنُ[3]: يعني: أَوْصالَهُمْ بَعْضًا إِلَى بَعْضٍ بِالعُرُوقِ والعَصَبِ. وقيل: هو الشَّـرَجُ، وهـو موضع البول / والغائط، رُوِيَ ذلـك عن مجاهد[4]، قال ثَعْلَـبٌ[5]: لَهُما مَصَرَّتانِ، فـإذا جَلَسَ الرَّجُلُ لِقَضـاءِ حاجَتِهِ منهما انْفَتَـحَ المَصَرَّتانِ، فإذا خَـرَجَ الأذَى منهما انْقَبَضَتا كما كانَتا. وأصل الأَسْرِ الشَّدُّ، قال لَبِيدٌ:

٤٥٠ ـ ساهِمُ الوَجْهِ شَدِيدٌ أَسْرُهُ مُشْرِفُ الحارِكِ مَحْبُوكُ الكَفَلْ[6]

= ٢/ ١٥٧، مجـاز القرآن ١/ ٣٣٧، ٤١٢، ٢/ ١، ٢٨٠، معاني القرآن للأخفش ص٣٧٤، وهذا اللفظ من الأضداد يأتِي بمعنى «أمامَ» وبمعنى «خَلْفَ»؛ لأنه مشتق من التَّوارِي، ينظر: الأضداد لقطرب ص ١٠٥، ١٠٦، الأضداد للسجستاني ص ١٤٤، الأضداد لابن الأنباري ص ٦٨: ٧١، إعراب القرآن ٥/ ١٠٨، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٠٤.

(١) قالـه ابن عباس وقتادة والفـراء وابن قتيبة وغيرهم، ينظر: معاني القـرآن للفراء ٣/ ٢٢٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٤، جامع البيان ٢٩/ ٢٨٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٣، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٧.

(٢) قاله الخليل في العين ٧/ ٢٩٣، وينظر: الوسيط ٤/ ٤٠٦.

(٣) قولـه في الكشـف والبيان ١٠/ ١٠٧، المحـرر الوجيز ٥/ ٤١٥، زاد المسـير ٨/ ٤٤١، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥١.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٠٧، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥١.

(٥) ينظر قوله في ياقوتة الصراط ص ٥٤٨، شفاء الصدور ورقة ١٩٦/ ب، التهذيب ١٣/ ٦١.

(٦) البيت من الرَّمَلِ، لِلَبِيدِ بن ربيعة يفخر نفسه، ورواية ديوانه: «**مُغْبَطُ الحارِكِ**»، ويُرْوَى العَجُزُ: «**مَحْبُوكُ الكَتَدْ**»، وهو بهذه الرواية لأَبِي دُؤادٍ الإيادِيِّ، وهو بتمامه:

مَـرَجَ الدِّيـنُ، فَأَعْـدَدْتُ لَـهُ مُشْـرِفَ الحـارِكِ مَحْبُـوكَ الكَتَدْ

اللغة: سَهَمَ وَجْهُهُ: تَغَيَّرَ لَوْنُهُ عَنْ حالِهِ لِعارِضٍ، الحارِكُ: عَظْمٌ مُشْرِفٌ مِنْ جانِبَيِ الكاهِلِ =

وقال الأخطل:

٤٥١ - مِنْ كُلِّ مُجْتَنَبٍ شَدِيدٍ أَسْرُهُ سَـلِسِ القِيـادِ تَخالُـهُ مُخْتـالا[1]

قوله: ﴿وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ۝٢٨﴾؛ أي: إذا شِئْنا أهْلَكْناهُمْ، وَأَتَيْنا بِأَشْباهِهِمْ، فجعلناهم بدلًا منهم، والتَّبْدِيلُ «تَفْعِيلٌ»، وهو مصدر جاء على غير الصدر زيادةَ توكيدٍ، نظيره: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلًا﴾[2] ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦ﴾ يعني السـورة، وقيل: آيات القـرآن ﴿تَذۡكِرَةٞ﴾ تذكيرٌ وَعِظَةٌ قد بَيَّنّاها لكم ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٢٩﴾ يعني: طريقًا إلَى الجنة بالإيمان والطاعة.

ثم رَدَّ المَشِـيئةَ إلَى نفسـه، فقال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ﴾ أنتم أنْ تَتَّخِذُوا إلَى رَبِّكُمْ سـبيلًا ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ فَيُهَوِّنُ عليكم عَمَلَ أَهْلِ الجَنّةِ، قرأ أهل

= اكْتَنَفَهُ فَرْعا الكَتِفَيْنِ، المَحْبُوكُ: الشَّـدِيدُ الخَلْقِ مِنَ الفَرَسِ وَغَيْرِهِ، الكَفَلُ: العَجُزُ، والكَتَدُ: مَوْصِلُ العُنُقِ في الظَّهْرِ.

التخريج: ديوان لبيد ص ١٤٤، ديوان أبي دؤاد ص ٣٠٤، العين ٣/ ٦١، ٤/ ٣٨٨، إصلاح المنطق ص ٧٨، أماليُّ القالِي ٢/ ٣١٠، تهذيب اللغة ٤/ ٩٧، ١٠٨، ٨/ ٦٢، ١٥/ ٢٥٨، الكشـف والبيان ١٠/ ١٠٧، التنبيه والإيضاح ١/ ٣٩، عين المعانِي ورقة ١٤١/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥١، اللسان: حبك، حرك، غبط، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٥٤، التاج: غبط، فتح القدير ٥/ ٣٥٤.

(١) البيت من الكامل، للأخطل من قصيدة يهجو بها جريرًا.
اللغة: المُجْتَنِبُ: الفرس الذي يَصْعُبُ رُكُوبُهُ لِشَراسَتِهِ، القِيادُ: الحَبْلُ الذي تُقادُ به الدّابّةُ.
التخريج: ديوانه ص ٢٤٧، جامع البيان ٢٩/ ٢٨٠، الكشـف والبيان ١٠/ ١٠٧، المحرر الوجيـز ٥/ ٤١٥، منتهـى الطلـب ٦/ ١٥٣، مجمـع البيان ١٠/ ٢٢٤، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٥١، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٥٤، فتح القدير ٥/ ٣٥٤.

(٢) المزمـل ٨، وقـول الجبلي: «وهـو مصدر جاء على غيـر الصدر زيادةَ توكيـدٍ» خطأ، فإن ﴿تَبۡدِيلًا﴾ مصدر لفعله «بدلنا»، ولَمْ يأت على غير الصدر.

المدينة والشام: ﴿تَشَآءُونَ﴾ بالتاء، وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن كثير بالياء، وكذلك رُوِيَ عن ابن عامر[(١)].

وقوله: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ لأنَّ الأمر إليه لا إليكم، وَفي قراءة عبد الله: «إلّا ما يَشاءُ»[(٢)] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ يعني: عليما بأهل الجنة، حكيما بما حَكَمَ على أهل الشقاء.

ثم ذَكَرَ العِلْمَ والقَضاءَ بِما إلَيْهِ، فقال تعالى: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ﴾ يعني: في دِينِهِ الإسلامِ، قال عطاء: مَنْ صَدَقَ في نِيَّتِهِ أَدْخَلَهُ في جَنَّتِهِ ﴿وَٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني المشركين من أهل مكة ومن دانَ بِدِينِهِمْ من الكفار ﴿أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝٣١﴾ يعني: وَجِيعًا فِي الآخرة، وَفِي هذه الآية رَدٌّ على القَدَرِيّةِ، ونصب «الظّالِمِينَ» على إضمار فعل؛ أي: وَيُعَذِّبُ الظّالِمِينَ[(٣)]،

---

(١) ينظر: السبعة ص ٦٦٥، النشر ٢/ ٣٩٦، الإتحاف ٢/ ٥٧٩.

(٢) وقرأ ابن مسعود أيضًا: ﴿إلَّا ما شاءَ اللهُ﴾، ينظر: تفسير القرطبي ١٢/ ٤٠٦، البحر المحيط ٨/ ٣٩٣.

(٣) هذا مذهب البصريين، وهو أنه منصوب على الاشتغال، قال سيبويه: «وإن شئت قلتَ: زَيْدًا مَرَرْتُ به، تريد أن تُفَسِّرَ به مُضْمَرًا، كأنك قلتَ إذا مَثَّلْتَ ذلك: جَعَلْتُ زَيْدًا على طريقي مَرَرْتُ به، ولكنك لا تظهر هذا الأوَّلَ». الكتاب ١/ ٨٣، وينظر في الآية التي معنا: الكتاب ١/ ٨٩، معانِي القرآن للأخفش ص ٧٨-٧٩، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٤، إعراب القرآن للنحاس ٣/ ٩١، ٤/ ٧٣، ٥/ ١٠٩، الجمل للزجاجي ص ٤٠، شرح المفصل ٢/ ٣٢، همع الهوامع ٣/ ١٠٧.
وذهب الكوفيون إلى أنه منصوب لأن الواو ظرف للفعل ﴿أَعَدَّ﴾، قال الفراء: «نصبت ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ لأن الواو في أولها تصير كالظرف لـ﴿أَعَدَّ﴾. معانِي القرآن ٣/ ٢٢٠.
وذهب ابن الأنباري إِلَى أن ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ منصوب بـ﴿أَعَدَّ﴾، فقال: «تقديره: وَأَعَدَّ لِلظّالِمِينَ، فلما قَدَّمَ الظالمين نصبهم بما بعدهم». شرح القصائد السبع الطوالِ لابن الأنباري ص ١٢، ورُوِيَ عن الكوفيين أيضًا أن ﴿ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ مَجْرُورٌ بإضمار اللام، ينظر: اللامات للزجاجي ص ٩٢-٩٣.

وقيل[١]: على المُجاوَرةِ، كقولهم: هَذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ.

وقرأ أبانُ بن عثمان[٢]: «والظّالِمُونَ أعَدَّ لَهُمْ عَذابًا أليمًا»، وَفِي قراءة عبد الله: «وَلِلظّالِمِينَ أعَدَّ لَهُمْ عَذابًا أليمًا»[٣] بتكرير اللام على التوكيد، قال الشاعر:

٤٥٢ ـ أقُولُ لَها إذا سَألَتْ طَلاقًا   إلامَ تُسارِعِينَ إلى الطَّلاقِ[٤]

[٢٨١/ ب] ذكره صاحب «إنسان / العين»[٥]، والله أعلم.

---

(١) هذا قول أبي عبيدة، فقد قال: «يُدْخِلُ مَنْ يَشاءُ في رَحْمَتِهِ والظّالِمِينَ أعَدَّ لَهُمْ عَذابًا أليمًا» انْتَصَبَ بالجِوارِ، ولا يدخل «الظّالِمِينَ» في رحمته». مجاز القرآن ٢/ ٢٨٠، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٨/ ٤٢٢، وينظر: عين المعاني ورقة ١٤١/ أ.
وقال النحاس: «لا يجوز أن يُعْرَبَ شَيْءٌ على الجِوارِ في كتاب الله عز وجل، وإنما الجِوارُ غَلَطٌ، وإنما وقع في شيء شاذٍّ، وهو قولهم: هَذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ، والدليل أنه غَلَطٌ: قَوْلُ العرب في التثنية: هَذانِ جُحْرا ضَبٍّ خَرِبانِ، وإنما هذا بمنزلة الإقْواءِ، ولا يُحْمَلُ شَيْءٌ من كتاب الله، عز وجل، على هذا، ولا يكون إلا بأفصح اللغات وأصحها». إعراب القرآن ١/ ٣٠٧، وقال مثله في ٢/ ٩، ٣٦٧، ٥/ ١٩٥، وحكاه عنه القرطبي في تفسيره ٣/ ٤٤.

(٢) أبانُ بن عثمان بن عفان، أبو سعيد الأُمَوِيُّ القُرَشِيُّ، ولد وتوفِّي بالمدينة، وولي إمارتها، شهد وقعة الجَمَلِ مع عائشة، من رواة الحديث الثقات ومن فقهاء المدينة وأهل الفتوى، وهو أول من كتب فِي السيرة النبوية، وتوفِّي سنة (١٠٥هـ). [تهذيب الكمال ٢/ ١٦-١٩، سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٥١-٣٥٣، الأعلام ١/ ٢٧].

(٣) قرأ أبانُ بن عثمان وابن الزبير وابن أبي عَبْلَةَ: ﴿والظّالِمُونَ﴾ بالرفع، وقرأ ابن مسعود وحده: «وَلِلظّالِمِينَ»، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٤٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٣، البحر المحيط ٨/ ٣٩٣.

(٤) البيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله، وسيتكرر ٤/ ٢٢٦.
التخريج: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢١، جامع البيان ٢٩/ ٢٨١، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٢٥.

(٥) عين المعاني ورقة ١٤١/ أ.

سورة المرسلات

مكية

وهي ثمانمائة وستة وعشرون حرفًا، ومائة وإحدى وثمانون كلمةً، وخمسون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ كُتِبَ أَنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ»[1].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ الْمُرْسِلاَتِ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا مَعَ مَلَكِ الْمَوْتِ يُبَشِّرُهُ بِحُسْنِ الثَّوابِ، وَيُهَوِّنُ عَلَيْهِ الْمَوْتَ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ①﴾ يعني الرِّياحَ[3]، وقيل[4]:

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٨، الوسيط ٤/ ٤٠٧، الكشاف ٤/ ٢٠٥، عين المعاني ١٤٠/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) قاله ابن عباس وابن مسعود والكلبي ومجاهد وقتادة، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧١٥، جامع البيان ٢٩/ ٢٨٣، ٢٨٤، المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦، زاد المسير ٨/ ٤٤٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٤.

(٤) قاله الحسن البصري، ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤١٦.

السحاب، وقيل[١]: هي الرُّسُلُ تُرْسَلُ بالمعروف، أُرْسِلَتْ مُتَتابِعةً يَتْبَعُ بَعْضُها بَعْضًا كَعُرْفِ الفَرَسِ، تقول العربُ: النّاسُ إلَى فُلَانٍ عُرْفٌ واحِدٌ: إذا تَوَجَّهُوا إليه وَتَتابَعُوا[٢]، وهو منصوب على الحال، وإن شئتَ نَصَبْتَهُ على المصدر، أو أنه اسمٌ أُقِيمَ مُقامَ المصدر على مقام التفسير؛ أي: أُرْسِلَتْ بِالعُرْفِ[٣].

﴿فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفًا ٢﴾ يعني الرياح أيضًا الشَّدِيدةَ الهُبُوبِ، والفاء دليل إيصال الثانِي بالأول في أوصاف واحدةٍ هو مستقيم به، هكذا ذكره صاحب «إنسان العين»[٤].

﴿وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرًا ٣﴾ يعني الرياح اللَّيِّنَةَ التي تأتِي بالمطر[٥]، فهي تَنْشُرُ السَّحابَ نَشْرًا، يقال: نَشَرَتِ الرِّيحُ؛ أي: جَرَتْ، قال جرير:

---

(١) قاله ابن مسعود وأبو هريرة ومسروق ومقاتل والكلبي وأبو صالح، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٢٨٤، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٨، زاد المسير ٨/ ٤٤٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٤.

(٢) قال الفراء: «وأما قوله: «عُرْفًا» فَيُقالُ: أُرْسِلَتْ بالمعروف، ويقال: تَتابَعَتْ كَعُرْفِ الفَرَسِ، والعرب تقول: تَرَكْتُ النّاسَ إلَى فلان عُرْفًا واحدًا: إذا تَوَجَّهُوا إليه فَأَكْثَرُوا». معانِي القرآن ٣/ ٢٢١، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٥، تأويل مشكل القرآن ص ١٦٦، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٨.

(٣) قال النحاس: «عُرْفًا: منصوب على الحال إذا كان معناه: متتابعة، وإذا كان معناه: والملائكة المرسلات بالعرف؛ أي: بأمر الله عزّ وجلّ وطاعته وكتبه، فالتقدير: بالعرف، فحذف الباء فتعدى الفعل». إعراب القرآن ٥/ ١١٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٥، البيان للأنباري ٢/ ٤٨٦، التبيان للعكبري ص ١٢٦٢.

(٤) هذا النص ليس في عين المعانِي، وهو يعني أن الفاء عطفت الثانِي على الأول.

(٥) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن ٣/ ٢٢٢، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٥، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٦٩.

٤٥٣ ـ نُشِرَتْ عَلَيْكَ فَذَكَّرَتْ بَعْدَ البِلَى ... رِيحٌ يَمانِيَةٌ بِيَوْمٍ ماطِرِ[١]

وقال آخر:

٤٥٤ ـ تُذَكِّرُني رِيحٌ سَرَتْ مِنْ دِيارِها ... زَمانَ وِصالٍ لَيْسَ يَبْلَى جَدِيدُها[٢]

فَتُهَيِّجُ الأشْواقَ خُصُوصًا، وَتُمَهِّدُ الأسْبابَ عُمُومًا، وتأتي بآثار الإعْذارِ نَسِيمًا، والإنْذارِ سَمُومًا، وقيل: هي أعمال بني آدم تُنْشَرُ يوم القيامة نَشْرًا، ونصب ﴿عَصْفًا﴾ و﴿نَشْرًا﴾ على المصدر.

﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤)﴾ يعني الملائكة التي تأتِي بما يُفَرَّقُ به بين الحق والباطل والحلال والحرام، وقيل: هي الرِّيحُ أيضًا تُفَرِّقُ بين السحاب فَتُبَدِّدُهُ، وقيل: هي آيُ القُرْآنِ فَرَّقَتْ بين الحق والباطل والحلال والحرام، ونصب ﴿فَرْقًا﴾ على المصدر، ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥)﴾ يعني الملائكة، وقيل: يعني جبريل وحده / يُلْقِي الذِّكْرَ إلَى الأنبياء ـ عليهم السلام ـ، ونصب ﴿ذِكْرًا﴾ لأنه مفعول به، ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾ قيل[٣]: ﴿أَوْ﴾ هاهنا بمعنى واو النَّسَقِ، وهو بمعنى الإعْذارِ والإنْذارِ؛ أي: إعْذارًا من الله وَإنْذارًا. [٢٨٢/ أ]

---

(١) البيت من الكامل، لِجَرِيرٍ، ورواية ديوانه: «فَبَشَّرَتْ بَعْدَ البِلَى»، والنَّشْرُ: هُبُوبُ الرِّيحِ يَوْمَ المَطَرِ والغَيْمِ.
التخريج: ديوانه ص ٣٠٧، غريب القرآن للسجستانيِّ ص ١٦٩.

(٢) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائل له أو تخريج.

(٣) هذا قول الكوفيين وابن قتيبة، ينظر: غريب القرآن ص ٥٠٥، وتأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٥٤٣، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ١٩٧/ ب، معاني الحروف ص ٧٩، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ٧٣، وقد سبق مثل ذلك في سورة الصافات ٢/ ٢٨٣، وسورة الإنسان ٤/ ٢٢٠، ٢٢١.

واختلف القُرّاءُ فيهما، فَخَفَّفَهُما الأعمش وأبو عمرو وحمزة والكسائي وحفص وخَلَفٌ، وَثَقَّلَهُما الحَسَنُ، وَرُوِيَ ذلك عن عاصم ويعقوب وأهل الشام، وقرأ الباقون بتخفيف العُذْرِ وتثقيل النُّذُرِ[١]، وهما لغتان منصوبان على المصدر، وقيل: نصبهما على المفعول له؛ أي: للإعذار والإنذار، أو على البدل من ﴿ذِكۡرًا﴾[٢].

وقرأ الشُّمُونِيُّ[٣] والبُرْجُمِيُّ[٤] بضم الذال فيهما، جَمْعُ عاذِرٍ ونَذِيرٍ، نصب على الحال[٥]، وقرأ إبراهيم التَّيْمِيُّ: ﴿عُذْرًا وُنُذْرًا﴾ من غير ألف بينهما[٦].

ومن أَوَّلِ السورة إِلَى هاهنا أَقْسامٌ ذكرها الله تعالى، وجوابها قوله: ﴿إِنَّمَا

---

(١) قرأ: ﴿عُذُرًا أَوْ نُذُرًا﴾ بتثقيلهما أيضًا، زيدُ بنُ ثابت وابن خارجة وطلحة وأبو جعفر وأبو حيوة وعيسى، والأعشى عن أَبِي بكر، وقرأ بتخفيف العُذْرِ وتثقيل النُّذُرِ أبو جعفر وشيبة وزيد بن عَلِيٍّ والحَرَمِيّانِ وابن عامر وأبو بكر، ينظر: السبعة ص ٦٦٦، البحر المحيط ٨/ ٣٩٦.

(٢) هذه الأوجه الثلاثة قالها الزَّجّاجُ والأزهري والفارسي، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦، معانِي القراءات ٣/ ١١٢، تهذيب اللغة ٢/ ٣١٣، ١٤/ ٤٢١، الحجة للفارسي ٤/ ٨٩، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٢٦٢، عين المعانِي ورقة ١٤١/ أ.

(٣) هو محمد بن حبيب الشُّمُونِيُّ، أبو جعفر الكوفِيُّ، مقرئ ضابط مشهور، أخذ القراءة عَرْضًا عن أَبِي يوسف الأعشى، توفي بعد سنة (٢٤٠هـ). [غاية النهاية ٢/ ١١٤، ١١٥].

(٤) هو عبد الحميد بن صالح بن عجلان، أبو صالح البُرْجُمِيُّ الكُوفِيُّ، مقرئ ثقة صدوق، وهو راوية شعبة ابن عَيّاشٍ، وَرَوَى عن ابن المبارك والفُضَيْلِ بن عِياضٍ وغيرهما، توفِّي سنة (٢٣٠هـ). [تهذيب الكمال ١٦/ ٤٤١، ٤٤٢، غاية النهاية ١/ ٣٦٠-٣٦١].

(٥) قاله الزَّجّاجُ والنَّحّاسُ والفارسيُّ، وأجازوا أن يكون ﴿عُذُرًا﴾ و﴿نُذُرًا﴾ مَصْدَرَيْنِ، مثل شَغَلْتُهُ شُغُلًا، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٢٢، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦، إعراب القرآن ٥/ ١١٣، الحجة للفارسي ٤/ ٩٠، وينظر: الكشاف ٤/ ٢٠٣، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٥٩٨

(٦) وهي قراءة قتادة أيضًا، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٠٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤١٧، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٦.

تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧﴾ لَكائِنٌ مِنْ أَمْرِ الساعة والبعث، و«ما» هاهنا مفصولة من «إنَّ»، ولا يجوز أن تكون هاهنا فاصلةً ولا زائدةً، ألا ترى أن في خَبَرِها اللّامَ المُؤَكِّدَةَ لِخَبَرِ «إنَّ»، وحُذفت الهاء لطول الاسم، والتقدير: إنَّ الذي تُوعَدُونَهُ لَواقِعٌ من الحساب والثواب والعقاب[1].

ثم ذكر متى يقع ذلك، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ رفع بالابتداء والخبر، وكذلك ما بعدها[2]؛ أي: ذهب ضَوْؤُها، فصارت بعد الضوء إلَى السَّوادِ، وهي مرفوعة بإضمارِ فِعْلٍ مثلِ هذا؛ لأن «إذا» هاهنا بمنزلة حرف المجازاة، هكذا ذكره الصَّفّارُ[3]، ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩﴾؛ أي: انشقت، وقيل: فتحت فكانت أبوابًا ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠﴾ يعني: قُلِعَتْ من أُصُولِها حتى اسْتَوَتْ الأرضُ كما كانت أَوَّلَ مَرّةٍ، كقوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾. الآية»[4].

---

(١) من أول قوله: «وما هاهنا مفصولة من «إنَّ» قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١١٤، ومعنى كلامه أنها اسم موصول بمعنى «الذي».

(٢) هذا على مذهب الكوفيين والأخفش، وهو أن الاسم المرفوع بعد «إذا» مبتدأ، ينظر: الخصائص ١/ ١٠٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٦، الفريد ٤/ ٥٩٨، مغني اللبيب ص١٢٧، ٧٥٧.

(٣) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١١٤، وهو بذلك يناقض نفسه؛ لأنه قبل قليل ذكر أن الاسم المرفوع بعد ﴿إذا﴾ مبتدأ، وهنا نقل عن النحاس أن المسألة من باب الاشتغال، وأن هذا الاسم فاعل بفعل محذوف يفسره المذكور، وهو مذهب البصريين، ينظر: الكتاب ١/ ١٠٦-١٠٧، المقتضب ٢/ ٧٢ وما بعدها، ٤/ ٣٤٨، المسائل المشكلة ص ٢١٥، الإغفال ٢/ ٣٠٦-٣٠٧، الإنصاف ص ٦١٥ وما بعدها، أسرار العربية ص ٦٦، شرح الكافية للرضي ١/ ٤١٨-٤٢٠، وغيرها.

(٤) طه ١٠٥.

﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾﴾؛ أي: جُمِعَتْ لِوَقْتِها يوم القيامة، مأخوذ من الوَقْتِ، والهمزة في ﴿أُقِّتَتۡ﴾ بدل من الواو المضمومة، وكل واو انضمت، وكانت ضَمَّتُها لازمةً، جاز إبدالها بالهمزة كقولهم: أُجُوهٌ وَأَدْؤُرٌ[١].

واختلف القُرّاءُ فيه[٢]، فقرأ أبو عمرو: ﴿وُقِّتَتْ﴾ بالواو وتشديد القاف على الأصل، ولَمْ يُبْدِلْ منه لأنه مشتق من الوقت[٣]، وقرأ أبو جعفر بالواو/ [٢٨٢/ ب] والتخفيف، وقرأ عيسى بن عمر وخالد بن إلياس[٤]: ﴿أُقِتَتْ﴾ بالألف وتخفيف

---

(١) قاله سيبويه وأبو عبيد والمبرد والزجاج وغيرهم، ينظر: الكتاب ٣/ ٤٦٢، ٤/ ٢٣٧، غريب الحديث للهروي ١/ ١٨٢، المقتضب ١/ ٢٣٠-٢٣١، الكامل للمبرد ١/ ٥٨، ٢٥٦، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٦، وينظر: معاني القراءات ٣/ ١١٣، الحجة للفارسي ٤/ ٩٠، تهذيب اللغة ٩/ ٢٥٦، أمالي ابن الشجري ٢/ ١٨٧.

(٢) قرأ أبو عمرو، وابنُ وَرْدانَ وابنُ جَمّازٍ في روايةٍ عنهما، وأبو الأشهب وعَمْرُو بنُ عبيدٍ وعيسى ابنُ عُمَرَ واليزيديُّ والحَسَنُ وحُمَيْدٌ ونصرُ بنُ عاصم ومجاهدٌ: ﴿وُقِّتَتْ﴾، وقرأ ابن مسعود وأبو جعفر وشيبة والأعرج والحسن، وابنُ وَرْدانَ وابنُ جَمّازٍ كِلاَهُما في روايةٍ أخرى: ﴿وُقِتَتْ﴾ بالتخفيف، وقرأ خالد بن إلياس وعيسى بن عمر والنَّخَعِيُّ والحسنُ ويحيى وأيوبُ وسلامٌ: ﴿أُقِتَتْ﴾ بالهمز وتَخفيف القاف، وقرأ الباقون: ﴿أُقِّتَتْ﴾، ينظر: السبعة ص ٦٦٦، المحتسب ٢/ ٣٤٥، تفسير القرطبي ١٩/ ١٥٨، البحر المحيط ٨/ ٣٩٦، الإتحاف ٢/ ٥٨٠، ٥٨١.

(٣) قال النحاس: «الأصل فيها الواو؛ لأنه مشتق من الوقت، قال الله تعالى: ﴿كَانَتۡ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ كِتَٰبٗا مَّوۡقُوتٗا﴾، فهذا من وُقِتَتْ مخففةً، إلّا أن الواو تُسْتَثْقَلُ فيها الضمةُ، فَتُبْدَلُ فيها همزةً، وقد ذكر سيبويه اللغتين: وُقِّتَتْ وَأُقِّتَتْ، فلم يُقَدِّمْ إحداهما على الأخرى، فإذا كانتا فصيحتين فالأَوْلَى اتِّباعُ السَّوادِ». إعراب القرآن ٥/ ١١٥، وينظر: الخصائص ١/ ١٦٤، سر صناعة الإعراب ص ٨٠، ٩٢.

(٤) ويقال: خالد بن إياسِ بن صخر بن أبي الجَهْمِ عبيد بن حذيفة بن غانم القُرَشِيُّ العَدَوِيُّ، أبو الهيثم المَدَنِيُّ، إمام مسجد النبي ﷺ، روى عن أبان بن صالح وسعيد المَقْبُرِيُّ وابن ذَكْوانَ. [تهذيب الكمال ٨/ ٢٩-٣٣، الجرح والتعديل ٣/ ٣٢١، الكامل في الضعفاء ٣/ ٥-٧].

القاف، وقرأ الآخرون بالألف وتشديد القاف، وهي اختيار الشيخين أبي عبيد وأبي حاتم، والعرب تُعاقِبُ بين الواو والهمزة كقولهم: وَكَّدْتُ وَأَكَّدْتُ، وَوَرَّخْتُ الكِتابَ وَأَرَّخْتُهُ، وَوِكافٌ وَإكافٌ، وَوِسادةٌ وَإسادةٌ، فَحُجّةُ مَنْ أقَرَّ الواوَ تَمَسُّكُهُ بالأصل، وَحُجّةُ مَنْ هَمَزَ استثقالُ الضمة على الواو فقلبها همزة[1].

وقوله: ﴿لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ١٢﴾؛ أي: أُخِّرَتْ، يعني الساعة، ثم بَيَّنَ ذلك فقال: ﴿لِيَوْمِ الْفَصْلِ ١٣﴾ يعني يوم القيامة، يفصل الله فيه بين أهل الجنة وأهل النار، ثم عَظَّمَ ذلك اليومَ، فقال: ﴿وَمَا﴾ «ما» رفع بالابتداء ﴿أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ ١٤﴾ ابتداءٌ وخَبَرٌ، قال الحسن: واللهِ ما كان يدري حتى أخبره الله تعالى.

ثم ذَكَرَ حالَ الذين كَذَّبُوا بذلك اليومِ، فقال: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ١٥﴾ يقول: الوَيْلُ لَهُمْ يومئذ لِما نَزَلَ بِهِمْ من الخِزْيِ، فَيُنادُونَ بالويل والثُّبُورِ، و﴿وَيْلٌ﴾ كلمة تُقالُ عند الهلاك، وقيل: هو وادٍ في جَهَنَّمَ، وسيأتِي ذِكْرُهُ في سورة المطففين، و﴿وَيْلٌ﴾ حيث وقع في هذه السورة وما شابَهَها مرفوعٌ على

---

(١) قال سيبويه في باب ما كانت الواو فيه أوَّلًا وكانت فاءً: «واعلم أن هذه الواو إذا كانت مضمومة فأنت بالخيار، إن شئت تركتها على حالها، وإن شئت أبدلت الهمزةَ مكانها، وذلك نحو قولهم في وُلِدَ: أُلِدَ، وفي وُجُوهٍ: أُجُوهٌ، وإنما كرهوا الواو حيث صارت فيها ضَمّةٌ كما يكرهون الواوين، فيهمزون نحو قَؤُولٍ ومَؤُونةٍ، وأما الذين لَمْ يهمزوا فإنهم تركوا الحرف على أصله، كما يقولون: قَوُولٌ، فلا يهمزون». الكتاب ٤/ ٣٣٠-٣٣١.
ثم قال سيبويه: «ولكنَّ ناسًا كثيرًا يُجْرُونَ الواوَ إذا كانت مكسورةً مُجْرَى المضمومة، فيهمزون الواو المكسورة إذا كانت أوَّلًا، كرهو الكسرة فيها كما اسْتُثْقِلَ في يَيْجَلُ وَسَيِّدٍ وأشباهِ ذلك، فمن ذلك قولهم: إسادةٌ وَإعاءٌ». الكتاب ٤/ ٣٣١.
وينظر أيضًا: إعراب القرآن ٥/ ١١٥، الجمل للزجاجي ص ٤٠٤-٤٠٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٥٧، شرح المقدمة المحسبة ص ٣٧١، شرح الشافية للرضي ٣/ ٢٠٣.

الابتداء، و﴿يَوۡمَئِذٍ﴾ ظرف عمل فيه معنى ﴿وَيۡلٌ﴾، و﴿لِّلۡمُكَذِّبِينَ﴾ الخبر[١].

ثم أَخْبَرَ اللهُ تعالى بِما فَعَلَ بالكفار من الأمم الخالية، فقال: ﴿أَلَمۡ نُهۡلِكِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦﴾ يعني: من الأمم الماضية قومِ نوح وعادٍ وثمودَ حين كَذَّبُوا الرُّسُلَ، و﴿أَلَمۡ﴾ بمعنى: قَدْ أَهْلَكْناهُمْ، كقوله تعالى: ﴿أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ﴾[٢] بمعنى: قَدْ شَرَحْنا لَكَ صَدْرَكَ، يدل على هذا قوله: ﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾[٣].

قوله: ﴿ثُمَّ نُتۡبِعُهُمُ ٱلۡأٓخِرِينَ ١٧﴾ يعني كفار مكة، قرأ العامة: ﴿نُتۡبِعُهُمُ﴾ برفع العين على الاستئناف، فإن قيل: أليس ﴿ثُمَّ﴾ من حروف العطف؟ فَهَلَّا جُزِمَ ﴿نُتْبِعُ﴾ بالعطف على ﴿نُهْلِكْ﴾؟ فالجواب: أن هذا عَطْفُ جُمْلةٍ، فإذا كان كذلك لَمْ يَجِبْ أن يكون إعراب الجملة الثانية كإعراب الجملة الأولَى[٤]، ونصب ﴿ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ لأنه مفعول ثانٍ، والهاء والميم في ﴿نُتۡبِعُهُمُ﴾ المفعول الأول، وقرأ الأعرج بالجزم[٥] على العطف، قال أبو حاتم[٦]: هذا لَحْنٌ

---

(١) ينظر: الكتاب ١/ ٣٣١-٣٣٢، معانِي القرآن للأخفش ص ١١٨، المقتضب ٣/ ٢٢٠، ٢٢١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٧.

(٢) الشرح ١.

(٣) الشرح ٢.

(٤) وذهب الفراء والزجاج وابن الأنباري إلَى أن ﴿نُتۡبِعُهُمُ﴾ مُسْتَأْنَفٌ لا معطوف، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٢٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٦٧، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٦١، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٢٦٤، وحكى السجاوندي أن أبا حاتم ذهب إلى أنه معطوف على موضع ﴿نُهۡلِكِ﴾ قبل دخول الجازم، ينظر: عين المعانِي ورقة ١٤١/ أ.

(٥) قرأ الأعرج وعَبّاسُ بن منصور عن أبي عمرو: «نُتْبِعْهُمْ» بالجزم، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٤٦، البحر المحيط ٨/ ٣٩٧.

(٦) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١١٦.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ يعني الذي فَعَلْنا بِمَنْ تَقَدَّمَ من الأمم ﴿نَفۡعَلُ بِٱلۡمُجۡرِمِينَ ١٨﴾ من أهل مكة.

ثم ذكر بَدْءَ خَلْقِهِمْ، فقال تعالى: ﴿أَلَمۡ نَخۡلُقكُّم مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ٢٠﴾ يعني/ النُّطْفَةَ ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ فِي قَرَارٖ مَّكِينٍ ٢١﴾ يعني: في الرَّحِمِ ﴿إِلَىٰ قَدَرٖ مَّعۡلُومٖ ٢٢﴾ يعني مُدّةَ الحَمْلِ، وهو وقت الولادة.

﴿فَقَدَرۡنَا فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾ يعني: قَدَرْنا خَلْقَهُ كَيْفَ يكون قصيرًا أو طويلًا ذكرًا أو أنثى، وفيه قراءتان: التخفيف والتشديد، قرأ عَلِيٌّ والحَسَنُ والسُّلَمِيُّ وَطَلْحةُ وَقَتادةُ وابن أَبِي إِسْحاقَ وَأَيُّوبُ وَنافِعٌ والكِسائِيُّ بالتشديد من التقدير، وهي اختيار الكسائي[1]، وقرأ الباقون بالتخفيف[2] من القُدْرةِ، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لقوله: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ ٢٣﴾[3]، قال الفَرّاءُ[4]: والمعنى فيهما واحد، نظيره قوله تعالى: ﴿نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾[5] يُقْرَأُ بالتخفيف والتشديد، ومعنى قوله: ﴿فَنِعۡمَ ٱلۡقَٰدِرُونَ﴾؛ أي: المُقَدِّرُونَ.

---

(١) قال ابن خالويه: «قيل للكسائي: لِمَ اخْتَرْتَ التشديد واسمُ الفاعل ليس مَبْنِيًّا على هذا الفعل؟ فقال: بمنزلة ﴿فَمَهِّلِ الْكافِرِينَ﴾، ثم قال: ﴿أَمْهِلْهُمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: مَهِّلْهُمْ. يعني: أنه أتى باللغتين كِلْتَيْهِما، ومثله: ﴿فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عذابًا﴾، وَلَمْ يَقُلْ: تَعْذِيبًا». إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٢٨، وينظر: حجة القراءات ص ٧٤٤، الكشف والبيان ١٠/ ١١٠.

(٢) قرأ بالتشديد أيضًا، ابنُ عامر وأبو جعفر وشيبةُ، وَرُوِيَ التخفيفُ عن عَلِيِّ بن أَبِي طالب، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٢٣، السبعة ص ٦٦٦، الكشف والبيان ١٠/ ١٠٩، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٠، الإتحاف ٢/ ٥٨١.

(٣) ينظر اختيارهما في الكشف والبيان ١٠/ ١١٠، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٠.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ٢٢٣ باختلاف في ألفاظه.

(٥) الواقعة ٦٠.

ثم بَيَّنَ لهم صُنْعَهُ وَقُدْرَتَهُ لِيَعْتَبِرُوا فَيُوَحِّدُوهُ، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾﴾ يعني: وِعاءً ﴿أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾ يعني: أحْياءً على ظهرها، وَأمْواتًا فِي بطنها، وأصل الكَفْتِ في اللغة الجَمْعُ والضَّمُّ، يقال: كَفَتَ الشَّيْءَ: إذا ضَمَّهُ وَجَمَعَهُ.

والمعنى: أن الأرض تكْفِتُهُم أحْياءً على ظَهْرِها فِي دُورِهِمْ وَمَنازِلِهِمْ، وَتَكْفِتُهُمْ أمْواتًا فِي بَطْنِها؛ أي: تَحُوزُهُمْ[١]، وكانوا يُسَمُّونَ بَقِيعَ الغَرْقَدِ كَفْتَةً؛ لأنها مَقْبَرةٌ تَضُمُّ المَوْتَى[٢]، ونصب ﴿أَحْيَآءً﴾ و«أمْواتًا» على الحال[٣]، وقال صاحب «إنسان العين»[٤]: ﴿أَحْيَآءً﴾ مفعول به للمصدر ﴿كِفَاتًا﴾.

فصل

سُئِلَ يحيى بن معاذ فقيل له: ابن آدم يدري أن الدنيا ليست له بِقَرار، فَلِمَ يَطْمَئِنُّ إليها؟، فقال: لأنه خُلِقَ منها، يعني: من الأرض، فهي أُمُّهُ، وفيها يَنْشَأُ، فهي عَيْشُهُ، ومنها رِزْقُهُ، وإليها يَعُودُ، فهي كِفاتُهُ، وهي مَمَرُّ الصالحين إلَى

---

(١) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٢٤، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ١١٧-١١٨، تهذيب اللغة ١٠/ ١٤٦، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٠٨.

(٢) حكاه ابن قتيبة عن الأصمعي في غريب الحديث ٢/ ١٢١، وغريب القرآن ص ٥٠٦، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٧٠، الكشف والبيان ١٠/ ١١٠، معجم ما استعجم ٤/ ١١٣٠.

(٣) قاله الأخفشُ والنَّحّاسُ وَمَكِّيٌّ، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥٢٢، إعراب القرآن ٥/ ١١٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٧.

(٤) قال السجاوندي: «أحْياءً نصب لِنَزْعِ الإضافة يعني: كِفاتَ الأحْياءِ، أو لِنَزْعِ الخافض، يعني: لِلأحْياءِ. أبو حاتم: «كِفاتًا» وقف؛ أي: ذات ضَمٍّ للناس، و«أحْياءً» حالُ محذوفٍ». عين المعانِي ١٤١/ أ.

الجنة، وَأَنْشَدَ في معناه لأُمَيّةَ بن أبِي الصَّلْتِ:

٤٥٥ ـ والأَرْضُ مَعْقِلُنا وَكانَتْ أُمَّنا فِيها مَقابِرُنا وَفِيها نُولَدُ[1]

قوله: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا﴾ يعني: في الأرض ﴿رَوَاسِيَ﴾ يعني الجبال ﴿شَامِخَاتٍ﴾ أي: طِوالٍ، وكل شيء عالٍ فهو شامخ، ويقال للمتكبر: شَمَخَ بأنْفِهِ[2]، والتاء في موضع نصب على النعت لـ﴿رَوَاسِيَ﴾ ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ يعني: عَذْبًا، وكل عَذْبٍ فُراتٌ، يُذَكِّرُهُمُ اللهُ تعالى بِنِعْمَتِهِ عليهم.

ثم ذَكَرَ ما يُقالُ لهم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ في الدنيا أنه كائن، وهي النار ﴿انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾﴾؛ أي: فِرَقٍ، وهي شُعَبُ/ جَهَنَّمَ، يعني: دُخانَها، سُمِّيَتْ شُعَبًا لأنها تَمْنَعُ الكُفّارَ من الخروج من جهنم.

قال أبو عُمَرَ[3]: حَدَّثَنِي الشَّيْبانِيُّ[4]: إنْ قِيلَ: لِمَ قِيلَ: ﴿ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾؟

---

(١) البيت من الكامل، لأُمَيَّةَ بن أبِي الصَّلْتِ، ويُرْوَى: «فِيها مَعايِشُنا»، ويُرْوَى: «فِيها مَعاقِلُنا».
التخريج: ديوانه ص ٥٢، الحيوان ٣/ ٣٦٤، ٥/ ٤٣٧، تأويل مشكل القرآن ص ١٠٤، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ص ١٨٧، المخصص ١٣/ ١٨٠، الكشف والبيان ١/ ١٢٧، تفسير القرطبي ١/ ١١٢، ٢٠/ ١٦٧، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٧٣، فتح القدير ٥/ ٤٨٧.

(٢) قاله ابن السكيت وابن قتيبة والمبرد، ينظر: إصلاح المنطق ص ٤١٥، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٦، الكامل للمبرد ٤/ ٥١، وينظر: شفاء الصدور ورقة ١٩٨/ ب، تهذيب اللغة ٧/ ٩٦، الصحاح ١/ ٤٢٥.

(٣) هو أبو عمر الزاهد، وقوله ذكره أبو بكر السجستانِيُّ بنصه في غريب القرآن ص ١٧٠.

(٤) هو أبو مُحَلِّمٍ محمدُ بنُ هِشامِ بن عَوْفٍ البَخْتَرِيُّ التَّمِيمِيُّ الشَّيْبانِيُّ اللُّغَوِيُّ، شيخ أبِي عُمَرَ الزّاهِدِ، كانَ أحْفَظَ أهْلِ زَمانِهِ للشعر ووقائع العرب، من كتبه: خَلْقُ الإنسان، الأنْواءُ، الخَيْلُ، توفِّي سنة (٢٨٥هـ). [بغية الوعاة ١/ ٢٥٧-٢٥٨، الأعلام ٧/ ١٣١].

قيل: لأن الفَأْرَ إذا خَرَجَ مِنْ مَحْبِسِهِ أَخَذَ يَمْنةً أو يَسْرةً أو فَوْقَ، ولا رابعَ له. وقيل[١]: الشُّعَبُ الثَّلَاثُ: اللَّهَبُ والشَّرَرُ والدُّخانُ.

﴿لَّا ظَلِيلٍ﴾؛ أي: لا بارد ﴿وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ ۝٣١﴾ يعني: مِنْ لَهَبِ جَهَنَّمَ، و﴿ظَلِيلٍ﴾ خفض على البدل من ﴿ظِلٍّ﴾[٢]، ومثل هذا: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ لَا عالِمٍ ولا أَدِيبٍ، وَوَرَدْتُ الماءَ لا عَذْبًا وَلا شَرِيبًا، ويجوز الرفع على الابتداء[٣].

ثم قال: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢﴾ قرأه العامة بفتح القاف وجزم الصاد، وَرُوِيَ عن ابن عباس وسعيد بن جُبَيْرٍ بكسر القاف وفتح الصاد[٤]، قال أبو حاتمٍ[٥]: ولعلها لُغةٌ، وقيل[٦]: أراد أعناق النَّخْلِ، وقيل[٧]: أُصُولُ النَّخْلِ

(١) ذكره السجاوندي بغير عزو في عين المعاني ورقة ١٤١/ أ، وينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٣.

(٢) «ظَلِيلٍ» نعت لـ«ظِلٍّ»؛ أي: إِلَى ظِلٍّ غَيْرِ ظَلِيلٍ، قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١١٨، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٠٣، ولَمْ أقف على من قال: إنه بَدَلٌ من«ظَلِيلٍ».

(٣) وهذا في غير القرآن، وقد قرأ عُبَيْدُ بن عُمَيْرٍ في الشواذِّ: «لَا ظَلِيلٌ» بالرفع، ينظر: شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٥٧.

(٤) وهي قراءة الحسن أيضًا، ورُوِيَ عن ابن عباس وابن جُبَيْرٍ وَحُمَيْدٍ والسُّلَمِيِّ أيضًا: «كالْقَصَرِ» بفتح القاف والصاد، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٢٩، المحتسب ٢/ ٣٤٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٤، البحر المحيط ٨/ ٣٩٨.

(٥) قال ابن جني: «وقال أبو حاتم: لعل القِصَرَ بكسر القاف لُغةٌ كَحاجةٍ وَحِوَجٍ، قد قالوا أيضًا، في حَلْقةِ الحَدِيدِ: حَلَقةٌ بفتح اللام، وقالوا: حِلَقٌ بكسر الحاء. أبو حاتمٍ: قال الحَسَنُ: قَصْرةٌ وَقَصْرٌ مثل جَمْرةٍ وَجَمْرٍ». المحتسب ٢/ ٣٤٦، وينظر قوله أيضًا في الكشف والبيان ١٠/ ١١٠، الفريد للهمداني ٤/ ٦٠٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٤.

(٦) هذا على قراءة «كالْقَصَرِ» بفتح القاف والصاد، ولَمْ يذكرها المؤلف، وهذا قول ابن السِّكِّيتِ وابن قتيبة، ينظر: إصلاح المنطق ص ٤١، تأويل مشكل القرآن ص ٣٢٠، وينظر: الصحاح ٢/ ٧٩٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠.

(٧) هذا أيضًا، على قراءة «كالْقَصَرِ» بفتح القاف والصاد، وهو قول قتادة والفراء وابن قتيبة، =

المَقْلُوعـةُ، والقَصْرُ: البِناءُ العَظِيمُ كالحِصْنِ، وَواحِدُ القُصُورِ من الدُّورِ قَصْرٌ، كما تقول: جَمْرةٌ وَجَمْرٌ وَتَمْرةٌ وَتَمْرٌ[١].

ثُمَّ شَـبَّهَهُ فـي لَوْنِهِ بِالجِمالاَتِ الصُّفْرِ، فقال: ﴿كَأَنَّهُۥ﴾ يعني الشَّـرَرَ، رَدَّ الكِنايةَ إِلَى اللَّفْظِ ﴿جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ٣٣﴾؛ أي: سُودٌ، وقرأ ابن عباس: «جُمالةٌ»[٢] بضم الجيم من غير ألف أراد: الأَشْياءَ العِظامَ المَجْمُوعةَ، وقرأ الباقون بالألف وكسر الجيم على جمع الجِمالِ، و﴿صُفْرٌ﴾ جَمْعُ الأَصْفَرِ يعني لون النار.

= ينظـر: معانِـي القرآن للفـراء ٣/ ٢٢٥، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٧، تأويل مشـكل القرآن ص ٣٢٠، جامع البيان ٢٩/ ٢٩٧، إعراب القرآن ٥/ ١٢٠.

(١) المؤلـف هنا خَلَطَ في تفسـير معنى القراءتين؛ لأن قوله: «كما تقول: جَمْـرةٌ وجَمْرٌ وتَمْرةٌ وَتَمْـرٌ» إنما هو تبيين لقـراءة العامة: ﴿كالْقَصْرِ﴾، لا لقراءة ابن عباس ﴿كالْقِصَرِ﴾ بكسـر القاف وفتح الصاد، قال ابن قتيبة: ﴿بِشَـرَرٍ كالْقَصْرِ﴾ من البناء، وَمَنْ قَرَأَهُ: «كالْقَصَرِ» أراد أُصُولَ النَّخْلِ المقطوعة المقلوعة. ويقال: أعناق النخل أو الإبل، شَبَّهَها بِقَصَرِ الناس؛ أي: أعناقهم». غريب القرآن ص ٥٠٧.

وقـال الأزهري: «وقال أبو معـاذ النَّحْوِيُّ: قَصَرُ النَّخْلِ، الواحـدة قَصَرةٌ، وذلك أن النخلة تُقْطَعُ قَدْرَ ذِراعٍ يَسْـتَوْقِدُونَ بِها فِي الشـتاء. قال: وهو قولك لِلرَّجُلِ إنه لَتامُّ القَصَرةِ إذا كان ضَخْمَ الرَّقَبةِ، وقال الضَّحّاك: القَصَرُ من أصول الشـجر: العِظامُ، وقرأه الحَسَـنُ: كالقَصْرِ مخففًـا وَفَسْـرُهُ: الجِـذْلَ من الخَشَـبِ، الواحدة قَصْـرةٌ مثل تَمْـرةٍ وَتَمْـرٍ». تهذيب اللغة ٨/ ٣٦٠-٣٦١.

(٢) قرأ ابن عباس والسُّلَمِيُّ والأعمش وأبو حَيْوةَ وابنُ أَبِي عَبْلَةَ وَرُوَيْسٌ وَيَعْقُوبُ والجَحْدَرِيُّ وابنُ أَبِي إِسْـحاقَ وعيسـى بن عمر: «جُمالةٌ»، وقرأ ابن عباس وقتادة وابنُ جُبَيْرٍ والحَسَنُ وأبو رجاء وقتادة ومجاهد وَحُمَيْدٌ: «جُمالاتٌ»، وقرأ حَمْزةُ والكِسائِيُّ، وَحَفْصٌ عن عاصم، والأَصْمَعِـيُّ وهارونُ كِلاهُما عن أَبِي عمـرو: «جِمالةٌ»، وقرأ الباقون وأبو بكر عن عاصم: «جِمالاَتٌ»، ينظر: السبعة ص ٦٦٦، المحتسب ٢/ ٣٤٧، الكشف والبيان ١٠/ ١١١، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٥، البحر المحيط ٨/ ٣٩٨.

وقال بعض أهل المعانِي[1]: أراد: سُودًا؛ لأن في بعض الأخبار أنَّ شَرَرَ نارِ جَهَنَّمَ أَسْوَدُ كالْقارِ ـ أعاذنا الله منها ـ، والعرب تُسَمِّي الإبِلَ السُّودَ صُفْرًا، قال الأعشى:

٤٥٦ ـ تِلْكَ خَيْلِي وَتِلْكَ مِنْها رِكابِي هِيَ صُفْرٌ أوْلادُها كالزَّبِيبِ[2]

وإنما سُمِّيَتْ سُودُ الإبِلِ صُفْرًا لأنها يَشُوبُ سَوادَها شَيْءٌ من صُفْرةٍ، كما قِيلَ لبعض الظِّباءِ: أُدْمٌ لأن بَياضَها تَعْلُوهُ كُدْرةٌ[3]، وقيل[4]: هي حِبالُ السُّفُنِ يُجْمَعُ بَعْضُها إلَى بَعْضٍ حتى تكون كَأَوْساطِ الرِّجالِ، وقيل[5]: هي قِطَعُ النُّحاسِ.

---

(١) هذا قول الفراء وأبي عبيدة وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٢٥، مجاز القرآن ٢/ ٢٨١، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٧، وهذا اللفظ من الأضداد كما ذكر العلماء، ينظر: الأضداد لأبي حاتم ص ١٧٣، الأضداد لابن الأنباري ص ١٦٠، الأضداد لأبي الطيب ١/ ٤٢٤-٤٢٥.

(٢) البيت من الخفيف، للأعشى من قصيدة يمدح بها قَيْسَ بنَ مَعْدِي كَرِبٍ، ورواية ديوانه:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ، وَتِلْكَ رِكابِي هُنَّ صُفْرٌ...... البيت

التخريج: ديوانه ص ٣٨٥، تأويل مشكل القرآن ص ٣٢١، جمهرة اللغة ص ٧٤٠، المحب والمحبوب ١/ ٢٢٦، الأضداد لابن الأنباري ص ١٦١، الأضداد لأبي الطيب ١/ ٤٢٥، تهذيب اللغة ١٢/ ١٧٠، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٢٩، مقاييس اللغة ٣/ ٢٩٤، المخصص ٢/ ١٠٥، الكشف والبيان ١٠/ ١١١، تفسير السمرقندي ٣/ ٤٣٧، الكشاف ١/ ٢٨٨، شمس العلوم ٦/ ٣٧٦٤، عين المعانِي ١٤١/ أ، تفسير القرطبي ١/ ٤٥٠، ٨/ ٣٥٠، ١٩/ ١٦٤، غريب القرآن للرازي ص ٢٢١، الجمان في تشبيهات القرآن ص ٣٣٨، اللسان: خشب، صفر، اللباب ٢٠/ ٨٢، التاج: خشب.

(٣) من أول قوله: «والعرب تسمي الإبل السود» قاله ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن ص ٣٢٠، ٣٢١.

(٤) قاله ابن عباس، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٧، جامع البيان ٢٩/ ٢٩٩، تهذيب اللغة ١١/ ١٠٧-١٠٨.

(٥) قاله ابن عباس أيضًا، ينظر: جامع البيان ٢٩/ ٣٠٠، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٠، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٥.

قوله تعالـى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ﴾ يعني: بَيْنَ أهْـلِ الجنة والنار ﴿جَمَعْنَٰكُمْ﴾ يعني مُكَذِّبي هَذِهِ الأُمَّةِ ﴿وَالْأَوَّلِينَ ٣٨﴾؛ أي: مَعَ الأولين الذين كَذَّبُوا أنْبياءَهُمْ ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ٣٩﴾ قال مقاتلٌ: يقـول: إنْ كانت لكم حِيلةٌ فاحْتالُوا لأنفسكم، وحُذفت الياءُ؛ لأن النون صارت عِوَضًا منها، لأنها مكسورة/ وهي رأس آية[1]، والكَيْدُ: الحِيلةُ. [٢٨٤/ أ]

والمعنـى: فَإنْ كان لكم حِيلةٌ فاحْتالُوا لأنفسـكم، وانْجُوا مِمّا نَزَلَ بكم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ٤٠﴾ بالبعث.

ثم ذَكَـرَ المؤمنين، فقـال: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ٤١﴾؛ أي: فِي ظِلالِ الشَّـجَرِ وَظِلالِ أكْنـانِ القُصُورِ وَعُيُونِ الماءِ، وقرأ الأعـرج: ﴿فِي ظُلَلٍ﴾[2] على جَمْـعِ الظُّلَّةِ ﴿وَعُيُونٍ ٤١ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ٤٢﴾ ويقال لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٤٣﴾ فـي الدنيا بطاعة الله ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾ يا محمد ﴿نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٤٤﴾ بأعمالهم في الجنة، ونصب ﴿هَنِيئًا﴾ على نعت المصدر المحذوف تقديره: شُرْبًا هَنِيئًا[3]، وقيل[4]: على الحال.

ثـم قال لكفار مكة: ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا﴾ يعني: في الدنيا ﴿قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ٤٦﴾ أي: مُشْـرِكُونَ بالله مُسْتَحِقُّونَ لِلْعَذابِ، ونصب ﴿قَلِيلًا﴾ على النعت لمصدر

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٢٢، وقال ابن الأنباري: «فهذه الحروف كُلُّها الياءُ منها ساقطة في المصحف، والوقف عليها بغير هاء». إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٥٦.

(٢) وهي أيضًا، قراءة الأعمش والمُطَّوِّعِيِّ والزُّهْرِيِّ وطلحة، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٧، البحر المحيط ٨/ ٣٩٩، الإتحاف ٢/ ٥٨٢.

(٣) ينظر ما سبق في الآية ١٩ من سورة الطور ٣/ ١٨٩.

(٤) قاله المبرد في المقتضب ٤/ ٣١٢، والنحاس في إعراب القرآن ١/ ٤٣٥، وينظر: المحرر الوجيز لابن عطية ٥/ ٤٢١، التبيان للعكبري ص ٣٢٩.

محـذوف، أو لظـرفٍ محـذوفٍ؛ أي: مَتاعًـا قَلِيـلًا أو وَقْتًا قَلِيلًا إلَـى مُنْتَهَى آجالِكُمْ[١] ﴿إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾﴾؛ أي: إذا قيل لهم: صَلُّوا الصَّلَواتِ الخَمْسَ لا يُصَلُّونَ ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾﴾ بالبعث ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ﴾ يعني: بَعْدَ القرآن ﴿يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾؛ أي: يُصَدِّقُونَ، يعني: فَإذا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذا الذي جاء من عند الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا مِنْ خَلْفِهِ، فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ولا كِتابَ بَعْدَ القُرْآنِ؟

قال أهل المعانِي[٢]: وليس قوله: ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ تكْرارًا غير مفيد، بل أراد بكل قول منه غَيْرَ ما أراد بالقول الآخَرَ، فكأنه كُلَّما ذَكَرَ شـيْئًا قال: وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ بِهَذا، فَجَعَلَ هذا الوَيْلَ لَهُمْ على التكذيب الأوَّلِ، وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ تَكْرارًا.

فصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾[٣] فَلْيَقُـلْ: بَلَى، وَأنا عَلَى ذَلِكَ مِنَ الشّـاهِدِينَ»، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ﴾[٤] فَلْيَقُلْ: بَلَـى، وَمَنْ قَرَأَ: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾[٥] فَلْيَقُلْ: «آمَنّا بِاللهِ»[٦]، والله أعلم.

---

(١) قاله النَّحّاسُ وَمَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٢٢، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٤٨.

(٢) قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ١٩٩/ ب، وينظر أيضًا: الكشف والبيان ١٠/ ١١٢، تفسير القرطبي ١٩/ ١٦٩.

(٣) التين ٨.

(٤) القيامة ٤٠.

(٥) المرسلات ٥٠.

(٦) رواه أبو داود في سـننه ١/ ٢٠٣ كتاب الصلاة: باب مقدار الركوع والسـجود، والبيهقي =

سورة النبأ

مكية

وهي سبعمائة وسبعون حرفًا، ومائة وثلاث وسبعون كلمةً، وأربعون آيةً.

باب/ ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ سَقاهُ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ مِنْ بَرْدِ الشَّرابِ يَوْمَ القِيامةِ»(١)، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ حُشِرَ بَيْنَ جِبْرِيلَ وَمِيكائِيلَ آمِنًا»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ①﴾ أصله «عَنْ ما»، فَأُدْغِمَت النونُ في الميم، وَحُذِفَتْ

= في السنن الكبرى ٢/ ٣١٠ كتاب الصلاة: باب الوقوف عند آية الرحمة وآية العذاب، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٠ كتاب التفسير: سورة القيامة.

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١١٣، الوسيط ٤/ ٤١١، الكشاف ٤/ ٢١١، مجمع البيان ١٠/ ٢٣٧.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

أَلِفُ «ما» للفرق بين الاستفهام والخبر كقولهم: فِيمَ؟ وَبِمَ؟[١]، وفعلوا ذلك لبعض أحْرُفٍ من حُرُوفِ الخَفْضِ وهي: «عَلَى» و«إلَى» و«في» و«مِنْ» و«عَنْ» والَّلامُ والباءُ، وَأَلْحَقُوا بها ثامِنًا من غيرها وهي «حَتَّى»[٢]، والمعنى: عَنْ أيِّ شَيْءٍ يَتَساءَلُونَ هَؤُلاءِ الكُفّارُ؟ وذلك أنهم اختلفوا واختصموا فِي أمْرِ محمدٍ ﷺ لَمّا بَعَثَهُ اللهُ، وأخبرهم بتوحيد الله والبَعْثِ بعد الموت، وَتَلا عليهم القرآنَ، فجعلوا يتساءلون بينهم ويقولون: ماذا جاء به محمد؟ فأنزل الله: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[٣].

قال الزَّجّاجُ[٤]: اللفظ لفظ سؤالٍ واستفهام، والمعنى تفخيمُ القصة، كما تقول: أيُّ شَيْءٍ زَيْدٌ؟ وَأيُّ شَيْءٍ زَيْدٌ؟ إذا عَظَّمْتَ شَأْنَهُ، قال ابن الأنباري[٥]:

---

(١) وأجاز الفراء إثبات هذه الألف في الاستفهام، فقال: «نقصت الألف من «ما» ليعرف الاستفهام من الخبر، ومن ذلك قوله: ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ و﴿عَمَّ يَتَساءَلُونَ﴾، وإنْ أتْمَمْتَها فَصَوابٌ، وأنشدني المفضلُ:

إنّا قَتَلْنا بِقَتْلانا سَراتَكُمُ ... أَهْلَ اللِّواءِ، فَفِيما يَكْثُرُ القِيلُ

وأنشدنِي المفضلُ أيضًا:

عَلَى ما قامَ يَشْتُمُنا لَئِيمٌ ... كَخِنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي رَمادِ.. »

معاني القرآن ٢/ ٢٩٢، وقال النحاس رَدًّا عليه: «وهذا من الشذوذ التي جاء القرآن بخلافها». إعراب القرآن ٣/ ٢١١.

(٢) ينظر: كتاب سيبويه ٤/ ١٦٤، الأصول لابن السراج ٢/ ٣٨١، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٣٦٩، جمل الزجاجي ص ٢٧٧، إعراب ثلاثين سورة ص ٤٤، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ٥٤٥، وغيرها.

(٣) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٣، زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ٤، لباب النقول ص ٢٠٨، الدر المنثور ٦/ ٣٠٥.

(٤) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧١.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٦٢-٩٦٣.

وَفِي ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾ وجهان، إن شئتَ جعلتَ «عَن» الأولى صِلةً للفعل الظاهر، والثانيةَ صِلةً لفعلٍ مضمرٍ، كأنك قلتَ: عَنْ أيِّ شَيْءٍ يَتَساءَلُونَ؟ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ، قال: فَمِنْ هذا الوجه يَحْسُنُ الوُقُوفُ على ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾، والوجه الآخر: أن تجعل «عن» الثانية توكيدا للأُولَى كما قرأ عبد الله بن مسعود: ﴿وَلِلظَّالِمِينَ أعَدَّ لَهُمْ عَذابًا أَلِيمًا﴾[1]، فجعل اللام الثانية توكيدًا للأُولَى، وأنشد الفَرّاءُ[2]:

أَقُولُ لَها إذا سَأَلَتْ طَلاَقًا: إلَامَ تُسارِعِينَ إلَى فِراقِي[3]

فَأَكَّدَ الأولى بالثانية.

ثُمَّ بَيَّنَ فقال: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢﴾ يعني القرآن في قول عامة المفسرين، وقال الضحاك: يعني نَبَأَ يَوْمِ القيامة ﴿ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ مِنْ بَيْنِ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ إذا قُتِلُوا بِبَدْرٍ، وَتَوَفَّتْهُم الملائكةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبارَهُمْ، وهذا وَعِيدٌ من الله على إِثْرِ وَعِيدٍ، والوعيد الثاني: القيامةُ، قرأ العامة بالياء فيهما، وقرأ بعض قُرّاءِ أَهْلِ الشامِ بالتاء فيهما[4].

قيل: إنها نزلت في أَبِي جَهْلِ بن هشام وأصحابِهِ، كانوا يجتمعون/ عند رسول الله ﷺ، فإذا حَدَّثَهُمْ خالَفُوا حَدِيثَهُ، واسْتَهْزَؤوا به، وَسَخِرُوا منه، فأنزل

---

(١) سورة الإنسان من الآية ٣١، وينظر ما تقدم في هذه الآية ٤/ ٢٢٥.

(٢) معاني القرآن ٣/ ٢٢١.

(٣) تقدم برقم ٤٥٢، ٤/ ٢٢٦.

(٤) قرأ ابن عامر في رواية ابن ذَكْوانَ عنه، والحَسَنُ وأبو العالية ومالكُ بن دِينارٍ: «سَتَعْلَمُونَ» بالتاء فيهما، وقرأ ابن عامر في رواية هشام بالياء فيهما، وقرأ الضحاكُ الأولَ منهما بالتاء والثانِيَ بالياء، ينظر: السبعة ص ٦٦٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧١، البحر المحيط ٨/ ٤٠٣.

الله تعالى: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة تكذيبهم حين تنكشف الأمور ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾ عاقبة أمرهم ومصيرهم.

ثم ذكر صنعه وقدرته؛ ليتفكروا بعظمته وقوة سلطانه، فقال: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾﴾ يعني فِراشًا، بَسَطْناها لهم مَسِيرةَ خَمْسِمِائةِ عامٍ ﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾﴾ يعني: لِلأَرْضِ لكي لا تتحرك بأهلها، رَوَى عَطاءٌ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: لَمّا أراد الله أن يَخْلُقَ الخَلْقَ مَدَّ الأَرْضَ حَتَّى بَلَغَتْ ما شاء اللهُ من الطُّولِ والعَرْضِ، وكانت هكذا تَمِيدُ ـ وَأَرانِي ابنُ عَبّاسٍ هكذا وهكذا ـ، قال: فَجَعَلَ اللهُ الجِبالَ أَوْتادًا، وكان أبو قُبَيْسٍ أَوَّلَ جَبَلٍ وُضِعَ فِي الأرض[1].

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾﴾ يعني أصنافا ذُكُورًا وَإناثًا، وَقِصارًا وَطِوالًا، وهو منصوب على الحال[2]، وإن شئت قلت: مفعولٌ ثانٍ[3] ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾﴾ يعني: قَطْعًا لأعمالكم، وَراحةً لأبدانكم، تستريحون بنومكم في لَيْلِكُمْ، تقول العرب: رَجُلٌ مَسْبُوتٌ: إذا كان النَّوْمُ يُغالِبُهُ، والسُّباتُ: أن يَنْقَطِعَ عن الحَرَكةِ والرُّوحُ فِي بَدَنِهِ[4]، وأصل السَّبْتِ القَطْعُ، فكأنه إذا نامَ انقطع عن الناس[5].

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٢ كتاب التفسير: سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤١٢، الدر المنثور ٦/ ٣٠٦.

(٢) قاله النَّحّاسُ في إعراب القرآن ٥/ ١٢٦، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٠، التبيان للعكبري ص ١٢٦٦.

(٣) لا وجه لكونه مفعولًا ثانيًا؛ لأن ﴿خَلَقَ﴾ لا يتعدى إِلَّا إِلَى مفعول واحد، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٠.

(٤) قاله الزجاج والنقاش، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٢، شفاء الصدور ٢٠٠/ ب.

(٥) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٥١، وحكاه الأزهري عن ابن الأعرابِيِّ في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٨٦.

﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠﴾ يعني: سَكَنًا، أَلْبَسَكُمْ ظُلْمَةَ الليل لتسكنوا فيه؛ لأن الليل يُغَطِّي وَيَسْتُرُ كما يُغطِّي اللِّباسُ وَيَسْتُرُ ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشٗا ١١﴾ كذلك، أراد: لِلْخَلْقِ يَلْتَمِسُونَ فيه مَعاشَهُمْ؛ أي: جعلنا النهار سَبَبًا لِمَعاشِكُمْ والتَّصَرُّفِ فِي مَصالِحِكُمْ، فَسَمّاهُ به كقول الشاعر:

٤٥٧ - وَأَخُو الهُمُومِ إذا الهُمُومُ تَحَضَّرَتْ جُنْحَ الظَّلَامِ وِسادُهُ لاَ يَرْقُدُ[1]

فَجَعَلَ الوِسادةَ هي التي لا تَرْقُدُ، والمَعْنَى لِصاحِبِ الوِسادةِ[2].

والمَعاشُ: العَيْشُ، وكل شيء يُعاشُ به فهو مَعاشٌ، والمعنى: جَعَلْنا النَّهارَ مُبْتَغَى مَعاشٍ أو مَطْلَبَ مَعاشٍ، قال ابن عباس[3]: يريد: تبتغون فيه من فضل ربكم وما قَسَمَ لكم فيه من رِزْقِهِ، يُذَكِّرُهُم اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ عليهم فِي لَيْلِهِمْ وَنَهارِهِمْ.

ثم ذَكَرَ مُلْكَهُ وَجَبَرُوتَهُ وارتفاعه/ ، فقال: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ﴾ نصب على الظرف ﴿سَبۡعٗا شِدَادٗا ١٢﴾ يعني السَّماواتِ السَّبْعَ، غِلَظُ كُلِّ سَماءٍ مَسِيرُ خَمْسِمِائةِ عامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَماءَيْنِ مِثْلُ ذلك، نظيرها في سورة ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾: ﴿وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعَ طَرَآئِقَ﴾[4]، ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣﴾؛ أي: وَقّادًا

---

(١) البيت من الكامل، لِلطِّرِمّاحِ بن حَكِيمٍ، ومعنى تَحَضَّرَتْهُ الهُمُومُ: حَضَرَتْهُ.
التخريج: ديوانه ص ١١٩، جامع البيان ٣٠/ ٦، الأضداد لابن الأنباري ص ٢٩٦، أساس البلاغة: حضر، عين المعاني ١٤١/ أ.

(٢) قاله الطبري والثعلبي، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٦، الكشف والبيان ١٠/ ١١٤.

(٣) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٤١٢.

(٤) المؤمنون ١٧.

يعني الشـمس وَحَرَّها، جعل فيها نورًا يَتَلأْلأُ، قال الزَّجّـاجُ[١]: الوَهّاجُ: الوَقّادُ. وهـو الذي وَهَجَ، يقال: وَهَجَتِ النّـارُ تَهِجُ وَهْجًا وَوَهَجًـا وَوَهَجانًا، والوَهَجُ يَجْمَعُ النُّورَ والحَرارةَ.

﴿وَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ﴾ يعني الرياح ذوات الأعاصير[٢]، و﴿مِنَ﴾ معناه البـاء، كأنه قال: بالمعصـرات كقولـه: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ﴾[٣]، وكذلك كان عكرمـة يقرؤها: «وَأَنْزَلْنا بِالْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجًا»[٤]، وذلك أن الرِّيحَ تَسْـتَدِرُّ المَطَرَ، وقيل[٥]: هي السحاب.

قال الفراء[٦]: المُعْصِرُ: السَّحابةُ التِي تَتَحَلَّبُ بالمطر، شَبَّهَ السَّحابَ التي قـد حان لها أن تُمْطِرَ بِمَعاصِرِ الجَوارِي، والمُعْصِرُ: الجارِيةُ التي قد دَنَتْ من الحَيْضِ، قال أبو النَّجْمِ:

(١) قال الزجاج: «أي: جَعَلْنا فيها الشَّـمْسَ سِـراجًا، وتأويل «وَهّاجًا»: وَقّـادًا»، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٢.

(٢) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة، ينظر: تهذيب اللغة ٢/ ١٥، عين المعاني ورقة ١٤١/ ب، اللسان: عصر.

(٣) القَـدْرِ ٤-٥، وكـون «مِنْ» بمعنى البـاء إنما هو على أن المراد بالمعصـرات الرياح ذوات الأعاصير كما سبق، وينظر: المحكم والمحيط الأعظم ١/ ٢٦٦.

(٤) هذه قراءة ابن عباس وابن الزبير وعكرمة والفضل بن عباس وعبد الله بن يزيد وقتادة، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٤٧، ٣٤٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٤، البحر المحيط ٨/ ٤٠٤.

(٥) قالـه الخليـل فِي العيـن ١/ ٢٩٥، والجوهري فـي الصحاح ٢/ ٧٥٠، وقـال الأزهري: «وَرُوِي عن أَبِي العالية أنه قال فِي قوله: ﴿مِنَ ٱلۡمُعۡصِرَٰتِ﴾: إنها السـحاب. قلتُ: وهذا أَشْبَهُ بما أراد اللهُ جَلَّ وَعَزَّ؛ لأن الأعاصير من الرياح ليست من رياح المطر، وقد ذَكَرَ اللهُ أنه يُنْزِلُ منها ماءً ثَجّاجًا»، تهذيب اللغة ٢/ ١٥.

(٦) هذا القول لَمْ أقف عليه في كتب الفراء، وإنما حكاه ابن قتيبة عنه فِي غريب الحديث ٢/ ١٠٨، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٠٨، تهذيب اللغة ٢/ ١٦، ١٧، الوسيط ٤/ ٤١٣.

٤٥٨ ـ قَـدْ أَعْصَرَتْ أَوْ قَدْ دَنا إعْصارُها[1]

وقولـه: ﴿مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ يعني مَطَرًا كَثِيرًا مُنْصَبًّا يَتْبَعُ بَعْضُهُ بَعْضًا، يقال: ثَـجَّ الماءُ يَثُجُّ ثُجُوجًا: إذا انْصَبَّ، والثَّجُّ: شِـدّةُ انْصِبابِ المَطَرِ والدَّمِ، يقـال: مَطَرٌ ثَجّاجٌ وَدَمٌ ثَجّاجٌ: إذا كان شديد الانْصِبابِ[2]، وفي الخَبَرِ: «أَفْضَلُ الحَجِّ العَجُّ والثَّجُّ»[3]، فالثَّجُّ: إراقةُ الدِّماءِ، والعَجُّ: رَفْعُ الصوت بالتلبية[4].

وقولـه: ﴿لِنُخْرِجَ بِهِۦ﴾ يعنـي: بالمطـر ﴿حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾﴾ فالحبـوب: كل

---

(١) من الرجز المشـطور، لأَبِي النَّجْمِ العِجْلِيِّ، وَنُسِبَ لِمَنْظُورِ بن مَرْثَدٍ الأَسَدِيِّ، ونُسِبَ لِنافِعِ ابن لَقِيطٍ الأَسَدِيِّ، وقبله:

جـارِيـةٌ بِـسَـفَـوانَ دارُهــا
تَمْشِي الهُوَيْنَى ساقِطًا خِمارُها

التخريج: ديوان أَبِي النجم ص ١٠٦، ديوان بني أسد ٢/ ٣٣٥، جمهرة اللغة ص ٧٣٩، ١٢٦٨، المذكـر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ٨٨، ديـوان الأدب ٢/ ٢٩٨، تهذيب اللغة ٢/ ١٧، مقاييس اللغة ٤/ ٣٤٢، المخصص ١/ ٤٧، ١٦/ ١٣٠، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ١٦٢، شـرح شـواهد الإيضـاح ص ٣١٤، التنبيه والإيضـاح ٢/ ١٧١، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٧٢، ١٧٣، اللسـان: سفا، عصر، البحر المحيط ٨/ ٤٠٢، تاج العروس: عصر، سفا.

(٢) قالـه النقاش فـي شـفاء الصـدور ٢٠٠/ ب، وحكاه الأزهـري عن الليث فـي التهذيب ١٠/ ٤٧٢.

(٣) رواه الدّارِمِيُّ بسنده عن أَبِي بكر رضيَ الله عنه في سننه ٢/ ٣١ كتاب المناسك: باب «أَيُّ الحَـجِّ أَفْضَـلُ»، والترمذيُّ في سـننه ١/ ١٦١ أبواب الحج: باب ما جـاء في فضل التلبية والنحر، ٤/ ٢٩٣ أبواب تفسير القرآن: سورة آل عمران، ورواه الحاكم في المستدرك ١/ ٤٥١ كتاب المناسك: باب تلبية رسول الله ﷺ، والطبراني في المعجم الأوسط ٥/ ١٩٠.

(٤) ينظر: غريب الحديث للهروي ١/ ٢٧٩، ٣/ ١٤٠، الصحاح للجوهري ١/ ٣٠٢، ٣٢٧، النهاية لابن الأثير ١/ ٢٠٢، ٣/ ١٨٤.

شيء يُزْرَعُ وَيُحْصَدُ من البُرِّ والذُّرةِ والشَّعِيرِ وسائر الحبوب مما يأكله الناس، والنباتُ: كل شــيء يَنْبُتُ في الجبال والصَّحارِي من الشجر والكلأ مما تأكله الأنعــام ﴿وَجَنَّٰتٍ أَلۡفَافًا ﴿١٦﴾﴾ يعني: بَسـاتِينَ مُجْتَمِعــةً مُلْتَفَّةً بَعْضُهــا بِبَعْضٍ، واحدهــا أَلَفُّ في قول نحاة البصرة، قال الثعلبيُّ[1]: وليس بالقوي، وفي قول الآخرين: واحدها لِفٌّ ـ بالكسر ـ وَلَفِيفٌ[2].

وقال المبرد[3]: واحدها لَفّــاءُ وَجَمْعُها لُفٌّ، وَلُفٌّ جَمْعُهُ أَلْفافٌ كَحُمْرٍ وَأَحْمــارٍ[4]، وقيــل[5]: هو جَمْــعُ الجَمْعِ، يقال منه: شَــجَرةٌ لَفّــاءُ وَنَبْتٌ لِفٌّ وَجَنّاتٌ لُفٌّ بضم اللام، ثم تَجْمَعُ اللُّفَّ أَلْفافًا.

---

(١) الكشف والبيان ١٠/ ١١٤.

(٢) هذا قول الكسائي وبعض الكوفيين، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١١، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٥، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٤، الدر المصون ٦/ ٤٦٣.

(٣) قــول المبرد حكاه الأزهــري عنه فقال: «أبو العباس عن الأخفش في قوله تعالى: «وَجَنّاتٍ أَلْفافًا»: واحدها: لَفّةٌ. وقال أبو العباس: لَمْ نسمع: شَجَرةٌ لَفّةٌ، ولكن واحدها لَفّاءُ؛ وجمعها لُــفٌّ؛ وجمع لُــفٍّ أَلْفافٌ». التهذيب ١٥/ ٣٣٣، وينظر: الوســيط ٤/ ٤١٣، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب.

(٤) قولــه: «كَحُمْرٍ وأَحْمارٍ» لا معنى له؛ وربما يعني أنه مثل أَحْمَــرَ وَحَمْراءَ، وجمعهما حُمْرٌ، وأمــا أَحْمــارٌ فليس بجمع لواحد منهمــا، ولا أعرف معنًى له، وربما كان الأنســب ما قاله النحــاس، فقد قال: «وقول من قال: هو جَمْعُ الجمع، أراد أنه يُقالُ: لَفّاءُ وَأَلَفُّ مثل حَمْراءَ وَأَحْمَــرَ، ثم تقول: لُفٌّ، كما يقال: حُمْرٌ، ثم تجمــع لَفًّا أَلْفافًا، كما تقول: خُفٌّ وأَخْفافٌ». إعراب القرآن ٥/ ١٢٧.

(٥) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٢، وهو معنى قول المبرد السابق، وحكاه النقاش عن أَبِي معاذ في شــفاء الصدور ورقــة ٢٠١/ أ، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٢٧، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٣٣، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٠.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ﴾ يعني يوم القيامة ﴿كَانَ مِيقَـٰتًا ١٧﴾ يعني: مِيعادًا يُقْضَى فيه بين الخَلائِقِ، ثم أخْبَرَ عن ذلك اليومِ، فقال: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ١٨﴾/ أي: جماعات، واحدها فَوْجٌ، وقيل: زُمَرًا زُمَرًا من كل مكان للحساب والثواب والعقاب، و﴿يَوْمَ﴾ منصوب على البدل من الأول، وإن شئت على الظرف، و﴿أَفْوَاجًا﴾ منصوب على الحال. [٢٨٦/ أ]

فصل

رُوِيَ أن إسْرافِيلَ عليه السّلام يَنفخ في الصُّورِ ـ وهو القَرْنُ ـ فيقول: أيَّتُها العِظامُ البالِيةُ، وَأيَّتُها العُرُوقُ المُتَقَطِّعةُ، وَأيَّتُها اللُّحُومُ المُتَمَزِّقةُ، وَأيَّتُها الشُّعُورُ السّاقِطةُ، اجْتَمِعِي لأنْفُخَ فِيكِ أرْواحَكِ وَيُجازِيَكِ رَبُّكِ بأعْمالِكِ، وَيُدِيمُ المَلَكُ الصَّوْتَ، فتجتمع الأرواحُ كُلُّها في القَرْنِ، والقَرْنُ طُولُهُ كَطُولِ السماوات والأرض، وَعَرْضُهُ كَعَرْضِ السماوات والأرض، فتخرج أرْواحُهُمْ كالنَّحْلِ سُودٌ وَبِيضٌ وَشَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فتهبط أرواح المؤمنين بيضاءَ كأمثال النحل من السماء العليا إلَى وادٍ بِدِمَشْقَ يقال له: الجابِيةُ[1]، وهو خَيْرُ وادٍ في الأرض، وتخرج أرواح الكفار من الأرض السُّفْلَى سُودًا مثل الدَّبَى[2] إلَى وادٍ بِحَضْرَمَوْتَ يقال له: بَرَهُوتُ[3]، وهو شَرُّ وادٍ في الأرض، فكل رُوحٍ

(١) ينظر: معجم البلدان ٢/ ٩١، ٩٢، معجم ما استعجم ٢/ ٣٥٥.

(٢) قال الأزهري: «أبو عبيد عن أبي عبيدة: الجَرادُ أوَّلَ ما يكون فهو سِرْوٌ وهو أبيض، فإذا تَحَرَّكَ واسْوَدَّ فهو دَبًى قبلَ أن تَنْبُتَ أجْنِحَتُهُ». تهذيب اللغة ١٤/ ٢٠١، ٢٠٢، وينظر أيضًا: اللسان: دبي.

(٣) بَرَهُوتُ بفتح الباء والراء، ويقال: بُرْهُوتُ بضم الباء وسكون الراء، ينظر: معجم البلدان ١/ ٤٠٥، معجم ما استعجم ١/ ٢٤٦، النهاية لابن الأثير ١/ ١٢١-١٢٢، اللسان: بره، برهت، التاج: برهت.

أعْـرَفُ بِمَوْضِعِ صاحِبِهِ من أحدكم بِمَنْزِلِهِ، فتأتون أفواجًا، ثم يَنْزِلُ إسـرافيلُ عليه السّلام من فوق السماء السابعة إِلَى الأرض، فيجلس على صَخْرةِ بَيْتِ المَقْـدِسِ، فيأخذ أرْواحَ المؤمنين والكفار كُلَّها البِيضَ والسُّـودَ، فيجعلها في القَرْنِ، وَدارةُ فَمِ القَـرْنِ مَسِـيرةُ خَمْسِـمِـائةِ عامٍ ما بيـن السماء والأرض مثل النَّحْـلِ، فيذهب كُلُّ رُوحٍ فيقع في جَسَـدِ صاحِبِهِ، فَيَخْرُجُ الناسُ من قبورهم فَوْجًا فَوْجًا، فذلك قوله تعالى: ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾[1].

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ لِنُـزُولِ الملائكة ﴿فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾﴾؛ أي: ذات أبواب، قرأ أهل الكوفة: «فُتِحَت» بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد[2]، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ﴾؛ أي: اقْتُلِعَتْ من أماكنها ﴿فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: هَباءً مُنْبَثًّا كالتراب بعد شِـدَّتِها وَصَلَابَتِها، والسَّرابُ: الذي يَتَخَيَّلُ لِصاحِبِهِ أنه شيء فَيَتْبَعُهُ وليس بشيء.

ثم قال: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾﴾ يعني: مَحَـلًّا، وقيل: مُعَدّةً، يقال: أرْصَـدْتُ لَهُ بكـذا: إذا أعْتَدْتَهُ له لِوَقْتِـهِ[3]، والإرْصادُ فِي الشَّـرِّ[4]، وقيل[5]: أرْصَدْتُ وَرَصَدْتُ في الخَيْرِ والشَّرِّ جميعًا.

---

(١) رواه النقاش عن ابن عباس في شفاء الصدور ورقة ٢٠١/ ب.

(٢) قرأ بالتخفيف عاصمٌ وحَمْزةُ والكسـائيُّ وخَلَفٌ والأعمشُ، وقرأ بالتشديد ابنُ كثير ونافعٌ وأبـو عمـرو وابن عامر وأبـو جعفر ويعقوبُ، ينظـر: السـبعة ص ٥٦٤-٦٦٨، الإتحاف ٢/ ٤٣٢، ٥٨٣.

(٣) قاله الأصمعي والكسائي، ينظر: تهذيب اللغة ١٢/ ١٣٦، ١٣٧، الصحاح ٢/ ٤٧٤.

(٤) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص١٩٢، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ١٢/ ١٣٧.

(٥) قاله أبو زيد وابن الأعرابِيِّ، ينظر قولهما في: أدب الكاتب ص ٣٤٢، ٣٤٣، وغريب القرآن لابـن قتيبـة ص ١٩٢، معانِي القرآن للنحاس ٣/ ٢٥٣، تهذيـب اللغة ١٢/ ١٣٧، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ٦٨، تفسير القرطبي ٨/ ٢٥٧.

ثم بيَّنَ لِمَنْ أُرْصِدَتْ، فقال: ﴿لِّلطَّٰغِينَ﴾ يعني الكافرين ﴿مَـَٔابٗا ٢٢﴾ يعني: مَرْجِعًا يؤُوبُونَ إليه، قيل[1]: إن جهنم تَرْصُدُ/ أهْلَها كما يَرْصُدُ الأسَدُ الوَحْشَ، قيل: نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة. [٢٨٦/ ب]

ثم قال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ﴾ يعني: في جهنم ﴿أَحۡقَابٗا ٢٣﴾ نصب على الظرف يعني أزْمِنةً، قرأ العامة: ﴿لَّٰبِثِينَ﴾ بالألف، وقرأ عَلْقَمةُ وَحَمْزةُ: ﴿لَبِثِينَ﴾[2] بغير ألِفٍ، وهما لغتان بمعنًى واحدٍ، مثل طَمِعٍ وَطامِعٍ وَفَرِهٍ وَفارِهٍ[3]، وهو منصوب على الحال، والأحقاب جمع حُقَبٍ، والحُقُبُ جَمْعُ حُقْبةٍ[4]، قال مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرةٍ[5]:

---

(١) حكاه النقاش عن الحسن في شفاء الصدور ورقة ٢٠٢/ أ.

(٢) قرأ ابن مسعود وَعَلْقَمةُ وحَمْزةُ والأعمش وزيد بن عَلِيٍّ وابنُ وَثّابٍ وعمرو بن ميمون وعمرو ابن شُرَحْبِيلَ وطلحة وقتيبة وسَوْرةُ: ﴿لَبِثِينَ﴾ بغير ألف، وذكر القرطبي أنها قراءة الكسائي أيضًا، ينظر: السبعة ص ٦٦٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٨، البحر المحيط ٨/ ٤٠٥.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٢٨، وحكاه عنه الأزهري في التهذيب ١٥/ ٩٢، وينظر: الحجة للفارسي ٤/ ٩٣، وقد سبق مثل ذلك فِي الآية (١٤٩) من سورة الشعراء ١/ ٤٢٤.

(٤) يعني أنه جمع الجمع، وهذا قول الطبري في جامع البيان ٣٠/ ١٤، وأجازه النحاس، فقال: «ويجوز أن يكون أحْقابٌ جمع حُقْبٍ». إعراب القرآن ٥/ ١٣٠، وينظر: الكشف والبيان ١٤٠/ ١١٥، وذكره الرَّبَعِيُّ بغير عزو في نظام الغريب ص ٢٢٩، وينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦.

(٥) مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرةَ بن جَمْرةَ بن شَدّادٍ اليَرْبُوعِيُّ، أبو نَهْشَلٍ التَّمِيمِيُّ، صحابِيٌّ شاعر فحل من أشراف قومه، اشتهر في الجاهلية والإسلام، أشهر شعره رثاؤه لأخيه مالك، وكان شديد الحزن عليه، سكن المدينة في أيام عُمَرَ، وتوفِّيَ سنة (٣٠هـ). [أسد الغابة ٤/ ٢٩٨-٢٩٩، الإصابة ٥/ ٥٦٦-٥٦٨، الأعلام ٥/ ٢٧٤].

٤٥٩ ـ وَكُنّـا كَنَدْمانَيْ جَذِيمةَ حُقْبَةً مِنَ الدَّهْرِ حَتَّى قِيلَ: لَنْ يَتَصَدَّعا[١]

قال المفسـرون[٢]: الحُقْبُ الواحد بِضْعٌ وَثَمانُونَ سَـنَةً، السنة ثلاثمائة وستون يومًا، اليوم سَنَةٌ من أيام الدنيا، وقيل[٣]: الحُقْبُ سبعون ألف سنة، كل يوم منها ألف سـنة مما نَعُدُّهُ، وقيل[٤]: الحُقْبُ سَبْعَ عَشْرةَ أَلْفَ سَنَةً، وقيل[٥]: الحُقْبُ: اسـم للزمان والدَّهْرِ، وليس له حَدٌّ معلـومٌ، ولا يَعْلَمُ عَدَدَ الأحقاب إلا اللهُ تعالـى، وإنما ذَكَرَ الأَحقابَ لأنها أعظم من الأيام، فَدَلَّ ذلك على أنها أَحْقابٌ بعد أَحْقابٍ إِلَى غير نهاية ولا غاية.

---

(١) البيـت من الطويل لِمُتَمِّمِ بن نُوَيْرةَ يرثي أخاه مالكًا، وكان خالد بن الوليد قد قتله لارتداده عن الإسلام.

اللغـة: جَذِيمـةُ: مَلِكٌ اسـمُهُ جَذِيمةُ بنُ الأبْرَشِ، وَنَدِيمـاهُ يُقالُ لَهُما: مالِـكٌ وَعُقَيْلٌ، كانَ يُضْرَبُ بِهِما المَثَلُ لِطُولِ مُنادَمَتِهِما لَهُ، يُقالُ: إِنَّهُما نادَماهُ أَرْبَعِينَ سَنَةً.

التخريج: ديوانه ص ١١١، التعازي والمراثي ص ١٦، ١٤٧، أخبار أبِي القاسـم الزجاجي ص ٢٤٢، ديوان المعاني ٢/ ١٧٦، الجليس الصالح الكافي ١/ ٥٢٩، البصائر والذخائر ٣/ ١١٧، بهجة المجالس ١/ ٨٠٣، زهر الآداب ٣/ ٧٩٧، الاقتضاب ٣/ ٣٨٨، شـرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٧٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦، شمس العلوم ١٠/ ٦٥٤١، التذكرة الحمدونية ٤/ ٢٤٩، تفسير القرطبي ١٤/ ٤٢، ١٩/ ١٧٧، البحر المحيط ٧/ ١٧٢، اللباب فِي علوم الكتاب ٢٠/ ١٠٥، التاج: حبر، صدع.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٢٨، وحكاه الطبري عن ابن عباس وأبي هريرة وقتادة وابن جبير في جامع البيان ٣٠/ ١٥، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٣، الوسـيط ٤/ ٤١٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٨.

(٣) قاله الحسن، ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٥، ١٦، الكشف والبيان ١٠/ ١١٦، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦.

(٤) قاله مقاتل، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١١٦، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٦.

(٥) قاله ابن مسعود والحسن، ينظر قولهما فِي مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٢٤٣، عين المعاني ورقة ١٤١/ ب.

فصل

عن ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «واللهِ لا يَخْرُجُ من النار مَنْ دَخَلَها حتى يَمْكُثَ فيها أحْقابًا، والحُقْبُ بِضْعٌ وثمانون سنةً، والسَّنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم كألف سنة مما تَعُدُّونَ، فلا يَتَّكِلْ أحَدٌ على أن يخرج من النار، فلو عَلِمَ أهْلُ النار أنَّهُمْ يَلْبَثُونَ في النار عَدَدَ حَصَى الدنيا لَفَرِحُوا، ولو عَلِمَ أهْلُ الجنة أنهم يَلْبَثُونَ في الجنة عَدَدَ حَصَى الدنيا لَحَزِنُوا»(١).

ثم قال تعالى: ﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا﴾ يعني: في جهنم، وقيل: في تلك الأحقاب ﴿بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾﴾ يعني رَوْحًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ حَرِّها، ولا شرابًا بارِدًا يَنْفَعُهُمْ مِنْ عَطَشِها، وقال ابن عباس(٢): يريد النَّوْمَ والماءَ، وكذلك قال ثَعْلَبٌ(٣): البَرْدُ هاهنا: النَّوْمُ، ومن أمثال العرب: مَنَعَ البَرْدُ البَرْدَ، يعني النَّوْمَ؛ أي: أصابني من البَرْدِ ما منعني من النوم، وإنما فُسِّرَ البَرْدُ بالنَّوْمِ لأن الإنسان إذا نامَ بَرَدَ فِي النَّوْمِ. قال الشاعر:

٤٦٠ ـ فَإنْ شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّساءَ سِواكُمُ وَإنْ شِئْتِ لَمْ أطْعَمْ نُقاخًا وَلا بَرْدا(٤)

يعني نومًا.

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١١٦، الوسيط ٤/ ٤١٤.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٤١٤، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٠، وقال نَشْوانُ الحِمْيَرِيُّ: «وعن ابن عباس: أيُّ بَرْدٍ شَرابٌ». شمس العلوم ١/ ٤٧٢.

(٣) قول ثعلب حكاه عنه ابن الأنباري في الأضداد ص ٦٤، والزاهر ١/ ١٩٧، وحكاه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٠٢/ أ.

(٤) البيت من الطويل، لِلْعَرْجِيِّ، ورواية ديوانه: «**أحْرَمْتُ النِّساءَ**... »، ونُسِبَ لعُمَرَ بن أبِي رَبِيعةَ، ونُسِبَ للحارث بن خالد المخزومي.

اللغة: النُّقاخُ: الماء البارد العذب الصافِي الخالص. =

ثم استثنى فقال تعالى: ﴿إِلَّا حَمِيمًا﴾ يعني ماءً حارًّا قد انتهى حَرُّهُ ﴿وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾﴾ قد انتهى بَرْدُهُ، وهو الزَّمْهَرِيرُ، والغَسّاقُ: البَرْدُ الذي يَقْتُلُ[١]، والغَسّاقُ: ما/ سالَ من جُلُودِ الكفار في النار كالصديد[٢]، يقال: غَسَقَتْ عَيْنُهُ؛ أي: سالَتْ. [٢٨٧/ أ]

وقال شَهْرُ بنُ حَوْشَبٍ[٣]: الغَسّاقُ: وادٍ في النار، فيه ثلاثمائة وثلاثون شِعْبًا، في كل شِعْبٍ ثلاثمائة وثلاثون بيتًا، في كل بيت أربع زَوايا، في كل زاوية شجاع كأعظم ما خَلَقَ اللهُ تعالى من الخَلْقِ، في رأس كل شجاع سُمٌّ ـ نعوذ بالله ونلوذ به من ذلك ـ، قرأ حَمْزَةُ والكِسائِيُّ وحَفْصٌ: ﴿غَسّاقًا﴾ بالتشديد، وقرأه الباقون بالتخفيف[٤].

ثم قال: ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾﴾؛ أي: وافَقَ جَزاءُ أعمالهم ذلك العذابَ وِفاقًا،

= التخريج: ديوان العَرْجِيِّ ص ٢٠٦، ديوان عُمَرَ بن أَبِي ربيعة ١/ ٨٦، ديوان الحارث المخزومي ص ١١٧، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٩٧، تهذيب اللغة ١٤/ ١٠٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٣١، مقاييس اللغة ١/ ٢٤٣ ـ ديوان الأدب ١/ ١٠٢، الكشف والبيان ١٠/ ١١٧، الكشاف ٤/ ٢٠٩، شمس العلوم ١/ ٤٧٢، زاد المسير ٢/ ٤٢٠، ٩/ ٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٠، اللسان: برد، نقخ، البحر المحيط ٦/ ٣٨٨، ٨/ ٤٠٥، الدر المصون ٦/ ٤٦٥، اللباب فِي علوم الكتاب ٢٠/ ١٠٦، التاج: نقخ، برد.

(١) قاله ابن عباس وابن مسعود ومجاهد وأبو عمرو بن العلاء، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٨، شفاء الصدور ورقة ٢٠٢/ أ، تهذيب اللغة ١٦/ ١٢٤-١٢٥.

(٢) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٣٨١، وحكاه الطبري عن عكرمة وأَبِي رزين وقتادة في جامع البيان ٣٠/ ١٧، ١٨، وحكاه النقاش عن أَبِي عمرو في شفاء الصدور ورقة ٢٠٢/ أ، وحكاه الأزهري عن ابن الأعرابِيِّ في تهذيب اللغة ١٦/ ١٢٨.

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٢٠٢/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ١١٦.

(٤) وقرأ بالتشديد أيضًا: عاصمٌ في رواية المفضل عنه، وخَلَفٌ والأعمشُ، وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصم بالتخفيف، ينظر: السبعة ص ٥٥٥، ٦٦٨، النشر ٢/ ٣٦١، الإتحاف ٢/ ٤٢٣.

كما تقول: قاتَلَ فُلاَنٌ قِتالًا، ذكره الأخفشُ[١]، وقال الفَرّاءُ[٢]: هو جمع وِفْقٍ. واللِّفْقُ والوِفْقُ واحدٌ، وهما منصوبان على المصدر[٣]، مجازه: جازَيْناهُمْ جَزاءً وِفاقًا وافَقَ أعْمالَهُمُ الخَبِيثَةَ.

ثم أخبر عنهم فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: لا يخافون الحساب، ولا يؤمنون بالبعث ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: كَذَّبُوا بالقرآن تَكْذِيبًا بما فيه من الأمر والنهي، و«فِعّالٌ» من مصادر التَّفْعِيلِ، قال الفَرّاءُ[٤]: وهي لغة فصيحة يَمانِيّةٌ، تقول: كَذَّبْتُ كِذّابًا، وَخَرَّقْتُ القَمِيصَ خِرّاقًا. قيل: نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة وأبي جهل بن هشام.

قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا ﴿٢٩﴾﴾؛ أي: بَيَّنّاهُ في اللَّوْحِ المحفوظ، نظيره قوله: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾[٥]، و﴿كِتَابًا﴾ توكيد لـ«أحْصَيْنا»، وهو منصوب على المصدر؛ لأن ﴿أَحْصَيْنَاهُ﴾ بمعنى: كَتَبْناهُ كِتابًا[٦]، وقيل[٧]: بِنَزْعِ الخافض؛ أي: فِي كتاب، وقيل[٨]: على الحال، وقيل:

---

(١) قال الأخفش: «يقول: وافَقَ أعْمالَهُمْ وِفاقًا، كما تقول: قاتَلَ قِتالاً». معاني القرآن ص ٥٢٥.

(٢) الذي قاله الفراء: «وقوله تعالى: ﴿جَزاءً وِفاقًا﴾ وِفْقًا لأعمالِهِمْ». معاني القرآن ٣/ ٢٢٩.

(٣) ﴿جَزاءً﴾ منصوب على المصدر، أما ﴿وِفاقًا﴾ فهو نعت لـ﴿جَزاءً﴾، وليس منصوبا على المصدر؛ أي: جازَيْناهُمْ جَزاءً مُوافِقًا لأعمالهم، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٣٢.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ٢٢٩.

(٥) يس ١٢.

(٦) قاله الزجاج والنحاس والنقاش، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٤، إعراب القرآن ٥/ ١٣٤، شفاء الصدور ورقة ٢٠٢/ ب، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٢.

(٧) قاله السجاوندي في عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب.

(٨) أي: أحْصَيْناهُ مَكْتُوبًا، قاله الزمخشري والعكبري، ينظر: الكشاف ٤/ ٢١٠، التبيان للعكبري ص ١٢٦٧، وينظر أيضًا: الفريد للهمداني ٤/ ٦١٢، البحر المحيط ٨/ ٤٠٦.

على التفسير، و﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ نصب بإضمار فعل تفسيره ما بعده تقديره: وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْناهُ ﴿فَذُوقُواْ﴾؛ أي: وَيُقالُ لهم: ذُوقُوا جَزاءَ أعمالكم ﴿فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾﴾.

ثم ذكر المتقين وثوابهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾﴾ يعني: سعادة ونجاة من العذاب وَظَفَرًا بما يريدون، يقال: فازَ فُلانٌ بالأمر: إذا ظَفِرَ به، ثم نعت ما لهم من الكرامة فقال: ﴿حَدَآئِقَ﴾ جمع حديقة ﴿وَأَعْنَابًا ﴿٣٢﴾﴾ جمع عِنَبٍ، يعني: أشجار الجنة وثمارها، وقال طاهر بن أحمد[1]: ﴿حَدَآئِقَ﴾ بدل من ﴿مَفَازًا﴾، وهو بَدَلُ نَكِرةٍ من نَكِرةٍ، قال: ومثله من الشعر:

٤٦١ - وَكُنْتُ كَذِي رِجْلَيْنِ: رِجْلٍ صَحِيحةٍ وَرِجْلٍ رَمَى فِيها الزَّمانُ فَشَلَّتِ[2]

﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ مُسْتَوِياتٍ في السِّنِّ، نَواهِدَ قد تكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ، واحدتها: كاعِبٌ/ قال بِشْرُ بنُ أَبِي خازِمٍ[3]: [٢٨٧/ ب]

(١) هذا النص في شرح المقدمة المُحْسبة لطاهر بن أحمد ص ٤٢٥، ومثله في شرحه جمل الزجاجي ١/ ٥٧، وأضاف أيضًا، في شرح الجمل: «وقد يجوز الرفعُ في«رِجْلٍ» على تقدير: مِنْهُما رِجْلٌ، أو إحْداهُما رِجْلٌ». شرح جمل الزجاجي لطاهر بن أحمد ١/ ٦٠.

(٢) البيت من الطويل، لِكُثَيِّرِ عَزّةَ.

التخريج: ديونه ص ٩٩، الكتاب ١/ ٤٣٣، معاني القرآن للفراء ١/ ١٩٢، ٣/ ٢٤٦، مجاز القرآن ١/ ٨٧، المقتضب ٤/ ٢٩٠، جامع البيان ٣/ ٢٦٤، ٣٠/ ١١٥، معاني القرآن وإعرابه ١/ ٣٨١، الجمل للزجاجي ص ٢٤، أماليُّ القالي ٢/ ١٠٨، البصائر والذخائر ٢/ ٢٢١، أماليُّ المرتضى ١/ ٤٦، أماليُّ المرزوقي ص ٣٦١، الحلل ص ٢٦، تاريخ دمشق ٦٩/ ٢١١، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٦٠، ٢/ ١٠٠، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٣٣، شرح الكافية للرضي ٢/ ٤٤١، ارتشاف الضرب ص ١٩٦٤، مغني اللبيب ص ٦١٤، خزانة الأدب ٥/ ٢١١، ٢١٨.

(٣) بِشْرُ بن أَبِي خازِمٍ عَمْرِو بن عوف، أبو نوفل الأسديُّ، شاعر جاهليٌّ فحل من الشجعان، =

٤٦٢ ـ فَهُنَّ رُكُودٌ كالْكَواعِبِ حَوْلَهُ   لَهُـنَّ صَرِيرٌ تَحْتَ ظَلْماءَ حِنْدِسِ[(١)]

قوله: ﴿وَكَأْسًا﴾ يعني: شَـرابًا، وهـو الخَمْـرُ ﴿دِهَاقًا ﴿٣٤﴾﴾ مُتْرَعةً يعني: مَلْأى، وقيـل: مُتَتابعةً، وقيل: صافِيةً ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿لَغْوًا﴾ يعني: باطـلًا من الكـلام ﴿وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾؛ أي: لا يَكْذِبُونَ على شَـرابِهِمْ كما يَكْذِبُ أَهْلُ الدُّنْيا إذا شَرِبُوا.

وقرأ الكِسائِيُّ: ﴿كِذابًا﴾[(٢)] بالتخفيف، قال الفَرّاءُ[(٣)]: وهو حَسَنٌ، المعنى: لا يُكَـذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، قال أبو عبيدة[(٤)]: الكِذابُ مخفف: مصدر المُكاذَبةِ. وقال أبو عَلِيٍّ الفارِسِيُّ[(٥)]: هو مصدر «كَذَبَ» كالكِتابِ في مصدر «كَتَبَ»، قال الأعشى:

= هَجـا أَوْسَ بـن حارثة الطائـيَّ بخمس قصائد، فلما وقع في أَسْـرِهِ مَدَحَـهُ بخمس قصائد أخرى، قُتِلَ في غارة له على بني صَعْصَعةَ بن معاوية سنة ٢٢ قبل الهجرة. [الشعر والشعراء ص ٢٧٦، الأعلام ٢/ ٥٤].

(١) البيت من الطويل، لبشر بن أبي خازم، ورواية ديوانه:

بِتْـنَ رُكُـودًا كالْكَواكِـبِ...

اللغة: الصَّرِيرُ: الصِّياحُ الشديد، حِنْدِسٌ: شديد الظلمة.

التخريج: ديوانه ص ١٠٣، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب.

(٢) تنظر قراءة للكسائي في معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٢٩، السبعة ص ٦٦٩، القرطبي ١٩/ ١٨٤.

(٣) يشير الفَرّاءُ بِهَذا إلى قراءة الكِسائِيِّ: ﴿كِذابًا﴾ بالتخفيف، قال الفراءُ: «وكان الكسائيُّ يُخَفِّفُ ﴿لاَ يَسْـمَعُونَ فِيها لَغْوًا وَلاَ كِذابًا﴾؛ لأنها ليسـت بِمُقَيَّـدةٍ بِفِعْلٍ يُصَيِّرُها مَصْدَرًا، وَيُشَـدِّدُ ﴿وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنا كِذّابًا﴾؛ لأن ﴿كَذَّبُواْ﴾ يُقَيِّدُ الكِذّابَ بالمَصْدَرِ، والذي قال حَسَـنٌ، ومعناه: ﴿لاَ يَسْمَعُونَ فِيها لَغْوًا﴾ يقول: باطِلًا، ﴿وَلا كِذّابًا﴾ لا يُكَذِّبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا». معاني القرآن ٣/ ٢٢٩، وكلام الفراء هذا سيحكيه المؤلف بعد قليل عن الثعلبي.

(٤) مجاز القرآن ٢/ ٢٨٣.

(٥) الحجة للقراء السبعة ٤/ ٩٣.

٤٦٣ ـ وَصدَقْتُها وَكَذَبْتُها والمرْءُ يَنْفَعُهُ كِذابُهْ[(١)]

وإنما خَفَّفَها الكسائيُّ هاهنا لأنها ليست بِمُقَيَّدةٍ بِفِعْلٍ يُصَيِّرُها مَصْدَرًا له، وَشَدَّدَ قَوْلَهُ: ﴿وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا﴾؛ لأن «كَذَّبُوا» يُقَيِّدُ الكلامَ بالمصدر، هكذا ذكره الثعلبيُّ[(٢)].

قوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾ يعني كثيرًا كافيًا وافيًا، يقال: أَحْسَبْتُ فُلاَنًا؛ أي: أَعْطَيْتُهُ ما يكفيه حتى قال: حَسْبِي[(٣)]، قال الشاعر:

٤٦٤ ـ وَنُقْفِي وَلِيدَ الحَيِّ إنْ كانَ جائِعًا وَنُحْسِبُهُ إنْ كانَ لَيْسَ بِجائِعِ[(٤)]

---

(١) البيت من مجزوء الكامل للأعشى، ورواية ديوانه: «فَصَدَقْتُهُ وَكَذَبْتُهُ».
التخريج: ديوانه ص ٢٣٨ (الصبح المنير في شعر أَبِي بَصِيرٍ)، مجاز القرآن ٢/ ٢٨٣، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٤، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٣٥، إعراب القرآن ٥/ ١٣٣، معاني القراءات ٣/ ١١٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢١٩، الكشف والبيان ١٠/ ١١٨، الكشاف ٤/ ٢٠٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، البيان للأنباري ٢/ ٢٧٩، شرح شواهد الإيضاح ص ٦٠٦، زاد المسير ٩/ ١٠، عين المعاني ورقة ١٤١/ ب، الفريد للهمداني ٤/ ٦١٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨١، شرح المفصل ٦/ ٤٤، اللسان: صدق، البحر المحيط ٨/ ٤٠٦، الدر المصون ٦/ ٤٦٦.
(٢) الكشف والبيان ١٠/ ١١٨، وهو كلام الفراء كما سبق.
(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ١٧، ٥١٠، وغريب الحديث ٢/ ٣٤٠، وحكاه الأزهري عن أبي عبيد عن أبي زيد في التهذيب ٤/ ٣٣٤، وينظر: الصحاح ١/ ١١٠، اللسان والتاج: حسب.
(٤) البيت من الطويل لأُمِّ العَبّاسِ القُشَيْرِيّةِ، وَنُسِبَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بن حَسّانَ.
اللغة: القَفِيُّ والقَفِيّةُ: ما يُؤْثَرُ به الصَّبِيُّ والضَّيْفُ مِنَ الطَّعامِ.
التخريج: غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٧، ٥١٠، غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٣٤٠، الاشتقاق ص ٧٤، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٥، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٣٦، مقاييس اللغة ٢/ ٦٠، مجمل اللغة ص ٢٣٣، المخصص ١٤/ ٥٧، الكشف والبيان ١٠/ ١١٨، =

أي: نُعْطِيهِ حَتَّى يقول: حَسْبِي.

ونصب ﴿جَزَآءً﴾ و﴿عَطَآءً﴾ على المصدر[١]، وقيل[٢]: ﴿عَطَآءً﴾ بدل من ﴿جَزَآءً﴾، و﴿جَزَآءً﴾ نصب على الحال. و﴿حِسَابًا﴾ نعت لـ﴿عَطَآءً﴾[٣]، وقيل: هو اسم أُقِيمَ مُقامَ المصدر ومعناه: كافيًا، من قولهم: حَسْبِي كذا؛ أي: كَفانِي، وقيل[٤]: إنه مصدر حَسَبَ لَهُمْ؛ أي: قَدَّرَ لَهُمْ ذَلِكَ.

وقرأ ابن عباس: ﴿جَزاءً مِنْ رَبِّكَ عَطاءً حَسَـنًا﴾ بالنون، وقرأ شُرَيْحُ بن يَزِيدَ: ﴿حِسّابًا﴾[٥] مشددةً مكسورةَ الحاء.

قولـه تعالى: ﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ قرأ أشْـهَبُ العُقَيْلِيُّ وأبو جعفر وَشَيْبَةُ ونافعٌ وأبو عمرو وابن كثير وسلام برفع الباء والنون على الابتداء، وخبره في قوله: ﴿الرَّحْمَنُ﴾[٦]، وقيل[٧]: رفعه على خبر ابتداء محذوفٍ، تقديره:

= أساس البلاغة: قفو، زاد المسير ٢/ ١٨، الأفعال للسرقسطي ١/ ٣٦٥، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٤، اللسان: حسب، قفا، التاج: حسب، قفا.

(١) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٥.

(٢) قال العكبري: «و﴿عَطاءً﴾ اسم للمصدر، وهو بدل من ﴿جَزاءً﴾. التبيان للعكبري ص ١٢٦٧.

(٣) قاله النحاس ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٣٦، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٣.

(٤) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٠٣/ أ.

(٥) قرأ ابن عباس وسِراجٌ: ﴿حَسَنًا﴾، قال ابن خالويه: «وهي في مصحف عبد الله كذلك»، وقرأ شُرَيْحُ بن يَزِيدَ وأبو البَرَهْسَمِ: ﴿حِسّابًا﴾، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٨، شفاء الصدور ورقة ٢٠٣/ أ، البحر المحيط ٨/ ٤٠٧.

(٦) قاله ابنُ الأنباريِّ والنَّحّاسُ والأزهريُّ، ولكن النَّحّاسَ يجعل ﴿رَبُّ﴾ مبتدأً، و﴿الرَّحْمَنُ﴾ نعتـه، والخبر قـوله: ﴿لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطابًـا﴾، ينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ١٢٣، إعراب القرآن ٥/ ١٣٦، معانِي القراءات ٣/ ١١٨.

(٧) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٥، وأجازه النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٣٦، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٢٦٨.

هُوَ رَبُّ، وقرأ ابن عامر ويعقوب وعيسى بن عمر وعاصم كليهما[1] خَفْضًا، وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ وحَمْزةُ والكسائيُّ وخَلَفٌ: ﴿رَبِّ﴾ خفضًا ﴿الرَّحْمَنُ﴾ رفعًا[2]، واختاره أبو عبيد، وقال[3]: هذا أَعْدَلُها عندي، يُخْفَضُ الأَوَّلُ منهما لقربه من قوله: ﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ﴾، فيكون نعتًا له أو بدلًا منه، ويُرْفَعُ «الرَّحْمَنُ»/ [٢٨٨/ أ] لِبُعْدِهِ عنه.

وقوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾ لا يملكون يومئذ مُخاطَبةً بالكلام حتى يأذن الله تعالى لَهُمْ، ثم أَخْبَرَ مَتَى يكون ذلك، فقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ قيل[4]: الرُّوحُ خَلْقٌ من خَلْقِ الله ـ عزّ وجلّ ـ على صُورةِ بني آدم ليسوا بِناسٍ ولا ملائكةٍ، لهم رُؤُوسٌ وَأَيْدٍ، يأكلون الطعام، يقومون صَفًّا والملائكةُ صَفًّا، هؤلاء جُنْدٌ وهؤلاء جُنْدٌ.

وقيل[5]: الرُّوحُ: مَلَكٌ أَعْظَمُ من السماوات ومن الجبال، وَأَعْظَمُ من

---

(١) في الأصل: «كلاهما»، والصواب ما أثبت لأن الضمير يعود على كلمتي ﴿رَبِّ﴾ و﴿الرَّحْمَنِ﴾.

(٢) قرأ برفعهما أيضًا: ابنُ مسعود والحسنُ واليزيديُّ والأعرجُ، وعاصمٌ في رواية المُفَضَّلِ، ويعقوبُ في رواية زَيْدٍ، وقرأهما بالخفض أيضًا: ابنُ مسعود، وابنُ محيصن والأعمشُ بخلاف عنهما، وابنُ أَبِي إسحاق، وقرأ بخفض «رَبِّ» ورفع «الرَّحْمَنُ» أيضًا: ابنُ عباس والحسنُ وابنُ وثاب والأعمشُ، وعاصمٌ في روايةٍ عنه، ينظر: السبعة ص ٦٦٩، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٥، البحر المحيط ٨/ ٤٠٧، الإتحاف ٢/ ٥٨٤.

(٣) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٣٦، الكشف والبيان ١٠/ ١١٩، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٦.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وأبو صالح والأعمش، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٩-٣٠، إعراب القرآن ٥/ ١٣٧، الوسيط ٤/ ٤١٧، زاد المسير ٩/ ١٢، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٧.

(٥) قاله ابن عباس وابن مسعود ومقاتل، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٨، الكشف والبيان ١٠/ ١١٩، زاد المسير ٩/ ١٢، عين المعاني ورقة ١٤١/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٦.

الملائكة، وهو في السماء الرابعة يُسَبِّحُ اللهَ كُلَّ يوم اثنتي عشرة ألف تسبيحة، يخلق الله ـ عزّ وجلّ ـ من كل تسبيحة مَلَكًا، فإذا كان يَوْمُ القيامة قامَ هُوَ وَحْدَهُ صَفًّا، وقامت الملائكة كُلُّهُمْ صَفًّا واحِدًا، فيكون عِظَمُ خَلْقِهِ مثل صُفُوفِهِمْ.

وقيل[1]: الرُّوحُ جبريل عليه السّلام، قال ابن عباس[2]: «إنَّ عَنْ يَمِينِ العَرْشِ نَهَرًا من نُورٍ مثل السماوات السبع والأرَضِينَ السَّبْعِ والبحار السبعة، يدخل جبريل عليه السّلام كُلَّ سَحَرٍ فيه فيغتسل، فَيَزْدادُ نُورًا إلَى نُورِهِ، وَجَمالًا إلَى جَمالِهِ، وَعِظَمًا إلَى عِظَمِهِ، ثم يَنْتَفِضُ فَيُخْرِجُ اللهُ من كل قطرة تقع من رِيشِهِ كذا وكذا ألْفَ مَلَكٍ، يدخل منهم كُلَّ يَوْمٍ سبعون ألْفَ مَلَكٍ البَيْتَ المَعْمُورَ، وفي الكعبة سَبْعُونَ ألْفًا لا يعودون إليه إلَى أن تقوم الساعةُ»، وقيل: هُمْ بَنُو آدَمَ، والله أعلم.

ونصب ﴿صَفًّا﴾ على الحال، ويجوز أن يكون مصدرًا في موضع الحال، وقوله: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ﴾ يعني: الخلق كلهم لا يتكلمون أربعين عاما من الخوف ﴿إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ بالكلام، وهم المؤمنون والملائكة ﴿وَقَالَ﴾ في الدنيا ﴿صَوَابًا ۝٣٨﴾ يعني: قَوْلًا حَقًّا؛ أي: شَهِدَ بالتوحيد، وقال: لا إله إلا الله[3]، ونصب ﴿صَوَابًا﴾ على النعت لمصدر محذوف تقديره: وَقالَ قَوْلًا صَوابًا[4].

---

(١) قاله الضحاك والشعبي وابن جبير، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٩، الكشف والبيان ١٠/ ١١٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٢٨، زاد المسير ٩/ ١٢، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٦.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١١٩، تفسير القرطبي ١٠/ ٨٠، ١٩/ ١٨٦.

(٣) قاله النقاش وأبو عمر الزاهد، ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٠٣/ أ، ياقوتة الصراط ص ٥٥٢.

(٤) والعامل فيه «قال»، قاله المبرد في المقتضب ٤/ ٧٩.

فصل

قال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ[١]: «إن جبريل عليه السّـلام واقِفٌ بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ تُرْعَدُ فَرائِصُهُ، يَخْلُقُ اللهُ تعالى من كل رِعْدةٍ مائةَ أَلْفِ مَلَكٍ، والملائكةُ صُفُـوفٌ بين يدي الله ـ عزّ وجلّ ـ، مُنَكِّسُـو رُؤُوسِـهِمْ، فـإذا أَذِنَ اللهُ لهم في الكلام قالوا: لا إله إلا أنت، وهو قوله: ﴿صَوَابًا﴾، يعني / : لا إله إلا الله. [٢٨٨/ ب]

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾ يعني يوم القيامة، ﴿ذَٰلِكَ﴾ مبتدأ به، و﴿ٱلْيَوْمُ﴾ خبره، و﴿ٱلْحَقُّ﴾ نعته، والحق هو الذي لا ظُلْمَ فيه ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾ يعني: مَرْجِعًا يَؤُوبُ فيه إِلَى خَيْرٍ، ويرجع إليه بالأعمال الصالحة.

ثـم خـوَّفَ كُفّارَ مكـة، فقـال تعالـى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَـٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا﴾ يعني العذاب في الآخرة، وَكُلُّ ما هو آتٍ قَرِيبٌ، ونصب ﴿عَذَابًا﴾ بِنَزْعِ حرف الصفة، تقديره: بعذاب قريب[٢]، ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ من خيرٍ وشَرٍّ، ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ فلم أُبْعَثْ وَلَمْ أُحاسَـبْ، وذلك يومَ القيامة، «يَحْشُرُ اللهُ تعالى الخَلائِقَ والدَّوابَّ والوَحْشَ والبَهائِمَ، ثم يَجْعَلُ القِصاصَ بَيْنَ الدَّوابِّ حتـى تَقْتَصَّ الجَمّاءُ من القَرْناءِ فَتَنْطَحُها، فإذا فَرَغَ اللهُ تعالى من القِصاصِ بَيْنَها قال لها الجَبّارُ: كُونِي تُرابًا، فعند ذلك يقول الكافرُ: ﴿يَـٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾[٣].

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١١٩، مجمع البيان ١٠/ ٢٤٨، تفسير القرطبي ١٧/ ٢،١٩/ ١٨٧.

(٢) الفعل «أَنْذَرَ» يتعدى بنفسـه إِلَى مفعولين، قال الفارابِيُّ: «وَأَنْذَرَهُ الشَّـيْءَ؛ أي: خَوَّفَهُ إيّاهُ». ديوان الأدب ٢/ ٣٠٠، وقال الأزهريُّ: «يقال: أَنْذَرْتُ القَوْمَ مَسِـيرَ عَدُوِّهِمْ إليهم فَنَذِرُوا، أي: أَعْلَمْتُهُمْ ذلك فَنَذِرُوا؛ أي: عَلِمُوا فَتَحَرَّزُوا». التهذيب ١٤/ ٤٢١، وعلى هذا فلا معنى لقول الجبلي هنا: إن «عَذابًا» منصوب بِنَزْعِ حرف الصفة، وإنما هو مفعول ثانٍ.

(٣) حديث القِصاصِ بين الدَّوابِّ رواه الحاكم بسـنده عن أبي هريرة وعبد الله بن عمرو في =

والكافر هاهنا اسـم للجنس، ولهذا عُرِّفَ بالألف واللام، تقول العرب: أَهْلَكَ النّاسَ الدِّينارُ والدِّرْهَمُ، ويريدون به الجِنْسَ، وقال الثعلبيُّ[١]: سـمعت أبا القاسم بن حبيب[٢] يقول: رأيتُ فِي بعض التفاسير أن الكافر هاهنا إبليسُ ـ لعنه الله ـ، وكذلك قال صاحب «إنسـان العيـن»[٣]، وذلك أنه عابَ آدَمَ بأنه خُلِـقَ من التراب، وافتخر بأنه خُلِقَ من النـار، فإذا عايَنَ يَوْمَ القيامة ما فيه آدَمُ وَبَنُوهُ المؤمنون من الثواب والنعمة والراحة والرحمة، وما هو فيه من الشـدة والعـذاب والنِّقْمةِ، تَمَنَّى مَكانَ آدَمَ، فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾، قال أبو هريرة: «فيقول التُّرابُ لِلْكافِرِ: لَا، وَلَا كَرامةَ لَكَ مِنْ جَعْلِكَ مِثْلِي»[٤].

واختلفـوا في مؤمنـي الجِنِّ، فقال اللَّيْـثُ بن أَبِي سُـلَيْمٍ: مؤمنو الجِنِّ يَعُـودُونَ تُرابًا، وقال عُمَرُ بن عبد العزيز: مؤمنو الجِـنِّ حَوْلَ الجَنّةِ في رَبَضٍ وَرِحابٍ، وليسـوا فيها، وقال الضَّحّاكُ: مؤمنو الجِنِّ يدخلون الجنة، ويأكلون ويشربون، وقد تقدم ذِكْرُ الخِلاَفِ في سورة الأحقاف[٥]، والله أعلم.

* * *

= المسـتدرك ٢/ ٣١٦ كتاب التفسير: سـورة الأنعام، ٤/ ٥٧٥ كتاب الأهوال: باب جَعْلِ الله القصاص بين الدواب، وينظر: جامع البيان ٧/ ٢٤٨، ٣٠/ ٣٣، الكشف والبيان ١٠/ ١٢٠، تفسير القرطبي ١٩/ ١٨٩.

(١) الكشف والبيان ١٠/ ١٢١.

(٢) هو أبو القاسم الحَبِيبِيُّ، وقد تقدمت ترجمته ص ٤٧٨.

(٣) عين المعاني ورقة ١٤١/ ب.

(٤) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٠٣/ ب، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب.

(٥) تقدم هذا الخلاف فِي سورة الأحقاف ٣/ ٦٠ وينظر أيضًا: تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٠.

سورة النازعات

مكية

وهي سبعمائة وثلاثة وخمسون حرفًا، ومائة وسبعون كلمةً، وست وأربعون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ / بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ [٢٨٩/ أ] سُورةَ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ هَوَّنَ اللهُ عَلَيْهِ نَزْعَهُ عِنْدَ مَوْتِهِ، وَلَمْ تَكُنْ مُدّةُ حِسابِهِ فِي الآخِرةِ إلَّا مِقْدارَ أداءِ الصَّلاةِ فِي الدُّنْيا، ثُمَّ يَبْعَثُهُ اللهُ إلَى الجَنّةِ»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ النّازِعاتِ نَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِهِ الحَسَدَ والغِلَّ والفَقْرَ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ يعني الملائكة تَنْزِعُ أرْواحَ الكُفّارِ عن أبدانهم، وأراد بِالإغْراقِ المُبالَغةَ كما يُغْرِقُ النّازِعُ في القَوْسِ لِيَبْلُغَ

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٤١٨، مجمع البيان ١٠/ ٢٥٠، عين المعاني ورقة ١٤١/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

بِها غايةَ المَدِّ[١]، والغَرْقُ اسم أُقِيمَ مُقامَ الإغْراقِ ﴿وَٱلنَّـٰشِطَـٰتِ نَشْطًا ۝٢﴾ يعني الملائكــة أيضًا يَنْشِــطُونَ رُوحَ الكافِرِ مِنْ قَدَمَيْهِ إلَى حَلْقِهِ نَشْــطًا، كما يُنْشَــطُ الصُّوفُ المَبْلُولُ مِنْ سَــفُّودِ الحَدِيدِ، والنَّشْــطُ: الجَذْبُ، يقال: نَشَطْتُ الدَّلْوَ نَشْطًا: إذا نَزَعْتُها[٢].

وقال عَلِيٌّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ[٣]: «هي الملائكةُ تَنْشِطُ أرْواحَ الكُفّارِ ما بين الجِلْـدِ والأظْفارِ حَتَّى تُخْرِجَها مِنْ أجْوافِها بِالكَرْبِ والغَمِّ»، والهُمُومُ تَنْشِـطُ بِصاحِبِها[٤]. قال الشاعر:

٤٦٥ ـ أمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَناشِطا
الشّـامَ بِـي طَـوْرًا وَطَـوْرًا واسِـطا[٥]

---

(١) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٢، وحكاه الأزهري عن الفراء في تهذيب اللغة ٢/ ١٤٢، ١٦/ ١٣٤، وينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٢٢، الوسيط ٤/ ٤١٨.

(٢) قالــه النقاش والأزهري، ينظر: شـفاء الصـدور ورقة ٢٠٤/ أ، تهذيـب اللغة ١١/ ٣١٤، وينظر أيضًا: الوسيط للواحدي ٤/ ٤١٨.

(٣) ينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٢٣، مجمع البيان ١٠/ ٢٥٢، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٩٢، الدر المنثور ٦/ ٣١٠.

(٤) قال الأزهري: «قال الأخفشُ: الحِمارُ يَنْشِـطُ من بَلَدٍ إلَى بَلَدٍ، والهُمُومُ تَنْشِـطُ بِصاحِبِها». تَهذيب اللغة ١١/ ٣١٣.

(٥) البيتان من الرجز المشطور، لِهِمْيانَ بنِ قُحافةَ، ويُرْوَى الأول: «**أرَى هُمُومِي**».
اللغة: واسِطٌ: موضع بين البصرة والكوفة.
التخريج: مجاز القرآن ٢/ ٢٨٤، جامع البيان ٣٠/ ٣٨، إعراب القرآن ٥/ ١٤٠، التهذيب ١١/ ٣١٤، إعـراب القـراءات السـبع ٢/ ٤٣٤، الصحـاح ص ١١٦٤، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٠، التبيان للطوسي ١٠/ ٢٥٢، مجمع البيان ١٠/ ٢٥١، زاد المسير ٩/ ١٦، عين =

وقيل: إنَّها تَنْشِطُ أرْواحَ المؤمنين؛ أي: تَحُلُّ حَلًّا رَفِيقًا، كما يُنْشَطُ العِقالُ مِنْ يَدِ البَعِيرِ؛ أي: يُحَلُّ حَلًّا بِرِفْقٍ، ذكره الغَزْنَوِيُّ، وَرَوَى ذلك عن ابن عباس[1]، وقيل[2]: الناشطات: كلاب في النار تَنْشِطُ لُحُومَ الكفار.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝٣﴾ قال عَلِيٌّ عليه السّلام[3]: «هي الملائكة تَسْبَحُ بِرُوحِ المُؤْمِنِ في السماوات لا تُحْجَبُ رُوحُهُ من السماء حتى يَبْلُغَ المَلَكُ عند العَرْشِ عند سِدْرةِ المُنْتَهَى، عندها مَأْوَى أرْواحِ المؤمنين».

وقال الكلبيُّ[4]: هم الملائكة يَقْبِضُونَ أرْواحَ المؤمنين، يَسُلُّونَها سَلًّا رَفِيقًا، ثُمَّ يَدَعُونَها حَتَّى تَسْتَرِيحَ كالسّابِحِ في الماء بالشيءِ يَرْفُقُ به.

وقيل[5]: هم الملائكة يَنْزِلُونَ من السماء مُسْرِعِينَ كالفَرَسِ الجَوادِ السّابِحِ، يقال لِلْفَرَسِ الجَوادِ: سابِحٌ: إذا أَسْرَعَ فِي جَرْيِهِ.

= المعانِي ورقة ١٤١/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٢، اللسان: نشط، البحر المحيط ٨/ ٤٠٩، الدر المصون ٦/ ٤٧٠، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٢٢، التاج: نشط، روح المعانِي ٣٠/ ٢٤.

(١) حكاه الغزنوي عن ابن عباس في عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب.

(٢) رُوِيَ في هذا المعنى حديثٌ موضوع عن معاذ عن النبي ﷺ، ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ١٥٩، وينظر: الدر المنثور ٦/ ٣١١، فتح القدير ٥/ ٣٧٧.

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٠٤/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ١٢٣، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣، الدر المنثور ٦/ ٣١٠.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٢١، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.

(٥) قاله مجاهد والفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٠، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٢، جامع البيان ٣٠/ ٣٩، تهذيب اللغة ٤/ ٣٣٨، الكشف والبيان ١٠/ ١٢٣، زاد المسير ٩/ ١٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.

[٢٨٩/ ب] وقال قتادة[١]: هي النُّجُومُ والشَّـمْسُ والقَمَرُ، قال الله تعالى / : ﴿ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾[٢]، وقال عَطاءٌ[٣]: هي السُّفُنُ تَسْبَحُ في الماءِ سَبْحًا.

﴿ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقًا ۝٤ ﴾ قيـل[٤]: هـي الملائكـة سَـبَقَتِ ابـنَ آدَمَ بِالخَيْرِ والعَمَلِ الصّالِحِ، وقيل[٥]: إنَّها تَسْبِقُ بأرواح المؤمنين إلَى الجنة.

وقيل[٦]: لأنها تَسْـبِقُ كُلَّ شَيْءٍ في السَّيْرِ؛ لأنها تَنْزِلُ من السماء وتصعد في يومٍ واحدٍ مِقْدارَ أَلْفِ سَنةٍ، وهي تَسْبِقُ الرِّيحَ.

وقيل[٧]: إنَّها رُوحُ المؤمن تَسْـبِقُ إلَـى مَلَكِ الموت، تُبادِرُ الخُرُوجَ إليه شَوْقًا إلَى الله تعالى وَكَرامَتِهِ، وَشَوْقًا إلَى الجنة، وقال العَزِيزِيُّ[٨]: هي الملائكة تَسْبِقُ الشَّياطِينَ بِالوَحْيِ إلَى الأنبياء، إذْ كانت الشياطينُ تَسْتَرِقُ السَّمْعَ.

---

(١) ينظـر قوله في جامـع البيان ٣٠/ ٣٩، معانـي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٧- ٢٧٨، الكشـف والبيان ١٠/ ١٢٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، زاد المسير ٩/ ١٦.

(٢) الأنبياء ٣٣.

(٣) ينظـر قولـه في جامع البيان ٣٠/ ٣٩، شـفاء الصدور ورقـة ٢٠٤/ أ، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، زاد المسير ٩/ ١٦، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.

(٤) قاله الحسـن ومجاهد وأبو روق، ينظر: الوسـيط ٤/ ٤١٨، زاد المسـير ٩/ ١٧، تفسـير القرطبي ١٩/ ١٩٣.

(٥) قاله مجاهد ومقاتل وأبو روق، ينظر: شـفاء الصدور ورقة ٢٠٤/ أ، زاد المسـير ٩/ ١٧، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.

(٦) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ٢٠٤/ أ، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٢٢، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب.

(٧) قاله ابن مسعود، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٢٢، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣١، عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٣.

(٨) يعني أبا بكر العَزِيزِيَّ السجستانِيَّ، ينظر: غريب القرآن له ص ١٧٢.

﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ يعنـي جبريل وميكائيل ومَلَكَ الموت وإسـرافيلَ، يُدَبِّـرُونَ أَمْرَ الله ـ عزّ وجلّ ـ في أهل الأرض، قال عبد الرحمن بن سـابِطٍ[١]: يُدَبِّـرُ أَمْرَ الدنيا أَرْبَعةُ أَمْلاَكٍ: جِبْرِيلُ وميكائيلُ وَمَلَكُ الموت وَإِسْـرافِيلُ، فأما جبريل فَوُكِّلَ بِالرِّياحِ والجُنُودِ، وأما ميكائيل فَوُكِّلَ بِالقَطْرِ والنَّباتِ، وأما مَلَكُ الموت فَوُكِّلَ بِقَبْضِ الأَنْفُسِ، فأما إسرافيل فهو يَنْزِلُ عليهم بالأمر[٢].

ومن أَوَّلِ السـورة إِلَى هنا أَقْسـامٌ أَقْسَـمَ الله تعالى بها، وله أن يُقْسِمَ بِما شاء مِنْ خَلْقِهِ، وجوابها محذوف مضمر مجازه: لَـتُبْعَثُنَّ وَلَـتُحاسَبُنَّ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾، وهو قول بعض نحاة الكوفة[٣].

وقـال بعض نُحاةِ البصرة[٤]: جوابهـا قوله تعالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن

---

(١) ويقال: عبد الرحمن بن عبد الله بن سابط بن أَبِي حُمَيْضَةَ بن عمرو الجُمَحِيُّ القُرَشِيُّ، تابِعِيٌّ أَرْسَلَ عن النبِيِّ ﷺ، رَوَى عن أنس وجابر بن عبد الله وأبيه سابط الجمحي وغيرهم، وكان ثقةً كثيرَ الحديث، توفِّي سـنة (١١٨هـ). [التاريـخ الكبير ٥/ ٢٩٤، الثقات ٥/ ٩٢-٩٣، تهذيب الكمال ١٧/ ١٢٣-١٢٧].

(٢) ينظر قول عبد الرحمن بن سابط في الكشف والبيان ١٠/ ١٢٤، الوسيط للواحدي ٤/ ٤١٨، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٤.

(٣) هـو الفراء، قالـه في معاني القرآن ٣/ ٢٣١، وهو أيضًا، قول ابـن الأنباري من الكوفيين، قاله في إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٦٤، واختاره الزَّجّاجُ والنَّحّاسُ ومَكِّيٌّ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٨، إعراب القرآن ٥/ ١٤١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٤.

(٤) هـو الأخفـش، قاله فـي معانِـي القـرآن ص ٥٢٦، وحكاه السـجاوندي عـن أَبِي حاتم السجسـتانِي في عين المعانِي ورقة ١٤١/ ب، قال ابن الأنباري: «وهذا قبيح؛ لأن الكلام قـد طال فيما بينهما». إيضاح الوقف والابتـداء ص ٩٦٥، وينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٤١.

﴿يَخۡشَىٰٓ﴾(١) وما بعدها(٢) منصوب على المصدر، وقيل(٣): قوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ مفعول به، وقيل(٤): هو منصوب بِنَزْعِ حرف الجر؛ أي: بِأمْرٍ، حُذفت الباء فتعدى الفعل، وأنشد سيبويه(٥):

أمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وَذا نَشَبِ(٦)

وقيل(٧): نصب ﴿غَرۡقٗا﴾ على الحال، وهو اسم للمصدر.

وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦﴾؛ أي: تَضْطَرِبُ الأرضُ وَتُزَلْزَلُ الجِبالُ، وإنما سُمِّيَت الأراجِيفُ لاضْطِرابِ الأصْواتِ بِها(٨)، والرّاجِفةُ هي الصيحة الأُولَى ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ وهي النفخة الثانية، بينهما أربعون سنة ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ۝٨﴾؛ أي: قَلِقةٌ شَدِيدةُ الاضطراب مِنْ خَوْفِ ذلك اليومِ، يقال: وَجَفَ قَلْبُهُ وَجْفًا مِنْ شِدّةِ الحَرَكةِ، وكذلك الوَجِيفُ فِي/ [٢٩٠/ أ] السَّيْرِ سُمِّيَ بذلك لِشِدّةِ هَزِّهِ واضْطِرابِهِ(٩)، ويقال: وَجَفَ الرَّجُلُ وَأوْجَفَ:

---

(١) النازعات ٢٦.

(٢) يعني ما بعد «النّازِعاتِ» وما عُطف عليه، وهو «غَرْقًا» و«نَشْطًا» و«سَبْحًا» و«سَبْقًا» و«أمْرًا»، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٣٩، ١٤٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٤.

(٣) قالـه مَكِّيٌّ والأنباري والعكبري، ينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٤، البيان للأنباري ٢/ ٤٩٢، التبيان للعكبري ص ١٢٦٩.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٤٠، وذكره مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٤، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٩٢.

(٥) الكتاب ١/ ٣٧.

(٦) تقدم برقم ١٠٨، ٢/ ٢٢.

(٧) أي: ذوات إغراق، ذكره السمين في الدر المصون ٦/ ٤٧٠.

(٨) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٠٤/ ب.

(٩) قاله السجستانِيُّ في غريب القرآن ص ١٧٢.

إذا أَكْثَرَ السَّـيْرَ، وَوَجَفَ القَلْبُ فهو يَجِفُ وَجِيفًا: إذا اضْطَرَبَ.

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩﴾ يعني: أَبْصارُ تِلْكَ القُلُوبِ الواجِفةِ خاشِعةٌ ذَلِيلةٌ خاضِعةٌ، قَدْ نَكَسُوا رُؤوسَهُمْ، وَخَفَضُوا أَبْصارَهُمْ عند رؤية النار ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠﴾؛ أي: نُـرَدُّ إِلَـى أَوَّلِ أَمْرِنا في الدنيـا، ومعنى الرَّدِّ في الحافِرةِ: الرُّجُوعُ في الطريق الأَوَّلِ، تقول العرب: أَتَيْتُ فُلَانًا ثُمَّ رَجَعْتُ على حافِرَتِي أي: رَجَعْتُ مِنْ حَيْثُ جِئْتُ[1]، وهي «فاعِلةٌ» بمعنى «مَفْعُولةٍ»، كقوله تعالى: ﴿مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾[2]؛ أي: مَدْفُوقٍ، وهو استفهام إنكار، أنكروا البعثَ بعد الموت، وقالوا: نُرَدُّ إِلَى الدنيا وَنَصِيرُ أَحْياءً كما كُنّا؟ قال الشاعر:

٤٦٦ ـ آلَيْـتُ لاَ أَنْسـاكُمُ، فاعْلَمُوا ... حَتَّـى يُـرَدَّ النّاسُ فِـي الحافِـرَهْ[3]

والحافِرةُ عند العرب اسـمٌ لأَوَّلِ الشَّيْءِ وابتداءِ الأَمْرِ، ومعنى الآية: أَإِنّا لَمَرْدُودُونَ إِلَى الأَرْضِ فَنُبْعَثَ خَلْقًا جَدِيدًا؟

---

(١) قالـه الفراء وأبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٢، مجاز القرآن ٢٨٤، غريـب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٣، وينظر: معانِـي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٧٨، تهذيب اللغة ٥/ ١٧، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٢.

(٢) سـورة الطارق الآية ٦، وهذا قـول مجاهد والخليل والفراء وثعلب، ينظـر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٢، مجالس ثعلب ص ٥٥٦، جامع البيان ٣٠/ ٤٤، الزاهر ١/ ٣٦٠، إعراب القرآن ٥/ ١٤١، التهذيب ٥/ ١٧، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٢، زاد المسير ٩/ ١٨، القرطبي ١٩/ ١٩٧، اللسان: حفر.

(٣) البيت من السريع، لَمْ أقف على قائله.

التخريـج: الكشـف والبيـان ١٠/ ١٢٥، تفسـير القرطبـي ١٩/ ١٩٧، البحـر المحيط ٨/ ٤١٣، الـدر المصـون ٦/ ٤٧٢، اللبـاب في علوم الكتـاب ٢٠/ ١٣٠، فتح القدير ٥/ ٣٧٤.

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ١١﴾ يعني: بالِيةً، يقال[١]: النَّخِرةُ: البالِيةُ، والنّاخِرُ: العَظْمُ المُجَوَّفُ الـذي تَمُرُّ فيه الرِّيحُ فَتَنْخَرُهُ، يقال: نَخِرَ العَظْمُ يَنْخَرُ فهو ناخِرٌ وَنَخِـرٌ: إذا بَلِيَ وَتَفَتَّتَ، قـال الأخفشُ[٢]: هُما لغتان أَيُّهُما قَرَأْتَ فَحَسَـنٌ، قرأ أهـلُ الكوفة إلّا حَفْصًا، وَرُوَيْسٌ عن يعقـوبَ: «ناخِرةً» بألف، وهي قراءة عُمَرَ ابن الخطـاب[٣] وابْنِـهِ وابنِ عَبّاسٍ وابنِ الزُّبَيْرِ وابنِ مَسْـعُودٍ وأصحابِهِ ـ رضي الله عنهـم ـ، واختاره الفَرّاءُ[٤] وابنُ جَرِيـرٍ[٥] لِوِفاقِ رُؤُوسِ الآيِ، وقرأ الباقون: ﴿نَّخِرَةً﴾[٦] بغير أَلِفٍ، وهي اختيار أَبِي عبيد وأَبِي حاتم[٧].

---

(١) هـذا القول حكاه الفراء عن بعض المفسـرين في معاني القـرآن ٣/ ٢٣٢، وينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٣٥، الكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٦١.

(٢) قول الأخفش ذكره الفارسـي في الحجة ٤/ ٩٥، غير أن الأخفش قال أيضًا: «ناخِرةً» أكثر فيمـا جاء عن الصحابة، وأمـا «نَخِرةً» فقراءة الناس اليومَ وَكَثِيرٍ مـن التابعين، وهي أَعْرَفُ اليومَ في كل العرب، وهما لغتان أَيُّهُما قَرَأْتَ فَحَسَـنٌ». الحجة للفارسـي ٤/ ٩٥، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤١٩.

(٣) روى الطبرانِيُّ ذلك في المعجم الكبير ١٢/ ٢٠٨، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٧/ ١٣٣ كتاب التفسير: سورة «والنازعات».

(٤) قال الفراء: «و«ناخِرةً» أجود الوجهين في القراءة؛ لأن الآيات بِالألِف، ألا ترى أن «ناخِرةً» مع «الحافرة» و«الساهرة» أَشْبَهُ بِمَجِيءِ التنزيل»؟ معانِي القرآن ٣/ ٢٣١.

(٥) جامع البيان ٣٠/ ٤٥، وإن كان الطبري يرى أن «نَخِرةً» أفصح من «ناخِرةً».

(٦) قرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرو وابنُ عامر، وَحَفْصٌ والمُفَضَّلُ وأبانُ ثلاثتُهُم عن عاصم، وأبو رجاءٍ والحسنُ والأعرجُ وأبو جعفر وَشَيْبةُ والسُّلَمِيُّ وابنُ جُبَيْرٍ والنَّخْعِيُّ وقتادةُ وابنُ وَثّابٍ وَشِـبْلٌ: ﴿نَخِرةً﴾ بغير ألف، وقرأ الباقون، وأبو بكر عن عاصمٍ: «ناخِرةً» بألف، وَرَوَى أبو عُمَرَ الدُّورِيُّ عن الكسائي أنه كان لا يُبالِي كيف قرأها، بألف أم بغير ألف، ينظر: السبعة ص ٦٧٠، ٦٧١، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٧، البحر المحيط ٨/ ٤١٣.

(٧) ينظـر اختيارهما في الكشـف والبيـان ١٠/ ١٢٥، ولكن الفارسـي ذكر أن أبـا عبيد قرأ: ﴿ناخِرةً﴾ بالألف، ينظر: الحجة للفارسي ٤/ ٩٥.

وهمـا لغتان فـي قول أكثر أهل اللسـان، مثل الطَّمِعِ والطّامِـعِ والبَخِلِ والباخِلِ والفَرِهِ والفارِهِ والحَذِرِ والحاذِرِ[(١)].

وَفَرَّقَ قَـوْمٌ بينهمـا، فقالوا[(٢)]: النَّخِـرةُ: البالِيـةُ، والنّاخِـرةُ: المُجَوَّفةُ، والمعنى: أإنّـا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافِرةِ؟ أي: فِي خَلْقِنـا الأوَّلِ خَلْقًا جديدًا إذا كُنّا عِظامًا نَخِرةً.

﴿قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢﴾؛ أي: غَيْـرُ كائِنةٍ، أي: لا رَجْعةَ إِلَى الحياة بعـد المـوت، و﴿تِلْكَ﴾ ابتـداء، و﴿كَرَّةٌ﴾ خبـره، و﴿إِذًا﴾ بمعنـى: إذا كانَ كَذَلِكَ، قُلِبَتْ أَلِفُها نُونًا لِتَدُلَّ على المحذوف بعدها، وهو نصب على الظرف، و﴿خَاسِرَةٌ﴾ نعت ﴿كَرَّةٌ﴾، ومعنى خاسِـرة؛ أي: إنْ رُدِدْنا بعد الموت لَنَخْسَرَنَّ بِما يُصِيبُنا بعد الموت مِمّا يقول محمدٌ.

ثم أعْلَمَ اللهُ سُـهُولةَ البعث عليه، فقال تعالى تكذيبًا لهم: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ / وَٰحِدَةٌ ۝١٣﴾ يعني: صَيْحةٌ واحِدةٌ، وهي النفخة الثانية يُصاحُ فيهم ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤﴾ واختلفوا فيها، فقيل[(٣)]: السّاهِرةُ: وَجْهُ الأرض، وسُمِّيَتْ ساهِرةً لأن فيها

---

(١) ممن يرى أنهما لغتان بمعنى واحد: الفراء وأبو عبيدة والأخفش وابن خالويه والفارسـي، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣١-٢٣٢، مجاز القرآن ٢/ ٢٨٤، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٣٥، الحجة للفارسي ٤/ ٩٥.

(٢) سبق ما حكاه الفراء عن بعض المفسرين في التفريق بينهما، وممن فَرَّقَ بينهما أيضًا: الزَّجّاجُ وابن دريد والأزهريُّ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٧٩، جمهرة اللغة ١/ ٥٩٣، معانِي القراءات ٣/ ١١٩، تهذيب اللغة ٧/ ٣٤٥، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ٢٠٥/ أ.

(٣) قاله ابن عباس وعكرمة والحسـن وقتادة والضحاك وابن جبير وابن زيد والفراء والطبري، ينظـر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٢، جامع البيان ٣٠/ ٤٦-٤٨، تهذيب اللغة ٦/ ١٢١، زاد المسير ٩/ ٢٠، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٨-١٩٩.

سَهَرَهُمْ وَنَوْمَهُمْ، وأصلها: مَسْهُورةٌ وَمَسْهُورٌ فيها، فَصُرِفَتْ من «مَفْعُولةٍ» إلَى «فاعِلةٍ» كما قيل: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾[1]؛ أي: مَرْضِيّة.

وقيل[2]: السّاهِرةُ: أرض القيامة؛ لأنهم يَسْهَرُونَ عليها، فلا يَنامُونَ لِتَصاعُبِ الشُّغُلِ في القِيامةِ، وقيل[3]: هي أرض بالشام، وقيل: هي جهنم، وقيل[4]: السّاهِرةُ في كلام العرب: الأرض الواسعة المَخُوفةُ التي يُسْهَرُ فيها من الخوف، وقيل[5]: السّاهِرةُ: جَبَلٌ عند بيت المَقْدِسِ، وقيل: هي فوق الأرض، وقال ابن عباس[6]: السّاهِرةُ: أرض مكة، قال الشاعر:

٤٦٧ ـ وَفِيها صَيْدُ ساهِرةٍ وَبَحْرٍ

تَمامُهُ:

وَما فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ[7]

أي: لَحْمُ البَرِّ والبَحْرِ.

---

(١) الحاقة ٢١، القارعة ٧.

(٢) حكاه ياقوت عن ابن عباس فِي معجم البلدان ٣/ ٢٠٢، وينظر: غريب القرآن للسجستانِي ص ١٧٢، تفسير القرطبي ١٩/ ١٩٩.

(٣) قاله عثمان بن أبي العاتكة وسفيان الثوري، ينظر: زاد المسير ٩/ ٢٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٠.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٤٢.

(٥) قاله وهب بن منبه، ينظر: معجم البلدان ٣/ ٢٠٢، زاد المسير ٩/ ٢٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٠.

(٦) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٢٠٥/ أ، البحر المحيط ٨/ ٤١٣.

(٧) البيت من الوافر، لأُمَيّةَ بن أَبِي الصَّلْتِ يَذْكُرُ الجَنّةَ، ورواية ديوانه: «**وَفِيها لَحْمُ ساهِرةٍ**»، والساهرة هنا: الأرض. =

قوله تعالى في قصة فرعون وموسى: ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ يعني موسى عليه السّلام، أرَى فِرْعَوْنَ العَصَى واليَدَ البَيْضاءَ، لها شُعاعٌ كَشُعاع الشَّمْسِ يغشى البصرَ، وهي أكبر الاثنتين ﴿فَكَذَّبَ﴾ بأنها من الله ﴿وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾ نَبِيَّهُ فَلَمْ يُطِعْهُ، ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: أعْرَضَ عن الإيمان، وَسَعَى في الأرض بالفساد.

﴿فَحَشَرَ﴾؛ أي: جَمَعَ قَوْمَهُ وَجُنُودَهُ ﴿فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ لَمّا اجْتَمَعُوا حَوْلَهُ ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: لا رَبَّ فَوْقِي، كَذَبَ - واللهِ - عَدُوُّ اللهِ، ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾﴾ أراد بالآخرة والأُولَى كَلِمَتَيْ فِرْعَوْنَ حين قال في الأُولَى: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾[1]، والأُخْرَى قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وكان بينهما أربعون سنةً، وقيل: عاقَبَهُ اللهُ في الدنيا في الأُولَى بالغَرَقِ، وفي الآخرة بالنار.

و﴿نَكَالَ﴾ مصدرٌ؛ لأن معنى قوله: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ﴾؛ أي: نَكَّلَ به، فجعل ﴿نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ مصدرًا من معناه، لا من لفظه، كأنه قال: أخَذَهُ الله أخْذًا[2]،

= **التخريج**: ديوانه ص ١٢١، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٢١، ٣/ ٢٣٢، مجاز القرآن ٢/ ٢٨٥، الفاضل للمبرد ص ١٠، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٣، سر صناعة الإعراب ص ٤١٥، مقاييس اللغة ٣/ ١٠٩، جمهرة أشعار العرب ص ٢٤، الكشف والبيان ١٠/ ١٢٦، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٣، التبيان للطوسي ١٠/ ٢٥٤، مجمع البيان ١٠/ ٢٥٢، عين المعانِي ١٤٢/ أ، تفسير القرطبي ١/ ٢٥، ١٩/ ١٩٩، اللسان: سهر، فوه، البحر المحيط ٨/ ٤١٠، ارتشاف الضرب ص ١٢٩٨، الدر المصون ٦/ ٤٧٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٣٤، الدر المنثور ٦/ ٣١٢، همع الهوامع ٣/ ٢٠٤، خزانة الأدب ٤/ ٤٩٤.

(١) القصص ٣٨.

(٢) قاله الفراء والأخفش والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٣، معانِي القرآن للأخفش ص ٥٢٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٠، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٤٩٣، التبيان للعكبري ص ١٢٦٩.

وقيل[١]: هو نصب بِنَزْعِ حرف الصفة، وقيل[٢]: هو مفعول من أجله، وقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ يعني: الذي فعل بفرعون حين كَذَّبَ وَعَصَى ﴿لَعِبْرَةً﴾؛ أي: عِظَةً ﴿لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ الله.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: «قال موسى: يا رَبِّ أَمْهَلْتَ فِرْعَوْنَ أربعمائة سنة وهو يقول: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾، وَيُكَذِّبُ آياتِكَ، وَيَجْحَدُ رُسُلَكَ، فأوحى الله تعالى إليه: «يا مُوسَى إِنَّهُ كان حَسَنَ الخُلُقِ سَهْلَ / الحِجابِ، فَأَحْبَبْتُ أَنْ أُكافِئَهُ»[٣]. [٢٩١/ أ]

ثم خاطَبَ منكري البعث، فقال تعالى: ﴿ءَأَنتُمْ﴾ يعني كفار مكة ﴿أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: رَفَعَها، فقال لها: كُونِي فكانت، وكل شيء ارتفع فوق شيءٍ فهو بِناءٌ، وهو استفهام تقرير، ورفع ﴿ٱلسَّمَآءُ﴾ عطفًا على ﴿أَشَدُّ﴾ بـ ﴿أَمِ﴾، والتقدير: أَخَلْقُكُمْ بعد الموت أَشَدُّ عِنْدَكُمْ أم السَّماءُ في تَقْدِيرِكُمْ؟ وَهُما في قُدْرةِ الله واحِدٌ، فَإِنَّ الذي قَدَرَ على خَلْقِ السماء قادِرٌ على إحيائكم بعد الموت، نظيره قوله تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾[٤].

---

(١) أي: بِنَكالِ الآخرة والأولى، ذكره القرطبي بغير عزو في تفسيره ١٩/ ١٣٢، وينظر: اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٤٠.

(٢) ذكره مِكِّيٌّ بغير عزو في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٥، وبه قال الأنباري في البيان ٢/ ٤٩٣، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٢٦٩.

(٣) ينظر: الوسيط ٤/ ٤٢٠، تاريخ دمشق ٦١/ ٨١، مجمع البيان ١٠/ ٢٥٧، الدر المنثور ٣/ ١٠٥.

(٤) غافر ٥٧.

ثــم وَصَفَ خَلْــقَ الســماء، فقــال: ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا﴾ يعني طُولَها مَسِــيرةَ خمسمائة عام بلا عَمَدٍ ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾﴾ يعني: فَسَوَّى خَلْقَها، فلا ترى فيها فَطْـرًا ولا وَهْنًا ﴿وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا﴾ جعله مظلمًا، والغَطَشُ: الظُّلْمةُ، ورَجُلٌ أغْطَشُ أي: أعْمَى ﴿وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾﴾ يعني: أبْرَزَ شَمْسَــها وَأظْهَرَ نهارها، وإنَّما أضافهما إلَى السماء لأن الظلمة والنور كلاهما يَنْزِلُ من السماء.

﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا ﴿٣٠﴾﴾ يعني: بَعْدَ خَلْقِ الســماء بَسَــطَها، مأخوذ من الدَّحْوِ وهو البَسْــطُ والمَدُّ، يقــال: دَحا يَدْحُو دَحْوًا، وَدَحَــى يَدْحَى دَحْيًا لغتــان[١]، فمن قــال: يَدْحُو قال: دَحَوْتُ، ومن قال: يَدْحَــى قال: دَحَيْتُ، قرأ العامــة: ﴿وَالْأَرْضَ﴾ بالنصــب على تقدير: دَحا الأرْضَ دَحاها، وقرأ الحســن بالرفع[٢] على الابتداء، وكلا الوجهين شائعان[٣]، ومعناهما البَسْطُ والمَدُّ.

قال ابن عباس وعبد الله بن عمرو ـ رضي الله عنهما ـ: خَلَقَ اللهُ الكَعْبةَ، وَوَضَعَهــا على الماءِ على أرْبَعــةِ أرْكانٍ قَبْلَ أنْ يَخْلُقَ الدنيا بِألْفَيْ عامٍ، ثم دَحا الأرْضَ مِنْ تَحْتِ البَيْتِ[٤].

---

(١) قال أبو عبيدة: ﴿وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَا﴾: بَسَــطَها، يقول: دَحَــوْتُ وَدَحَيْتُ». مجاز القرآن ٢/ ٢٨٥، وقال ابن دريد: «والدَّحْوُ مصدر دَحا يَدْحُو دَحْوًا: إذا دَحا به على وجه الأرض، وقالوا: دَحا يَدْحَى دَحْياً، وليس بالثَّبْت، وقال مَرّةً أُخرى: دَحا يَدْحِي دَحْيًا». جمهرة اللغة ١/ ٥٠٦، وينظــر أيضًا: الاشــتقاق لابن دريــد ص ٧٧، ٧٨، ٥١١، ٥٤١، إعراب القرآن ٥/ ١٤٦، وقال الأزهري: «قال شَــمِرٌ: قال ابنُ الأعرابِيِّ يقال: هو يَدْحُو الحَجَرَ بِيَدِهِ، وقد دَحا به يَدْحُو دَحْوًا، ودَحَى يَدْحِي دَحْيًا». تهذيب اللغة ٥/ ١٩١.

(٢) قرأ الحَسَنُ وأبو حَيْوةَ وعمرو بن عُبَيْدٍ وابنُ أبِي عَبْلةَ وأبو السَّمّالِ وعمرو بن ميمون وعيسى بن عمر: «والأرْضُ» بالرفع، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٥، ٢٠٦، البحر المحيط ٨/ ٤١٥.

(٣) يعني اللغتين: دَحا يَدْحُو ودَحَى يَدْحَى.

(٤) ينظــر: جامــع البيان ١/ ٧٦٢، عين المعانِــي ورقة ١٤٢/ أ، تفســير القرطبي ١٩/ ٢٠٥، تفسير ابن كثير ١/ ١٨٤، الدر المنثور ١/ ١٢٧.

وقيل[١]: معناه: والأرْضَ مَعَ ذلك دَحاها، و﴿بَعْدَ﴾ بمعنى «مَعَ»، كما يقال للرجل: أنْتَ أحْمَقُ، وَأنْتَ بَعْدَ هَذا لَئِيمٌ، أي: مع ذلك، قال الله تعالَى: ﴿عُتُلٍّ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾[٢]؛ أي: مَعَ ذَلِكَ، قال الشاعر:

٤٦٨ ـ فَقُلْتُ لَها: عَنِّي إلَيْكِ فَإنَّنِي ... حَرامٌ، وَإنِّي بَعْدَ ذاكَ لَبِيبُ[٣]

---

(١) قاله مجاهد والسدي وأبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ١/ ١٤، تأويل مشكل القرآن ص ٦٨، جامع البيان ٣٠/ ٥٨، ٥٩، إعراب القرآن ٥/ ١٤٥، ١٤٦، وينظر: الصاحبي ص ٢١٣.
وقال الأزهري: «وأمّا قول الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾، فإن السائل يسأل عنه فيقول: كيف قال: «بَعْدَ ذَلِكَ» والأرض أُنْشِئَ خَلْقُها قَبْلَ السماء؟ والدليل على ذلك قولُ الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾، فلمّا فَرَغَ من ذِكْرِ الأرض وما خلق فيها قال الله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ لا يكون إلا بعد الأول الذي ذُكر قبله، ولم يختلف المفسرون أن خلق الأرض سبق خلق السماء. والجواب فيما سأل عنه السائل أن الدَّحْوَ غَيْرُ الخَلْقِ، وإنما هو البَسْطُ، والخَلْقُ هو الإنشاء الأوَّل، فالله عزّ وجلّ خلق الأرض أوَّلًا غير مَدْحُوّةٍ، ثم خلق السماء، ثم دَحا الأرْضَ؛ أي بَسَطَها، والآيات فيها مؤتلفة، ولا تناقض بحمد الله فيهما عند من يفهمها، وإنما أُتِيَ المُلْحِدُ الطّاعِنُ فيما شاكَلَها من الآيات من جهة غباوته وغلظ فهمه، وقلّة عِلْمِهِ بكلام العرب». تهذيب اللغة ٢/ ٢٤٣، وما قاله الأزهري هو مذهب عمرو بن العاص كما ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٢٣.
(٢) القلم ١٣.
(٣) البيت من الطويل، لِلْمُضَرَّبِ بن كعب بن زهير، وَنُسِبَ لِلْمُخَبَّلِ السَّعْدِيِّ، وهو في ديوانه، وروايته فيه: «فَقُلْتُ لَها: فِيئِي».
اللغة: فِيئِي: ارْجِعِي، حَرامٌ: مُحْرِمٌ؛ أي: دخلتُ الحَرَمَ، لَبِيبٌ هنا: مُلَبٍّ بِالحَجِّ، وقيل: معناه: عاقل ذو لُبٍّ.
التخريج: ديوان المُخَبَّلِ السَّعْدِيِّ ص ٢٩١ (ضمن شعراء مقلون)، مجاز القرآن ١/ ١٤٥، ٢/ ٣٠٠، أدب الكاتب ص ٥٠٠، معاني القرآن وإعرابه ١/ ١٤٢، جمهرة اللغة ص ٥٢١، ١٢٥٢، الأضداد لابن الأنباري ص ١١٠، كتاب الشعر ص ٣، الصحاح ص ٢١٧، مقاييس اللغة ٥/ ١٩٩، المخصص ١٤/ ٦٩، الاقتضاب ٣/ ٤٣٣، أماليُّ ابن الشجري =

يعنـي: مع ذلك، ودليل هذا التأويل قراءة مجاهـد: «والأرْضَ مَعَ ذَلِكَ دَحاها»[(١)]، وقيل[(٢)]: ﴿بَعْدَ﴾ بمعنى «قَبْلَ»، كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ﴾[(٣)]؛ أي: مِنْ قَبْلِ الذِّكْرِ، وهو القرآن.

قولـه: ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا﴾ يعني: من الأرض ﴿مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١)﴾ فَخَرَقْتها الأنْهارُ والعُيُونُ والبِحارُ، وَأظْهَرَ فيها ما يأكل النـاسُ والأنعامُ، ﴿وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢)﴾ قرأه العامة بالنصب على تقدير: أرْسَى الجِبالَ أرْساها، وقرأ عمرو ابن عبيد بالرفع[(٤)] على الابتداء ﴿مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)﴾؛ أي: خَلَقَ ذلك مَنْفَعةً لكـم ولأنعامكم، وهو منصـوب على المصدر[(٥)]، وإن شـئتَ على الحال[(٦)]،

= ١/ ٢٥١، شـمس العلوم ١/ ٥٦٥، ٩/ ٥٩٦٥، التبيان للطوسـي ٣/ ٤١٧، مجمع البيان ٣/ ٢٥٩، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ أ، القرطبي ٦/ ٣٦، ١٩/ ٢٠٥، اللسان: لبب، اللباب فِي علوم الكتاب ٢٠/ ١٤٤، التاج: لبب.

(١) وهذه قراءة الأعمش أيضًا، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٥١.

(٢) قاله ابن السـكيت وابنُ الأنبـاري وأبو الطيب اللغوي، وهذا اللفـظ عندهم من الأضداد، ينظر: الأضداد لابن السـكيت ص ٢٣٨، الأضداد لابن الأنباري ص ١٠٨، الأضداد لأبِي الطيب ١/ ٨٣.

(٣) الأنبياء ١٠٥.

(٤) قرأ عمرو بن عبيد والحَسَنُ وأبو حَيْوةَ وابن أبِي عَبْلةَ وأبو السَّمّالِ وعمرو بن ميمون ونصر ابن عاصم: «والْجِبالُ» بالرفع، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٦، البحر المحيط ٨/ ٤١٥.

(٥) قال الزجـاج: «لأن معنى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا﴾: أَمْتَعَ بِذَلِـكَ». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨١، وقاله النحاس في عدة مواضع من إعراب القرآن ١/ ٣١٩، ٣٢٣، ٢/ ٤١-٤٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٦، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٢٢.

(٦) قـال الفراء: «خَلَقَ ذلك مَنْفَعةً لكم وَمُتْعةً لكم». معاني القرآن ٣/ ٢٣٣، وأجازه النحـاس في الآيـة رقم ٢٣٦ من سـورة البقرة في إعراب القرآن ١/ ٣١٩، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٢٢.

قال الفَرّاءُ[١]: ويجوز الرفع مثل قوله: ﴿مَتَٰعٌ قَلِيلٌ﴾[٢].

قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾﴾ يعني النفخة الثانية التي فيها البعث، والطّامّةُ: القيامة سُمِّيَتْ طامّةً لأنها تَطِمُّ على كل شيء، فَتَغْمُرُهُ لِعِظَمِ هَوْلِها[٣]، ومن هـذا يُقالُ: «فَوْقَ كُلِّ طامّةٍ طامّةٌ»[٤]، والطّامّـةُ عند العرب: الدّاهِيةُ التي لا تُسْـتَطاعُ، وإنما أُخِـذَ من قولهم: طَمَّ الفَـرَسُ طَمًّا: إذا اسْـتَفْرَغَ جُهْدَهُ فِي الجَرْيِ[٥].

ثـم أَعْلَمَ عِبادَهُ مَتَى ذلك، فقـال تعالى: ﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾﴾ أي: ما عَمِلَ من خير وشر ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ قال مقاتل[٦]: يُكْشَفُ عنها الغِطاءُ فَيَنْظُرُ إليها الخَلْقُ.

---

(١) قـال الفراء: «ولو كانت: «مَتاعٌ لَكُمْ» كان صوابًا، مثلما قالوا: «لَمْ يَلْبَثُواْ إِلَّا سـاعةً مِنْ نَهارٍ بَلاَغٌ»، وكما قال: «مَتاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذابٌ أَلِيمٌ»، وهو على الاستئناف، يُضْمَرُ له ما يرفعه». معانِـي القـرآن ٣/ ٢٣٣. وقد قرأ ابنُ أَبِي عَبْلَـةَ: «مَتاعٌ لَكُمْ» بالرفع، ينظر: شـواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٥٩.

(٢) آل عمران ١٩٧، والنحل ١١٧.

(٣) قاله ابن عباس والضحاك والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٤، جامع البيان ٣٠/ ٦١، تهذيب اللغة ١٣/ ٣٠٦، الكشف والبيان ١٠/ ١٢٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٠٦.

(٤) هـذا مَثَلٌ، وهـو من كلامِ لأبِي بكر الصديـق، رضي الله عنه، ينظر: الكامـل للمبرد ١/ ٩، ديوان الأدب للفارابِيِّ ٣/ ٦٠، تهذيب اللغة ١٣/ ٣٠٦، الصحاح: طمم ٥/ ١٩٧٦، تاريخ دمشق ١٧/ ٢٩٨، مجمع الأمثال ٢/ ٤٧٢، شـرح نهج البلاغة لابن أبِي الحديد ٤/ ١٢٧، الأنساب ١/ ٣٧.

(٥) قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ٢٠٦/ أ، وقال ابن دريد: «طَمَّ الفَرَسُ طَميمًا، إذا عَدا عَدْوًا سَـهْلًا». جمهرة اللغة ١/ ١٥١، وقال الأزهري: «ثَعْلَبٌ عن ابن الأعرابِيِّ: الطَّمِيمُ: الفَرَسُ المُسْرِعُ. وَيُقالُ لِلْفَرَسِ الجَوادِ: طِمٌّ». تهذيب اللغة ١٣/ ٣٠٦-٣٠٧.

(٦) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٢١، زاد المسير ٩/ ٢٤.

ثم ذَكَرَ مأوى الفريقين، فقال: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾﴾ يريد: في كُفْرِهِ، ومحل ﴿مَن﴾ رفع بالابتداء ﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ على الآخرة ﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾؛ أي: وُقُوفَهُ بين يديه ﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾ يريد: عن المحارم التي تشتهيها ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾.

﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾ يعني كفار مكة ﴿عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ عن القيامة ﴿أَيَّانَ﴾ نصب على الظرف ﴿مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾﴾ رفع خبر الظرف؛ أي: متى قيامُها، وليس قيام الساعة كَقِيامِ الإنسان، إنما هو ثَباتُها وَظُهورُها كما يُقال: قامَ العَدْلُ؛ أي: ظَهَرَ وَثَبَتَ[1].

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾﴾؛ أي: لَسْتَ فِي شيء مِنْ عِلْمِها وذِكْرِها، إنما عِلْمُها عند الله، وحُذفت ألف «ما» كما حذفت من ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ﴾[2] وشِبْهِهِ، فهو مِثْلُهُ في العِلَّةِ والحُكْمِ، وقد تقدم ذِكْرُهُ[3].

وقوله: ﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ رَفْعٌ خبر ﴿إِلَىٰ﴾؛ أي: مُنْتَهى عِلْمِ الساعة، ولستَ مِنْ عِلْمِها في شَيْءٍ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾ قرأه العامة بالإضافة، وقرأ أبو جعفر وابن محيصن: ﴿مُنْذِرٌ﴾[4] مُنَوَّنًا، وَمِثْلَهُ رَوَى العَبّاسُ عن أبي عمرو، وقال الفَرّاءُ[5]: التنوين وتركه في ﴿مُنْذِرٌ﴾ صوابٌ، كقوله: ﴿بَٰلِغُ

---

(١) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٣٤، وحكاه عنه النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٤٧، وقاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٠٧/ أ.

(٢) النبأ ١.

(٣) انظر: ٢/ ٢٢ من هذا الكتاب.

(٤) قرأ أبو عمرو في رواية عَبّاسٍ عنه، وأبو جعفر وابنُ مُحَيْصِنٍ والحَسَنُ وابن مِقْسَمٍ وعُمَرُ ابن عبد العزيز وشَيْبةُ وخالِدٌ الحَذّاءُ وابنُ هُرْمُزَ وعيسى بنُ عُمَرَ وطَلْحةُ: ﴿مُنْذِرٌ﴾ بالتنوين، وقرأ الباقون وأبو عمرو في غير رواية عَبّاسٍ بالإضافة، ينظر: السبعة ص ٦٧١، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٠، البحر المحيط ٨/ ٤١٦، الإتحاف ٢/ ٥٨٧.

(٥) معاني القرآن ٣/ ٢٣٤، وهذا معنى كلام الفراء لا نصه.

[٢٩٢/ أ] ﴿أَمْرِهِۦ﴾ و«بالِـغٌ أمْـرَهُ»[(١)] و﴿مُوهِنُ / كَيْدِ﴾[(٢)] و«مُوهِنٌ كَيْدَ»، ومعنى الآية: إنما أنـت مُخَوِّفُ مَـنْ يَخافُ قِيامَها؛ أي: إنما يَنْفَعُ إنْـذارُكَ مَنْ يَخافُها، فأما مَنْ لا يَخافُها لَمْ يَنْفَعْهُ الإنذارُ.

﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعنـي السـاعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾ قيل: في الدنيـا، وقيل: في قبورهم، وقيل: في موقف القيامـة ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ قال الفَرّاءُ[(٣)]: ليس لِلْعَشِيّةِ ضُحًى، إنما الضُّحَى لِصَدْرِ النهار، ولكن هذا ظاهِرٌ من كلام العرب أنْ تقول: آتِيكَ العَشِيّةَ أو غَداتَها، إنما معناه: آخِرَ يَوْمٍ وَأَوَّلَهُ، قال: وأنشدنِي بعض بني عُقَيْلٍ:

٤٦٩ ـ نَحْنُ صَبَحْنا عامِرًا فِي دارِها
جُـرْدًا تَعـادَى طَرَفَـيْ نَهارِهـا
عَشِـيّةَ الهِـلالِ أوْ سِـرارِهـا[(٤)]

---

(١) الطلاق ٣.

(٢) الأنفال ١٨، وقد قرأ ابن عامر وحمزة والكسـائي وأبو بكر عن عاصم: ﴿مُوهِنٌ﴾ بالتنوين ﴿كَيْدَ﴾ بالنصب، وقرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وأبو جعفر: ﴿مُوَهِّنٌ﴾ بالتنوين وتشـديد الهاء، وقرأ الباقون، وحفصٌ عن عاصم بالإضافة، ينظر: السـبعة ص ٣٠٤، ٣٠٥، إعراب القراءات السبع ٢/ ٢٢٢، ٢٢٣، النشـر ٢/ ٢٧٦.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ٢٣٤، ٢٣٥، والبيت الثاني في هذا الرجز لَمْ ينشده الفراء.

(٤) الأبيات من الرجز المشطور، لبعض بني عقيل.

اللغة: صَبَحْنا عامِرًا: أتَيْناهُمْ صَباحًا، جُرْدًا؛ أيْ: بِخَيْلٍ جُرْدٍ وَهِيَ القَصِيرةُ الشَّـعَرِ، السِّـرارُ بفتح السين وكسرها، والفتح أفصح: آخِرُ الشَّهْرِ لَيْلةَ يَسْتَسِرُّ الهِلالُ؛ أيْ: يَخْتَفِي.

التخريـج: معانِي القـرآن للفراء ٣/ ٢٣٥، غريب الحديث للهـروي ٢/ ٨٠، جامع البيان ٣٠/ ٦٣، تهذيـب اللغـة ٤/ ٢٦٥، ١٢/ ٢٨٥، مقاييس اللغة ٣/ ٦٧، الكشـف والبيان ١٠/ ١٢٩، زاد المسير ٩/ ٢٥، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٠،=

يعني: عَشِيّةَ الهِلاَلِ أو عَشِيّةَ سِرارِ الهِلَالِ.

فصل

قيل: إنَّ يوم القيامة مِقْدارُهُ خَمْسُونَ أَلْفَ سَنةً، وإنه يَمْضِي على المؤمن المُخْلِصِ كساعة واحدة، فعليك أيها العاقل بأن تستعين على شدائد الدنيا فِي طاعة الله ـ سبحانه ـ لِيُسَهِّلَ عليك شَدائِدَ يوم القيامة، والله أعلم.

* * *

= اللسان: سرر، صبح، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥١، التاج: صبح.

سورة عبس
مكية

وهي خَمسـمائة وثلاثة وثلاثـون حَرْفًا، ومائة وثـلاث وثلاثون كلمةً، واثنتان وأربعـون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ «عَبَسَ وَتَوَلَّى «جاءَ وَجْهُهُ يَوْمَ القِيامةِ ضاحِكًا مُسْتَبْشِرًا»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُـورةَ ﴿عَبَسَ﴾ عاشَ حامِدًا مَحْمُودًا، وَماتَ شَهِيدًا مَفْقُودًا»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قولـه ـ عزّ وجـلّ ـ: ﴿عَبَسَ﴾ يعني النبـي ﷺ؛ أي: كَلَّحَ وَكَـرَّهَ وَجْهَهُ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٣٠، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٢٢، الكشاف ٤/ ٢٢١، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٢٦٣.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾؛ أي: أعْـرَضَ ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝٢﴾ وهو ابـنُ أُمِّ مَكْتُومٍ[1]، أتَى النَّبِيَّ ﷺ وعنده رَهْطٌ من أشـراف قريـش، وهو مُقْبِلٌ عليهم يدعوهم إلَى الله تعالى وَإلَى الإسلامِ، وَيَرْجُو أن يُجِيبُوهُ إلَى ذلك، إذْ أتَى الأعمى فَجَعَلَ يُنادِيهِ، وهو يقول: عَلِّمْنِي يا رَسُـولَ الله مِمّا عَلَّمَكَ اللهُ ـ، ولا يدري أنه مُشْـتَغِلٌ عنه بغَيْـرِهِ ـ حَتَّى ظهرت الكراهة في وَجْهِ رَسُـولِ ﷺ لِقَطْعِهِ كَلاَمَهُ فَأعْرَضَ عنه، فَأنْـزَلَ اللهُ هذه الآياتِ، فكان/ رسـول الله ﷺ بعد ذلك يُكْرِمُهُ ويقول إذا رَآهُ: «مَرْحَبًا بِمَنْ عاتَبَنِي فيه رَبِّي»[2]. [٢٩٢/ ب]

و﴿أَن﴾ في قوله: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ في موضع نصب مفعول من أجله[3]، وقيل[4]: في موضع خفض على إضمار الـلام تقديره: لِأَنْ جاءَهُ، أو بأنْ جاءَهُ، وقيل[5]: هي بمعنى: إذْ جاءَهُ الأعمى، ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ يا محمد ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣﴾؛

---

(١) هو عبد الله أو عمرو بن قيس بن زائِدةَ من بني عامر بن لُؤَيٍّ، وأُمُّ مَكْتُوم أُمُّهُ واسْمُها عاتِكةُ، صحابِيٌّ شجاع ضرير البصر، أسلم بمكة، وهاجر بعد غزوة بدر، كان يُؤَذِّنُ للنبي مع بلال، وكان النبي يستخلفه على المدينة، شهد القادسية، وقاتل فيها، وتوفِّي سنة (٢٣هـ). [الإصابة ٤/ ٧٦، ١٨١، ٤٩٤-٤٩٥، الأعلام ٥/ ٨٣].

(٢) رواه الترمذي بسنده عن عائشة في سننه ٥/ ١٠٣-١٠٤ أبواب تفسير القرآن: سورة عبس، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٤ كتاب التفسير: سورة «عَبَسَ وَتَوَلَّى»، وينظر: أسباب النزول للسيوطي ص ٢٩٧، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٢٢.

(٣) قالـه الزَّجّـاجُ والنَّحّاسُ ومَكِّيٌّ، ينظـر: معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٣، إعـراب القرآن ٥/ ١٤٩، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٧.

(٤) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ١٤٩، وبه قال ابن خالويه في إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٤٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٧، البيان للأنباري ٢/ ٤٩٤.

(٥) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ١٤٩، وحكاه الأزهري عن أبِي زيد في تهذيب اللغة ١٥/ ٥٦٩، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٧، أمالِيُّ ابن الشـجري ٣/ ١٥١، ارتشاف الضرب ٤/ ١٦٩٣، مغني اللبيب ص ٥٤-٥٥، همع الهوامع ٢/ ٣٢٧.

أي: يؤمـن ويتطهر من ذنوبه بالعمل الصالح، ومحل «ما» رفع بالابتداء، والهاء اسمُ «لَعَلَّ»، وخبره في ﴿يَزَّكَّىٰ﴾، ﴿أَوْ يَذَّكَّرُ﴾؛ أي: يَتَّعِظُ بالقرآن ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤﴾؛ أي: الموعظـة، قرأه العامة: «فَتَنْفَعُهُ»[١] بالرفع نسـقًا على قوله: ﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾ و﴿يَذَّكَّرُ﴾، والفـاء للعطف لا للجواب، والهاء فـي «تَنْفَعَهُ» نصب؛ لأنه مفعـول لِلذِّكْرَى، وقـرأ عاصمٌ فِي أكثر الروايات بالنصـب على جواب «لَعَلَّ» بالفاء[٢]، وقيل[٣]: على إضمار «أنْ»، ويجوز أن يُنصب ما بعدها كما قال الشاعر:

فَقُلْـتُ لَـهُ: لاَ تَبْـكِ عَيْنُـكَ إنَّمـا نُحاوِلُ مُلْـكًا أوْ نَمُـوتَ فَنُعْذَرا[٤]

---

(١) قرأ عاصمٌ والأعرجُ وأبو حَيْوةَ وابنُ أَبِي عَبْلَةَ والزَّعْفَرانِيُّ وابنُ أَبِي إسْحاقَ وعيسى بن عمر وَزِرُّ بن حُبَيْشٍ والسُّـلَمِيُّ: «فَتَنْفَعَهُ» بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع، ينظر: السبعة ص ٦٧٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٤، البحر المحيط ٨/ ٤١٩.

(٢) هذا مذهب الكوفيين، ينصبون الفعل في جواب «لعل»، كما يُنْصَبُ في جواب الأمر والنهي والنفـي والتمني والاستفهام، قال الفـراء: «ولو كان نصبًا على جـواب الفاء لـ«لعل» كان صوابا، أنشدني بعضهم:

عَلَّ صُرُوفَ الدَّهْرِ أوْ دُولَاتِها
يُدِلْنَنـا اللَّمَّـةَ مِـنْ لَمّاتِهـا
فَتَسْـتَرِيحَ النَّفْسُ مِنْ زَفَراتِها».

معانِي القرآن ٣/ ٢٣٥، وقال مثل ذلك في الآية ٣٧ من سورة غافر في معانِي القرآن ٣/ ٩. ووافـق الكوفيين كُلٌّ مـن الزَّجّاجِ والأزهري وابـن خالويه، ينظر: معانِـي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٣، معانِـي القـراءات ٣/ ١٢١، إعـراب القراءات السـبع ٢/ ٤٣٩، قال النحاس: «ولا يعرف البصريون جوابَ «لَعَلَّ» بالنصب». إعراب القرآن ٥/ ١٤٩، وينظر: ارتشـاف الضرب ص ١٦٧٣، البحر المحيط ٨/ ٤١٩، الجنى الدانِي ص ٧٤.

(٣) هذا مذهب البصريين، وهو أن الفعل منصوب بـ«أنْ» مضمرة بعد الفاء، ينظر: الكتاب ٣/ ٤٧، المقتضب ٢/ ٢٨، إعراب القرآن ٥/ ١٤٩، ١٥٠، الحجة للفارسـي ٤/ ٩٨، الجنى الدانِي ص ٧٤، ٧٥.

(٤) تقدم برقم ٢٥٩، ٣/ ٩٩.

وأصل ﴿يَذَّكَّرُ﴾ يَتَذَكَّرُ، فأدغمت التاء في الذال ﴿أَمَّا مَنِ﴾ رفع بالابتداء ﴿اسْتَغْنَىٰ (٥)﴾ عن الله في نفسه، وعن الإيمان بماله ﴿فَأَنتَ لَهُ تَصَدَّىٰ (٦)﴾ يعني: تَدْعُوهُ وَتَتَعَرَّضُ له، وَتُقْبِلُ إِلَيْهِ بِوَجْهِكَ، وَتُصْغِي إِلَى كَلَامِهِ. والتَّصَدِّي: التَّعَرُّضُ بالوجه، يقال: تَصَدَّى لَهُ؛ أي: تَعَرَّضَ له[1]، قال الرّاعِي:

٤٧٠ - تَصَدَّى لِوَضّاحٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ سِراجُ الدُّجَى تُجْبَى إِلَيْهِ الأساوِرُ[2]

قرأ أهلُ المدينة وأهلُ مكة ويعقوبُ: ﴿تَصَّدَّى﴾[3] بالتشديد على الإدغام، والأصل فيه: تَتَصَدَّى، فأُدغمت التاءُ في التاء، وأُسْقِطَتْ إحدى التاءين استثقالًا لها في صَدْرِ الكلمة، ومثله: ﴿تَلَهَّىٰ﴾ و﴿تَلَظَّىٰ﴾[4] و﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ﴾[5] وما أشبهه، وقرأ الكوفيون وأبو عمرو وابن عامر: «تَصَدَّى» بحذف التاء والتخفيفِ لِئَلّا يُجْمَعَ بين تاءَيْنِ، واختار أبو عبيد التخفيفَ في ﴿تَصَدَّىٰ﴾ و﴿يَزَّكَّىٰ﴾ و﴿يَذَّكَّرُ﴾.

---

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٥١٤، وينظر: تَهذيب اللغة ١٢/ ١٠٤، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٣.

(٢) في الأصل: «تَحْتَ الأساور موهنا»، وهو سهو من الناسخ فيما يبدو، والبيت من بحر الطويل لِلرّاعِي النُّمَيْرِيِّ من قصيدة يمدح بها يَزِيدَ بنَ مُعاوِيَةَ، ورواية ديوانه:

تصدى لِوَضّاحِ الجَبِينِ كأنه سراج الدجى تُجْبَى إِلَيْهِ السَّوائِرُ

اللغة: رَجُلٌ وَضّاحٌ: حَسَنُ الوَجْهِ أبْيَضُ بَسّامٌ.

التخريج: ديوانه ص ١٠٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٣١، منتهى الطلب ٦/ ٩٢، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٤، البحر المحيط ٨/ ٤١٧، الدر المصون ٦/ ٤٧٩، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥٦.

(٣) هذه قراءة ابن كثير ونافع وأبِي جعفر وابن محيصن، ينظر: السبعة ص ٦٧٢، الإتحاف ٢/ ٥٨٩.

(٤) في قوله تعالى: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾. الليل ١٤، وانظر ما سيأتي ٤/ ٤٥٨.

(٥) القدر ٤، وانظر ما سيأتي ٥/ ٧.

﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾؛ أي: يُسْلِمُ، والمعنى: أيُّ شَيْءٍ عليك في ألّا يُؤْمِنَ ولا يَهْتَدِيَ، إنْ عليك إلا البلاغُ ﴿وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨﴾ محل ﴿مَن﴾ رفع بالابتداء ﴿وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩﴾ يعني ابنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، أراد: يَسْعَى في الخير، ويَخْشَى الله تعالى ﴿فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۝١٠﴾؛ أي: تَتَشاغَلُ بغيره وَتُعْرِضُ بِوَجْهِكَ عنه، يقال: لَهِيتُ عن الشيء أَلْهَى عنه أي: تَشاغَلْتُ عنه، وقرأ البَزِّيُّ: «تَّلَهَّى»[1] بتشديد التاء.

ثم قال تعالى/ : ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا تَفْعَلْ ذلك، وهي كلمة ردع وزجر ﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ۝١١﴾ يعني: آيات القرآن موعظة وتبصرة ﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُۥ ۝١٢﴾ ابتداءً؛ أي: فمن شاء اللهُ أَلْهَمَهُ وَفَهَّمَهُ القرآنَ حتى يَذْكُرَهُ وَيَتَّعِظَ به. [٢٩٣/ أ]

ثم أخبر جلالته عنده، فقال: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ۝١٣﴾ يعني أُمَّ الكتاب الذي نُسِخَ منه القرآن ﴿مَّرْفُوعَةٍ﴾ عند الله يعني: في السماء السابعة ﴿مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤﴾ من كل دَنَسٍ وَكُفْرٍ ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ يعني: كَتَبَةٍ، وهم الرسل من الملائكة، واحدهم: سافِرٌ مثل كاتِبٍ وَكَتَبَةٍ[2]، وقيل[3]: سَفِيرٌ وهو الرسول. وَسَفِيرُ

---

(١) قرأ البَزِّيُّ وابن فُلَيْح عن ابن كثير: «عَنْهُ تَّلَهَّى» بتشديد التاء وصلا بالهاء قبلها، ينظر: السبعة ص ٦٧٢، البحر المحيط ٨/ ٤١٩.

(٢) قاله الفراء وأبو عبيدة والأخفش وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٣٦، مجاز القرآن ٢/ ٢٨٦، معاني القرآن للأخفش ص ٥٢٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٤، وينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٤، الزاهر ١/ ٧٨، تهذيب اللغة ١٢/ ٣٩٩-٤٠٠، الصحاح ٢/ ٦٨٦، النهاية لابن الأثير ٢/ ٣٧١.

(٣) ذكره الطبري بغير عزو في جامع البيان ٣٠/ ٦٨، وهو ظاهر قول ابن الأنباري في الزاهر ٢/ ١٣١، وينظر: الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ١٣١.
والراجح أنه جمع سافِرٍ؛ لأن «فَعَلَةً» يُجمع عليه «فاعِلٌ» صحيحُ العينِ، مثل بارٍّ وَبَرَرَةٍ وَفاجِرٍ وَفَجَرَةٍ، كما ذكر سيبويه في الكتاب ٣/ ٦٣١، وأما «فَعِيلٌ» بمعنى «فاعِلٍ» فإنه يُجمع على «فُعُلٍ» وَ«أَفْعِلاَءَ» و«فُعْلاَنَ»، ينظر: الكتاب ٣/ ٦٠٤، ٦٠٥، قال الجوهري: «والسَّفِيرُ: =

القوم: هو الذي يَسْعَى بينهم بالصلح[١]، قال الشاعر:

٤٧١ ـ وَما أَدَعُ السِّفارةَ بَيْنَ قَوْمِي وَما أَمْشِي بِغِشٍّ إنْ مَشَيْتُ[٢]

قال الفَرّاءُ[٣]: السَّفَرةُ هاهنا هم الملائكة الذين يَسْفِرُونَ بِالوَحْيِ بين الله ورسله، من السِّفارةِ وهو السَّعْيُ بين القوم، وعن وهب بن مُنَبِّهٍ أنه قال[٤]: هم أصحاب محمد ﷺ.

ثم أثنى عليهم، فقال: ﴿كِرَامٍ﴾ يريد: على ربهم ﴿بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾ مطيعين، وهو جمع بارٍّ مثل كافرٍ وكَفَرةٍ، وَساحِرٍ وَسَحَرةٍ، والبِرُّ: العَطْفُ، ومنه: بَرَرْتُ صَدِيقِي أَبِرُّهُ بِرًّا، وَبَرَّكَ اللهُ؛ أي: وَصَلَكَ اللهُ، وخفض ﴿كِرَامٍ﴾ على النعت لـ﴿سَفَرَةٍ﴾.

قولـه: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني: لُعِنَ الكافرُ، وأراد به اسم الجنس، وقيل: أراد عتبة بن أبي لهب ﴿مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: ما أَشَدَّ كُفْرَهُ بالله وَبِنِعَمِهِ مع كثرة

= الرسول المُصْلِحُ بين القوم، والجمع سُفَراءُ مثل فَقِيهٍ وَفُقَهاءَ». الصحاح ٢/ ٦٨٦.

(١) قال النقاش: «والسافر: الكاتب، وسمعتُ ثعلبًا يقول: وإنما سُمُّوا سَفَرةً، وهم الملائكة الحَفَظةُ، لأنهم يَسْفِرُونَ بَيْنَ الله عزّ وجلّ وبين خَلْقِهِ». شفاء الصدور ورقة ١٢٨/ ب.

(٢) البيت من الوافر لِمُوسَى بن جابر بن أرْقَمَ اليَمامِيِّ المعروف بابن ليلى، ويلقب بِأُزَيْرِقِ اليَمامةِ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٦، جامع البيان ٣٠/ ٦٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٧٨، ٢/ ١٣١، معجم الشعراء ص ٢٨٥، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٢، البصائر والذخائر ٢/ ١٩٢، التبيان للطوسي ١٠/ ٢٧٢، مجمع البيان ١٠/ ٢٦٥، زاد المسير ٩/ ٣٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٦، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٢، البحر المحيط ٨/ ٤١٧، فتح الباري ٨/ ٦٩٢، الدر المصون ٦/ ٤٨٠، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٥٩، فتح القدير ٥/ ٣٨٣.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ٢٣٦ باختلاف في ألفاظه.

(٤) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٣٢، المحرر الوجيز ٥/ ٤٣٨، زاد المسير ٩/ ٢٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٦.

إحسانه إليه، و﴿مَآ﴾ هاهنا على طريق التعجب معناه: اعْجَبُوا أنتم من كُفْرِهِ[1]، ومحل ﴿مَآ﴾ رفع بالابتداء، ومحل الهاء نصب على التعجب، وقيل[2]: ﴿مَآ﴾ استفهام ابتداء، و﴿أَكْفَرَهُۥ﴾ الخبر، معناه: أيُّ شَيْءٍ حَمَلَهُ على الكفر مع ما يرى من الآيات الدالة على التوحيد؟

ثم بَيَّنَ من أمره ما كان ينبغي معه أن يعلم بأن الله خالقه، فقال تعالى: ﴿مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾﴾ لفظه استفهام ومعناه التقرير، ثم فَسَّرَ ذلك فقال: ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾﴾ يريد: في بطن أمه، ثم أَخْرَجَهُ من بطن أمه، قال الكلبي[3]: قَدَّرَ خَلْقَهُ وَرَأْسَهُ وَعَيْنَيْهِ وَيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ يعني: هَوَّنَ عليه الخروجَ من بطن أمه، ونصب ﴿ٱلسَّبِيلَ﴾ بإضمار فعل تقديره: يَسَّرَ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾﴾؛ أي: صَيَّرَهُ ذا قَبْرٍ، وَأَمَرَ أَنْ يُقْبَرَ، فأما الدّافِنُ فَيُقالُ

---

(١) قاله الأخفش والزَّجّاجُ والنَّقّاشُ والفارسي، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥٢٨، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٥، شفاء الصدور ورقة ٢٠٩/ أ، المسائل الشيرازيات ص ٤٩٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٨، الوسيط ٤/ ٤٢٣، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ٥٥٣، زاد المسير ٩/ ٣١، تفسير القرطبي ١٩/ ٢١٨.

(٢) قاله الأخفش أيضًا، والفراء والنحاس والفارسي، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥٢٨، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٧، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٥١، المسائل الشيرازيات ص ٤٩٤، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٨، وعلى الوجهين فإن «ما» مبتدأ، وجملة «أَكْفَرَهُ» الخبر، ولكن على التعجب تكون «ما» نكرة تامةً بمعنى: شَيْءٌ أَكْفَرَهُ، وهذا مذهب البصريين ما عدا الأخفش، وعلى الوجه الثانِي تكون «ما» استفهامية، والمعنى: أيُّ شَيْءٍ أَكْفَرَهُ؟ وهذا مذهب الكوفيين في «ما» التعجبية، ينظر: كتاب سيبويه ١/ ٧٢، ٧٣، المقتضب ٤/ ١٧٣ وما بعدها، الأصول لابن السراج ١/ ٩٩ وما بعدها، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٣٠: ٣٢، ارتشاف الضرب ص ٢٠٦٥.

(٣) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٤٢٣، ٤٢٤، زاد المسير ٩/ ٣١.

له: قابِرٌ[١]، كما قال الشاعر:

٤٧٢ ـ لَوْ أسْـنَدَتْ مَيْتًا إلَى نَحْرِها عـاشَ، وَلَـمْ يُنْقَـلْ إلَـى قابِـرِ[٢]

وقال الفَرّاءُ[٣]: معناه: جَعَلَهُ مَقْبُورًا، ولَمْ يجعله مِمَّنْ يُلْقَى لِلسِّباعِ والطَّيْرِ، فالقبر مما أَكْـرَمَ اللهُ به ابنَ آدم ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾؛ أي: أَحْياهُ، والتقدير: ثم إذا شـاء أنْ يُنْشِـرَهُ أنْشَرَهُ، يقال: أَنْشَرَهُ اللهُ فَنَشَـرَ فَهُوَ مُنْشَرٌ وَناشِرٌ[٤]، كما قال الشاعر:

٤٧٣ ـ حَتَّى يَقُـولَ النّاسُ مِمّا رَأَوْا يـا عَـجَبًـا لِلْـمَـيِّـتِ الـنّـاشِـرِ[٥]

---

(١) قالـه أبو عبيدة وابن السـكيت وابن قتيبـة وثعلب، ينظر: مجاز القـرآن ٢/ ٢٨٦، إصلاح المنطـق ص ٢٣٥، أدب الكاتب ص ٢٧٥، ٣٤٧، مجالس ثعلب ص ٣٩، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٥٢، تهذيب اللغة ٩/ ١٣٨.

(٢) البيت من السريع، للأعشى.

التخريـج: ديوانه ص ١٨٩، مجاز القرآن ٢/ ٢٨٦، جامـع البيان ٣٠/ ٧١، معانِي القرآن وإعرابـه ٥/ ٢٨٥، إعـراب القـرآن ٥/ ١٥٢، إعـراب ثلاثيـن سـورة ص ١٦٧، إعراب القراءات السبع ١/ ٢٥، مقاييس اللغة ٥/ ٤٧، أمالِيُّ المرتضى ١/ ٤٥١، التبيان للطوسي ١٠/ ٢٧٤، مجمـع البيـان ٩/ ٦٩، ١٠/ ٢٦٥، زاد المسيـر ٩/ ٣٢، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ أ، تفسـير القرطبـي ١٩/ ٢١٩، الدر المصـون ٦/ ٤٨٠، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٦٢، خزانة الأدب ٣/ ٢٠٠، ٤/ ٨٦.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ٢٣٧.

(٤) قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٥/ ١٥٢.

(٥) البيت من السريع، للأعشى، وهو البيت التالِي للشاهد السابق.

التخريج: ديوانه ص ١٩١، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٧٣، مجاز القرآن ٢/ ٧٠، ١٥٣، ٢٠٢، ٢٨٦، جامـع البيـان ٣/ ٦٣، ١٩/ ٢٧، ٢٥/ ٦٨، ٣٠/ ٧١، حمهـرة اللغة ص ٧٣٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٥، إعراب القرآن ٥/ ١٥٢، الصحاح ص ٨٢٨، تهذيب اللغة ١١/ ٣٣٨، إعـراب ثلاثيـن سـورة ص ١٦٧، إعـراب القـراءات السـبع ١/ ٢٥، ٩٧، مقاييـس اللغة =

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ (٢٣)﴾ من النحويين من يجعل ﴿كَلَّا﴾ تمامًا في جميع القرآن؛ أي: كَلّا ليس الأمر كما يقول الكافرُ: قد قَضَيْتُ ما عَلَيَّ، ومنهم مَنْ يَجْعَلُها فِي جَمِيعِ القرآن مُبْتَدَأةً، ومنهم مَنْ يُفَصِّلُها[١]، ومعنى الآية: كَلّا لَمْ يفعل ما أَمَرَهُ به رَبُّهُ، ولَمْ يُؤَدِّ ما افْتُرِضَ عليه.

وَلَمّا ذَكَرَ اللهُ خَلْقَ ابن آدم ذَكَرَ رِزْقَهُ لِيَعْتَبِرَ، فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ (٢٤)﴾ يعني: كَيْفَ قَدَّرَهُ رَبُّهُ له، وجعله سَبَبًا لحياته، وقيل: معنى قوله: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: إذا قَضَى حاجته نَظَرَ إلَى حَدَثِهِ وما بَخِلَ به، وَيَنْظُرُ إلَى مَدْخَلِهِ وَمَخْرَجِهِ.

وَيَدُلُّ على صحة هذا التأويل ما رُوِيَ عن الضَّحّاكِ بن سفيان[٢] أن النبي ﷺ قال له: «يا ضَحّاكُ: ما طَعامُكَ؟»، قال: يا رسول الله: اللَّحْمُ واللَّبَنُ، قال: «ثُمَّ يَصِيرُ إلَى ماذا؟»، قال: إلَى ما قد عَلِمْتَ يا رسول الله، قال: «فَإنَّ الله ـ عزّ وجلّ ـ ضَرَبَ ما يَخْرُجُ من ابن آدم مَثَلًا للدنيا»[٣].

= ٥/ ٤٣٠، أمالِيُّ المرتضى ١/ ٤٥١، المخصص ٩/ ٩٢، التبيان للطوسي ٤/ ٤٢٩، ٧/ ٤٩٦، ١٠/ ٢٧٤، عين المعاني ورقة ٨٣/ ب، ٨٩/ ب، مجمع البيان ٤/ ٢٧٤، ٩/ ٦٩، ١٠/ ٧٤، ٢٦٥، تفسير القرطبي ٣/ ٢٩٥، ١٣/ ٣، ١٩/ ٢١٩، اللسان: نشر، التاج: نشر.

(١) ينظر في هذه المسألة: مجالس ثعلب ص ٢٦٨، إيضاح الوقف والابتداء ص ٤٢١، إعراب القرآن ٥/ ١٥٢، ١٧٦، تهذيب اللغة ١٠/ ٣٦٣: ٣٦٥، الصاحبي ص ٢٥٠، ٢٥١، الوقف على كلا وبلى ونَعَمْ ص ٤٩، ٥٠، شرح المفصل ٩/ ١٦، همع الهوامع ٢/ ٥٠٠-٥٠١.

(٢) الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب، أبو سعيد الكلابِيُّ، صحابِيٌّ شجاع، كان نازلًا بِنَجْدٍ، وَلّاهُ النبيُّ ﷺ على من أسلم هناك من قومه، ثم اتخذه سَيّافًا، وكانوا يَعُدُّونَهُ بمائة فارس، قيل: استشهد في قتال أهل الرِّدّةِ من بَنِي سليم سنة (١١هـ). [أسد الغابة ٣/ ٣٦، الإصابة ٣/ ٣٨٦، ٣٨٧، الأعلام ٣/ ٢١٤].

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٥٢، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٨/ ٢٩٩، وينظر: =

وعن أَبِي الوليد[١] قال: سألتُ ابنَ عُمَرَ عن الرَّجُلِ يَدْخُلُ الخَلَاءَ فَيَنْظُرُ إلَى ما يَخْرُجُ منه، فقال: «إنه يأتيه المَلَكُ فيقول له: انْظُرْ إلَى ما بَخِلْتَ به، إلَامَ صارَ؟ »[٢]، وقال أبو قِلَابةَ[٣]: «مَكْتُوبٌ في التَّوْراةِ: يا ابن آدم: انْظُرْ إلَى ما بَخِلْتَ به إلَامَ صارَ؟ »[٤].

قوله: ﴿أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾﴾ يعني الغَيْثَ، قرأ أهل الكوفة ويعقوبُ والأعمشُ: ﴿أَنَّا﴾ بفتح الألف على تكرير الخافض تقديره: فَلْيَنْظُرِ الإنْسانُ إلَى طَعامِهِ إلَى أنّا[٥]، وقيل: هو بدل من طعام، وقرأ غيرهم بالكسر[٦] على

= الكشف والبيان ١٠/ ١٣٣، عين المعانِي ١٤٢/ ب، مجمع الزوائد ١٠/ ٢٨٨ كتاب الزهد: باب مَثَلِ الدنيا.

(١) هو خالد بن إسماعيل بن أيوب المخزومي المَدَنِيُّ، رَوَى عن هشام بن عروة وابن جُرَيْجٍ وجماعةٍ، كان يضع الحديث على الثقات، قيل فيه: متروك الحديث، يروى عن ابن عمر العجائب، لا يجوز الاحتجاجُ به، ولا الروايةُ عنه. [كتاب المجروحين ١/ ٢٨١-٢٨٣، الكامل في الضعفاء ٣/ ٤١-٤٤، ميزان الاعتدال ١/ ٦٢٧].

(٢) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٠٩/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٣، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٠، شرح نهج البلاغة لابن أبِي الحديد ١٩/ ١٤.

(٣) هو عبد الله بن زيد بن عَمْرٍو الجَرْمِيُّ، تابعيٌّ ناسكٌ من أهل البصرة، عالِمٌ بالقضاء والأحكام، طُلِبَ للقضاء، فهرب إلى الشام، وتوفِّي بها سنة (١٠٤هـ)، وكان من رجال الحديث الثقات، لقي من الصحابة النعمانَ بنَ بشير وأَنَسَ بن مالك ومالك بن الحُوَيْرِثِ. [تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٨٨، الأعلام ٤/ ١٨٨].

(٤) ينظر: عين المعانِي ورقة ١٤٢/ ب، الدر المنثور ٦/ ٣١٦.

(٥) قاله الفراء وابن الأنباري والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٨، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٦٦-٩٦٧، إعراب القرآن ٥/ ١٥٣، وينظر أيضًا: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٤٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٥٨.

(٦) قرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش والأعرج وابن وَثّابٍ ويعقوبُ: ﴿أَنّا﴾ =

الاستئناف، قال الزَّجّاجُ[(١)]: الكسر على الابتداء والاستئناف، والفتح على معنى البدل من الطعام.

المعنى: فَلْيَنْظُرِ الإنسانُ إلَى أنّا صَبَبْنا الماءَ صَبًّا، وأراد بِصَبِّ الماءِ المَطَرَ ﴿ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾ يعني: صَدَعْنا الأرْضَ بالنبات صَدْعًا، ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾﴾ / يعني الرَّطْبةَ، وأهل مكة يُسَمُّونَ القَتَّ [٢٩٤/ أ] القَضْبَ؛ لأنه يُقْضَبُ؛ أي: يُقْطَعُ مَرّةً بعد مَرّةٍ، وكذلك القَصِيلُ؛ لأنه يُقْصَلُ أي: يُقْطَعُ[(٢)] ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾﴾ تَغْلِبُ بالشجر العِظامِ الغِلَاظِ الرِّقابِ، واحدها أغْلَبُ، والغُلْبُ أيضًا: غِلَاظُ الأعْناقِ[(٣)]، ومنه قيل لِغَلِيظِ الرَّقَبةِ: أغْلَبُ، يقال: رَجُلٌ أغْلَبُ والمَرْأةُ غَلْباءُ: إذا غَلُظَتْ أعْناقُهُما، و﴿غُلْبًا﴾ نعت «حَدائِقَ»، والجمع غُلْبٌ مثل أحْمَرَ وَحَمْراءَ وَحُمْرٍ[(٤)]، وقيل[(٥)]: ﴿غُلْبًا﴾: مُلْتَفَّةُ الشَّجَرِ بعضه فِي بعض، وقيل[(٦)]: النَّخْلُ. وكل بستان كان عليه حائط

= بفتح الهمزة، وقرأ رُوَيْسٌ بِفَتْحِها في الوصل وَكَسْرِها فِي الابتداء، وقرأ الباقون بالكسر، ينظر: السبعة ص ٦٧٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢١، البحر المحيط ٨/ ٤٢١، الإتحاف ٢/ ٥٨٩.

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٦.

(٢) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٤، وينظر أيضًا: شفاء الصدور ورقة ٢١٠/ أ، تهذيب اللغة ٨/ ٣٤٧، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٣، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٣، والقَصِيلُ: ما اقْتُصِلَ من الزرع أخْضَرَ. اللسان: قصل.

(٣) يعني: غلاظ الأعناق من النخل، قاله ابن قتيبة فِي غريب القرآن ص ٥١٥.

(٤) قاله أبو بكر السجستانِيُّ في غريب القرآن ص ١٧٣.

(٥) قاله مجاهد ومقاتل والنقاش، شفاء الصدور ورقة ٢١٠/ أ، الوسيط ٤/ ٤٢٤.

(٦) قاله قتادة وابن زيد، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٧٤.

فهو حديقة، وإن لَمْ يكن عليه حائط فليس بحديقة(١).

﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾﴾ يعني ألوان الفواكـه، والأبُّ: المَرْعَى والكلأ الذي لَمْ يَزْرَعْهُ الناسُ مما تأكله الأنعامُ(٢)، قال قتادة(٣): أما الفاكهة فَلَكُمْ، وأما الأبُّ فلأنعامكم، وذلك قوله تعالـى: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾؛ أي: خَلَقْنا الفاكهةَ لكم والأبَّ لأنعامكم، ويقال(٤): الأبُّ للبهائم كالفاكهة للناس. والأبُّ أيضًا: الاستعداد، قال الشاعر:

٤٧٤ ـ فَتًى قَدْ طَوَى كَشْحًا وَأَبَّ لِيَذْهَبا(٥)

---

(١) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٣٨، والنَّقّاشُ في شـفاء الصدور ورقة ٢١٠/ أ، وحكاه الأزهري وابن الجوزي عن الفراء، ينظر: تهذيب اللغة ٤/ ٣٤، زاد المسير ٩/ ٣٣.

(٢) قاله ابن عباس، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٧٥، ٧٦، ورواه عنه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٣٩ كتاب معرفة الصحابة: باب ذكر عبد الله بن عباس، رضي الله عنه، ورواه البيهقي في السـنن الكبرى ٤/ ٣١٣ كتاب الصيام: باب العمل في العشر الأواخر من رمضان.

(٣) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ٧٦، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٣.

(٤) ذكره أبو بكر السجسـتانِيُّ بغير عزو في غريب القرآن ص ١٧٣، وينظر: عين المعانِي ورقة ١٤٢/ ب، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٦٨.

(٥) هذا عَجُزُ بيت من الطويل، وصدره:

صَرَمْتُ، وَلَـمْ أصْرِمْكُـمُ وَكَصارِمٍ

وهو للأعشى من قصيدة يهجو بها عَمْرَو بنَ المُنْذِرِ بن عَبْدانَ، ورواية ديوانه: «**أخٌ قَدْ طَوَى كَشْحًا**».

التخريج: ديوانه ص ١٦٥، غريب الحديث لابن قتيبة ١/ ١١٨، المعانِي الكبير ص ٨٥٤، ١١٣٢، جمهرة اللغة ص ٥٣، ٥٣٨، الصحاح ١/ ٨٦، المسـائل الشـيرازيات ص ١٠٣، ١٠٥، المسائل العضديات ص ٢٦٠، سر صناعة الإعراب ص ١٠٧، شرح ديوان الحماسة للمرزوقـي ص ١١٠٦، شـمس العلوم ١/ ١٣٦، ٩/ ٥٨٣٩، شـرح شـافية ابن الحاجب للرضي ٣/ ٢٠٧، اللسـان: أبب، كشح، شرح شواهد شـرح الشافية ص ٤٣٢، ٤٣٦، تاج العروس: أبب، كشح.

ونصب ﴿مَّتَـٰعًا﴾ على المصدر.

قولـه تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾﴾ يعني صَيْحةَ القيامة التي يَصُخُّ لَها كُلُّ شَـيْءٍ؛ أي: يسمع، سُمِّيَتْ صاخّةً لأنها تَصُخُّ كُلَّ شَيْءٍ؛ أي: تَذْهَبُ به[1]، وقيل[2]: سُمِّيَتْ صاخّةً لأنها تَصُخُّ؛ أي: تَصُمُّ، يقال: رَجُلٌ أصَخُّ وَأصْلَخُ: إذا كان لا يسمع.

ثـم أعْلَـمَ عبادَهُ متى ذلـك، فقال تعالـى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَـٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾﴾ هابيـلُ مـن أخيـه قابيـلَ، والنَّبِيُّ ﷺ مـن أُمِّهِ، وَإبْراهِيـمُ مـن أبيهِ، وَلُوطٌ من امْرَأتِـهِ، وَنُوحٌ من ابْنِهِ كَنْعانَ، مِنْ شِـدّةِ أهوال يوم القيامة ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾﴾ يقول: شَغَلَهُ عن حَمِيمِهِ وَقَرِيبِهِ وَذِي رَحِمِـهِ، وأصل الإغْناءِ الكِفايةُ، قال ثَعْلَبٌ[3]: معناه: يَكْفِيهِ وَيَشْـغَلُهُ ما هو فيه.

قـال الفَرّاءُ[4]: وقرأ ابن مُحَيْصِنٍ والحَسَـنُ: «يَعْنِيهِ»[5] بالعين المهملة، وهو شاذٌّ، وقرأ العامة: ﴿يُغْنِيهِ﴾ بالغين المعجمة.

---

(١) قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ٢١٠/ ب، ٢١١/ أ، وقال الزمخشـري: «يقال: صَخَّ لِحَدِيثِهِ مثل: أصاخَ له، فَوُصِفَت النفخةُ بالصّاخّةِ مجازًا؛ لأن الناس يَصُخُّونَ لَها». الكشاف ٤/ ٢٢٠.

(٢) قالـه ابن قتيبة في غريـب القرآن ص ٥١٥، وينظر: تهذيب اللغـة ٦/ ٥٥٢، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٣.

(٣) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٢١٠/ ب، تهذيب اللغة ٨/ ٢٠٢.

(٤) قال الفَرّاءُ: «وقد قرأ بعض القُرّاءِ: «يَعْنِيه»، وهي شاذةٌ». معانِي القرآن ٣/ ٢٣٨.

(٥) وهذه قراءة الزُّهْرِيِّ وابنِ أبِي عَبْلةَ وحُمَيْدٍ وابنِ السَّـمَيْفَعِ أيضًا، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٩، المحتسب ٢/ ٣٥٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٥، البحر المحيط ٨/ ٤٢١.

فصل

عن سَوْدَةَ[(١)] زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قالت: قال رسول الله ﷺ: «يُبْعَثُ النّاسُ يَوْمَ القِيامةِ حُفاةً عُراةً غُرْلًا، قد أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ، وَبَلَغَ منهم شُحُومَ الآذانِ»، فقلتُ: يا رسول الله: واسَوْأَتاهُ! يَنْظُرُ بَعْضُنا إلَى بَعْضٍ؟ فقال: «قَدْ شُغِلَ النّاسُ عن ذلك»، ثم تلا / : ﴿لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾[(٢)]. ومثله رُوِيَ عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ[(٣)]. [٢٩٤/ ب]

قوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾﴾؛ أي: مُضِيئةٌ حَسَنةٌ، يقال: أَسْفَرَ وَجْهُهُ: إذا أضاء، وكذلك: أَسْفَرَ الصُّبْحُ: إذا أضاءَ[(٤)]، وهو رفع بالابتداء وإن كان نكرةً للفائدة التي فيه، والخبر ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾، ﴿ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾﴾؛ أي: فَرِحةٌ بِثَوابِ الله ـ تعالَى ـ وَكَرامَتِهِ لَها، و﴿ضَاحِكَةٌ﴾ نعت لـ﴿مُّسْفِرَةٌ﴾.

﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾﴾ سَوادٌ وَكَآبةٌ في وُجُوهِ الكَفَرةِ ﴿تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾﴾؛

---

(١) هي سَوْدةُ بنت زَمْعةَ بن قيس بن عبد شَمْسٍ، زوج النبي ﷺ، كانت في الجاهلية زَوْجَ السَّكْرانِ بن عمرو بن عبد شَمْسٍ، أسلمت وأسلم زوجها، وهاجرا إلى الحبشة الهجرةَ الثانية، ثم عادا إلَى مكة فَتُوُفِّيَ عنها زوجها، ثم تزوجها النبيُّ ﷺ، وتوفيت بالمدينة سنة (٥٤هـ). [أسد الغابة ٥/ ٤٨٤، الإصابة ٨/ ١٩٦].

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٤-٥١٥ كتاب التفسير: سورة «عَبَسَ وَتَوَلَّى»، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢٤/ ٣٤، وينظر: الوسيط ٤/ ٤٢٥، مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٣ كتاب البعث: باب «كَيْفَ يُحْشَرُ الناسُ».

(٣) تقدم تخريجه في آخر سورة الأنبياء ١/ ٢١٦.

(٤) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٤، والنقاش في شفاء الصدور ٢١٠/ ب، وحكاه الأزهري عن الزجاج في التهذيب ١٢/ ٤٠٠، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٣.

أي: تَعْلُوها وَتَغْشاها ظُلْمةٌ وَكُسُوفٌ عند معاينة النار، والفرق بين الغَبَرةِ والقَتَرةِ أنَّ الغَبَرةَ ما كان من أسفل الأرض، والقَتَرةَ ما ارتفع من الغُبارِ فَلَحِقَ بالسماء(١).

﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ الذين يُصْنَعُ بهم هذا ﴿هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾ يعني: الجَحَدةُ الظَّلَمةُ، جمع الكافر والفاجر، وتكون ﴿هُمُ﴾ فاصلةً أو مبتدأة، و﴿ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾ خبر، والجملة خبر ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، والله أعلم.

* * *

(١) هذا الفرق بين الغَبَرةِ والقَتَرةِ حكاه الطبري عن عبد الرحمن بن زيد في جامع البيان ٣٠/ ٧٩.

سورة ﴿كُوِّرَتْ﴾
مكية

وهي خمسمائة وثلاثة وثلاثون حرفًا، ومائة وأربع كلمات، وتسع وعشرون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ أعاذَهُ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ أنْ يَفْضَحَهُ حِينَ تُنْشَرُ صَحِيفَتُهُ»[١].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ تَناثَرَتْ ذُنُوبُهُ كَما يَتَناثَرُ وَرَقُ الشَّجَرِ فِي الشِّتاءِ»[٢].

وعن ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى يَوْمِ القِيامةِ كَأَنَّهُ رَأْيُ عَيْنٍ فَلْيَقْرَأْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾»[٣].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٣٦، الوسيط ٤/ ٤٢٧، الكشاف ٤/ ٢٢٦، مجمع البيان ١٠/ ٢٧٣.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٢/ ٢٧، ٣٦، ١٠٠، والترمذي في سننه ٥/ ١٠٤ أبواب تفسير القرآن: سورة «إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٥ كتاب التفسير: سورة «إذا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ»، ٤/ ٥٧٦ كتاب الأهوال: باب «الدواوين ثلاثةٌ»، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢١١/ أ.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١﴾؛ أي: جُمِعَتْ، قال الزَّجّاجُ[(١)]: لُفَّتْ كَما تُلَفُّ العِمامةُ، يُقالُ: كُرْتُ العِمامةَ على رَأْسِي أكُورُها كَوْرًا، وَكَوَّرْتُها تَكْوِيـرًا: إذا لَفَفْتَهـا. وقيـل[(٢)]: أظْلَمَتْ وَذَهَبَ ضَوْؤُهـا، ومعنى ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾؛ أي: جُمِـعَ بَعْضُهـا إلَى بَعْضٍ، ثُـمَّ لُفَّتْ وَرُمِيَ بِها، يقـال منه: طَعَنَهُ فَكَوَّرَهُ[(٣)].

وأصل التَّكْوِيرِ في كلام العرب: جَمْعُ بعض الشَّيْءِ إلَى بعضه وَلَفُّهُ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «يُكَوِّرُ اللهُ الشَّمْسَ والقَمَرَ والنُّجُومَ يوم القيامة في البَحْرِ، ثم يَبْعَثُ اللهُ عليها رِيحًا فَتُضْرِمُها، فَتَصِيرُ / نارًا»[(٤)]. [٢٩٥/ أ]

و﴿ٱلشَّمۡسُ﴾ رفـع عند البصريين على إضمار فعـل[(٥)]؛ لأن ﴿إِذَا﴾ فيها

---

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٨٩.

(٢) قاله ابن عباس وقتادة ومقاتل والكلبي والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٣٩، جامع البيـان ٣٠/ ٨١، إعـراب القرآن ٥/ ١٥٥، شـفاء الصدور ورقـة ٢١١/ أ، تهذيب اللغة ١٠/ ٣٤٦، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٦، الوسيط ٤/ ٤٢٨.

(٣) قاله النحاس فـي إعراب القرآن ٥/ ١٥٥، وقال الأزهري: «أبو عبيد عن الأصمعي: طَعَنَهُ فَكَوَّرَهُ وَجَوَّرَهُ: إذا صَرَعَهُ». تهذيب اللغة ١٠/ ٣٤٦، وينظر: الصحاح ٢/ ٨١٠، اللسان: كور، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٧٥.

(٤) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٨٥، الوسيط ٤/ ٤٢٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٠، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٧، الدر المنثور ٦/ ٣١٨.

(٥) ينظر في إعراب الاسـم المرفـوع الواقع بعد أداة الشـرط: الكتـاب ٣/ ١١٠ وما بعدها، المقتضب ٢/ ٧٢.

معنى المُجازاةِ، فهي بالفعل أوْلَى، ومثله: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾[١] و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾[٢] و﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ﴾[٣]، وهو كثير في القرآن، وقال الكوفيون[٤]: ما بعد ﴿إِذَا﴾ رفع بالابتداء وما بعده الخبر.

و﴿إِذَا﴾ في موضع نصب على الظرف، والناصب له جواب ﴿إِذَا﴾، لا الفعل الواقع بعد ﴿إِذَا﴾، وجوابُ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ وما بعدها قولُهُ تعالى: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾[٥]، كما يُقالُ: إذا قام زيدٌ قَعَدَ عَمْرٌو[٦]، وإنما أُسكنت التاءُ في ﴿أُحْضِرَتْ﴾ وفيما أشبهه مما تقدم؛ لأنهم كرهوا كثرة الحركات فأسكنوها.

قوله: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢﴾ يعني: انْتَثَرَتْ كقوله تعالَى: ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾[٧]؛ أي: تَساقَطَتْ وَتَهافَتَتْ، والانْكِدارُ: التَّهافُتُ والتَّناثُرُ والسَّيْرُ سَرِيعًا، يقال: كَدَرْتُ عليه الشَّيْءَ أي: صَبَبْتُهُ، وَكَدَرْتُ ما في القَصْعةِ فانْكَدَرَ، ويقال: انْكَدَرَ الطّائِرُ من الهواء: إذا انْقَضَّ.

---

(١) الانفطار ١.

(٢) الانشقاق ١.

(٣) المرسلات ٨.

(٤) هذا مذهب الأخفش والكوفيين، وَحُكِيَ عن الكوفيين أيضًا، أنَّ هذا الاسم يُرْفَعُ على أنه فاعل بالفعل الذي بعده، وينظر في هذه المسألة أيضًا: الخصائص ١/ ١٠٥، ٢/ ٣٨٠، أماليُّ ابن الشجري ٢/ ٨٢، الإنصاف ص ٦١٥ وما بعدها، أسرار العربية ص ٦٦، شرح التسهيل لابن مالك ٢/ ٢١٣-٢١٤، الجنى الدانِي ص ٣٦٨، مغني اللبيب ص ١٢٧، ٧٥٧.

(٥) التكوير ١٤.

(٦) قاله الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩١، إعراب القرآن ٥/ ١٥٩.

(٧) الانفطار ٢.

قال الكَلْبِيُّ وعطاءٌ[١]: تُمْطِرُ السماءُ يومئذ نُجُومًا، فلا يبقى نَجْمٌ في السماء إلا وَقَعَ على الأرض، وذلك أنها مُعَلَّقَةٌ في قَنادِيلَ بين السماء والأرض بِسَلاَسِلَ من النور، وتلك السَّلاَسِلُ بأيدي ملائكةٍ، فإذا مات مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض تَساقَطَتْ تلك السَّلاَسِلُ من أيدي الملائكة؛ لأنه مات مَنْ كان يُمْسِكُها.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ يعني: قُلِعَتْ من أُصُولِها، وَسُيِّرَتْ عن وجه الأرض، فصارت هباءً مُنْبَثًّا ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾﴾ العِشارُ من النُّوقِ: الحَوامِلُ، واحدتها عُشَراءُ، وهي التي أَتَى عليها فِي الحَمْلِ عَشْرةُ أَشْهُرٍ، عَطَّلَها أَرْبابُها، وَتَرَكُوها من الشُّغُلِ بأنفسهم، فَأَهْمَلُوها مِمّا جاءَهُمْ من أهْوالِ يوم القيامة[٢]، وقيل[٣]: هي الدُّورُ ماتَ عنها أَهْلُها فَتَعَطَّلَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾﴾؛ أي: جُمِعَتْ، قال ابن عباس[٤]: يُحْشَرُ كُلُّ شَيْءٍ حتى إنَّ الذُّبابَ لَيُحْشَرُ، حتى يَقْتَصَّ بَعْضُها من بعض.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾ سُجِّرَ بَعْضُها في بَعْضٍ؛ أي: مُلِئَتْ فصارت بَحْرًا واحدًا مَمْلُوءًا، نظيرها: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾[٥]، قرأ أبو عمرو وابن كثير:

---

(١) ينظر قولهما في شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢١١/ أ، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٢٨.

(٢) قاله ابن عباس وغيره من المفسرين وأهل اللغة، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٦، جامع البيان ٣٠/ ٨٣، ٨٤، شفاء الصدور ورقة ٢١١/ أ، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٤، زاد المسير ٩/ ٣٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٩.

(٣) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٥٨، وينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٩.

(٤) ينظر قوله في القرطبي ١٩/ ٢٢٩، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٧٧، الدر المنثور ٦/ ٣١٩.

(٥) الانفطار ٣.

«سُـجِرَتْ» بالتخفيف(١)، وقرأ الباقون بالتشـديد، ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧﴾ قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ(٢): أما أهل الجنة فَزُوِّجُوا الخَيْراتِ الحِسـانَ، وأما أهل النار فَيُجْمَعُ بين كُلِّ إنْسـانٍ وَشَيْطانٍ، وقال عطاءٌ(٣): زُوِّجَتْ نُفُوسُ المُؤْمِنِينَ / بِالحُورِ العِينِ، وَقُرِنَتْ نُفُوسُ الكافرين بالشياطين.

﴿وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨﴾ الموءودة هي الجارية المدفونة حَيّةً، وكانت المـرأةُ فـي الجاهلية إذا هـي حَمَلَـتْ، وكان أوان ولادتها، حَفَـرَتْ حَفِيرًا، فَتَمَخَّضَـتْ على رأس الحَفِيرةِ، فإن وَلَـدَتْ جاريةً رَمَتْ بِها في الحَفِيرةِ، وإن وَلَدَتْ غلامًا حَبَسَـتْهُ(٤)، وَسُمِّيَتْ موءودة لِما يُطْرَحُ عليها من التراب فَيَقْتُلُها، وكذلك كانت العرب في الجاهلية، إذا وُلِدَتْ لأحدهم بِنْتٌ دَفَنَها حَيّةً مَخافةَ العار والحاجة، وفيه يقول قائلهم:

٤٧٥ ـ سَـمَّيْتُها إذْ وُلِـدَتْ تَمُوتُ
والقَبْـرُ صِهْـرٌ ضامِـنٌ زِمِّيـتُ(٥)

---

(١) وقـرأ بالتخفيف أيضًا: يعقوبُ وَرُوَيْسٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ واليَزِيدِيُّ، ينظر: السـبعة ص ٦٧٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣١، الإتحاف ٢/ ٥٩١.

(٢) ينظر قوله في تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣١، ٢٣٢، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٨٠.

(٣) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٤٢٩، زاد المسير ٩/ ٣٩.

(٤) قالـه ابن عباس، ينظر: شـفاء الصدور ورقة ٢١٣/ أ، الكشـف والبيـان ١٠/ ١٣٩، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٨٢.

(٥) البيتان من الرجز المشـطور، لِعُقَيْلِ بن عِلَّفةَ، ونسـب لأبِي فِرْعَوْنَ، ويُرْوَى الثانِي: «صِهْرٌ صالِحٌ».

اللغـة: القَبْرُ صِهْرٌ: مَثَلٌ؛ أيْ: زَوَّجْتُها القَبْرَ حِينَ دَفَنْتُها فِيهِ حَيّةً، فَجَعَلَ القَبْرَ صِهْرًا، زِمِّيتُ: ساكِنٌ قَلِيلُ الكَلامِ.

التخريـج: العيـن ٧/ ٣٥٩، غريب الحديث للهروي ٢/ ٥٠، جمهـرة اللغة ص ٣٩٧،=

يقـال: وَأَدَ يَئِدُ وَأْدًا فهو وائِدٌ، ومَوْءُودٌ، فالفاعـل وائِدٌ، والفاعلة وائِدةٌ، والفاعلات وائِداتٌ، والمفعول به مَوْءُودٌ[١].

ومعنى قوله: ﴿سُئِلَتۡ﴾؛ أي: طُولِبَ بها، من قولهم: سَـأَلْتُ فُلاَنًا؛ أي: طَلَبْتُ منه[٢]، قال الفَرّاءُ[٣]: سُئِلَتِ المَوْءُودةُ فَقِيلَ لَها: بأيِّ ذَنْبٍ قُتِلْتِ؟ ومعنى سؤالها تَوْبِيخُ قاتِلِها؛ لأنها تقول: قُتِلْتُ بغير ذَنْبٍ، ومَنْ قرأ: «سَأَلَتْ»[٤] قال: معناه: طَلَبَتْ من صاحبها فِيمَ قَتَلَها؟

وفي سؤالها تَنْبِيهٌ على طَلَبِها بِحَقِّها مِنْ قاتِلِها، والدليل على ذلك قوله: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ﴾، يعني: أنها قُتِلَـتْ بغير ذنب، وفي الآية دلالة واضحة على الصبر على البنـات، والنَّفَقةِ عليهن وَتَرْبِيَتِهِنَّ، والتحذيرِ من خوف الفقر، قال

= ديـوان الأدب ٢/ ٣٤٢، تهذيـب اللغـة ١٣/ ١٨٦، مقاييـس اللغـة ٢/ ٤٧٣، الصحاح ص ٢٤٩، ٢٥٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٣٩، تاريخ دمشق ٤١/ ٣٣، مجمع البيان ١٠/ ٢٧٧، تفسـير القرطبي ١٩/ ٢٣٣، اللسان: ربت، زمت، ضمن، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٨٣، تاج العروس: ربت، زمت، موت، ضمن.

(١) قاله الخليل والزجاج، ينظر: العين ٨/ ٩٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٠، وينظر: تهذيب اللغة ١٤/ ٢٤٤، وقال الجوهري: «وكانت كِنْدةُ تَئِدُ البناتِ». الصحاح ٢/ ٥٤٦.

(٢) هذا قول ثعلب، حكاه عنه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢١٣/ ب، وقال النحاس: «وفي معنى «سُئِلَتْ» قولان، أحدهما: أن المعنى: طُلِبَ منها: مَنْ قَتَلَها؟ توبيخًا له، فقيل لها: مَنْ قَتَلَكِ؟ ». إعراب القرآن ٥/ ١٥٨، وقاله المرتضى في أماليه ٢/ ٢٧٩.

(٣) معانِي القرآن ٣/ ٢٤٠، ٢٤١، وهذا معنى كلامه لا لفظه.

(٤) قرأ بها عبدُ الله بنُ مسـعود وعَلِيُّ بنُ أبِـي طالب وعبدُ الله بنُ عباس، رضي الله عنه، وجابرُ ابنُ زيد وأبو الضحى ومجاهدٌ والضحاكُ وأبو صالِحٍ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٦٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٣٣٣، البحر المحيط ٨/ ٤٢٥.

الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾(١).

وفي الآية رَدٌّ على مَنْ زَعَمَ أن أطفال المشـركين في النار؛ لقوله تعالى: ﴿بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾، فكيف يُعَذَّبُ أطفالُ المشـركين بغيـرِ ذنبٍ؟ رُوِيَ عن ابن عباس أنه قال: «أطْفالُ المشركين في الجَنّةِ، فمن زَعَمَ أنهم في النار فقد كَذَبَ؛ لقوله تعالَى: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(٢)، وَرُوِيَ عن النبي ﷺ أنه سُـئِلَ عَنْ أطْفالِ المُشْـرِكِينَ فقال: «يَكُونُونَ خَدَمًا لأهلِ الجَنّةِ»(٣)، وَرُوِيَ عنه أيضًا أنه قال: «اللهُ أعْلَمُ بِما كانُوا عامِلِينَ»(٤).

وأمـا ما وَرَدَ من الأخبار بأن أطفال المشـركين في النـار فما رُوِيَ عن ابن مسـعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الوائِدةُ والموءودة فِي النار»(٥)، وعن عائشـة ـ رضي الله / عنها ـ قالت: «سَـأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عن [٢٩٦/ أ]

---

(١) الإسراء ٣١، وهذا الكلام قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢١٣/ ب.

(٢) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢١٤/ أ، تفسير ابن كثير ٤/ ٥٠٩، الدر المنثور ٦/ ٣١٩.

(٣) رُوِيَ هـذا الحديـث عن أنس وسَـمُرةَ بـن جُنْـدُبٍ، رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسـط ٥/ ٢٩٤، والمعجـم الكبيـر ١/ ٢٤٤، وذكره النقاشُ في شـفاء الصـدور ورقة ٢١٤/ أ، والهيثميُّ في مجمع الزوائد ٧/ ٢١٩ كتاب القَدَرِ: باب في أولاد المشـركين، وينظر: الدر المنثور ٣/ ١٤٤.

(٤) رُوِيَ هـذا الحديث عن ابن عبـاس وأبِي هريرة، رواه الإمام أحمد في المسـند ١/ ٢١٥، ٣٢٨، ٣٤١، ٣٥٨، ٢/ ٢٤٤، ٢٥٩، ٢٦٨، ٣٩٣، والبخاري في صحيحه ٢/ ١٠٤ كتاب الجنائز: باب ما قيل في أولاد المشركين، ٧/ ٢١٠، ٢١١ كتاب الرقاق: باب «اللهُ أعْلَمُ بِما كانُوا عامِلِينَ»، ورواه مسـلم في صحيحه ٨/ ٥٤ كتاب القَدَرِ: باب «كل مولود يولد على الفطرة».

(٥) رواه أبو داود في سـننه ٢/ ٤١٧ كتاب السـنّة: باب في ذراري المشـركين، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٠/ ٩٣، ١٣٨، وينظر: شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢١٤/ أ.

وِلْدانِ المُؤْمِنِينَ أَيْنَ هُمْ؟ فقال: «هُمْ في الجَنّةِ»، وسألتُ عن وِلْدانِ المشركين، فقال: «إنْ شِئْتِ أَسْمَعْتُكِ تَضاغِيَهُمْ فِي النّارِ»[1]، ورُوِيَ أنهم مع آبائهم حيث كانوا[2].

وعن سَلَمَةَ بن يَزِيدَ الجُعْفِيِّ[3] قال: «جِئْتُ أنا وَأَخِي إِلَى رسول الله ﷺ فَقُلْنا له: إنَّ أُمَّنا هَلَكَتْ في الجاهلية، وكانت تَقْرِي الضَّيْفَ، وَتَصِلُ الرَّحِمِ، وتفعل وتفعل، فهل ذلك نافِعٌ أُمَّنا؟، قال: «لا»، قلنا: إنها وَأَدَتْ أُخْتًا لَنا في الجاهلية لَمْ تَبْلُغ الحِنْثَ، فَهَلْ ذلك نافِعٌ أُمَّنا؟ قال: «لا، الوائِدةُ والمَوْءُودةُ في النار، إلا أن تُدْرِكَ الوائِدةُ الإسْلاَمَ فَيُغْفَرَ لَها»[4].

قلتُ: وهذه الأحاديث تخالف ما رُوِيَ عن ابن عباس، والحديثَ الذي تقدم، والله أعلم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٠٨، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٢/ ٣٠٢، وينظر: الكامل في الضعفاء ٢/ ٧١، ٧/ ٢٠٧، مجمع الزوائد ٧/ ٢١٧ كتاب القَدَرِ: باب في أولاد المشركين، الدر المنثور ٤/ ١٦٨، والتَّضاغِي: الصِّياحُ والبُكاءُ.

(٢) رُوِيَ هذا عن عائشة وابن عباس، رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٨٤، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٨/ ٨٧، ٨٨، ١١/ ١٤، وينظر: مجمع الزوائد ٥/ ٣١٦ كتاب الجهاد: باب ما نُهِيَ عن قتله من النساء وغير ذلك.

(٣) سَلَمةُ بن يزيد بن مَشْجَعةَ بن المُجَمِّع بن مالك بن كعب الجُعْفِيُّ، ويقال: يَزِيدُ بن سَلَمةَ، والأول أصح، صحابِيٌّ من أهل الكوفة، رَوَى عن النبي ﷺ. [الإصابة ٣/ ١٣١-١٣٢، الوافي بالوفيات ١٥/ ٣١٩].

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٤٧٨، والنسائيُّ في السنن الكبرى ٦/ ٥٠٧ كتاب التفسير: سورة التكوير، وينظر: المعجم الكبير للطبرانِيِّ ٧/ ٣٩، شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢١٤/ أ، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٣٠، مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ١١٨ كتاب الإيمان: باب في أهل الجاهلية.

فصل

عــن ابــن عُمَرَ ـ رضــي الله عنه ـ قال: قــال رســول الله ﷺ: «يَجْمَعُ اللهُ ـ عــزّ وجــلّ ـ أطْفالَ أُمّــةِ مُحَمَّدٍ ﷺ يــوم القيامة فِي حِيــاضٍ تحت العرش، فَيَطَّلِــعُ اطِّلاعةً، فيقول: ما لِي أراكم رافِعِي رُؤوسِــكُمْ؟، فيقولون: رَأيْنا الآباءَ والأُمَّهــاتِ فِي عَطَشٍ يَوْمِ القيامــة، ونحن فِي هذه الحِياضِ، فَيُوحِي اللهُ إليهم أنِ اغْرُفُوا فِي هذه الآنِيةِ من هذه الحِياضِ الماءَ، ثم تَخَلَّلُوا صُفُوفَ يوم القيامة فاسْقُوا الآباءَ والأُمَّهاتِ.

قولــه تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾ يعنــي صحائف أعمال بني آدم، تُنْشَــرُ لِحِســابِ العِبادِ، لِيُجازَوْا على ما فيها من خير أو شَــرٍّ، قــال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعۡـمَلۡ مِثۡقَـالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَـرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡـمَلۡ مِثۡقَـالَ ذَرَّةٖ شَـرّٗا يَـرَهُۥ﴾[1] في صحيفته.

قرأ نافع وابن عامر وعاصم: ﴿نُشِرَتۡ﴾[2] بتخفيف الشين، وقرأ الباقون بالتشديد لقوله: ﴿صُحُفٗا مُّنَشَّرَةٗ﴾[3].

فصل

عن أُمِّ سَــلَمةَ ـ رضي الله عنها ـ قالت: سَــمِعْتُ رَسُــولَ الله ﷺ يقول:

---

(١) الزلزلة ٧-٨.

(٢) قــرأ نافعٌ وابنُ عامر، وَحَفْصٌ وأبو بكر كلاهما عن عاصمٍ، وأبو جعفر ويعقوبُ وأبو رجاء وشــيبةُ وقتادةُ والحســنُ والأعرجُ: «نُشِــرَتْ» بالتخفيف، ينظر: السبعة ص ٦٧٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٥، البحر المحيط ٨/ ٤٢٥، الإتحاف ٢/ ٥٩٢.

(٣) المدثر ٥٢.

«يُحْشَرُ الناسُ يوم القيامة عُراةً حُفاةً»، قالتْ: قلتُ: يا رسول الله: كَيْفَ النِّساءُ؟ قال: «يُشْغَلُ النّاسُ يا أُمَّ سَلَمةَ»، قالتْ: قلتُ: وما يَشْغَلُهُمْ يا رسول الله؟ قال: «نَشْرُ الصُّحُفِ، فِيها مَثاقِيلُ الذَّرِّ وَمَثاقِيلُ الخَرْدَلِ»[١].

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١﴾؛ أي: نُزِعَتْ، فَطُوِيَتْ كما يُكْشَطُ الغِطاءُ عن القِدْرِ، وفي قراءة عبد الله: «قُشِطَتْ»[٢] بالقاف، والمعنى واحد، يقال: كَشَطْتُ الجِلْدَ وَقَشَطْتُهُ بمعنًى واحدٍ: إذا نَزَعْتَهُ / ، والعرب تقول: كافُورٌ وَقافُورٌ، وَكَفٌّ وَقَفٌّ، والكَشْطُ والقَشْطُ، والحرفان إذا تَقارَبا فِي المَخْرَجِ جاز [تَعاقُبُهُما][٣] في اللغة[٤]. [٢٩٦/ ب]

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢﴾؛ أي: قُرِّبَتْ وَأُظْهِرَتْ وَأُوقِدَتْ لِلْكافِرِينَ، قال قتادة[٥]: وَسَعَّرَها غَضَبُ اللهِ وَخَطايا بَنِي آدَمَ، قرأ أهل المدينة بالتشديد،

---

(١) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ١/ ٢٥٤، وذكره القرطبي في تفسيره ١٩/ ٢٣٤، والهيثميُّ في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٣٢ كتاب البعث: باب كيف يحشر الناس.

(٢) وهي أيضًا، قراءة ابن أَبِي عَبْلَةَ، ينظر: مختصر ابن خالويه ص١٦٩، شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٦٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٥.

(٣) زيادة يقتضيها السياق من معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤١.

(٤) من أول قوله: «نُزِعَتْ فَطُوِيَتْ كما يُكْشَطُ» قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٤١، ثم قال الفَرّاءُ: «إذا تَقارَبَ الحرفان في المَخْرَجِ تَعاقَبا في اللغات، كما يُقالُ: جَدَفٌ وَجَدَثٌ، تعاقبت الفاء الثاء في كثير من الكلام، كما قيل: الأثافِيُّ والأثاثِيُّ، وَثَوْبٌ فُرْقُبِيٌّ وَثُرْقُبِيٌّ، وَوَقَعُوا في عاثُورِ شَرٍّ وَعافُورِ شَرٍّ»، وقال ابن السِّكِّيتِ: «الفَرّاءُ: وقد قَشَطْتُ عنه جِلْدَهُ وَكَشَطْتُ، قال: وقريش تقول: «كُشِطَتْ»، وقيس وتميم وأَسَدٌ تقول: «قُشِطَتْ»، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «قُشِطَتْ» بالقاف». الإبدال لابن السكيت ص ١١٣-١١٤، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩١، إعراب القرآن ٥/ ١٥٩، الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ٧٩-٨١، ديوان الأدب ٢/ ١٦٩، الصحاح ٣/ ١١٥٥.

(٥) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ٩٢، شفاء الصدور ورقة ٢١٤/ ب، مجمع البيان ١٠/ ٢٧٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٥.

واخْتُلِفَ فيه عن عاصم وابن عامر وأَبِي عمرو، وقرأ غيرهم بالتخفيف[1]، وهو الاختيار؛ لأنها واحـدة ﴿وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾ أي: قُرِّبَتْ وَأُظْهِرَتْ لِلْمُؤْمِنِينَ، قال الله تعالَى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[2].

وجواب هذه الأشياء قولُهُ تعالَى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ يعني: مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ تُجْزَى به يوم القيامة، قال ابن عباس[3]: في قوله: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ إلَى قوله: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ اثنتا عَشْـرةَ خَصْلةً، سِـتٌّ في الدنيا، وَسِتٌّ في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ «لا» هاهنا زائدة[4]، معناه: فَأُقْسِـمُ بالخُنَّسِ الجَوارِ الكُنَّسِ، يعنـي النجوم تَخْنِسُ بالنَّهارِ، فَتَخْتَفِي ولا تُرَى، وَتَكْنِسُ في وقت غُرُوبِها؛ أي: تَسْـتَتِرُ كما تَكْنِسُ الظِّباءُ فِي كُنُسِها، فهذا خُنُوسُـها وَكُنُوسُها[5]، وأصل الخُنُوسِ الرُّجُوعُ إلَى وَراءٍ، والكُنُوسُ: أَنْ تَأْوِيَ إلَى مَجارِيها كما تَأْوِي الظِّباءُ إلَى مَكانِسِـها، وهي المواضع التي يَأْوِي

---

(١) قرأ نافعٌ وابنُ ذَكْوانَ وأبو جعفر، وحفصٌ عن عاصم، ورويسٌ: «سُـعِّرَتْ» بالتشديد، ورواها العليمـي عن أَبِي بكر عن عاصم، وقرأ عَلِيٌّ بن أَبِي طالب وحمزة والكسـائي وابن كثير وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم: «سُعِرَتْ» بالتخفيف، ينظر: السبعة ص ٦٧٣، الكشف ٢/ ٣٦٣، البحر المحيط ٨/ ٤٢٥، النشر ٢/ ٣٦٨، الإتحاف ٢/ ٥٩٢.

(٢) سورة الشعراء الآيتان ٩٠ و٩١.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٤١، زاد المسير ٩/ ٤١، عيـن المعانِي ورقـة ١٤٢/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٦.

(٤) قاله الزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩١، إعراب القرآن ٥/ ١٦٠.

(٥) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٧، وينظر: تهذيب اللغة ٧/ ١٧٥، الصحاح ٣/ ٩٢٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٧.

إليها الوَحْشُ، قال أَوْسُ بن حَجَرٍ:

٤٧٦ ـ أَلَـمْ تَـرَ أَنَّ اللهَ أَنْـزَلَ مُزْنـةً وَعُفْرُ الظِّباءِ فِـي الكِناسِ تَقَمَّعُ؟[١]

والمعنى: أنها تَخْفَى بالنهار، وَتَبْدُو بالليل.

وَسُئِلَ عَلِيُّ بن أبِي طالب ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ: ما الخُنَّسُ الجَوارِ الكُنَّسُ؟ قـال: «الكواكب تَخْنِسُ بالنهار، وَتكْنِسُ بالليل، تَأْوِي إلَى مَجارِيها»[٢]، وهي بَهْرامُ وَزُحَلُ وَعُطارِدُ والزُّهَرةُ والمُشْـتَرِي، وَأمالَ أبو عُمَرَ الدُّورِيُّ «الجَوارِ» عن الكسائي، وفتحها الباقون[٣]، و﴿ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ نعت «الخُنَّسِ».

قوله: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾﴾ يعني: أَقْبَلَ بِظَلاَمِهِ، قال الشاعر:

٤٧٧ ـ حَتَّى إذا ما لَيْلُهُنَّ عَسْعَسـا
رَكِبْـنَ مِنْ حَدِّ الظَّلاَمِ حِنْدِسـا[٤]

---

(١) البيت من الطويل، لأوس بن حجر.
اللغـة: المُزْنةُ هنا: المَطْرةُ، الأعْفَرُ مِنَ الظِّباءِ: الذِي تَعْلُو بَياضَـهُ حُمْرةٌ، وَهُوَ قَصِيرُ العُنُقِ، تَقَمَّعُ: تَدْخُلُ في مَواضِعِها التِي تَكْتَنُّ فِيها فِرارًا وَهَرَبًا.
التخريج: ديوانه ص ٥٧، الحيوان ٣/ ٣٥١، المعانِي الكبير ص ٦٠٥، جامع البيان ٣٠/ ٩٧، جمهـرة اللغة ص ٩٤١، الجيـم ٣/ ١١٩، تهذيب اللغـة ١/ ٢٩١، مجمل اللغة ص ٧٣٤، مقاييس اللغة ٥/ ٢٨، الصحاح ص ١٢٧٣، ٢٢٠٣، المخصص ٨/ ١٨٣، الكشـف والبيان ١٠/ ١٤١، تفسـير القرطبي ١٧/ ٢٢١، ١٩/ ٢٣٨، اللسـان: قمـع، مزن، اللباب في علوم الكتاب ١٨/ ٤٢٤، التاج: قمع.

(٢) ينظـر: جامـع البيان ٣٠/ ٩٤، الكشـف والبيان ١٠/ ١٤١، زاد المسـير ٩/ ٤٢، تفسـير القرطبي ١٩/ ٢٣٦-٢٣٧.

(٣) ينظر: إتحاف فضلاء البشر ٢/ ٥٩٢.

(٤) البيتان من الرجز المشطور، لِعَلْقَمةَ بنِ قُرْطٍ. والحِنْدِسُ: الشديد السواد. =

وقيل: معناه: أدْبَرَ، قال أهل اللغة[١]: هو من الأضداد، يقال: عَسْعَسَ اللَّيْلُ: إذا أقْبَلَ، وَعَسْعَسَ: إذا أدْبَرَ، وَيَدُلُّ على أن المراد هاهنا: أدْبَرَ/ قولُهُ [٢٩٧/ أ] تعالى: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾[٢]؛ أي: امْتَدَّ وارْتَفَعَ، وقيل: أقْبَلَ وَأضاءَ، وقيل: اتَّسَعَ، يقال: أنْتَ فِي نَفَسٍ؛ أي: سَعةٍ، وتقول العرب: عَسْعَسَ اللَّيْلُ وَسَعْسَعَ: إذا أدْبَرَ وَلَمْ يَبْقَ منه إلّا اليَسِيرُ، قال عَلْقَمةُ[٣]:

٤٧٨ - حَتّى إذا الصُّبْحُ لَهُ تَنَفَّسا
وانْجابَ عَنْهُ لَيْلُها وَعَسْعَسا[٤]

= التخريج: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٩، الأضداد للسجستانِيِّ ص ٩٧، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٤، البحر المحيط ٨/ ٤٢٢.

(١) ينظر: الأضداد لقطرب ص ١٢٢، الأضداد للسجستانِيِّ ص ١٦٦-١٦٧، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٢، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٢، ٣٣، تهذيب اللغة ١/ ٧٨، شمس العلوم ٧/ ٤٣٢٢.

(٢) هذا الدليل قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٧، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤٣١.

(٣) كذا في الأصل، والصحيح أنه عِلْقةُ التَّيْمِيُّ، قال الآمدي: «وأما ابن عِلْقةَ التَّيْمِيُ فلا أعرف اسْمَهُ ولا نسبه ولا من أيِّ تَيْمٍ هُوَ، ذكره ابن الأعرابِيِّ في نوادره». المؤتلف والمختلف للآمدي ص ١٦٠، وينظر: إكمال الكمال لابن ماكولا ٦/ ٢٥٦.

(٤) البيتان من الرجز المشطور، لعِلْقةَ التيميِّ كما سبق، وَنُسِبا لِلْعَجّاجِ وَلِعَلْقَمةَ بنِ قُرْطٍ، ومعنى «انْجابَ»: انْشَقَّ.

التخريج: شعر عِلْقةَ التَّيْمِيِّ ص ١٦٨ (ضمن أراجيز المقلين)، ديوان العجاج ص ١٢٤، ٤٠١، الأضداد لقطرب ص ١٢٢، مجاز القرآن ٢/ ٢٨، الأضداد للسجستانِيِّ ص ١٦٧، جامع البيان ٣٠/ ٩٩، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٣، الكشف والبيان ١٠/ ١٤١، الكشاف ٤/ ٢٢٤، المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، شمس العلوم ٧/ ٤٣٢٢، زاد المسير ٩/ ٤٣، عين المعانِيِّ ورقة ١٤٢/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٨، الدر المصون ٦/ ٤٨٧، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٨٧.

وقال رُؤْبَةُ:

٤٧٩ - يا هِنْدُ ما أَسْرَعَ ما تَسَعْسَعا
مِنْ بَعْدِ ما كانَ فَتًى سَرَعْرَعا[١]

وجواب القسم قوله تعالَى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩﴾ يعني جبريل عليه السّلام، نَزَلَ بالقرآن، وَأَخْبَرَ به النَّبِيُّ ﷺ عن الله - عزّ وجلّ -، وأجاز الكسائيُّ[٢]: «أَنَّهُ» بالفتح؛ أي: أُقْسِمُ أَنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَتابَعَهُ على ذلك محمد بن يزيد[٣].

ثم وَصَفَ اللهُ تعالَى جبريلَ عليه السّلام فقال: ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾؛ أي: فيما كُلِّفَ وَأُمِرَ به ﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠﴾ يعني: في المَنْزِلةِ، وهو نعت ﴿رَسُولٍ﴾، يقال: مَكُنَ فُلاَنٌ عند فُلاَنٍ مَكانةً ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ﴾؛ أي: في السماوات تُطِيعُهُ الملائكةُ

---

(١) الأبيات من الرجز المشطور، لِرُؤْبَةَ يذكر امرأةً تُخاطِبُ صاحبتها، وتُذَكِّرُهُ بتقدمه في السِّنِّ، وقبله في ديوانه:

لَمّـا رَأَتْنِـي أُمُّ عَمْـرٍو أَصْلَعـا
وَقَـدْ تَرانِـي لَيِّنًـا سَـرَعْرَعا

اللغة: تَسَعْسَعَ الشَّيْخُ: قارَبَ الخَطْوَ واضْطَرَبَ مِنَ الكِبَرِ والهَرَمِ، والمَعْنَى: أَنَّهُ أَدْبَرَ وَفَنِيَ إِلَّا أَقَلُّهُ، السَّرَعْرَعُ: الشّابُّ النّاعِمُ اللَّدْنُ.

التخريج: ديوانه ص ٨٨، العين ١/ ٧٥، غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٩٥-٢٩٦، الجيم ٢/ ١٠٩، جمهرة اللغة ص ١٣٣، ٢٠٣، تهذيب اللغة ١/ ٨٠، مقاييس اللغة ٣/ ٥٧، مجمل اللغة ص ٤٥٣، الصحاح ص ١٢٢٩، ١٢٩٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٤٢، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسة ص ١٥٦، الفائق في غريب الحديث ٢/ ٣٨٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٣٩، اللسان: سعع، نشع، البحر المحيط ٨/ ٤٢٣، التاج: سرع، سعع، نشع.

(٢) ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٦٢.

(٣) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٦٢.

﴿أَمِينٍ ٢١﴾ على الوَحْيِ، وقيل: أمين على سبعين ألف مُحاسِبٍ، و﴿ثَمَّ﴾ ظرف مكان.

قال المفسرون[١]: مِنْ طاعةِ المَلَائِكةِ جِبْرِيلَ أَنَّهُ أَمَرَ خازِنَ الجَنّةِ ليلة المعراج حَتَّى فَتَحَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ أبوابَها، فَدَخَلَها وَرَأى ما فيها، وَأَمَرَ خازِنَ جَهَنَّمَ، فَفَتَحَ له عنها حَتَّى نَظَرَ إليها، فذلك قوله: ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

فصل

عن معاوية بن قُرَّةَ[٢] قال: قال رسول الله ﷺ لِجِبْرِيلَ عليه السّلام: «ما أَحْسَنَ ما أَثْنَى عَلَيْكَ رَبُّكَ، فَقالَ: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾، فَما كانتْ قُوَّتُكَ؟ وَما كانَتْ أمانَتُكَ؟ قال: أمّا قُوَّتِي فَإِنِّي بُعِثْتُ إِلَى مَدائِنِ قَوْمِ لُوطٍ، وهي أَرْبَعُ مَدائِنَ: سَدُومُ وَصامُوراءُ وَعامُوراءُ وَدامُوراءُ، وَفِي كُلِّ مَدِينَةٍ أربعمائة ألف مقاتل سِوَى الذَّراري، فَحَمَلْتُهُمْ مِنَ الأَرْضِ السُّفْلَى حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّماءِ أَصْواتَ الدَّجاجِ وَنُباحَ الكِلَابِ، ثُمَّ / هَوَيْتُ بِهِنَّ فَقَلَبْتُهُنَّ، وَأَمّا أمانَتِي فَإِنِّي لَمْ أُومَرْ بِشَيْءٍ فَعَدَوْتُهُ إِلَى غَيْرِهِ»[٣].

قوله: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم﴾ رفع اسم «ما» ﴿بِمَجْنُونٍ ٢٢﴾ يعني محمَّدًا ﷺ،

---

(١) ينظر قولهم في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٣١، زاد المسير ٩/ ٤٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٠، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٨٩.

(٢) معاوية بن قُرّةَ بن إياسِ بنِ هَلَالٍ المُزَنيُّ، أبو إياس البصريُّ، تابعيٌّ ثقةٌ، رَوَى عن أبيه وَمَعْقِلِ ابن يَسارٍ وَأَبِي أَيُّوبَ، وتوفي سنة ١١٣ هـ. [التاريخ الكبير ٧/ ٣٣٠، سير أعلام النبلاء ٥/ ١٥٣].

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢١٥/ أ، الوسيط ٤/ ٤٣١، مجمع البيان ١٠/ ٢٨١، تاريخ دمشق ٥٠/ ٣٢٥، الدر المنثور ٦/ ٣٢١.

وهذا الخطاب لأهل مكة، وهو أيضًا من جواب القسم، أقْسَمَ اللهُ أنَّ القرآن نَزَلَ به جبريلُ على محمدٍ وما تَقَوَّلَهُ، وكانوا يقولون: إنَّ محمَّدًا مجنون، وهذا الذي يَأْتِي به يَتَقَوَّلُهُ من نفسه.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾؛ أي: البَيِّنِ، يعني: «رَأى محمدٌ ﷺ جبريلَ عليه السّلام عند مَطْلِعِ الشمس، قد مَلأ الأُفُقَ، له ستمائة جناح، رِجْلَاهُ في الأرض، وَرَأْسُهُ في السماء، وَجَناحٌ له مِنْ قِبَلِ المَشْرِقِ، وَجَناحٌ له مِنْ قِبَلِ المَغْرِبِ، فَفَزِعَ النَّبِيُّ ﷺ، فَتَحَوَّلَ جبريلُ عليه السّلام في صورة البشر، وَضَمَّهُ إلَى صَدْرِهِ، وقال: يا محمد! لا تَخَفْ، فكيف لو رَأيْتَ إسْرافِيلَ وَرَأْسُهُ فِي العَرْشِ وَرِجْلاهُ فِي تُخُومِ السابعة السُّفْلَى؟ وَإنَّ العَرْشَ لَعَلَى كاهِلِهِ، وإنه لَيَتَواضَعُ أحيانًا مَخافَةً من الله ـ عزّ وجلّ ـ، حتى يَصِيرَ مِثْلَ الوَصْعِ ـ يعني العُصْفُورَ ـ، حتى ما يحمل عرش ربك إلّا عَظَمَتُهُ»[١].

قوله: ﴿وَمَا هُوَ﴾ محله رفع اسم «ما» النافية، يعني محمَّدًا عليه السّلام ﴿عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾؛ أي: على الوَحْيِ وَخَبَرِ السماء ﴿بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾ قرأ زَيْدُ بنُ ثابتٍ وابن عُمَرَ والحَسَنُ والأشْهَبُ والأعْمَشُ وَأَهْلُ المدينةِ والشامِ وعاصمٌ وَحَمْزةُ بالضاد، ومعناه: بِبَخِيلٍ، يعني: أنه يَأْتِيهِ عِلْمُ الغَيْبِ وَيُخْبِرُ به فَيُفْشِيهِ، ولا يَكْتُمُهُ كما يَكْتُمُ الكاهِنُ حَتَّى يَأْخُذَ عليه حُلْوانًا[٢]، تقول العرب: ضَنِنْتُ بالشيء

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٤٢، عين المعاني ورقة ١٤٢/ ب، تفسير القرطبي ١٤/ ٣٢٠، ١٧/ ٨٧، ١٩/ ٢٤١، الدر المنثور ١/ ٩٢.

(٢) قاله الفارسي في الحجة ٤/ ١٠١، والإيضاح العضدي ص ١٦٩، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤٣٢، زاد المسير ٩/ ٤٤، المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٤، الفريد للهمدانيّ ٤/ ٦٣٤.

بكسر النون، أضَنُّ به ضِنًّا وَضَنانةً، فأنا ضَنِينٌ؛ أي: بَخِيلٌ[(١)]، قال الشاعر:

٤٨٠ ـ أَجُـودُ بِمَضْنُونِ التِّلاَدِ وَإِنَّنِي   بِسِـرِّكِ عَـمَّـنْ سـالَنِي لَضَنِيـنُ[(٢)]

وقرأ الباقـون بالظاء[(٣)]، وكذلك هو في حرف ابن مسـعود وَمُصْحَفِهِ، وهـي قراءةُ عبدِ الله وَعُرْوةَ بـنِ الزُّبَيْرِ وَعُمَرَ بن عبد العزيز وَأَبِي عبد الرحمن السُّـلَمِيِّ، وروايةُ سـعيدِ بنِ جُبَيْرٍ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ[(٤)]، ومعناه: بِمُتَّهَـمٍ، فـ«فَعِيـلٌ» بمعنى «مَفْعُولٍ»، وفيه ضمير مسـتتر قام مقام ما لَمْ يُسَـمَّ فاعِلُهُ، يقال: فُـلاَنٌ ظَنِينٌ بِمالٍ وَرَمِيٌّ بمالٍ أي: مُتَّهَمٌ به، والظِّنَّةُ: التُّهْمةُ، قال الشاعر:

---

(١) قال ابن السكيت: «وقد ضَنِنْتُ بالشيءِ، فأنا أَضَنُّ به ضَنًّا وَضَنانةً، قال الفَرّاءُ: وَضَنَنْتُ أَضِنُّ لُغةٌ». إصلاح المنطق ص ٢١١، وقال مثله في ص ٤٢٣، وينظر: تهذيب اللغة ١١/ ٤٦٨، الصحاح ٦/ ٢١٥٦.

(٢) البيـت من الطويـل لِقَيْسِ بن الخَطِيـمِ، وَيُرْوَى: «بِمَكْنُـونِ التِّلَادِ»، ويُرْوَى: «بِسِـرِّيَ عَمَّنْ سالَنِي».

اللغة: التِّلاَدُ: كُلُّ مالٍ قَدِيمٍ يُورَثُ عن الآباء، مَضْنُونُ التِّلاَدِ: النَّفِيسُ منه.

التخريج: حواشـي ديوانه ص ١٦٣، أمالِيُّ القالِي ٢/ ١٧٧، ٢٠٢، المختار من شعر بشار ص ١٥٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٤٢، بهجة المجالس ١/ ٤٥٨، عين المعانِي ١٤٢/ ب، تفسـير القرطبي ١٩/ ٢٤٢، المستطرف ١/ ٢٩٧، البحر المحيط ٨/ ٤٢٣، شرح شواهد شرح الشافية ص ١٨٥.

(٣) وهذه قراءة النبيِّ ﷺ رَوَتْها عنه السـيدة عائشـة، ينظر: المستدرك ٢/ ٢٥٢ كتاب التفسير: باب القراءات.

(٤) قرأ بالظاء أيضًا: زيدُ بنُ ثابت وعبدُ الله بنُ عُمَرَ وعائشةُ وعُرْوةُ ومجاهدٌ وهشامُ بنُ جُنْدُبٍ وابنُ كثير وأبو عمرو والكسـائيُّ وَرُوَيْـسٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ واليَزِيدِيُّ وَرَوْحٌ، ينظر: السـبعة ص ٦٧٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٢، البحر المحيط ٨/ ٤٢٦، الإتحاف ٢/ ٥٩٢.

٤٨١ ـ أما ـ وَكِتابِ اللهِ ـ لا عَنْ شَناءةٍ هُجِـرْتُ، وَلَكِـنَّ الظَّنِيـنَ ظَنِينُ[1]

[٢٩٨/ أ] واختـار أبو عبيد هذه القراءة، وقال[2]: إنهم لَـمْ يُبَخِّلُوهُ، فَنَحْتاجَ إِلَى / أَنْ نَنْفِـيَ عنه ذلك البُخْلَ، ولكنْ كَذَّبُوهُ واتَّهَمُوهُ، وقيل: معنى قوله: «بِظَنِينٍ»؛ أي: بِضَعِيفٍ، حكاه الفَرّاءُ[3] والمُبَرِّدُ[4]، يقال: رَجُلٌ ظَنِينٌ؛ أي: ضَعِيفٌ، وَبِئْرٌ ظَنُونٌ: إذا كانت ضعيفةَ الماء.

﴿وَمَاهُوَ﴾ يعني القرآن ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾؛ أي: أَنَّ القرآن ليس بِكَهانةٍ ولا شِـعْرٍ كمـا يقولـون ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يا أهـل مكة؛ أي: إلَـى أيِّ طَرِيقٍ

---

(١) البيت من الطويل، لِنَهارِ بنِ تَوْسِـعةَ اليَشْـكُرِيِّ، وَنُسِبَ لعبد الرحمن بن حَسّانَ، وليس في ديوانه المجموع، ويُرْوَى:

فَلاَ، وَيَمِيـنِ اللهِ، لَا عَنْ جِنايةٍ

التخريـج: الكامل للمبرد ١/ ١٥، تهذيب اللغة ١٤/ ٣٦٤، الكشـف والبيان ١٠/ ١٤٣، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسـة ص ٣٨، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ ب، تفسـير القرطبي ١٩/ ٢٤٢، اللسان: ظنن، التاج: ظنن.

(٢) ينظـر اختيـاره وقوله في إعراب القـرآن للنحاس ٥/ ١٦٣، الكشـف والبيان ١٠/ ١٤٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٢.

(٣) قـال الفراء: «وتقـول: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: بضَعِيفٍ، يقول: هـو مُحْتَمِلٌ له، والعرب تقول للرجل الضعيف أو الشيء القليل: هو ظَنُونٌ، سمعتُ بعض قُضاعةَ يقول: ربما دَلَّكَ على الرَّأْيِ الظَّنُونُ، يريد: الضَّعِيفُ من الرجال، فإن يكن معنى ظَنِينٍ ضعيفًا، فهو كما قيل: ماءٌ شَرِيبٌ وَشَرُوبٌ». معانِي القرآن ٣/ ٢٤٣.

(٤) المبرد ذكر أن الظَّنِينَ معناه المُتَّهَم، فقال: «وقوله: «أَوْ ظَنِينًا في ولاءٍ أو نَسَبٍ» فهو المُتَّهَمُ، وأصله مَظْنُونٌ، وهي ظَنَنْتُ التي تتعدى إلَى مفعول واحد، تقول: ظَنَنْتُ بِزَيْدٍ، وَظَنَنْتُ زَيْدًا، أي: اتَّهَمْتُ، ومن ذلك قول الشاعر، أحسبه عبد الرحمن بن حسان:

فَـلا وَيَمِيـنِ اللهِ مـا عَـنْ جِنايـةٍ هُجِـرْتُ وَلَكِـنَّ الظَّنِيـنَ ظَنِيـنُ

وفي بعض المصاحف: «وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنِينٍ». الكامل في اللغة والأدب ١/ ١٥.

تَسْلُكُونَ عن هذا القرآن الذي فيه الشفاء والبيان؟ قال الشاعر:

٤٨٢ ـ تَصِيحُ بِنا حَنِيفةُ إذْ رَأَتْنا وأَيَّ الأَرْضِ تَذْهَبُ لِلصِّياحِ؟[1]

يريد: إلى أيِّ الأَرْضِ تَذْهَبُ؟[2].

ثم بَيَّنَ أن القرآن ما هو؟ فقال: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾؛ أي: مَوْعِظةٌ لِلْخَلْقِ أجْمَعِينَ ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾﴾؛ أي: يُقِيمَ على الحق والإيمان، وَيَتْرُكَ الكُفْرَ والطُّغْيانَ.

---

(١) البيت من الوافر، لِعَتِيِّ بن مالك العُقَيْلِيِّ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤٣، إصلاح المنطق ص ٨٧، جامع البيان ٣٠/ ١٠٤، جمهرة اللغة ص ١٣١٨، الكشف والبيان ١٠/ ١٤٣، تهذيب إصلاح المنطق ص ٢٣٤، مجمع البيان ١٠/ ٢٨٠، عين المعانِي ورقة ١٤٢/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٣، اللسان: أيا، اللباب فِي علوم الكتاب ٢٠/ ١٩٢، التاج: أيي.

(٢) يعني أنه على حذف حرف الجر، والمعنى: فَإِلَى أيْنَ تَذْهَبُونَ؟ وهذا ما ذهب إليه الفَرّاءُ، فقال: «العرب تقول: إلَى أيْنَ تَذْهَبُ؟ وَأيْنَ تَذْهَبُ؟ ويقولون: ذَهَبْتُ الشّامَ، وَذَهَبْتُ السُّوقَ، وانْطَلَقْتُ الشّامَ، وانطلقتُ السُّوقَ، وخرجتُ الشّامَ، سمعناه في هذه الأحرف الثلاثة: خَرَجْتُ وانْطَلَقْتُ وَذَهَبْتُ.. واستجازوا في هؤلاءِ الأحْرُفِ إلْقاءَ «إلَى» لكثرة استعمالهم إياها». معانِي القرآن٣/ ٢٤٣.

ولكن سيبويه لَمْ يَحْكِ عن العرب إلّا قولهم: ذَهَبْتُ الشّامَ، وَدَخَلْتُ البَيْتَ، وَعَدَّهُ، مع ذلك، شاذًّا، فقال: «وقد قال بعضهم: ذَهَبْتُ الشّامَ، يُشَبِّهُهُ بالمبهم، إذْ كان مكانا يقع عليه المكان والمذهب، وهذا شاذٌّ؛ لأنه ليس في ذَهَبَ دليل على الشام، وفيه دليل على المذهب والمكان، ومثل ذهبت الشام: دَخَلْتُ البَيْتَ». الكتاب ١/ ٣٥.

قال النحاس: «وعلى قول البصريين لا يقيسون من هذا شيئًا». إعراب القرآن ٥/ ١٦٤، وقال السمين الحلبي: «ولا حاجة إلَى ذلك البَتّةَ [يعني ما ذهب إليه الفراء]؛ لأنه ظرف مكان مبهم لا يختص». الدر المصون ٦/ ٤٨٧، وقال العكبري: «ويجوز أن يحمل على المعنى، كأنه قال: أيْنَ تؤمنون؟». التبيان ص ١٢٧٣، وينظر: اللسان: أيا.

قيل[١]: لَمّـا أنْزَلَ اللهُ تعالَـى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾، قال أبو جهل: ذلك إلينا، إنْ شِـئْنا اسْتَقَمْنا، وَإنْ شِئْنا لَمْ نَسْتَقِمْ، فأنزل الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ أعْلَمَهُمْ أنَّ المَشِـيئةَ في التوفيق إليه، وأنهم لا يقدرون على ذلك إلا بِمَشِيئَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ.

رُوِيَ عـن وَهْبِ بنِ مُنَبِّهٍ أنه قال[٢]: الكتـب التي أنزلها الله على الأنبياء بِضْعٌ وَتِسْعُونَ كِتابًا، قرأتُ منها بِضْعًا وَثَمانِينَ كِتابًا، فوجدتُ فيها: «مَنْ جَعَلَ إلَى نفسه شَيْئًا من المشيئة فقد كَفَرَ».

وهذا إعْلامٌ أن الإنسـان لا يقدر أن يعمل خَيْرًا إلّا بتوفيق الله ومشـيئته ونعمته، ولا شَرًّا إلّا بِخِذْلانِهِ وَنِقْمَتِهِ، والله أعلم.

* * *

---

(١) رواه الطبري عن سـليمان بن موسـى في جامع البيان ٣٠/ ١٠٥، وينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٤٣-١٤٤، أسباب النزول ص ٢٩٨، الوسيط ٤/ ٤٣٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٣.

(٢) ينظر قوله في الكشـف والبيان ١٠/ ١٤٤، تفسـير القرطبـي ١٩/ ٢٤٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ١٩٣.

سورة ﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾

مكية

وهي ثلاثمائة وسبعة وعشرون حرفًا، وثمانون كلمةً، وتسع عشرة كلمةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيِّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ أعْطاهُ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ مِنَ الأجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ قَبْرٍ حَسَنةً، وَبِعَدَدِ كُلِّ قَطْرةِ ماءٍ حَسَنةً، وَأصْلَحَ لَهُ شَأْنَهُ يَوْمَ القِيامةِ»[1]، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ بَرِئَ مِنَ الكُفْرِ، وَكُتِبَ مِنَ المُتَواضِعِينَ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ /: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١﴾؛ أي: انشقت ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ يعني: تَساقَطَتْ، قيل[3]: إن الكواكب في قَنادِيلَ مُعَلَّقةٍ

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٤٥، الوسيط ٤/ ٤٣٣، الكشاف ٤/ ٢٢٩، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٢٨٣.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) حكاه الضحاك عن ابن عباس، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٢٨، وانظر ما سبق فِي سورة التكوير ٤/ ٣٠٤.

بَيْنَ السماء والأرض بِسَلاَسِلَ مِنْ نُورٍ، وتلك السلاسل بأَيْدِي ملائكةٍ من نور، فإذا كانت النفخةُ الأُولَى تَناثَرَتْ تلك الكواكبُ، وَتَساقَطَت السلاسلُ التي بأيدي الملائكة الذين يمسكونها، فانتثرت في الأرض.

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣﴾ فُجِّرَ بَعْضُها فِي بَعْضٍ؟ عَذْبُها فِي مِلْحِها، وَمِلْحُها فِي عَذْبِها فَصارَتْ بَحْرًا واحِدًا[١]، نظيرها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[٢] ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ۝٤﴾ قُلِبَ تُرابُها، وَبُعِثَ الموتى الذين فيها، يقال: بَعْثَرَ يُبَعْثِرُ بَعْثَرةً: إذا قَلَّبَ التُّرابَ ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ﴾ من عمل صالح وطالح ﴿وَأَخَّرَتْ ۝٥﴾ من حسنة وسيئة، وهذا جواب ﴿إِذَا﴾.

فصل

عن حُذَيْفةَ بنِ اليَمانِ قال: قام سائلٌ على عهد النبيِّ ﷺ، فَسَأَلَ القَوْمَ، ثُمَّ إنَّ رَجُلًا أعْطاهُ، فَأَعْطاهُ القَوْمُ، فقال النبيُّ ﷺ: «مَنِ اسْتَنَّ خَيْرًا فاسْتُنَّ بِهِ، فَلَهُ أجْرُهُ وَمِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، غَيْرَ مُنْتَقَصٍ مِنْ أُجُورِهِمْ، وَمَنِ اسْتَنَّ شَرًّا فاسْتُنَّ بِهِ، فَعَلَيْهِ وِزْرُهُ وَمِثْلُ أوْزارِ مَنِ اتَّبَعَهُ، غَيْرَ مُنْتَقَصٍ مِنْ أوْزارِهِمْ»، ثم تَلا حُذَيْفةُ بنُ اليَمانِ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾[٣].

---

(١) قاله قتادة، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٠٦، شفاء الصدور ورقة ٢١٦/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٤٥، الوسيط ٤/ ٤٣٣، التبيان للطوسي ١٠/ ٢٩٠، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٢٨٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٤.

(٢) سورة التكوير الآية ٦، وينظر ما سبق في ٤/ ٣٠٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٨٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٦ كتاب التفسير: سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٤/ ٩٤، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ١/ ١٦٧ كتاب العلم: باب فيمن سَنَّ خَيْرًا أو غَيْرَهُ.

قولـه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ٦﴾ نعـت «رِبِّـكَ»، يعني: الصَّفُوح، و﴿مَا﴾ اسـتفهامٌ ابتداء، و﴿غَرَّكَ﴾ الخبر، والمعنى: ما الذي أَمَّنَكَ مِـنْ عِقابِهِ؟، يقال: غَـرَّهُ بِفُلاَنٍ: إذا أَمَّنَهُ المَحْذُورَ مِـنْ جِهَتِهِ وهو غير مأمون، قيل: إنها نزلت في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أُبَيِّ بن خلف، وقيل: في أَبِي الأَشَدَّيْنِ كَلَدَةَ ابنِ أُسَيْدٍ[١].

وكان عُمَـرُ بنُ الخَطّابِ ـ رضي الله عنه ـ إذا قرأ هذه الآية: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾ قال: الجَهْلُ يا رَبِّ[٢]، وقيل لِلْفُضَيْلِ بن عِياضٍ: لو أقامَكَ اللهُ يَوْمَ القيامـة بين يديه، فقال: ﴿مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ﴾، ماذا كُنْتَ تَقُولُ؟ قال: أقول: غَرَّنِي سُتُورُكَ المُرْخاةُ[٣]، فَنَظَمَهُ محمدُ بنُ السَّمّاكِ[٤] فقال:

٤٨٣ ـ يا كاتِمَ الذَّنْبِ أما تَسْتَحِي ... واللهُ فـي الـخَـلْـوةِ ثـانِيكـا
غَـرَّكَ مِـنْ رَبِّـكَ إمْـهـالُـهُ ... وَسَـتْـرُهُ طُـولَ مَـساوِيكـا[٥]

---

(١) تنظر هذه الأقوال في: شـفاء الصدور ورقة ٢١٦/ ب، الوسـيط ٤/ ٤٣٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٥.

(٢) ينظر قول عمر في الكشاف ٤/ ٢٢٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٥، البحر المحيط ٨/ ٤٢٨.

(٣) ينظـر قوله في الكشـف والبيان ١٠/ ١٤٦، الوسـيط ٤/ ٤٣٥، الكشـاف ٤/ ٢٢٨، زاد المسير ٩/ ٤٧، عيـن المعانِي ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٥، ٢٤٦.

(٤) محمد بن صُبَيْح بنِ السَّـمّاكِ، أبـو العباس العِجْلِيُّ بالولاء، الزاهدُ القدوة الصدوق سـيد الوُعّاظِ، رَوَى عن الأعمش وهشام بن عروة ولَمْ يُكْثِرْ، توفِّيَ سنة (١٨٣هـ). [حلية الأولياء ٨/ ٢٠٣-٢١٧، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٨-٣٣٠، ميزان الاعتدال ٣/ ٥٨٤].

(٥) البيتان من السريع، لابن السماك كما ذكر المؤلف.

التخريج: الكشـف والبيان ١٠/ ١٤٦، الوسـيط ٤/ ٤٣٥، عين المعانِـي ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٦، البحر المحيط ٨/ ٤٢٨، روح المعانِي للآلوسي ٣٠/ ٦٤.

[٢٩٩/ أ] / وقال أبو بكر بن طاهر الأبْهَرِيُّ في هذا المعنى:

٤٨٤ ـ يا مَنْ غَلاَ فِي العُجْبِ والتِّيهِ وَغَرَّهُ طُولُ تَمادِيهِ
أمْلَى لَكَ اللهُ فَبارَزْتَهُ وَلَمْ تَخَفْ غِبَّ مَعاصِيهِ(١)

وقال عبد الله بن مسعود: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلَّا سَيَخْلُو اللهُ بِهِ يَوْمَ القيامة، فَيَقُولُ: «يا ابنَ آدَمَ: ما غَرَّكَ بِي؟ يا ابن آدم: ما عَمِلْتَ فِيما عَلِمْتَ؟ يا ابن آدَمَ: ماذا أجَبْتَ المُرْسَلِينَ؟»(٢).

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧﴾؛ أي: خَلَقَكَ قائمًا معتدلًا حَسَنَ الصورة، قرأ أهلُ الكوفة بتخفيف الدال؛ أي: صَرَفَكَ وَأمالَكَ إلَى أيِّ صورةٍ شاءَ، قبيحًا وجميلًا، وقصيرًا وطويلًا(٣)، وقيل(٤): صَرَفَكَ من الكفر إلَى الإيمان، وقرأ الباقون بالتشديد(٥)؛ أي: قَوَّمَكَ فَجَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الخَلْقِ،

---

(١) البيتان من السريع، لأبي بكر بن طاهر الأبْهَرِيِّ كما ذكر المؤلف.
اللغة: التِّيهُ: الصَّلَفُ والكِبْرُ، غِبُّ الشيءِ: عاقِبَتُهُ وآخِرُهُ.
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ١٤٧، الوسيط ٤/ ٤٣٥، عين المعاني ١٤٣/ أ، القرطبي ١٩/ ٢٤٦.

(٢) رواه الطبرانِيُّ فِي المعجم الكبير ٩/ ١٨٢، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤٣٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٣٤٧ كتاب البعث: باب ما جاء في الحساب.

(٣) قاله الفراء وابن قتيبة، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٨، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٢/ ٢١١، زاد المسير ٩/ ٤٨، القرطبي ١٩/ ٢٤٦، اللسان: عدل.

(٤) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٥٩.

(٥) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو وابن عامر: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ بالتشديد، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وخلف والأعمش والحسن وعمرو بن عبيد وطلحة وعيسى بن عمر وأبو جعفر: «فَعَدَلَكَ» =

وهو الاختيار لقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾[١]، ومحل ﴿ٱلَّذِى﴾ خفض على نعت ﴿ٱلْكَرِيمِ﴾.

وقوله: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ ﴿مَّا﴾ صلة لا محل لها، قال مجاهد ومقاتل والكلبي[٢]: في أيِّ شَبَهٍ مِنْ أبٍ أو أُمٍّ أو خالٍ أو عَمٍّ، وقال عكرمة وأبو صالِح[٣]: إنْ شاءَ في صورة حِمارٍ، وإن شاء في صورة قِرْدٍ، وإن شاء في صورة كَلْبٍ، وإن شاء في صورة خِنْزِيرٍ[٤].

قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾﴾ يعني الحساب الذي يَدِينُ اللهُ النّاسَ فِيه بأعمالهم، والمعنى: كَلّا لا يؤمن هذا الإنسانُ الكافرُ بالجزاء والحساب، فَيَزْعُمُ أنه غير كائن، قرأ أبو جعفر: «يُكَذِّبُونَ»[٥] بالياء، وقرأه

= بالتخفيف، ينظر: السبعة ص ٦٧٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٦، البحر المحيط ٨/ ٤٢٨، الإتحاف ٢/ ٥٩٤.

(١) التين ٤، وهذا الاختيار اختيار الفراء، فقد قال: «ومن قرأ: ﴿فَعَدَّلَكَ﴾ مشددةً فإنه أراد، والله أعلم ـ: جَعَلَكَ مُعْتَدِلًا مُعَدَّلَ الخَلْقِ، وهو أعجب الوجهين إلَيَّ، وأجودهما في العربية». معانِي القرآن ٣/ ٢٤٤، وحكاه الأزهري عن الفراء في التهذيب ٢/ ٢١١، وينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٦.

(٢) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٠٩، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٦٩، زاد المسير ٩/ ٤٨، التبيان للطوسي ١٠/ ٢٩٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٧.

(٣) هو باذامُ، وقيل: باذانُ، أبو صالِحٍ الهاشِمِيُّ الكُوفِيُّ، مَوْلَى أم هانئ بنت أبِي طالب، تابِعِيٌّ رَوَى عن ابن عباس وعليٍّ وَأبِي هريرة، ضَعَّفَهُ البخاريُّ وغيره، وَوَثَّقَهُ العِجْلِيُّ، وقال ابن مَعِينٍ: «ليس به بأس»، وعامة ما يرويه تفسير. [التاريخ الكبير ٢/ ١٤٤، الجرح والتعديل ١/ ٢٩٦، تهذيب التهذيب ١/ ٣٦٤-٣٦٥].

(٤) ينظر قولهما في جامع البيان ٣٠/ ١٠٩، شفاء الصدور ورقة ٢١٧/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ١٤٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٧.

(٥) قرأ بالياء أبو جعفر والحسن وشيبة وأبو بشر: «يُكَذِّبُونَ» بالياء، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٤٢٨.

العامة بالتاء لقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾؛ أي: رُقَباءَ من الملائكة يحفظون أعمالكم عليكم، ثم نَعَتَهُمْ فقال: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ يعني: كِرامًا على رَبِّهِمْ، كاتبين يكتبون أقوالكم وأعمالكم ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ من الخير والشر فيكتبونه، قال الحسن[١]: يعلمون ما ظَهَرَ منهم بجوارحهم، ولا يَعْلَمُونَ ما يُحَدِّثُونَ به أَنْفُسَهُمْ، قال مجاهد[٢]: مع كل إنسان مَلَكانِ: مَلَكٌ عن يَمِينِهِ يكتب الخيرَ، وَمَلَكٌ عن يَسارِهِ يكتب الشَّرَّ.

فصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله تعالى: إذا أرادَ عَبْدِي أنْ يَعْمَلَ سَيِّئَةً، فَلاَ تَكْتُبُوها عليه حَتَّى يَعْمَلَها، فَإِنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها عَلَيْهِ بِمِثْلِها، وَإِنْ تَرَكَها مِنْ أَجْلِي / ، فاكْتُبُوها حَسَنةً، وَإذا أرادَ عَبْدِي أَنْ يَعْمَلَ حَسَنةً فَلَمْ يَعْمَلْها، فاكْتُبُوها لَهُ حَسَنةً، فَإِنْ عَمِلَها فاكْتُبُوها لَهُ بِعَشْرِ أَمْثالِها إِلَى سَبْعِمِائةِ ضِعْفٍ»[٣]. [٢٩٩/ ب]

قوله: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ﴾ يعني المطيعين في الدنيا ﴿لَفِي نَعِيمٍ ۝١٣﴾ وهو الجنةُ في الآخرة ﴿وَإِنَّ الْفُجَّارَ﴾ يعني الذين كَذَّبُوا محمَّدًا ﷺ ﴿لَفِي جَحِيمٍ ۝١٤﴾ عظيمٍ من النار ﴿يَصْلَوْنَهَا﴾؛ أي: يدخلونها ﴿يَوْمَ الدِّينِ ۝١٥﴾ يوم الجزاء على الأعمال، وهو يوم القيامة ﴿وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ۝١٦﴾.

---

(١) ينظر قوله في التبيان للطوسي ١٠/ ٢٩٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٨.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٤٣٨.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٨/ ١٩٨ كتاب التوحيد: باب قول الله، تعالى ـ: «يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُواْ كَلامَ اللهِ»، ورواه ابن حبان في صحيحه ٢/ ١٠٥ كتاب البر والإحسان: باب تَفَضُّلِ الله عزّ وجلّ بِكَتْبِهِ حَسَنةً واحدة لِمَنْ هَمَّ بسيئةٍ.

ثُـمَّ عَظَّـمَ ذلك اليومَ، فقـال تعالـى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾﴾ يعني يوم الحسـاب، ثم كَرَّرَهُ تفخيمًا لشأنه، فقال: ﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ ﴿مَآ﴾ هنا استفهام فيها معنى التعجب والتعظيم، وقد ذكرتُ نظيرها في سورة الحاقة[١]، فَأغْنَى عن الإعادة هاهنا؛ إذ المعنى واحد، وتكرار ﴿مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾ لِيُفْهَمَ ثَوابُ الأبْرارِ وَعِقابُ الفُجّارِ.

ثـم أَخْبَـرَ نَبِيَّهُ ﷺ عن يوم الدين، فقـال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ لِّنَفۡسٍ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ المعنى: إنَّ الله لا يُمَلِّكُ فِي ذلك اليومِ أحَدًا شَيْئًا من الأمور كما مَلَّكَهُمْ في دار الدنيا.

وقولـه: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٌ﴾ قرأ أهل مكة وأهل البصـرة برفع الميم[٢] رَدًّا علـى اليوم الأول بدلًا منـه، ويجوز أن يُرفع على إضمـار «هُوَ»[٣]، وقرأ غيرهـم بالنصب على الظرف؛ أي: في يوم الديـن، واختاره أبو عبيد، قال[٤]: لأنهـا إضافة غيـر محضة، قال ابن الأنبـاري[٥]: وهو في موضـع رفع إلّا أنه نصب؛ لأنه مضاف غير محض، كما تقول: أَعْجَبَنِي يَوْمَ يَقُومُ[٦] زَيْدٌ، وأنشـد أبو العباس:

---

(١) الحاقة ١-٢، وينظر ما سبق ٤/ ٣٤-٣٥.

(٢) قرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب وابن محيصن واليزيدي وابن أَبِي إسحاق وعيسى بن عمر وابن جندب: «يَوْمُ لاَ تَمْلِكُ» بالرفع، وقرأ الباقون بالنصب، ينظر: السبعة ص ٦٧٤، البحر المحيط ٨/ ٤٢٨، الإتحاف ٢/ ٥٩٥.

(٣) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٥٣١، وقاله الزجاج والنحاس ومَكِّيٌّ أيضًا، ينظر: معانِي القـرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٦، إعراب القرآن ٥/ ١٧٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٢.

(٤) ينظر قوله واختياره في الكشف والبيان ١٠/ ١٤٨.

(٥) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٦٩.

(٦) في الأصل: «يوم القيامة»، وهو خطأ، والتصويب من إيضاح الوقف والابتداء.

٤٨٥ - مِنْ أيِّ يَوْمَيَّ مِنَ المَوْتِ أفِرّْ
أيَوْمَ لَمْ يُقْدَرَ أمْ يَوْمَ قُدِرْ[1]

فاليومان الثانيان مخفوضان على الترجمة عن اليومين الأولين، إلّا أنهما نُصِبا في اللفظ؛ لأنهما أُضِيفا إلَى غير محض.

[٣٠٠/ أ] وقال قوم: / اليوم الثانِي منصوب على المحل، كأنه قال: فِي يومِ لا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شيئًا، والأمر يومئذٍ لله.

* * *

(١) البيتان من الرجز المشطور، لعَلِيٍّ بن أبي طالب، رضي الله عنه، ونُسِبا للحارث بن منذر الجرمي.
التخريج: ديوان الإمام عليٍّ ص ٧٩، النوادر لأبي زيد ص ١٦٤، معانِي القراءات ٣/ ١٢٨، الخصائص ٣/ ٩٤، المحتسب ٢/ ٣٦٦، العقد الفريد ١/ ١٠٥، ٥/ ٢٧٤، ٢٨٧، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ٢٤٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٤٩، التذكرة الحمدونية ٢/ ٤٤١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥/ ١٣٢، ٨/ ٥٥، البحر المحيط ٨/ ٤٨٣، الجنى الدانِي ص ٢٦٧، مغني اللبيب ص ٣٦٥-٣٦٦، شرح شواهد المغني ص ٦٧٤، فتح القدير ٥/ ٤٦١.

سورة المطففين

مكية

وهي سبعمائة حرف وثلاثون حرفًا، ومائة وتسع وستون كلمةً، وست ثلاثون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ المُطَفِّفِينَ سَقاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ المَخْتُومِ يَوْمَ القِيامةِ»[1]، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ مِيزَ مِنْ أَصْحابِ النّارِ، وَكُتِبَ مِنْ أَصْحابِ اليَمِينِ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ يعني الذين يَنْقُصُونَ المِكْيالَ والمِيزانَ، وأصله من الشيء الطَّفِيفِ، وهو النَّزْرُ القَلِيلُ، وَإِناءٌ طَفّانُ: إذا لَمْ

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٤٩، الوسيط ٤/ ٤٤٠، الكشاف ٤/ ٢٣٣، مجمع البيان ١٠/ ٢٨٩.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

يَكُنْ مَــلآنَ[١]، و ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ ابتداء وخبر، قال طاهر بن أحمد[٢]: وجاز الابتــداء بالنكرة لِما في الكــلام من معنى الدعاء، ولأن النكـرة إذا قَرُبَتْ من المعرفة جاز الابتداء بها.

والوَيْلُ عنــد البصريين كلمة مفردة غير مُرَكَّبــةٍ، بدليل إعرابها وتنوينها وَتَمَكُّنِهــا[٣]، وهي عند الكوفيين مُرَكَّبةٌ، فيفتحونها مع المضمر، ويكســرونها مع الظاهر، فيقولون: وَيْلَهُ وَوَيْلِ زَيْدٍ، وأصلها عندهم «وَيْ»[٤].

والمختار في ﴿وَيۡلٞ﴾ وشبهه إذا لَمْ يكن مضافًا الرَّفْعُ، ويجوز النصب، فإن كان مضافًا أو مُعَرَّفًا كان الاختيار فيه النصبَ، نحو قوله: ﴿وَيۡلَكُمۡ لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا﴾[٥].

و ﴿وَيۡلٞ﴾ أصله مَصْدَرٌ من فِعْلٍ لَمْ يُسْــتَعْمَلْ[٦]، وقال المُبَرِّدُ في ﴿وَيۡلٞ

---

(١) قالــه ابن قتيبة فــي غريب القرآن ص ٥١٩، وينظر أيضًا: تهذيــب اللغة ١٣/ ٣٠٠-٣٠٢، الصحاح ٤/ ١٣٩٥، الكشف والبيان ١٠/ ١٤٩.

(٢) الآية التي وردت في النص المُحَقَّقِ لشرح الجمل لطاهر بن أحمد هي قوله تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [إبراهيـم ٢]، وقد أشــار المُحَقِّقُ إلى أنه ورد في إحدى النســخ المخطوطة لشرح الجمل قوله تعالَى: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾. شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٨١.

(٣) ينظر: الكتاب ١/ ٣٣٠: ٣٣٢، المقتضب ٣/ ٢٠٦، ٢٠٧، المسائل المنثورة ص ٢٢.

(٤) حكى النحاس قولهم في إعراب القرآن ٣/ ٣٩٩، وحكاه الأزهري عنهم وعن ابن كيسان في تهذيب اللغة ٥/ ٢٩٦، وينظر: اللسان: ويل، التاج: ويل.

(٥) طه ٦١.

(٦) مــن أول قوله: «والمختار فِي «ويل» وشــبهه» قالــه مَكِّيٌّ بنصه في مشــكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٢، وبقية كلامه: «ولو كان المصدر مِنْ فِعْلٍ مُسْتَعْمَلٍ كان الاختيار فيه إذا أُضِيفَ أو عُرِّفَ بالألف واللام الرفعُ، ويجوز النصبُ». مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٢.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، وفي ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾[(١)] وَشِبْهِهِ[(٢)]: لا يجوز فيه إلا الرفع؛ لأنه ليس بدعاء عليهم، إنما هو إخبار أن ذلك ثَبَتَ لهم.

واختلفوا في ﴿وَيْلٌ﴾ ما هو؟ فقيل[(٣)]: كلمة تُقال عند الهَلَكَةِ، وقيل[(٤)]: هو وادٍ في جَهَنَّمَ، وقيل[(٥)]: هو صَدِيدُ أَهْلِها، وقيل[(٦)]: هو الهلاك، وقيل[(٧)]: هو النِّداءُ بِالخَسارِ.

وقال/ الأصمعي[(٨)]: ﴿وَيْلٌ﴾ قُبُوحٌ، و«وَيْسٌ» استصغار، و«وَيْحٌ» تَرَحُّمٌ،

---

(١) المرسلات الآيات ١٥، ١٩، ٢٤، ٢٨، ٣٤، ٣٧، ٤٠، ٤٥، ٤٧، ٤٩.

(٢) المقتضب ٣/ ٢٢١.

(٣) قاله سيبويه في الكتاب ١/ ٣٣١، وقاله الزجاج في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٧، وينظر: تهذيب اللغة ١٥/ ٤٥٥.

(٤) رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري في المسند ٣٧٥، والترمذي في سننه ٥/ ٣ أبواب التفسير: سورة الأنبياء، والحاكم في المستدرك ٢/ ٥٠٧ كتاب التفسير: سورة المدثر.
وحكاه الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٥، وحكاه ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٤، وأنكره، وحكاه الأزهري عن عطاء في تهذيب اللغة ١٥/ ٤٥٥، وينظر: الصحاح ٥/ ١٨٤٦، المحرر الوجيز ٥/ ٤٤٩ عن ابن مسعود.

(٥) قاله الطبري في جامع البيان ١/ ٥٣٥، ٥٣٧، ١٣/ ٢٣٦، ٢٥/ ١٨٤، ٢٩/ ٢٩١، ٣٠/ ١١٣، ٣٧٤، وحكاه السجاوندي عن ابن مسعود في عين المعاني ورقة ١٤٣/ أ، وينظر: التبيان للطوسي ٩/ ٢٥٠.

(٦) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٤٥، وحكاه الأزهري عن الزجاج في تهذيب اللغة ١٥/ ٤٥٥، وينظر: اللسان: ويل.

(٧) ذكره السجاوندي بغير عزو في عين المعاني ورقة ١٤٣/ أ.

(٨) حكاه الأزهري في تهذيب اللغة ٥/ ٢٩٥، وينظر: اللسان: ويل، ومعنى قوله: «وَوَيْسٌ استصغار»، أن وَيْسًا ووَيْحًا في معنى الترحم.

وقال غيره[١]: «وَيْحٌ» كلمةُ رَحمةٍ ضد ﴿وَيْلٌ﴾؛ فإنَّها كلمة عذاب.

وقال اليَزِيدِيُّ[٢]: هما بمعنًى واحدٍ، تقول: وَيْحٌ لِزَيْدٍ، وَوَيْلٌ لَهُ، ترفعهما على الابتداء، ولك أن تقول: وَيْحًا لِزَيْدٍ، وَوَيْلًا لِزَيْدٍ، فتنصبهما بإضمارِ فعلٍ، كأنك قلت: أَلْزَمَهُ اللهُ وَيْحًا وَوَيْلًا.

قيل[٣]: إن أصله: وَيْ لِفُلَانٍ؛ أي: الحُزْنُ له، فَقُرِنَ بلام الإضافة تخفيفًا.

ثم نَعَتَهُم اللهُ، وَذَكَرَ مَساوِئَهُمْ، فقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾؛ أي: من الناس ﴿يَسْتَوْفُونَ ۝٢﴾ ﴿عَلَى﴾ هاهنا بمعنى «مِنْ»، ذَكَرَ أبو عبيدة[٤] وغيره من أهل اللغة[٥]: و﴿عَلَى﴾ و«مِنْ» فِي هذا الموضع يَعْتَقِبانِ ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾؛ أي: كالُوا لَهُمْ وَوَزَنُوا لَهُمْ، والعرب تقول: كِلْتُكَ طَعامَكَ، وَوَزَنْتُكَ حَقَّكَ، بمعنى: كِلْتُ لَكَ، وَوَزَنْتُ لَكَ، فحُذف اللامُ[٦]،

---

(١) حكاه الأزهري عن أبي سعيد في تهذيب اللغة ٥/ ٢٩٥.

(٢) ينظر قوله في تهذيب اللغة ٥/ ٢٩٤، ١٣/ ١٤٤.

(٣) هذا قول الكوفيين كما تقدم قبل قليل.

(٤) مجاز القرآن ١/ ١٤.

(٥) اللفظ للفراء كما في معانِي القرآن ٣/ ٢٤٦، وهذا أيضًا، قول الزجاج وابن الأنباري والزجاجي، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٧، إيضاح الوقف والابتداء ص ١٨٩-١٩٠، اللامات للزجاجي ص ٢٣، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ١٠/ ٣٥٥.
وقال النحاس: «وربما تَوَهَّمَ الضعيفُ في العربية أن مَعْنَى اكْتَلْتُ عليه، واكْتَلْتُ مِنْهُ واحدٌ، وتقديرهما مختلف، فمعنى اكْتَلْتُ عَلَيْهِ: أَخَذْتُ ما عليه، ومعنى اكْتَلْتُ منه: اسْتَوْفَيْتُ منه». إعراب القرآن ٥/ ١٧٤.

(٦) قاله ابن قتيبة والمبرد، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٩، الكامل للمبرد ١/ ٣٢، ٣٧٦، ٣/ ٧٠، وقاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢١٨/ ب، وحكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ١٠/ ٣٥٥، وينظر أيضًا: الصحاح ٥/ ١٨١٤، الوسيط ٤/ ٤٤١.

قال الفَرّاءُ[١]: أنشدنِي القاسمُ بنُ مَعْنٍ[٢]:

٤٨٦ ـ إذا قالَتْ حَذامِ فَأَنْصِتُوها فَإِنَّ القَوْلَ ما قالَتْ حَذامِ[٣]

أراد: فَأَنْصِتُوا لَها، فَحَذَفَ اللامَ، وحروف الخفض تُحْذَفُ مِمّا يَتَعَدَّى إلَى مفعولين، أحدُهما بِحَرْفِ جَرٍّ، كما قال الشاعر:

أَمَرْتُكَ الخَيْرَ فافْعَلْ ما أُمِرْتَ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذا مالٍ وَذا نَشَبِ[٤]

وقال آخر:

أَسْتَغْفِرُ اللهَ ذَنْبًا لَسْتُ مُحْصِيَهُ رَبَّ العِبادِ إِلَيْهِ القَوْلُ والعَمَلُ[٥]

---

(١) معانِي القرآن ١/ ٢١٥، ٢/ ٩٤.

(٢) هو القاسم بن مَعْنِ بن عبد الرحمن المسعودي، أبو عبد الله الهُذَلِيُّ الكُوفِيُّ، قاضي الكوفة، من أحفاد عبد الله بن مسعود، رضي الله عنه، من حُفّاظِ الحديث، كان عالما بالعربية والأخبار والأنساب والأدب، راويةً للحديث والشعر سَخِيًّا، توفِّي سنة (١٧٥هـ)، من كتبه: النوادر، غريب المصنف. [سير أعلام النبلاء ١/ ١٩٠-١٩١، الأعلام ٥/ ١٨٦].

(٣) البيت من الوافر، لِلُجَيْمِ بن صَعْبٍ، وَنُسِبَ لوُشَيْمِ بن طارق، وَلِحُمَيْدٍ الأَرْقَطِ، وَلِدَيْسَمِ بن طارق، وَلِزُهَيْرِ بن جَنابٍ الكَلْبِيِّ.

اللغة: حَذامِ: هِيَ حَذامِ بِنْتُ العَتِيكِ بنِ أَسْلَمَ بنِ يَذْكُرَ بن عَنَزَةَ، وهي امرأة الشاعر، يُضرب بها المَثَلُ في حِدّةِ البَصَرِ.

التخريج: ديوان زهير بن جناب الكلبي ص ١٠٢، معانِي القرآن للفراء ٢/ ٩٤، المحاسن والمساوئ للبيهقي ص ٤٥٨، ما ينصرف وما لا ينصرف للزجاج ص ٧٥، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ١٩٢، الخصائص ٢/ ١٧٨، العقد الفريد ٣/ ٣٦٣، أمالِيُّ ابن الشجري ٢/ ٣٦٠، شرح المفصل ٤/ ٦٤، اللسان: حذم، رقش، نصت، مغني اللبيب ص ٢٩١، المقاصد النحوية ٤/ ٣٧٠، التصريح ٢/ ٢٢٥، شرح شواهد المغني ص ٥٩٦، المزهر للسيوطي ٢/ ٤٧٦.

(٤) تقدم برقم ١٠٨، ٢/ ٢٢ وتكرر مرتين ٤/ ٢٧٢.

(٥) تقدم برقم ١٠٤، ١/ ٥١٧.

قال الفَرّاءُ[١]: وهي لغةُ أهْلِ الحجازِ وَمَنْ جاوَرَهُم.

ومحل الهاء والميم نصب مفعول، هذا إذا جعلتَ ﴿ كَالُوهُمْ ﴾ كلمةً واحدةً، فإن جعلتَهما كلمتين فمحل الهاء والميم رفع بالابتداء[٢]، وكذلك يُقْرَأُ على الوجهين، فمنهم من يقرأ: «وَإذا كالُوا هُمْ أوْ وَزَنُوا هُمْ»، فيفصل بينهما في اللفظ[٣]، ومنهم من يقرأ: ﴿ كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ ﴾ على لفظة واحدة، وكذلك «وَزَنُوهُمْ» فيه ما ذكرنا فِي ﴿ كَالُوهُمْ ﴾، الحُكْمُ فيهما واحدٌ.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «خَمْسٌ بِخَمْسٍ» قالوا: يا رسول الله: وما خَمْسٌ بِخَمْسٍ؟ قال: «ما نَقَضَ قَوْمٌ العَهْدَ إلّا سَلَّطَ اللهُ عليهم عَدُوَّهُمْ، وما حَكَمُوا بغَيْرِ ما أنْزَلَ اللهُ إلا فَشا فيهم الفَقْرُ، وما ظَهَرَتْ فيهم الفاحِشةُ إلّا فَشا فيهم المَوْتُ، ولا طَفَّفُوا المِكْيالَ إلّا مُنِعُوا النَّباتَ، وَأُخِذُوا

---

(١) قال الفراء: «وَمَنْ جاوَرَهُمْ من قَيْسٍ». معانِي القرآن ٣/ ٢٤٦.

(٢) كون «هُمْ» رفعًا بالابتداء هو قول عيسى بن عُمَرَ، وعند غيره «هُمْ» توكيد للضمير في «كَالُوا» و«وَزَنُواْ»، قال النَّحّاسُ: «وقال عيسى بن عُمَرَ: الهاء والميم في موضع رفع، وَعَبَّرَ عنه أبو حاتم بأن المعنى عنده: هُمْ إذا كالُوا أو وَزَنُوا يُخْسِرُونَ؛ لأن عيسى قال: الوقف «وإذا كالوا»، ثم تبتدئ: «هم أو وزنوا». إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٧٤، وينظر: إيضاح الوقف والابتداء ص ٣٤٦، ٣٤٧، زاد المسير ٩/ ٥٢، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٢-٢٥٣.

(٣) قال ابن خالويه: «اتفقت القراء السبعة على «كالُوهُمْ» أن يجعلوا الهاء والميم مفعولًا، وإنما ذكرتُه لأن حمزة رَوَى عنه عيسى بنُ عُمَرَ: «كالُوا هُمْ أوْ وَزَنُوا هُمْ»، جعلاه من كلمتين، فتكون الهاء والميم على هذه القراءة في موضع رفع تأكيدًا للضمير، كما تقول: قمتَ أنتَ، وقامُوا هُمْ». إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٥٠، وينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٢.

بِالسِّنِينَ، ولا مَنَعُوا الزَّكاةَ إلّا حُبِسَ عنهم القَطْرُ»[١].

قولـه: ﴿أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين يفعلون هذا ﴿أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ۝٤ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ۝٥﴾ وهو يوم القيامة، فَيُحاسَبُونَ بأعمالهم التي أحصاها الله تعالى عليهم.

ثم أخْبَرَ عـن ذلك اليوم، فقال تعالـى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٦﴾ المعنـى: يوم يقوم النـاس من قبورهم لأمْـرِ رَبِّ العالمين، قـال الزَّجّاجُ[٢]: و﴿يَوۡمَ﴾ منصوب بقولـه: ﴿مَّبۡعُوثُونَ﴾، المعنى: أَلَا يَظُنُّونَ / أنهم يُبْعَثُونَ يوم القيامة، ويجوز في العربية خَفْضُهُ على البدل، ورفعه بإضمار مبتدأ[٣].

فصل

عـن أبِـي هريرة ـ رضي الله عنـه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «إنَّ العَرَقَ لَيَذْهَبُ فِي الأرض يومَ القيامة سـبعين باعًا، وَإنَّهُ لَيَبْلُـغُ إلَى أفْواهِهِمْ»[٤] ـ أو قال: «إلَى آذانِهِمْ» شَكَّ الراوي ـ.

وعن عبد الله بن عَمْرٍو قال: تَلَا رسولُ الله ﷺ هذه الآيَةَ: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ

---

(١) رواه البيهقـي في السـنن الكبـرى ٣/ ٣٤٦، ٣٤٧ كتاب صلاة الاستسـقاء: باب الخروج من المظّالِمِ، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١١/ ٣٨، وينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٥٠، مجمع الزوائد ٣/ ٦٥ كتاب الزكاة: باب فرض الزكاة.

(٢) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٨.

(٣) هذا ما قاله الزجاج، وقد قُرِئَ في الشـواذ بالخفـض والرفع، حَكَى أبو معاذ: ﴿يَوْمِ يَقُومُ﴾ بالخفـض، وقرأ زَيْدُ بنُ عَلِيٍّ: ﴿يَـوْمُ﴾ بالرفع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧٠، البحر المحيط ٨/ ٤٣٢.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسـند ٢/ ٤١٨، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٥٨ كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب في صفة يوم القيامة.

لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، فقال ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إذا جُمِعْتُمْ كما يُجْمَعُ النَّبْلُ فِي الكِنانةِ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةً لا يُنْظَرُ إِلَيْكُمْ؟ »(١).

ويقال(٢): ما طُولُ القِيامةِ على المؤمن إلا كما بَيْنَ الظهر والعصر، قال الله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ يعني الساعة ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾(٣).

قيل: مقدار لُبْثِهِمْ كما بَيْنَ صلاة العصر إِلَى أن تغيب الشمس، أو كما بَيْنَ طلوع الشمس إِلَى أَنْ تَدْنُوَ، والله أعلم.

وَرَوَى سُلَيْمُ بن عامر(٤) قال: حَدَّثَنِي المِقْدادُ بن الأسود(٥) قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إذا كان يومُ القيامة أُدْنِيَتِ الشَّمْسُ من العباد حَتَّى تكون قَدْرَ مِيلٍ أو مِيلَيْنِ»، قال سُلَيْمٌ: فلا أدري، أَمَسافةَ الأرض أم المِيلُ الذي تُكْحَلُ به العَيْنُ؟، ثم قال: «فَتَصْهَرُهُم الشَّمْسُ، فَيَكُونُونَ فِي العَرَقِ كَقَدْرِ

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٧٢ كتاب الأهوال: باب «لا يدخل أَهْلُ الجَنّةِ الجَنّةَ حَتَّى يُنَقَّوْا عن مَظالِمِ الدنيا»، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢١٨/ ب، ٢١٩/ أ، مجمع الزوائد ٧/ ١٣٥ كتاب التفسير: سورة «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ».

(٢) هذا قول إبراهيم التَّيْمِيِّ، رواه عنه عبد الرزاق في تفسيره ٣/ ٣١٦، ٣٥٥، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢١٩/ أ، تفسير القرطبي ١٨/ ٢٨٣.

(٣) النازعات ٤٦.

(٤) هو سليم بن عامر الكَلَاعِيُّ الخَبائِرِيُّ، أبو يحيى الحِمْصِيُّ، تابعيٌّ ثقة، روى عن المقداد ابن الأسود وأَبِي أُمامةَ وَأَبِي الدَّرْداءِ وَأَبِي هريرة، توفِّي سنة (١٣٠هـ). [سير أعلام النبلاء ٥/ ١٨٥، ١٨٦، تَهذيب التهذيب ٤/ ١٤٦].

(٥) المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي البَهْرانِيُّ، أبو معبد الحضرميُّ، صحابِيٌّ من الأبطال، وأحد السبعة الذين كانوا أَوَّلَ من أظهر الإسلام بمكة، وأول من قاتل على فرس في سبيل الله، كان من سكان حضرموت، وقدم إلى مكة، فتبناه الأسود بن عبد يغوث الزُّهْرِيُّ، فصار يُعرف به حتى حُرِّمَ التبني، شهد بدرًا وما بعدها، سكن المدينة، وتوفِّي على مقربة منها سنة (٣٣هـ). [الإصابة ٦/ ١٥٩-١٦١، تقريب التهذيب ٢/ ٢١٠، الأعلام ٧/ ٢٨٢].

أعْمالِهِمْ، فمنهم مَنْ يأخذه إلَى عَقِبَيْهِ، ومنهم مَنْ يأخذه إلَى رُكْبَتَيْهِ، ومنهم مَنْ يأخذه إلَى حِقْوَيْهِ، ومنهم مَنْ يُلْجِمُهُ إلْجامًا»[١]، فرأيتُ رسولَ الله ﷺ يُشِيرُ بِيَدِهِ إلَى فِيهِ؛ أي: يُلْجِمُهُ إلْجامًا، رواه مسلم عن الحكم بن موسى[٢] عن يَحْيَى ابنِ حَمْزةَ[٣] عن عبد الرحمن بن جابر[٤].

وروى القاسم بن أبي بَزّةَ[٥] أن ابن عُمَرَ قرأ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾، حتى بلغ ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، قال: فَبَكَى حتى خَرَّ، وامتنع من القراءة[٦].

---

(١) صحيح مسلم ٨/ ١٥٨ كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب في صفة يوم القيامة، ورواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٣، والترمذي في سننه ٤/ ٣٧ أبواب صفة القيامة: باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص.

(٢) الحَكَمُ بن موسى بن أبي زهير شِيرَزادَ، أبو صالح البغدادي القنطريُّ الزاهد الإمام المحدث الحجة الثقة الصالح، رَوَى عن إسماعيل بن عَيّاشٍ وابن المبارك، رَوَى عنه أحمدُ بن حنبل ومسلمٌ والنسائيُّ وغيرهم، توفي سنة (٢٣٢هـ). [التاريخ الكبير ٢/ ٣٤٤، تهذيب الكمال ٧/ ١٣٦-١٤٣، سير أعلام النبلاء ١١/ ٥-٧].

(٣) يحيى بن حمزة بن واقد الحضرمي، أبو عبد الرحمن البَتَلْهِيُّ، من حفاظ الحديث، كان قاضي دمشق وعالمها، ثقة صالح كثير الحديث، روى عن الأوزاعي وثور بن يزيد وغيرهم، توفِّيَ سنة (١٨٣هـ). [تهذيب الكمال ٣١/ ٢٧٨: ٢٨٣، سير أعلام النبلاء ٨/ ٣٥٤-٣٥٥، الأعلام ٨/ ١٤٣].

(٤) هو عبد الرحْمَنِ بن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام، أبو عتيق الأنصاريُّ المَدَنِيُّ، رَوَى عن أبيه وحزمِ بن أُبَيٍّ بن كعب، وهو تابعي ثقة، توفِّيَ سنة (١١٢هـ). [الثقات ٥/ ٧٧، تَهذيب الكمال ١٧/ ٢٣-٢٦].

(٥) هو القاسم بن نافع، أو يَسارٍ، المَكِّيُّ القارئ، أبو عبد الله أو أبو عاصم المخزومي بالولاء، قيل: أصله من همدان، رَوَى عن ابن جبير وعكرمة ومجاهد، كان ثقة قليل الحديث، توفِّيَ بِمَكّةَ سنة (١٢٤هـ). [الثقات لابن حبان ٧/ ٣٣٠-٣٣١، تهذيب الكمال ٢٣/ ٣٣٨-٣٤٠].

(٦) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥١، الوسيط ٤/ ٤٤٣، مجمع البيان ١٠/ ٢٩٢، تاريخ دمشق ٣١/ ١٢٧.

قولـه: ﴿كَلَّآ﴾ هو كلمة رَدْع وَزَجْرٍ وَوَعِيدٍ؛ أي: ليس الأمر كذلك ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ وهي الأرض السابعة السُّفْلَى، فيها أرواح الكفار وأعمالهم[١]، وقيل[٢]: سِجِّينٌ: صخرة تحت الأرض السابعة السفلى خضراء، وخضرة السـماء منها، يُجْعَلُ كتابُ الفُجّارِ تحتها، وقال وهب بن منبه[٣]: هي آخر سلطان إبليس، وقيل[٤]:/ معنى ﴿سِجِّينٍ﴾: ضَيِّقٌ شَدِيدٌ، قال ابن مقبل: [٣٠١/ ب]

٤٨٧ـ وَرُفْقَةٍ يَضْرِبُونَ البَيْضَ ضاحِيَةً ... ضَرْبًا تَواصَتْ بِهِ الأَبْطالُ سِجِّينا[٥]

---

(١) قالـه عبد الله بن عَمْرٍو وقتـادة ومجاهد والضحاك ومقاتل وابن زيـد وعطاء، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١١٨، ١١٩، الكشـف والبيان ١٠/ ١٥١، زاد المسير ٩/ ٥٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٧.

(٢) قاله الكلبي ومجاهد، وحكاه الفراء بغير عزو، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤٦، جامع البيان ٣٠/ ١٢١، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٢، زاد المسير ٩/ ٥٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٧.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٥٢.

(٤) هذا القول حكاه الثعلبي عن الأخفش في الكشف والبيان ١٠/ ١٥٢.

(٥) البيت من البسيط، لِتَمِيمِ بن أُبَيِّ بن مُقْبِلٍ، ورواية ديوانه:

وَرَجْلَةً يَضْرِبُونَ البَيْضَ عَنْ عُرُضٍ ... ضَرْبًا تَواصَى بِهِ الأَبْطالُ سِـجِّينا

ويُرْوَى: «سِجِّيلاً»، ويُرْوَى: «سِخِّينا» بالخاء؛ أي: حارًّا، ويُرْوَى: «يَضْرِبُونَ الهامَ».

اللغة: الرَّجْلةُ: المُشاةُ على الأرجل، البِيضُ: جمع بَيْضةٍ وهي: الخوذة، سميت بذلك لأنها على شـكل بيضة النعامة، عن عُرُضٍ: عن جانب وناحية، لا يبالون مَنْ ضَرَبُوا، السِّـجِّينُ: الضرب الشديد الذي يُثْبِتُ المضروب بمكانه مقتولًا أو مُقارِبًا للقتل.

التخريـج: ديوانـه ص ٢٣٦، مجاز القـرآن ١/ ٢٩٦، ٢/ ٣١٢، غريـب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٨، المعانِي الكبير ص ٩٩١، معانِي القرآن وإعرابه ٣/ ٧١، جمهرة اللغة ص ٤٦٤، ١١٩٢، ديوان الأدب ١/ ٣٤١، جمهرة أشـعار العرب ص ٦٩١، تهذيب اللغة ١٠/ ٥٨٦، ٥٩٥، ١١/ ٢٩، مقاييس اللغة ٣/ ١٣٧، الكشـف والبيان ٥/ ١٨٤، ١٠/ ١٥٢، معجم البلدان: سـجين ٣/ ٢١٨، الكشـاف ٤/ ٢٨٦، مجمع البيـان ٥/ ٣١٣، عين المعانِي =

وَسِجِّينٌ وَسِجِّيلٌ واحد، وهو «فِعِّيلٌ» من السَّجْلِ، والنون بَدَلٌ من اللّام[١]، وقيل[٢]: هو «فِعِّيلٌ» من السَّجْنِ كما يُقال: فِسِّيقٌ من الفِسْقِ.

قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ۝٨﴾ قد تقدم الكلام فيه وفي نظائره في الحاقة وغيرها.

فصل

عن أبِي هريرة عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «الفَلَقُ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مُغَطًّى، وَسِجِّينٌ جُبٌّ فِي جَهَنَّمَ مفتوحٌ»[٣]، وعن البَراءِ بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: «سِجِّينٌ أَسْفَلُ سَبْعِ أَرَضِينَ»[٤].

وعن ابن عباس أنه سَأَلَ كعبَ الأحبارِ عن قول الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ

= ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ٩/ ٨١، ٨٣، ١٩/ ٢٥٨، ٢٠/ ١٩٨، منتهى الطلب ١/ ٣٦٦، اللسان: رجل، سجل، سجن، سخن، البحر المحيط ٨/ ٤٣٢، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٥٠١، التاج: رجل، سجل، سجن.

(١) قاله أبو عبيدة والزجاج والنحاس، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، معاني القرآن وإعرابه ٣/ ٧١، ٧٢، معاني القرآن ٣/ ٣٧٢، وحكاه النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ١٧٦، وحكاه الأزهري عن المؤرج في تهذيب اللغة ١٠/ ٥٩٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٥١، البحر المحيط ٨/ ٤٣٢.

(٢) هذا قولٌ آخَرُ لأبِي عبيدة، قاله في مجاز القرآن ٢/ ٢٨٩، وقاله أيضًا ابن قتيبة والزجاج، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠٨، ٥١٩، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٨، وحكاه السجاوندي عن الأخفش في عين المعانِي ورقة ١٤٣/ أ، وينظر: زاد المسير ٩/ ٥٤.

(٣) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٢، الوسيط ٤/ ٤٤٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٨.

(٤) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥١، الوسيط ٤/ ٤٤٣، مجمع البيان ١٠/ ٢٩٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٨.

﴿ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ فقال: «إنَّ أرْواحَ الفُجّارِ يُصْعَدُ بها إلَى السماء، فَتَأْبَي السماءُ أنْ تَقْبَلَها، ثم يُهْبَطُ بِها إلَى الأرض فَتَأْبَى الأرضُ أن تَقْبَلَها، فتدخل تحت سَبْعِ أرَضِينَ حتى يُنْتَهَى بِها إلَى سِجِّينٍ، وهو موضعُ خَدِّ إبْلِيسَ اللعين»(١).

قوله تعالى: ﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ١٤﴾؛ أي: أحاطَ وطَبَعَ وَغَلَبَ عليها ما كانوا يكسبون من الأعمال الخبيثة، ومحل ﴿مَّا﴾ رفع؛ لأنه فاعل، وأصل الرَّيْنِ الغَلَبةُ، يُقال: رانَتِ الخَمْرُ على قَلْبِهِ: إذا غَلَبَتْ عليه فَسَكِرَ، وَرانَ عليه النُّعاسُ وَرانَ بِهِ؛ أي: غَلَبَ عليه، وَرانَ على قَلْبِهِ الذَّنْبُ يَرِينُ رَيْنًا: إذا غَشِيَ على قَلْبِهِ وَغَلَبَ(٢)، قال الشاعر:

٤٨٨ - وَكَمْ رانَ مِنْ ذَنْبٍ عَلَى قَلْبِ فاجِرٍ(٣)

أي: غَلَبَ، والرَّيْنُ كالصَّدَأ يَغْشَى القَلْبَ(٤).

قال الحَسَنُ(٥): هو الذَّنْبُ على الذَّنْبِ حتى يَسْوَدَّ القَلْبُ، يقال: رِينَ

(١) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١١٩، ١٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٥١، ١٥٢، الوسيط ٤/ ٤٤٤، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٧.

(٢) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٨٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥١٩، جامع البيان ٣٠/ ١٢٢، تهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٥، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٣.

(٣) هذا صدر بيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، وَعَجُزُهُ:

فَتابَ مِنَ الذَّنْبِ الذِي رانَ وانْجَلَى

التخريج: عين المعانِي ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٠، البحر المحيط ٨/ ٤٣٠، الدر المصون ٦/ ٤٩٢، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢١٤.

(٤) قاله الزَّجّاجُ والنَّقّاشُ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٢٩٩، شفاء الصدور ورقة ٢١٩/ ب، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٥.

(٥) ينظر قوله في العين ٨/ ٢٧٧، غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٧٠، جامع البيان ٣٠/ ١٢٣، الصحاح ٥/ ٢١٢٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٣، الوسيط ٤/ ٤٤٥.

بِالرَّجُلِ: إذا وَقَعَ فيما لا يَسْتَطِيعُ الخُرُوجَ منه[1].

قرأ نافع وشيبة وأبو عمرو وأبو جعفر: ﴿كَلّا بَـرّانَ﴾ بالإدغام وَتَرْكِ الإمالة، وقرأ حَمْزةُ والكسائيُّ، وعاصمٌ في رواية أبِي بكر، والأعمشُ بالإدغام والإمالة، وقرأ الحَسَنُ وابنُ أبِي إسحاق بغير إدغام، وكان حَفْصٌ يَقِفُ على اللام وَقْفةً خفيفةً فِي وَصْلِهِ[2].

فصل

عن أبِي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أَذْنَبَ العَبْدُ كانَتْ نُكْتةً سَوْداءَ فِي قَلْبِهِ، فإن تابَ واسْتَغْفَرَ صَفا قَلْبُهُ، وَإِنْ عادَ زادَتْ حَتَّى يَسْوَدَّ قَلْبُهُ، وهو الرَّيْنُ الذي قال الله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾»[3].

قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ﴾ يعني الكفار ﴿عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾ في الآية دليلٌ على أن الله تعالى يُرَى يَوْمَ القيامة، ولولا ذاك ما كان في هذه / الآية [٣٠٢/ أ]

---

(١) قاله أبو زيد، ينظر قوله في: غريب الحديث للهروي ٣/ ٢٧٠، تهذيب اللغة ١٥/ ٢٢٥، الصحاح ٥/ ٢١٢٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٠، اللسان: رين.

(٢) قرأ بالإدغام وترك الإمالة أيضًا: ابنُ عامر، وابنُ كثير في رواية قُنْبُلٍ، ورُوِيَ عن نافع أنه أدْغَمَ وَلَفِظَ بالرّاءِ بَيْنَ الكسر والفتح، ورَوَى خارجةُ عن نافع الإمالةَ، أيضًا ورُوِيَ عن نافع عدمُ الإدغام، أيضًا، وممن قرأ بغير إدغامٍ، أيضًا ـ: قالونُ، ورُوِيَ عن حمزة أنه كان يقف على «بَلْ» وقفًا خفيفًا كحَفْصٍ، ينظر: السبعة ص ٦٧٥-٦٧٦، معانِي القراءات ٣/ ١٣٠، الحجة للفارسي ٤/ ١٠٤، البحر المحيط ٨/ ٤٣٣، الإتحاف ٢/ ٥٩٦.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٢٩٧، وابن ماجه في سننه ٢/ ١٤١٨ كتاب الزهد: باب ذِكْرِ الذنوب، والحاكم في المستدرك ١/ ٥ كتاب الإيمان: باب صقل القلوب بالتوبة، ٢/ ٥١٧ كتاب التفسير: سورة المطففين.

فائدةٌ، يعني: لَمّا كان الكفار مَحْجُوبِينَ دَلَّ على أن المؤمنين غَيْرُ مَحْجُوبِينَ، بل ينظرون الله تعالى بالأبصار في دار القَرارِ، كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾(١)، ومعنى قوله: «مَحْجُوبُونَ»؛ أي: ممنوعون عن رؤيته وكرامته ورحمته، فكما حُجِبُوا في الدنيا عن توحيده حُجِبُوا في الآخرة عن رؤيته، ﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ۝١٦﴾؛ أي: لَداخِلُو النّارِ ﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا﴾ يعني العذاب ﴿الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ۝١٧﴾.

ثم أعْلَمَ أيْنَ مَحَلُّ كتاب الأبرار، فقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ﴾ يعني المتقين ﴿لَفِي عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ يعني السماء السابعة تحت العرش، رَوَى البَراءُ بن عازِبٍ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «عِلِّيُّونَ فِي السَّماءِ السّابِعةِ تَحْتَ العَرْشِ»(٢)، وقال ابن عباس: «هُوَ لَوْحٌ من زَبَرْجَدٍ أخْضَرَ مُعَلَّقٌ تحت العَرْشِ، أعمال الأبرار مكتوبة فيه»(٣).

وقال الفَرّاءُ(٤): عِلِّيُّونَ: ارتفاعٌ بَعْدَ ارتفاعٍ لا غايةَ له، وهو جمعٌ لا واحد له مِنْ لَفْظِهِ كَعِشْرِينَ وَثَلاثِينَ وَقِنَّسْرِينَ، وإعرابه كإعراب الجمع؛ لأنه على لفظ الجمع، وقال يُونُسُ النَّحْوِيُّ(٥): واحِدُهُ عِلِّيٌّ وعِلِّيّةٌ، قال صاحب «إنسان العين»(٦): والواو والنون عِوَضُ الهاءِ، نحو الأَرَضُونَ، أو لا واحِدَ له، والمراد عُلُوٌّ بَعْدَ عُلُوٍّ،

---

(١) القيامة ٢٢-٢٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥٤، الوسيط ٤/ ٤٤٧، مجمع البيان ١٠/ ٢٦٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٢.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥٤، مجمع البيان ١٠/ ٢٦٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٢.

(٤) معاني القرآن ٣/ ٢٤٧ باختلاف يسير في ألفاظه.

(٥) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٥٥، عين المعاني ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٣.

(٦) عين المعاني ورقة ١٤٣/ أ.

أو هو موضوعٌ على صيغة الجمع كثلاثين، قال الشاعر:

٤٨٩ - فَأَصْبَحَتِ المَذاهِبُ قَدْ أَذاعَتْ بِـهِ الإِعْـصـارُ بَـعْـدَ الوابِـلِـيـنـا[1]

جمع وابلٍ.

وقيـل[2]: إن ﴿عِلِّيِّينَ﴾ صفة الملائكة، ولذلك يُجْمَـعُ بالواو والنون، وهو قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ۝١٩﴾، ثم أَخْبَرَ نَبِيَّهُ عليه السّـلام، فقال: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٢٠﴾ أي: هو كتاب مرقوم؛ أي: مكتوب، قد ثُبِّتَتْ حُرُوفُهُ، كُتِبَ بالخير، وَخُتِمَ بالرحمة، مكتوب عند الله، وأنشد أبو العباس[3]:

٤٩٠ - سَأَرْقُمُ فِي الماءِ القَراحِ إِلَيْكُمُ عَلَـى بُعْدِكُمْ إِنْ كانَ لِلْمـاءِ راقِمُ[4]

معناه: سأكتب.

---

(١) البيت من الوافر، لَمْ أقف على قائله.

اللغة: المَذاهِبُ: المَسـالِكُ والطُّـرُقُ، أذاعَتْ بِهِ: ذَهَبَتْ بِهِ وَغَيَّرَتْـهُ، الوابِلِينَ: جَمْعُ وابِلٍ، يُرِيدُ: المَطَرَ بَعْدَ المَطَرِ، قالَ ابنُ مَنْظُور: «فَإِنْ شِـئْتَ جَعَلْتَ الوابِلِينَ الرِّجالَ المَمْدُوحِينَ، يَصِفُهُمْ بِالْوَبْلِ لِسَـعةِ عَطاياهُمْ، وَإِنْ شِـئْتَ جَعَلْتَهُ وَبْلًا بَعْدَ وَبْلٍ، فَكانَ جَمْعًا لَمْ يُقْصَدْ بِهِ قَصْدُ كَثْرةٍ وَلَا قِلَّةٍ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٤٧، جامع البيان ٣٠/ ١٢٩، جمهرة اللغة ص ١٣٣٥، المذكر والمؤنث لابن الأنباري ٢/ ٢٣٧، تهذيب اللغة ٣/ ١٨٨، مقاييس اللغة ٤/ ١١٦، المخصـص ٩/ ١١٤، أسـاس البلاغة: وبل، التبيان للطوسـي ١٠/ ٣٠٢، مجمع البيان ١٠/ ٢٩٥، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٧٨، اللسان: علو، وبل، التاج: وبل.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٨٠، وينظر: مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٤، تفسـير القرطبي ١٩/ ٢٦٣.

(٣) يعني أحمد بن يحيى ثعلبًا، وإنشـاده في إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ص ٩٧٠، والزاهر لابن الأنباري ١/ ١٠٥، والتهذيب للأزهري ٩/ ١٤٣.

(٤) البيت من الطويل لأوس بن حجر، وهو بيت مفرد فِي ديوانه، ويروى: =

ثم قال تعالى: ﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾ يعني الملائكة الذين هم في عِلِّيِّينَ، يشهدون؛ أي: يحضرون ذلك المكتوبَ وذلك الكتابَ إذا صُعِدَ به إلَى عِلِّيِّينَ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾ إلَى ما أعطاهم اللهُ تعالى من النعيم والكرامة ﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ إذا رَأَيْتَهُمْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ من أهل النعمة مما تَرَى في وجوههم من الحُسْنِ والنُّورِ والبياض، يقال: نَضِرَ النَّباتُ: إذا أزْهَرَ وَنَوَّرَ.

قرأ العامة: ﴿تَعْرِفُ﴾ بفتح التاء وكسر الراء ﴿نَضْرَةَ﴾ بالنصب، وقرأ أبو جعفر ويعقوب بضم التاء وفتح الراء[1] على غير تسمية الفاعل ﴿يُسْقَوْنَ﴾ / [٣٠٢/ ب] يعني الأبرار ﴿مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾﴾ الرَّحِيقُ: الخَمْرُ الصافيةُ، وقيل[2]: المُعَتَّقةُ، قال الشاعر:

٤٩١ ـ أَمْ لاَ سَبِيلَ إِلَى الشَّبابِ وَذِكْرِهِ ... أَشْهَى إِلَيَّ مِنَ الرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[3]

= عَلَى نَأْيِكُمْ إنْ كانَ فِي الماءِ راقِمُ

اللغة: الماء القَراحُ: الخالص الذي لَمْ يُخالِطْهُ شَيْءٌ يُطَيَّبُ به كالعسل والتمر والزبيب.

التخريج: ديوانه ص ١١٦، فصل المقال ص ٣٠٧، الجيم ٢/ ٢٣، الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٠٥، تهذيب اللغة ٩/ ١٤٣، مقاييس اللغة ٢/ ٤٢٥، مجمع الأمثال ٣/ ٤٩٠، معجم البلدان: الرقيم ٣/ ٦٠، أساس البلاغة: رقم، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٥٨، اللسان: رقم، البحر المحيط ٨/ ٤٣٢، الدر المصون ٦/ ٤٩٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢١٣، التاج: رقم، فتح القدير ٥/ ٤٠٠.

(١) قرأ أبو جعفر ويعقوب وابن أَبِي إسحاق وطلحة وشيبة والزعفرانِيُّ: «تُعْرَفُ» بالبناء للمفعول «نَضْرةُ» بالرفع، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧٠، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٤، البحر المحيط ٨/ ٤٣٤، الإتحاف ٢/ ٥٩٧.

(٢) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٥١٩، وحكاه عنه ابن الجوزي في زاد المسير ٩/ ٥٨.

(٣) البيت من الكامل، لأَبِي كَبِيرٍ الهُذَلِيِّ، ومعنى «السَّلْسَل»: العَذْبُ البارِدُ السَّهْلُ في الحَلْقِ. =

ومعنى قوله: ﴿مَّخْتُومٍ﴾ قال ابن مسعود[١]: مَمْزُوجٌ، وقيل[٢]: الرَّحِيقُ: شَرابٌ أَبْيَضُ يُخْتَمُ به شَرابُهُمْ، وقيل[٣]: خُتِمَ فِي الإناء أنْ يَمَسَّها ماسٌّ، وقال الواحدي[٤]: هو الشراب الخالص الذي لا غِشَّ فيه، ولا شَيْءَ يُفْسِدُهُ، و﴿مَّخْتُومٍ﴾؛ أي: عاقبتُهُ حَسَنةٌ، وخاتمة كل شيء عاقبته، وقيل[٥]: هو كالمختوم بالطين؛ أي: مَمْنُوعٌ مِنْ كُلِّ يَدٍ.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ﴾ يعني: رِيحُهُ وَطَعْمُهُ مِسْكٌ، والخِتامُ: المَصْدَرُ، والخاتَمُ: الاسم[٦]، وَخَتْمُ كُلِّ شَيْءٍ: عند فَراغِهِ، ومن ذلك: خَتَمْتُ القُرْآنَ، ويقال: «الأَعْمالُ بِخَواتِيمِها»[٧].

= **التخريج**: شرح أشعار الهذليين ص ١٠٦٩، أدب الكاتب ص ٤٠٢، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ١٩٦، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٥، الاقتضاب ٣/ ٣٥٧، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٢٦٣، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٥، اللسان: سلسل، ارتشاف الضرب ص ١٧٣١، الجنى الداني ص ٣٨٩، مغني اللبيب ص ١٠٥، المقاصد النحوية ٣/ ٥٤، همع الهوامع ٢/ ٣٣٣، شرح شواهد المغني ص ٢٢٦، التاج: سلسل، إلى.

(١) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٦، عين المعاني ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٥.

(٢) قاله أبو الدرداء، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٣٩، جامع البيان ٣٠/ ١٣٣، عين المعاني ١٤٣/ أ.

(٣) قاله الثعلبي فِي الكشف والبيان ١٠/ ١٥٦، وينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٥.

(٤) الوسيط ٤/ ٤٤٨، وهذا القول حكاه الواحدي عن أبي عبيدة والمبرد والزجاج.

(٥) قاله مجاهد وابن زيد، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٣٣، الوسيط ٤/ ٤٤٨، زاد المسير ٩/ ٥٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٥.

(٦) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٤٨.

(٧) هذا جزء من حديث رواه البخاري بسنده عن سهل بن سعد في صحيحه ٧/ ١٨٧ كتاب الرقاق: باب «الأعمال بالخواتيم».

قرأ العامة: ﴿خِتَٰمُهُۥ﴾ بتقديم التاء، وقرأ الكسائي: «خاتَمُهُ»[1] بتأخيرها، وهي قراءة عَلِيٍّ وَعَلْقَمةَ، والخاتَمُ والخِتامُ واحد[2]، قال الفرزدق:

٤٩٢ ـ فَبِتْـنَ بِجانِبَيَّ مُصَرَّعاتٍ وَبِـتُّ أفُـضُّ أغْـلاقَ الخِتامِ[3]

قوله: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ يعني: فَلْيَتَشاحَّ المُتَشاحُّونَ، وقيل: فَلْيَرْغَبِ الرّاغِبُونَ، وقيل: فَلْيُسارِعِ المُسارِعُونَ بالمبادرة إلَى طاعة الله، ﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾ يعني مَزاجَ شَـرابِ الأبرار ﴿مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ التَّسْنِيمُ: اسـم عَيْنٍ فِي الجنة، وهو شَرابٌ يَنْصَبُّ عليهم من عُلُوٍّ من جنة عَدْنٍ، مأخوذ من سَنامِ البَعِيرِ وَتَسْنِيمِ القُبُورِ[4].

وقيل[5]: هو شَـرابٌ اسـمه تَسْـنِيمٌ، وهو من أشرف الشـراب، وَسُمِّيَ

---

(١) وهي أيضًا، قراءة النَّخْعِيِّ والضَّحّاكِ وزيد بن عَلِيٍّ وأبِي حَيْوةَ وابن أبِي عَبْلَةَ وطاوس وشقيق ابن سلمة، ينظر: السبعة ص ٦٧٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٥، البحر المحيط ٨/ ٣٤٣.

(٢) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٤٨، والنَّقّاشُ في شفاء الصدور ورقـة ٢٢٠/ ب، وينظر أيضًا: تهذيب اللغـة ٧/ ٣١٣: ٣١٥، معانِي القراءات ٣/ ١٣١.

(٣) البيت من الوافر، للفرزدق من قصيدة يمدح بها سليمان بن عبد الملك.
التخريـج: معانِـي القرآن للفراء ٣/ ٢٤٨، طبقات فحول الشـعراء ص ٤٦، عيون الأخبار ٢/ ٢٧، جامع البيان ٣٠/ ١٣٤، الاقتباس من القرآن ٢/ ١٦٣، مجمع الأمثال ٢/ ٢٥٢، المختار من شـعر بشار ص ٢٣٧، الحلل في شرح أبيات الجمل ص ٦١، أساس البلاغة: فضض، أخبار النسـاء لابن القيم ص ١٧٩، التذكرة الحمدونية ٥/ ٤٤٠، تفسـير القرطبي ١٣/ ١٤٨، ١٩/ ٢٦٥، شرح نهج البلاغة لابن أبِي الحديد ٥/ ١٧، اللسان: ختم، غلق، البحر المحيط ٧/ ٤٦، خزانة الأدب ١١/ ٢٤١، الكشكول ص ٦٢٢، التاج: غلق.

(٤) قاله ابن قتيبة والنقاش، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٠، شفاء الصدور ورقة ٢٢٠/ ب، وينظر: زاد المسير ٩/ ٦٠، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٦.

(٥) قاله الضحاك ومقاتل والزجاج، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠١، إعراب القرآن ٥/ ١٨٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٥٦، زاد المسير ٩/ ٦٠.

تَسْـنِيمًا؛ لأنه يَتَسَـنَّمُ فَيَنْصَبُّ عليهم مِنْ فوقهـم وَمِنْ غُرَفِهِمْ وَمِـنْ مَنازِلِهِمْ، يجري من جنة عَدْنٍ إِلَى أهل الجِنانِ، وقال ابن عباس: «هو خالصٌ لِلْمُقَرَّبِينَ يَشْرَبُونَها صِرْفًا، وَيُمْزَجُ منها لِسائِرِ أهل الجنة»[1].

وأصل الكلمة مأخوذة من عُلُوِّ المَكانِ والمَكانةِ، فَيُقالُ للشيء المرتفع: سَـنامٌ، وللرجل الشريف: سَنامٌ، ويقال: تَسَـنَّمَ الفَحْلُ النّاقةَ: إذا عَلَاها، وهو اسمٌ معرفةٌ مثل التَّنْعِيمِ وهو اسم جبل[2].

ونصب «عَيْنًا» على الحال[3]، وإن شـئت قلت: وَيُسْقَوْنَ عَيْنًا؛ أي: مِنْ عَيْـنٍ[4]، أو أَعْنِـي عَيْنًا[5]، وقوله: ﴿يَشْرَبُ بِهَا﴾ نعـت للعين و﴿بِهَا﴾ بمعنى «مِنْهـا»، وقد تقـدم نظيرها في سـورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾، وهو قوله تعالى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[6].

---

(١) رُوِيَ هذا الخبر عن ابن مسعود أيضًا، ينظر: المصنف لابن أبي شيبة ٨/ ٨٧، جامع البيان ٣٠/ ١٣٥-١٣٦، الوسيط ٤/ ٤٤٩، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٦، الدر المنثور ٦/ ٣٢٧، ٣٢٨.

(٢) التَّنْعِيمُ: جَبَلٌ بين مكة والمدينة على بعد فرسـخين من مكة، ينظر: معجم البلدان ٢/ ٤٩، اللسان: نعم.

(٣) هـذا إذا كان التسـنيم عَلَمًا على عَيْنِ ماءٍ في الجنة، وهو قـول الفراء وأبي عبيدة والزجاج، ينظـر: معاني القـرآن ٣/ ٢٤٩، مجاز القرآن ٢/ ٢٩٠، معاني القـرآن وإعرابه ٥/ ٣٠١، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٨٢، تهذيب اللغة ١٣/ ١٦.

(٤) يعني أن «عَيْنًا» منصوب على نزع الخافض، وهذا قول الأخفش والزجاج والأزهري، ينظر: معاني القرآن للأخفش ص ٥٣٢، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠١، تهذيب اللغة ١٣/ ١٦.

(٥) هـذا قولٌ آخَرُ للأخفش، قالـه في معاني القرآن ص ٥٣٢، وحـكاه النحاس عن المبرد في إعراب القرآن ٥/ ١٨٢، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٤، الفريد للهمداني ٤/ ٦٤٤.

(٦) الإنسان ٦، وانظر ما سبق ٤/ ٢٠٠.

قال الحَرِيرِيُّ والواسِطِيُّ[١]: يشرب بها المقربون صِرْفًا على بِساطِ القُرْبِ، في مجلس الأُنْسِ، وَرِياضِ القُدُسِ، بِكَأْسِ الرِّضا على مشاهدة الحق ـ سبحانه ـ، فِي مقعد صدق عند مليك مقتدر.

[٣٠٣/ أ] قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ يعني كفار قريش / ﴿كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ﴾ يعني: إذا مَرَّ المؤمنون بالكفار ﴿يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾ أي: يَتَغامَزُ بِهِم الكفارُ، من الغَمْزِ وهو الإشارة بِالجَفْنِ والحاجِبِ؛ أي: يُشِيرُونَ إليهم بالأعين استهزاءً بهم ﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟﴾ يعني الكفار ﴿إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ يعني: رَجَعُوا مُعْجَبِينَ بما هُمْ فيه، يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِ المؤمنين.

قرأه العامة: ﴿فاكِهِينَ﴾ بألف، وقرأه حَفْصٌ: ﴿فَكِهِينَ﴾[٢] بغير ألف، ونصب ﴿فاكِهِينَ﴾ على الحال، ﴿وَإِذَا رَأَوْهُمْ﴾ يعني الكفار إذا رأوا المؤمنين ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾﴾ حين يأتون محمَّدًا، فقال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾﴾ يعني الكفار، ما أُرْسِلُوا على المؤمنين حافظين لأعمالهم، مُوَكَّلِينَ بأحوالهم، وهو منصوب على الحال، وإن شئتَ على خَبَرِ[٣] ما لَمْ يُسَمَّ فاعله.

قوله: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾ جمع أَرِيكةٍ، وهو السرير من الدُّرِّ والياقوت، وذلك

---

(١) ينظر قولهما في الكشف والبيان ١٠/ ١٥٧.

(٢) قرأ حَفْصٌ عن عاصم، وأبو رجاء والحَسَنُ وعكرمة وأبو جعفر: «فَكِهِينَ» بغير ألف، ورواها ابن ذَكْوانَ عن ابن عامر، ورُوِيَ أيضًا، عن ابن ذكوان عن ابن عامر: «فاكِهِينَ» بالألف، وهي قراءة الباقين، ينظر: السبعة ص ٦٧٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٧، البحر المحيط ٨/ ٤٣٥، الإتحاف ٢/ ٥٩٧.

(٣) في الأصل: «على اسم ما لَمْ يسم».

أنَّ لِـكُلِّ رَجُلٍ من أهل الجنـة كُوّةً يَنْظُرُ منها إلَى أعـداء الله كيف يُعَذَّبُونَ في النار، فإذا نَظَرُوا إلَى أهل النار، وما يَلْقَوْنَ فيها من العذاب، حَمِدُوا اللهَ تعالى، وَعَرَفُوا أنَّ اللهَ ـ عزّ وجلّ ـ قد أكرمهم، ثم يُطْبَقُ على أهل النار، وَيُحالُ بينهم، وَتُسَـدُّ تلك الكُوَى[1]، فذلك قولـه تعالى: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾ أي: هــل جُوزِيَ الكُفّـارُ، وَأُثِيبُوا بِما كانوا يفعلون فِـي الدنيا من معاصي الله تعالى، ومعنى الاستفهام هاهنا التقرير.

وقرأ حَمْزةُ والكسـائيُّ وهشام: «هَل ثُّوِّبَ» بالإدغام[2]، و﴿ثُوِّبَ﴾ فعل من الثواب، وأصله ما يَثُوبُ؛ أي: يَرْجِعُ، وَثُوِّبَ وَأُثِيبَ وَأثابَ بِمَعْنًى واحدٍ.

فصل

رُوِيَ عــن عَدِيِّ بنِ حاتِمٍ قال: قال رسـول الله ﷺ: «يُؤْمَـرُ يَوْمَ القِيامةِ بناسٍ من النّاسِ إلَى الجَنّةِ، حَتَّى إذا دَنَوْا منها، واسْتَنْشَقُوا رائِحَتَها، وَنَظَرُوا إلَى قُصُورِها وَإلَى ما أعَدَّ اللهُ لأهلها فيها، نُودُوا أنِ اصْرِفُوهُمْ، لا نَصِيبَ لَهُمْ فيها، قال: فَيَرْجِعُونَ بِحَسْـرةٍ ما رَجَعَ بِمِثْلِها الأوَّلُونَ والآخِرُونَ، فيقولون: رَبَّنا: لَوْ أدْخَلْتَنا النّارَ قَبْلَ أن تُرِيَنا ما أرَيْتَنا مِنْ ثَوابِكَ، وما أعْدَدْتَ فيها لأوليائكَ، كان

---

(١) رواه الطبـري عــن ابن عباس وكعبٍ في جامع البيـان ٣٠/ ١٣٩، ورُوِيَ أيضًا، عن مقاتل وأبي صالح، ينظر: زاد المسير ٩/ ٦١، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٨.

(٢) قرأ حَمْزةُ والكِسـائِيُّ وهِشـامٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ، وهارونُ ويونسُ كلاهما عن أبي عمرو: ﴿هَل ثُّوِّبَ﴾ بإدغام الثاء في اللام، وهو إدغام جائز عند سـيبويه، وإن كان أقَلَّ من إدغام اللام في الراء كما ذَكَرَ سيبويه في الكتاب ٤/ ٤٥٨-٤٥٩، وقرأ الباقون وأبو عمرو في رواية اليَزِيدِيِّ بغير إدغام، فمن أدغم فَلِقُرْبِ مَخْرَجَي الحرفين، ومن أظْهَرَ فلأنهما من كلمتين، ينظر: السبعة ص ٦٧٦، معانِي القراءات ٣/ ١٣٢، الحجة للفارسي ٤/ ١٠٦، الإتحاف ٢/ ٥٩٨.

أَهْـوَنَ علينا، قال: ذَلِكَ أَرَدْتُ بِكُمْ، كُنْتُمْ إذا خَلَوْتُمْ بارَزْتُمُونِي بالعَظائِمِ، وإذا لَقِيتُمُ النّاسَ لَقِيتُمُوهُمْ مُحْسِـنِينَ، تُراءُونَ النّاسَ بِخِلاَفِ ما في قُلُوبِكُمْ، هِبْتُمُ النّاسَ ولم تَخافُونِي، وَأَجْلَلْتُمُ النّاسَ وَلَمْ تُجِلُّونِي، وَتَرَكْتُمْ لِلنّاسِ وَلَمْ تَتْرُكُوا لِـي، فاليَـوْمَ أُذِيقُكُمْ أَلِيمَ العَذابِ مَعَ ما حَرَمْتُكُمْ مِـنَ الثَّوابِ»[1]، فذلك قوله تعالـى: [٣٠٣/ ب] ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ / ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، والله أعلم.

* * *

---

(١) هذا حديث موضوع، فيه أبو جَنادةَ السَّـلُولِيُّ، وهو مُتَّهَمٌ بالكذب وَوَضْعِ الأحاديث، ينظر: كتـاب المجروحيـن ٣/ ١٥٦، المعجـم الأوسـط ٥/ ٣٣٦، المعجم الكبيـر ١٧/ ٨٦، الموضوعات لابن الجوزي ٣/ ١٦٢.

سورة ﴿ٱنشَقَّتۡ﴾

مكية

وهي أربعمائة وثلاثون حرفًا، ومائة وتسع كلمات، وخمس وعشرون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿ٱنشَقَّتۡ﴾، أعاذَهُ اللهُ أنْ يُعْطِيَهُ كِتابَهُ وَراءَ ظَهْرِهِ»[١].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ اسْتَغْفَرَتْ لَهُ سَماءُ الدُّنْيا بِما فِيها»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ۝١﴾؛ أي: انْفَطَرَتْ، قال المفسرون[٣]: وانشقاقها من علامات القيامة ﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا﴾؛ أي: سَمِعَتْ لِرَبِّها

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥٨، الوسيط ٤/ ٤٥١، الكشاف ٤/ ٢٣٦، مجمع البيان ١٠/ ٣٠١.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) ينظر قولهم في الوسيط ٤/ ٤٥١، زاد المسير ٩/ ٦٢، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٦٩.

وَأطاعَتْ فِي الانشقاق، مأخوذ من الأُذُنِ وهو الاستماع للشيء والإصغاء إليه ﴿وَحُقَّتْ ۝٢﴾؛ أي: حُقَّ لَها أنْ تَسْمَعَ كلامَ خالقها ـ عزّ وجلّ ـ[(١)].

وقد تقدم الكلام فيما يرتفع بعد ﴿إِذَا﴾ فِي سورة ﴿كُوِّرَتْ﴾[(٢)]، وأنه على إضمارِ فِعْلٍ عند البصريين تقديره: إذا انشقت السماء انشقت، الفعل الثانِي مُفَسِّرٌ للفعل الأول، وعند الكوفيين هو ابتداء وخبر، والعامل في ﴿إِذَا﴾: اذْكُرْ[(٣)]، وقيل[(٤)]: العامل فيه ﴿ٱنشَقَّتْ﴾، وقيل[(٥)]: العامل فيه قوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾[(٦)].

واختلفوا في جواب ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾، فقيل[(٧)]: جوابه متروكٌ؛ لأن المعنى مفهوم، وقيل[(٨)]: جوابه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ﴾، ومجازه: إذا

---

(١) قاله أبو عمر الزاهد فِي ياقوتة الصراط ص ٥٦٣، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٦.

(٢) انظر ما تقدم ٤/ ٣٠٤.

(٣) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٨٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٥.

(٤) ذكره مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٥.

(٥) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٥٣٤، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٥، وعلى هذه الأوجه الثلاثة تكون «إذا» ظرفًا، فلا تحتاج إلى جواب، والمعنى: اذْكُرْ خَبَرَ ذلك الوقت، أو فملاقيه في ذلك الوقت ونحو ذلك، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٨٥، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٥، فإذا جعلت «إذا» شرطية احتاجت إلى جواب، وهو ما سيذكره المؤلف بعد قليل.

(٦) الانشقاق ٦.

(٧) حكاه المبرد عن بعضهم، وأجازه، وقاله الزجاج والنقاش وابن جني، وحكاه ابن الأنباري بغير عزو، انظر: المقتضب للمبرد ٢/ ٧٩، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٣، إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٧١، شفاء الصدور ورقة ٢٢٢/ أ، سر صناعة الإعراب ص ٦٤٧، وينظر أيضًا: الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٣٤، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب.

(٨) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٢٢/ أ، وحكاه ابن عطية وأبو حيان عن الأخفش =

السماء انشقت، لَقِيَ كُلُّ كادِحٌ ما عَمِلَهُ، وقيل[١]: جوابه: ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾، وتكون الواو زائدةً مقحمةً، معناه: إذا السماء انشقت أَذِنَتْ لِرَبِّها وَحُقَّتْ.

قال ابن الأنباري[٢]: وهذا غلط؛ لأن العرب لا تُقْحِمُ الواوَ إلا مع ﴿حَتَّى إذا﴾، كقولـه تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾[٣]، ومع «لَمّا»، كقوله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيْنَٰهُ﴾[٤]، معناه: نادَيْناهُ، فالواو لا تُقْحَمُ مـع غير هذين الوجهين. قال[٥]: ويجوز أن يكـون الجواب فاءً مضمرةً، كأنه قال: إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ فَيا أَيُّها الإنسان إنَّكَ كادِحٌ.

ومعنـى قولـه: ﴿كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا﴾؛ أي: عامِـلٌ واصِلٌ بـه إلَى رَبِّكَ عَمَلًا، والكَدْحُ: عَمَلُ الإنْسـانِ من الخير والشـر[٦]، يقـال: كَدَحَ فِي كذا: إذا جَدَّ فيه واجتهد، والكادِحُ: الكادُّ الكاسِـبُ، ويقال[٧]: فُلانٌ يَكْدَحُ على عِيالِهِ وَلِعِيالِهِ؛ أي: يَعْمَلُ وَيَكْتَسِبُ.

= والمبرد، ينظر: المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٧، البحر المحيط ٨/ ٤٣٨، وأما في المقتضب فإن المبرد يرى أن الجواب هو قوله: «فَأَمّا مَنْ أُوتِيَ كِتابَهُ بِيَمِينِهِ». المقتضب ٢/ ٧٧.

(١) هـذا قول الكوفيين والأخفش، ينظر: معانِـي القرآن للفـراء ٣/ ٢٤٩، المقتضب للمبرد ٢/ ٧٧، ٧٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٥٤، سر صناعة الإعراب ص ٦٤٦، الإنصاف ص ٤٥٦.

(٢) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٧١.

(٣) الزمر ٧٣.

(٤) الصافات ١٠٣- ١٠٤.

(٥) يعني ابن الأنباري.

(٦) قاله النقاش في شـفاء الصدور ورقة ٢٢/ أ، وحـكاه الأزهري عن الليث في تهذيب اللغة ٤/ ٩٤، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٥٩، الوسيط ٤/ ٤٥٢.

(٧) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٦٤، والجوهري فِي الصحاح ١/ ٣٩٨.

وقال القُتَيْبِيُّ[(١)]: معناه: ناصِبٌ في مَعِيشَتِكَ إلَى لِقاءِ رَبِّكَ، والكَدْحُ: السَّعْيُ والجُهْدُ فِي الأمْرِ حَتَّى يَكْدَحَ ذلك فيه أي: يُؤَثِّرَ، ومنه قول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ سَألَ وَلَهُ ما يَكْفِيهِ جاءَتْ مَسْألَتُهُ يَوْمَ القِيامةِ خُدُوشًا أوْ خُمُوشًا أو كُدُوحًا فِي وَجْهِهِ»[(٢)]؛ أي: أثَرُ الخَدْشِ، قال/ ابن مُقْبِلٍ: [٣٠٤/ أ]

هَلِ العَيْشُ إلّا تارَتانِ؟، فَمِنْهُما أمُوتُ وَأُخْرَى أبْتَغِي العَيْشَ أكْدَحُ[(٣)]

وقوله: ﴿فَمُلَٰقِيهِ ۝٦﴾؛ أي: فَمُلاقٍ عَمَلَكَ وَمُجازًى به خَيْرًا كانَ أو شَرًّا، وهو في موضع رفع على إضمار مبتدأ محذوف تقديره: فَأنْتَ مُلاقِيهِ، والأصل ضم الياء، فحُذِفَت الضمةُ لثقلها.

قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧﴾ يعني ديوان أعماله ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ وهو أن يُتَقَبَّلَ منه، وَيُتَجاوَزَ عن سيئاته، و﴿مَنْ﴾ محلها رفع بالابتداء، والفاء وما بعدها الخبر، وكذلك حُكْمُ ضِدِّها فِي الآية التِي بعدها.

قوله: ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ يعني: ينقلب من بين يدي الله تعالى إلَى أهله في الجنة من الحُورِ العِينِ والآدَمِيّاتِ مَسْرُورًا فَرِحًا بِما أُوتِيَ من الخير والكرامة، وهو منصوب على الحال.

---

(١) تفسير غريب القرآن ص ٥٢١.

(٢) رواه الإمام أحمد عن ابن مسعود في المسند ١/ ٣٨٨، ٤٤١، وأبو داود في سننه ١/ ٣٦٦ كتاب الزكاة: باب من يُعْطَى من الصدقة، وابن ماجه في سننه١/ ٥٨٩ كتاب الزكاة: باب مَنْ سَألَ عن ظَهْرِ غِنًى.

(٣) تقدم برقم ١١٤ ص ٣٤١.

فصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فيه حاسَبَهُ اللهُ حِسابًا يَسِيرًا، وَأَدْخَلَهُ الجَنَّةَ بِرَحْمَتِهِ»، قالوا: ما هي يا رسول الله؟ قال: «تُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، وَتَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ»[1].

وعن ابن عُمَرَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ حاسَبَ نَفْسَهُ فِي الدُّنْيا هَوَّنَ اللهُ عليه حِسابَهُ يَوْمَ القِيامةِ»[2].

وعن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الكُتُبُ يَوْمَ القِيامةِ تَحْتَ العَرْشِ، فإذا كان المَوْقِفُ بَعَثَ اللهُ رِيحًا، فَتُطَيِّرُها فِي الأَيْمانِ والشَّمائِلِ»[3].

وعنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ أَحَدٌ يُعْطَى كِتابَهُ بِيَمِينِهِ إلّا ضَحِكَ ضِحْكةً يَسْمَعُها جَمِيعُ أَهْلِ المَوْقِفِ».

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ هَلَكَ»، قلتُ: يا رسول الله: فإنَّ الله ـ عزّ وجلّ ـ يقول في كتابه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾، قال: «ذَلِكَ العَرْضُ»[4]، رواه

---

(١) رواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٣٥ كتاب الشهادات: باب شهادة أهل المعصبية، ورواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥١٨ كتاب التفسير: سورة «إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ»، وينظر: المعجم الأوسط للطبرانيِّ ١/ ٢٧٩، ٥/ ١٩٦، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٥٣.

(٢) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٢٢/ أ، ٢٢٢/ ب، وينظر: تفسير الثعالبي ٥/ ٥٦٨.

(٣) رواه العقيلي في الضعفاء الكبير ٤/ ٤٦٦، وينظر: شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢٢٢/ أ، التذكرة للقرطبي ص ٢٩١.

(٤) صحيح البخاري ١/ ٣٤ كتاب العلم: باب «هل يجعل للنساء يومًا على حدة في العلم»؟ =

البخاري ومسلم في صحيحيهما، وأراد بالعرض المَرَّ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ - عزّ وجلّ -.

قوله - عزّ وجلّ -: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾﴾ قال الكَلْبِيُّ[1]: لأن يَمِينَهُ مَغْلُولةٌ إِلَى عُنُقِهِ، وتكون يَدُهُ اليُسْرَى خَلْفَ ظَهْرِهِ، وقال مقاتل[2]: تُخْلَعُ يَدُهُ اليُسْرَى، فتكون وراء ظهره ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾ يُنادِي إذا قَرَأَ كِتابَهُ: يا وَيْلاهُ! يا ثُبُوراهُ! كقوله: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[3]؛ أي: صاحُوا عند ذلك بالويل والهلاك.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ قرأ نافع وابن كثير وابن عامر والكسائيُّ بضم الياءِ وتشديدِ اللّام[4]، واختاره أبو حاتم؛ لقوله: ﴿ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾[5]، وقرأ الباقون بفتح الياء والتخفيف، واختاره أبو عبيد؛ لقوله: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾[6]، فمن قرأ بالضم نصب ﴿سَعِيرًا﴾ على خَبَرِ ما لَمْ يُسَمَّ فاعِلُهُ[7]، ومن قرأ بالفتح نصب على المفعول، والمعنى: يُقاسِي حَرَّها وَشِدَّتَها.

= ٦/ ٨١ كتاب تفسير القرآن: سورة «إذا السَّماءُ انْشَقَّتْ»، ٧/ ١٩٧ كتاب الرقاق: باب «مَنْ نُوقِشَ الحِسابَ عُذِّبَ». صحيح مسلم ٨/ ١٦٤ كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها: باب إثبات الحساب.

(١) ينظر قوله في معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٠، الوسيط ٤/ ٤٥٣.

(٢) ينظر قوله في الوسيط ٤/ ٤٥٣، الكشاف ٤/ ٢٣٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٢.

(٣) الفرقان ١٣.

(٤) وهي أيضًا، قراءة ابن مُحَيْصِنٍ والحَسَنِ وعُمَرَ بن عبد العزيز وأَبِي الشَّعْثاءِ والأعرجِ، ينظر: السبعة ص ٦٧٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٢، البحر المحيط ٨/ ٤٣٩.

(٥) الحاقة ٣١.

(٦) الصافات ١٦٣.

(٧) يعني أنه مفعول ثانٍ للفعل «يُصَلَّى»، وأما المفعول الأول فهو نائب الفاعل الذي هو ضميرٌ مستترٌ فيه.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ / أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣﴾ يعني: كان فِي الدنيا مَسْرُورًا باتِّباعِ هَواهُ وَرُكُوبِ شَهْوَتِهِ ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤﴾؛ أي: لن يرجع إِلَى الآخرة ولن يُبْعَثَ، والحَوْرُ: الرُّجُوعُ إِلَى الشيء، قال النبيُّ ﷺ: «أَعُوذُ بِكَ مِنَ الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْرِ»[(١)]، فالحَوْرُ: التَّأَخُّرُ والنُّقْصانُ، والكَوْرُ: التَّقَدُّمُ والزيادة، قال ابن عباس[(٢)]: كنتُ لا أدري ما معنى «يَحُورَ» حتى سَمِعْتُ أعْرابِيّةً تدعو بُنَيّةً لها تقول: حُورِي حُورِي؛ أي: ارْجِعِي، قال الشاعر:

٤٩٣ - وَما المَرْءُ إلّا كالشِّهابِ وَضَوْئِهِ يَحُورُ رَمادًا بَعْدَ إذْ هُوَ ساطِعُ[(٣)]

ثم قال تعالى: ﴿بَلَىٰٓ﴾؛ أي: لَيَحُورَنَّ وَلَيُبْعَثَنَّ ﴿إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ١٥﴾ يعني: بصيرا به مِنْ يَوْمِ خَلْقِهِ إِلَى أنْ بَعَثَهُ.

قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦﴾ «لا» زائدة، معناه: فَأُقْسِمُ بِالشَّفَقِ، وهو الحُمْرةُ التِي تَبْقَى بِالأُفُقِ بعد غروب الشمس، وَبِغَيْبُوبَتِهِ يَتَعَلَّقُ أَوَّلُ وَقْتِ

---

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد بسنده عن عبد الله بن سَرْجِسَ في المسند ٥/ ٨٢، ٨٣، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٠٥ كتاب الحج: باب ما يقول إذا ركب إِلَى سَفَرِ الحَجِّ وَغَيْرِهِ.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٦٠، الكشاف ٤/ ٢٣٥، المحرر الوجيز ٥/ ٤٥٨، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٣، تفسير الثعالبي ٥/ ٥٦٩.

(٣) البيت من الطويل، لِلَبِيدِ بن ربيعة.

التخريج: ديوانه ص ٨٨، العين للخليل ٣/ ٢٨٧، الشعر والشعراء ص ٢٧٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٥، الأغانِي ١٤/ ٩٩، الكشاف ٤/ ٢٣٥، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ٢٢٨، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٣، التذكرة الحمدونية ٦/ ١٤، محاضرات الأدباء ٢/ ٤٩١، الحماسة البصرية ص ٦٢٢، اللسان: حور، زاد المسير ١/ ٢٢٦، ٦/ ٤٥٠، ٩/ ٦٥، البحر المحيط ٨/ ٤٣٦، ارتشاف الضرب ص١١٦٤، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٣٣، همع الهوامع ١/ ٣٥٨.

العِشاءِ الآخِرةِ[١]، وقيل[٢]: هو البياض، والأول هو الاختيار، قال الشاعر:

٤٩٤ ـ قُمْ يا غُلَامُ أعِنِّي غَيْرَ مُحْتَشِمٍ   عَلَى الزَّمانِ بِكَأْسٍ حَشْوُها شَفَقُ[٣]

وقال آخر:

٤٩٥ ـ وَقَدْ تَغَطَّتْ فِي كُمِّها خَجَلًا   كالشَّمْسِ غابَتْ فِي حُمْرةِ الشَّفَقِ[٤]

وقال آخر:

٤٩٦ ـ أحْمَرُ اللَّوْنِ كَمُحْمَرِّ الشَّفَقْ[٥]

---

(١) قاله ابن عباس وأكثر الصحابة والتابعين واللغويين، ينظر: الموطأ للإمام مالك ١/ ١٣، كتاب الأم للشافعي ١/ ٩٣، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥١، غريب الحديث للهروي ٢/ ١٢٨، مجالس ثعلب ص ٣٠٨، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٥، تهذيب اللغة ٨/ ٣٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٦٠، زاد المسير ٩/ ٦٥، ٦٦، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٤، ٢٧٥.

(٢) هذا قول أبِي هريرة وعمر بن عبد العزيز ومجاهد وأبِي حنيفة، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٤٢، تفسير عبد الرزاق ٣/ ٣٥٨، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥١، غريب الحديث للهروي ٢/ ١٢٨، جامع البيان ٣٠/ ١٤٩، تهذيب اللغة ٨/ ٣٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٦٠، زاد المسير ٩/ ٦٦، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب.

(٣) البيت من البسيط، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى: «**غَيْرَ مُرْتَبِكٍ**».
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ١٦٠، مجمع البيان ٩/ ٦٩٧، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٥، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٣٥، فتح القدير ٥/ ٤٠٧.

(٤) البيت من المنسرح، للقاضي التَّنُوخِيِّ أبِي القاسم عَلِيِّ بن محمد بن داود في وصف مليحٍ جَسيمٍ، وورد عَجُزُهُ منسوبًا لابن الرومي في ديوان المعانِي، ويُرْوَى: «**ثُمَّ تَغَطَّتْ**».
التخريج: نِشْوارُ المحاضرة للقاضي التنوخي ٧/ ١٢٠، ديوان المعانِي للعسكري ١/ ٢٣٠، معجم الأدباء ١٤/ ١٧٣، الوافِي بالوفيات ٢١/ ٤٦١، معاهد التنصيص ١/ ٣٢٦.

(٥) البيت من الرجز المشطور، لَمْ أقف على قائله.
التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ١٦٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٠٣، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٥، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٣٥.

قال الفَرّاءُ[١]: وسمعتُ بعض العرب يقول: الثَّوْبُ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ الشَّفَقُ.

وعن ابن عُمَرَ قال: قال رسول الله ﷺ: «الشَّفَقُ الحُمْرةُ»[٢]، ويقال لِلْمَغْرةِ: الشَّفَقُ[٣] ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧﴾؛ أي: جَمَعَ وَضَمَّ، وذلك أن الليل يَضُمُّ كُلَّ شيء إلَى مَأْواهُ، واسْتَوْسَقَ الشَّيْءُ: إذا اجْتَمَعَ وَكَمُلَ[٤]، ومنه قيل للطعام المجتمع: وَسْقٌ، وهو سِتُّونَ صاعًا، واسْتَوْسَقَتِ الإبِلُ: إذا اجْتَمَعَتْ وانْضَمَّتْ[٥]، قال الشاعر:

٤٩٧ ـ إنَّ لَنا قَلائِصًا حَقائِقا
مُسْتَوْسِقاتٍ لَمْ يَجِدْنَ سائِقا[٦]

---

(١) معانِي القرآن ٣/ ٢٥١.

(٢) تَمامه: «فإذا غابَ الشَّفَقُ وَجَبَتِ الصَّلاةُ»، رواه عبد الرزاق في مصنفه ١/ ٥٥٩، والبيهقيُّ في السنن الكبرى ١/ ٣٧٣ كتاب الصلاة: باب في دخول وقت العشاء، وينظر: المصنف لابن أبِي شيبة ١/ ٣٦٨، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٥٤.

(٣) المَغرةُ بسكون الغين وفتحها: طِينٌ أحْمَرُ يُصْبَغُ به، والأمْغَرُ: الأحْمَرُ الشَّعَرِ والجِلْدِ على لون المَغْرةِ، وَثَوْبٌ مُمَغَّرٌ: مَصْبُوغٌ بِالمَغْرةِ. اللسان: مغر.

(٤) قاله أبو بكر السجستانِيُّ في غريب القرآن ص ١٧٦.

(٥) قاله الطبري والنقاش، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٥٠، شفاء الصدور ورقة ٢٢٢/ ب، وينظر أيضًا: الصحاح ٤/ ١٥٦٦، الكشف والبيان ١٠/ ١٦٠.

(٦) البيتان من الرجز المشطور، لِلْعَجّاج.

اللغة: القَلائِصُ: جَمْعُ قَلُوصٍ وَهِيَ الفَتِيّةُ مِنَ الإبِلِ، الحَقائِقُ: جَمْعُ حِقّةٍ وَهِيَ البَكْرةُ التِي اسْتَوْفَتْ ثَلاثَ سِنِينَ، مُسْتَوْسِقاتٌ: مُجْتَمِعاتٌ.

التخريج: ملحق ديوان العجاج ص ٤٠٦، مجاز القرآن ٢/ ٢٩١، الفاضل للمبرد ص ١٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٥، إيضاح الوقف والابتداء ص ٦٦، ٩٧، ديوان الأدب ٣/ ٢٨٣، تهذيب اللغة ٩/ ٢٣٥، إعراب القراءات السبع ١/ ٣٠، المحتسب ١/ ٣٦١، الكشف والبيان ١٠/ ١٦١، الكشاف ٤/ ٢٣٠، زاد المسير ٩/ ٦٦، تفسير القرطبي =

ويقال[١]: وَسَقَ الشَّيْءُ: إذا عَلَا، وذلك أن الليل يَعْلُو كُلَّ شَيْءٍ وَيُجَلِّلُهُ، ولا يَمْتَنِعُ منه شَيْءٌ، وقيل: هو مأخوذٌ من الوُسُوقِ وهو الحُمْرةُ.

وقيل[٢]: معناه: وما ساقَ مِنْ ظُلْمَتِهِ إذا أقْبَلَ، والمعنى: ضَمَّ وَحَوَى وَلَفَّ وَجَمَعَ ما كان منتشرًا بالنهار في تَصَرُّفِهِ.

﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: اجتمع واستوى واستدار وَتَمَّ نُورُهُ، وهو أحسن ما يكون، ويقال: اتَّسَقَ الشَّيْءُ: إذا تَتابَعَ ضِياؤُهُ، وهو «افْتَعَلَ» من الوَسْقِ.

وقوله: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ هذا جواب القسم، و﴿عَن﴾ بمعنى «بَعْدَ»، قرأ أهل مكة وأهل الكوفة إلا عاصمًا بفتح الباء[٣]، والمعنى: لَتَرْكَبَنَّ يا محمدُ سَماءً بَعْدَ سَماءٍ، وَدَرَجةً بَعْدَ دَرَجةٍ، وَرُتْبةً بَعْدَ رُتْبةٍ، وقرأ الآخرون بضمه وهو الاختيار؛ لأن المعنى بالناس أشبه بالخطاب، والمعنى: لَتَرْكَبُنَّ حالًا بَعْدَ حالٍ، ومَنْزِلًا بعد مَنْزِلٍ، وَأَمْرًا بَعْدَ أَمْرٍ فِي الآخرة.

والطَّبَقُ في اللغة هو الحال[٤]، والعرب تقول لِمَنْ وقع في أمرٍ شديدٍ:

= ١٩/ ٢٧٧، اللسان: وسق، البرهان للزركشي ١/ ٢٩٣، البحر المحيط ٨/ ٤٣٧، الدر المصون ٦/ ٤٩٩، التاج: وسق.

(١) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٢٩١، وأبو بكر السجستاني في غريب القرآن ص ١٧٦.

(٢) قاله عكرمة والضحاك، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٥١، ١٥٢، مجمع البيان ١٠/ ٣٠٦.

(٣) قرأ ابن مسعود وابن عَبّاسٍ ومجاهد وابن جُبَيْرٍ وابنُ كثير وَحَمْزةُ والكِسائِيُّ وخلفٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ والأعمش ومسروق وأبو وائل والنَّخْعِيُّ والشَّعْبِيُّ وابنُ وَثّابٍ وأبو العالية: ﴿لَتَرْكَبَنَّ﴾ بفتح الباء، وقرأ الباقون بضم الباء، ينظر: السبعة ص ٦٧٧، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٨، البحر المحيط ٨/ ٤٤٠، الإتحاف ٢/ ٦٠٠.

(٤) قال ابن الأنباري في الزاهر ١/ ١٧٦.

وَقَعَ في بَناتِ طَبَقٍ[1]، قال الشاعر: /

٤٩٨ ـ الصَّبْرُ أجْمَلُ والدُّنْيا مُفَجِّعةٌ مَنْ ذا الذِي لَمْ يَذُقْ مِنْ عَيْشِها رَنَقا
إذا صَفا لَكَ مِنْ مَسْرُورِها طَبَقٌ أهْدَى لَكَ الدَّهْرُ مِنْ مَكْرُوبِها طَبَقا[2]

وما بعده ظاهر التفسير إلَى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾﴾ يعني كفار مكة، أي: بِما يجمعون فِي قلوبهم من الكفر والتكذيب بالنبي ﷺ، وَيُوعُونَهُ كما يُوعَى المَتاعُ فِي الوِعاءِ، يقال: وَعَيْتُ في قَلْبِي كذا وكذا، وَفُلاَنٌ واعٍ، و﴿أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ﴾[3]، وَأوْعَيْتُ المَتاعَ فَأنا مُوعٍ[4]، ثم قال: ﴿فَبَشِّرْهُم﴾ يا محمد ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾﴾؛ أي: وَجِيعٍ.

ثم اسْتَثْنَى منهم المؤمنينَ، فقال تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

---

(١) هذا كلام الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٥٢.
و«وقع في بنات طبق» مَثَلٌ يُقال للداهية، وبنتُ طَبَقٍ: سُلَحْفاةٌ؛ وتزعم العرب أنَّها تبيض تسعًا وتسعين بَيْضةً كلُّها سَلاحِفُ، وَتَبِيضُ بَيْضةً تَنْقَفُ عن أسوَدَ أي: حَيّةٍ، انظر: ديوان الأدب ١/ ٢٢٤، الصحاح ٤/ ١٥١١، جمهرة الأمثال ١/ ١٤٦، مجمع الأمثال ١/ ١٦٥، المستقصى ٢/ ٣٦.

(٢) البيتان من البسيط، لِحارِثةَ بنِ بَدْرٍ الغُدانِيِّ، ويُرْوَى عَجزُ الأوَّلِ:
مَنْ ذا الذِي لَمْ يُجَرَّعْ مَرّةً حَزَنا
اللغة: الرَّنَقُ: مصدر قولك: رَنِقَ الماءُ: إذا كَدِرَ، وعَيْشٌ رَنِقٌ؛ أي: كَدِرٌ.
التخريج: التعازي والمراثي للمبرد ص ٨، الكشف والبيان ١٠/ ١٦٢، مجمع البيان ١٠/ ١٠/ ٣٠٣-٣٠٤، عين المعانِي ورقة ١٤٣/ ب.

(٣) من قوله تعالى: «لِنَجْعَلَها لَكُمْ تَذْكِرةً وَتَعِيَها أُذُنٌ واعِيةٌ». الحاقة ١٢.

(٤) ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٢، معانِي القرآن للأخفش ص ٥٣٤، إصلاح المنطق ص ٢٢٨، ٢٢٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢١، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٦، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٦ شفاء الصدور ٢٢٣/ أ.

﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (٢٥)﴾ ﴿غَيْرُ﴾ نعت ﴿أَجْرٌ﴾؛ أي: غير مقطوع ولا منقوص؛ لأن نعيم الآخرة لا ينقطع، و﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نصبٍ، استثناء من الهاء والميم، ويجوز أن يكون استثناءً منقطعًا ليس من الأول، كما رَوَى عِكْرِمةُ عن ابن عباس فِي قوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، فقال: هو الشيخ الكبير إذا كَبِرَ وَضَعُفَ، وكان يعمل شيئًا من الخَيْرِ وَقْتَ قُوَّتِهِ، كُتِبَ له مِثْلُ أجْرِ ما كان يعمل، ثم قال: ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ لا يُمَنُّ به عليه[1]، والله أعلم.

* * *

---

(١) من أول قوله: «والذين: فِي موضع نصب»، قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٥/ ١٨٩.

سورة البروج
مكية

وهي أربعمائة وثلاثون حرفًا، ومائة وتسع كلمات، واثنتان وعشرون آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾ أعْطاهُ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ مِنَ الأجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ جُمُعةٍ وَكُلِّ عَرَفةٍ يَكُونُ فِي الدُّنْيا عَشْرَ حَسَناتٍ»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿ٱلْبُرُوجِ﴾ اسْتَغْفَرَتْ لَهُ ثَلاثُ سَماواتٍ بِما فِيها، وَمَنْ قَرَأَ سُورةَ الطّارِقِ اسْتَغْفَرَتْ لَهُ بَقِيّةُ السَّماواتِ بِما فِيها»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١﴾ يعني منازل النجوم، وهي اثنا عشر بُرْجًا ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢﴾ يعني يوم القيامة، فيه ميعاد الأولين والآخِرِينَ،

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٦٤، الوسيط ٤/ ٤٥٧، الكشاف ٤/ ٢٤٠، مجمع البيان ١٠/ ٣١٠.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

وَعَدَ اللهُ أَوْلِيَاءَهُ بالجنة، وَأَوْعَدَ أَعْداءَهُ بالنار ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣﴾ الشاهد: يوم الجمعة، والمشهود: يومُ عَرَفَةَ، رَوَى ذلك أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن النبي ﷺ، وقيل: الشاهد: محمد ﷺ، كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾[1]، والمشهود: يوم القيامة كما قال تعالى: ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[2]، وقيل: الشاهد: الحَقُّ، والمشهود الخَلْقُ، وفيه يقول الشاعر:

٤٩٩ـ أيا عَجَبًا كَيْفَ يُعْصَى الإلَهُ ... أَمْ كَيْفَ يَجْحَدُهُ الجاحِدُ؟
وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيةٌ ... تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ الواحِدُ
ولله فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ ... وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شاهِدُ[3]

[٣٠٥/ ب] وهذه أقسام أَقْسَمَ / اللهُ بها، واختلفوا في جواب القسم، فقيل[4]: جوابه:

---

(١) النساء ٤١.

(٢) هود ١٠٣، وهذا قول ابن عباس والحُسَيْنِ بنِ عَلِيٍّ، رواه النسائي في السنن الكبرى ٦/ ٥١٢ كتاب التفسير: سورة البروج، وينظر: المعجم الأوسط للطبرانِيِّ ٩/ ١٨٢، الكشف والبيان ١٠/ ١٦٥-١٦٦.

(٣) الأبيات من بحر المتقارب، لِلَبِيدِ بنِ رَبِيعةَ، وَنُسِبَتْ لأبِي العَتاهِيَةِ، وَلِمَحْمُودٍ الوَرّاقِ، ولأبِي نُواسٍ.
التخريج: ذيل ديوان لبيد ص ٢٣٢، ديوان أبِي العتاهية ص ١٢٢، ملحق ديوان محمود الوراق ص ١٦٠، المحاسن والأضداد للجاحظ ص ١٠١، ١٠٢، المحاسن والمساوئ للبيهقي ص ٣٥٥، المحتسب ١/ ١٥٣، الكشف والبيان ١٠/ ١٦٧، ١٦٨، زهر الآداب ٢/ ٣٨٧، محاضرات الأدباء ٢/ ٣٩٨، بهجة المجالس ٢/ ٣٣١، تفسير القرطبي ٤/ ٣١٣، حماسة الظرفاء ١/ ٢٨١، المستطرف ١/ ١٢، ٢/ ١٥٣، البحر المحيط ٧/ ١٦٥، ٨/ ٤٥٩، التاج: عنه.

(٤) قاله الأخفش في معاني القرآن ص ٥٣٥، وحكاه الفراء عن بعضهم في معانِي القرآن ٣/ ٢٥٣، وينظر: المقتضب ٢/ ٣٣٦، إعراب القرآن ٥/ ١٩١، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٧، التبيان للعكبري ص ١٢٨٠.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾، وفيه إضمار يعني: لَقَدْ قُتِلَ، وقيل[١]: جوابه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾[٢]، قال ابن الأنباري[٣]: وهذا قبيح؛ لأنه قد طال ما بينهما، وقيل[٤]: الجواب محذوف.

فصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «اليَوْمُ المَوْعُودُ يَوْمُ القِيامةِ، والمَشْهُودُ يَوْمُ عَرَفةَ، والشّاهِدُ يَوْمُ الجُمُعةِ، ما طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الجُمُعةِ، فِيهِ ساعةٌ لاَ يُوافِقُها عَبْدٌ مُؤْمِنٌ يَدْعُو اللهَ فِيها بِخَيْرٍ إِلّا اسْتَجابَ لَهُ، وَلاَ يَسْتَعِيذُهُ مِنْ شَرٍّ إِلّا أعاذَهُ مِنْهُ»[٥].

وقوله: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤﴾؛ أي: لُعِنَ أَصْحابُ الأُخْدُودِ، والأُخْدُودُ: الشَّقُّ فِي الأرض بالطُّولِ كالنَّهَرِ، وجمعه أخادِيدُ[٦]، قال الشاعر:

---

(١) حكاه الأخفش عن بعضهم في معانِي القرآن ص ٥٣٥، وبه قال المبرد والزجاج والنحاس والنقاش، ويرى المبرد أن هذه الاعتراضات بين القَسَمِ وجَوابه إنما هي توكيد لِلْقَسَمِ، ينظر: المقتضب ٢/ ٣٣٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٧، إعراب القرآن ٥/ ١٩١، شفاء الصدور ورقة ٢٢٣/ ب، ٢٢٦/ ب، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٥٠٥.

(٢) البروج ١٢.

(٣) إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٧٣.

(٤) قاله ابن الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ص ٩٧٢-٩٧٣، وحكاه النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ١٩١، وبه قال الباقولِيُّ والعكبريُّ، ينظر: كشف المشكلات للباقولِيِّ ٢/ ٤١٤، التبيان للعكبري ص ١٢٨٠.

(٥) رواه الترمذي في سننه ٥/ ١٠٧ أبواب تفسير القرآن: سورة البروج، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٢/ ١٨، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٦٤-١٦٥، الوسيط ٤/ ٤٥٨.

(٦) قاله ابن قتيبة والنقاش، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٢، شفاء الصدور ورقة ٢٢٤/ أ، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٦/ ٥٦٠، الصحاح للجوهري ٢/ ٤٦٨.

٥٠٠- إنْ لَمْ تكُنْ تَرَكَتْ في الخَدِّ أدْمُعُهُ خَدًّا فَفِي قَلْبِهِ لِلْحُزْنِ أُخْدُودُ[(١)]

وقوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥﴾ قرأه العامة بفتح الواو وهو الحَطَبُ، وقرأ أبو رجاء العُطارِدِيُّ بضم الواو على المصدر[(٢)]، وكذلك قرأ العامةُ: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ﴾ بالكسر فيهما على البدل من ﴿ٱلْأُخْدُودِ﴾، وهو بدل الاشتمال، وبدلُ معرفةٍ من معرفة، وهما الأُخْدُودُ والنّارُ، وإنما كان بَدَلَ الاشتمال؛ لأن الأُخْدُودَ هو الشَّقُّ من الأرض والنارُ فيها[(٣)]، فيكون بَدَلَ الاشتمالِ، وقيل[(٤)]: على نعت الأُخْدُودِ، وقرأ أشْهَبُ العُقَيْلِيُّ بالرفع فيهما[(٥)]، على معنى: أحْرَقَتْهُم النّارُ ذاتُ الوقود[(٦)]، وقصة أصحاب الأخدود مشتهرة في كتب التفسير.

---

(١) البيت من البسيط، لَمْ أقف له على قائل أو تخريج.

(٢) قرأ أبو رَجاءٍ العُطارِدِيُّ والحَسَنُ وعيسى بنُ عُمَرَ وأبو حَيْوةَ وقَتادةُ وَنَصْرُ بنُ عاصِمٍ: ﴿الوُقُودِ﴾ بضم الواو، وقرأ الباقون بفتحها، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧١، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٧٨، البحر المحيط ٨/ ٤٤٤.

(٣) قال الفراء: «جَعَلَ الأُخْدُودَ، إذْ كانت النارُ فيها، كأنه قال: قُتِلَ أصْحابُ الأُخْدُودِ ذاتِ الوَقُودِ». معانِي القرآن ٣/ ٢٥٣، وقاله، أيضًا، المبردُ وابنُ السَّرّاجِ والنَّحّاسُ والفارِسِيُّ وغيرهم، ينظر: المقتضب ٤/ ٢٩٧، الأصول ٢/ ٤٧، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ١٩٢، الإيضاح العضدي ص ٢٩٤، وينظر، أيضًا ـ: الخصائص ٢/ ٤٢٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٧.

(٤) وهذا على تقديرِ مضافٍ، قال العكبري: «وقيل: التقدير: ذِي النّارِ؛ لأن الأخدود هو الشق في الأرض». التبيان للعكبري ص ١٢٨٠، وينظر: الدر المصون ٦/ ٥٠٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٥١.

(٥) قرأ أشْهَبُ العُقَيْلِيُّ وابنُ السَّمَيْفَعِ وأبو السَّمّالِ العَدَوِيُّ: «النّارُ ذاتُ الوَقُودِ» بالرفع فيهما، ينظر: تفسير القرطبي ١٩/ ٢٨٧، البحر المحيط ٨/ ٤٤٤.

(٦) وَقَدَّرَهُ الفَرّاءُ والنَّحّاسُ: قَتَلَتْهُمُ النّارُ ذاتُ الوَقُودِ، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٣، إعراب القرآن ٢/ ٩٨، ٥/ ١٩٢، وجعل العكبريُّ والمُنْتَجَبُ الهَمْدانِيُّ «النّارُ» خبرًا لمبتدأ محذوف؛ أي: هو النار، ينظر: التبيان للعكبري ص١٢٨٠، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٥٢.

قولـه تعالى: ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾﴾ يعني: أصحـاب الأخدود قعود عند النار، وقيل: على الكَراسِـيِّ يُعَذِّبُونَ المؤمنين، ومحـل ﴿هُمْ﴾ رفع بالابتداء، و﴿قُعُودٌ﴾ خَبَرٌ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾﴾؛ أي: حُضُورٌ، وهو أيضًا ابتـداء وخبر ﴿وَمَا نَقَمُواْ مِنْهُمْ﴾ يعني: مـن المؤمنين؛ أي: ما كَرِهُوا منهم ﴿إِلَّآ أَن يُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ﴾ إلّا أنَّهُـمْ آمَنُوا بالله ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ فـي انتقامه ﴿ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾﴾ في أفعاله ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ ﴿مُلْكُ﴾ خبر اللام الزائدة فِي قوله: ﴿لَهُۥ﴾ ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾؛ أي: لَـمْ يَخْفَ عليه ما صَنَعُوا، وهو خبر الابتداء.

ثـم أَخْبَرَ بما أَعَدَّ للكفار، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ أي: أَحْرَقُوهُـمْ بالنار، يقال: فَتَنْتُ الشَّـيْءَ: إذا أَحْرَقْتَـهُ، ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ﴾[1]؛ أي: يُحْرَقُـونَ وَيُعَذَّبُـونَ، وقوله: ﴿ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ﴾ يريد: مِنْ فِعْلِهِـمْ ذلك وَشِـرْكِهِم الذي كانوا عليـه ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ﴾ بكفرهم ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾﴾ بما أَحْرَقُوا المؤمنين، قيل[2]: إنَّ النار ارتفعت من الأُخْدُودِ إِلَى المَلِكِ وأصحابِهِ، فَأَحْرَقَتْهُمْ.

ثـم ذكر ما أَعَدَّ للمؤمنين، فقـال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ﴾ ابتداءٌ وخَبَرٌ ﴿ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾﴾ نعته.

قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: أَخْذُهُ بالعقاب / والانتقام إذا أَخَذَ [٣٠٦/ أ]

(١) الذاريات ١٣.

(٢) قاله الربيع بن أنس والكلبي والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥٣، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٦١، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣١٨، التبيان للطوسي ١٠/ ٣١٨.

الظَّلَمةَ والجَبابرةَ لَشَـدِيدٌ، نظيره قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ﴾[1]، ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ١٣﴾ يُبْـدِئُ الخَلْقَ أوَّلًا في الدنيا، وَيُعِيدُهُـمْ أحْياءً بَعْدَ الموتِ ﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ١٤﴾؛ أي: الغفور لذنوب المؤمنين من أوليائه وأهل طاعته، الـوَدُودُ المُتَحَبِّبُ إلَى عِبادِهِ ـ تبارك وتعالى ـ بإسـباغ النِّعَـمِ وَدَوامِ العافِيةِ[2]، والمَوَدّةُ: كَمالُ المَحبّةِ.

وقولـه: «وَدُودٌ» له معنيان[3]، قيل: هو «فَعُـولٌ» بمعنى «مَفْعُولٍ» كَحَلُوبٍ وَرَكُوبٍ؛ أي: مَوْدُودٌ، وقيل: هو «فَعُولٌ» بمعنى «فاعِلٍ»؛ أي: يَوَدُّ عِبادَهُ الصالحين، ومنه: شَكُورٌ لِعَبْدِهِ على عَمَلِهِ، والعَبْدُ شَكُورٌ لِنِعَم رَبِّهِ، ومنه: اللهُ تَوّابٌ على عبده، وَعَبْدُ اللهِ تَوّابٌ إلَى رَبِّهِ مِنْ ذَنْبِهِ، قال ثعلبٌ[4]: وأصل الوُدِّ: لِينُ الجانِبِ.

وقولـه: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ١٥﴾ يعنـي الكريم الرفيع العالِـي، والمَجْدُ: العُلُوُّ والشَّرَفُ، واختلف القُرّاءُ فيه، فقرأ يحيى وحمزةُ والكسائيُّ وخلفٌ بِجَرِّ الدّالِ[5] على نعت العرش، وَيَدُلُّ على هذا أن العرش وُصِفَ بِالكَرَمِ في قوله تعالـى: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْكَرِيمِ﴾[6]، فَجـازَ أن يُوصَـفَ بِالمَجْيدِ لأن معناه

---

(١) هود ١٠٢.

(٢) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٦٥.

(٣) هذان المعنيان قالهما الزجاجي في اشتقاق أسماء الله الحسنى ص ١٥٢، والنقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٢٧/ أ، وينظر: الوسيط ٤/ ٤٦٢، زاد المسير ٤/ ١٥٢، النهاية لابن الأثير ٥/ ١٦٥، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٦، اللسان: ودد.

(٤) حكاه عنه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٢٧/ أ.

(٥) قرأ يَحْيَى بنُ وَثّابٍ وَحَمْزةُ والكِسـائِيُّ، والمُفَضَّلُ عن عاصمٍ، وَخَلَفٌ والحَسَنُ والأعْمَشُ وعمرُو بنُ عُبَيْدٍ: «المَجِيدِ» بالخفض، وقرأ الباقون، وحَفْصٌ عن عاصمٍ بالرفع، ينظر: السبعة ص ٦٧٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٦، البحر المحيط ٨/ ٤٤٥، الإتحاف ٢/ ٦٠١.

(٦) المؤمنون ١١٦.

الكمال[١]، والعَرْشُ ـ على ما ذُكِرَ ـ أحْسَنُ كُلِّ شَيْءٍ وَأكْمَلُهُ وَأجْمَعُهُ لِصِفاتِ الحُسْنِ، وقيل[٢]: لا يجوز أن يكون نَعْتًا لِلْعَرْشِ؛ لأنه من صفات الله ـ عزّ وجلّ ـ، وإنما هو نعت لِلرَّبِّ في قوله: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾، وقرأ غيرهم بالرفع على صفة ﴿ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾[٣].

وقوله: ﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾﴾ أي: إذا أراد شيئًا أن يقول له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾[٤]، لا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ يريده، ولا يَمْتَنِعُ منه شيءٌ طَلَبَهُ، وهو رفع على إضمار «هُوَ»، أو على أنه خبر بعد خبر، أو على البدل مما قبله وهو قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾[٥].

فصل

عن أَبِي السَّفَرِ[٦] قال: دَخَلَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ قَوْمٌ

---

(١) هذا ما قاله الفراء والأخفش وغيرهما، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥٤، معانِي القرآن للأخفش ص ٥٣٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٨، معانِي القراءات ٣/ ١٣٦، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٥٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٨.

(٢) قاله النحاس والفارسي، ورأى النحاس أن خفض ﴿المَجِيدِ﴾ هنا على أنه نعت لـ«رَبِّكَ»؛ أي: إنَّ بَطْشَ رَبِّكَ المَجِيدِ لَشَدِيدٌ، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٩٥، الحجة للفارسي ٤/ ١١٢.

(٣) الرفع على أنه نعت لـ«ذُو» في قوله: ﴿ذُو ٱلْعَرْشِ﴾، قاله الأخفش والزَّجّاجُ، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥٣٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٨.

(٤) النحل ٤٠، يس ٨٢.

(٥) هذه الأوجه الثلاثة ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٥/ ١٩٥، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٧.

(٦) هو سعيد بن يُحْمِدَ، أو أحْمَدَ، الهَمْدانِيُّ الثَّوْرِيُّ الكُوفِيُّ الفقيه، تابعيٌّ ثِقةٌ صَدُوقٌ، رَوَى عن ابن عباس وابن عُمَرَ، توفِّي سنة (١١٣هـ). [تهذيب الكمال ١١/ ١٠١-١٠٢، سير أعلام النبلاء ٥/ ٧٠].

يَعُودُونَهُ، فقالوا: يا خَلِيفةَ رَسُـولِ اللهِ: ألاَ نَدْعُو لَكَ طَبيبًا يَنْظُرُ إلَيْكَ؟ قال: قَدْ نَظَرَ إلَيَّ، قالوا: فَأيُّ شَيْءٍ قالَ لَكَ؟ قال: إنِّي فَعّالٌ لِما أُرِيدُ»[١].

ثم ذكر خبر الجُمُـوعِ الكافرة، فقال تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ ١٧﴾ يريد: قَدْ أتاكَ، وهم الذين تَجَنَّدُوا على أنبياء الله، ثم بَيَّنَ مَنْ هُمْ؟ فقال: ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨﴾ وهما في موضع خفض بدل من الجنود، أو في موضع نصب على إضمـار أعْنِي، وهما لا ينصرفان للتعريف والعجمة في ﴿فِرۡعَوۡنَ﴾، والتعريفِ والتأنيثِ في «ثَمُودَ» إذْ هو اسمٌ للقبيلةِ[٢].

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ مـن قومك يا محمد ﴿فِي تَكۡذِيبٖ ١٩﴾ لَـكَ وَلِلْقُرْآنِ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا بِمَنْ كان قبلهم من / الكفار ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ٢٠﴾ عالِمٌ بِهِمْ، لا يَخْفَى عليه شـيءٌ مـن أمورهم ﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ٢١﴾ كَرِيمٌ شَـرِيفٌ كَثِيرُ الخَيْرِ مُنَزَّلٌ غير مخلوق. [٣٠٦/ ب]

قرأ ابن السَّـمَيْفَعِ: «بَلْ هُوَ قُرْآنُ مَجِيـدٍ» بإضافة «قُرْآنُ» إلَى «مَجِيدٍ»[٣]، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ٢٢﴾ عند الله، وهو أُمُّ الكتاب، منه نُسِخَ القُرْآنُ والكُتُبُ،

---

(١) ينظر: الطبقات الكبرى ٣/ ١٩٨، الوسـيط ٤/ ٤٦٢، تفسـير القرطبي ١٩/ ٢٩٧، تاريخ دمشق ٣٠/ ٤١٠.

(٢) من أول قوله: «وهما في موضع خفض بدل من الجنود»، قاله مَكِّيٌّ بنصه في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٨، وينظر: البيان للأنباري ٢/ ٥٠٦، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٥٣.

(٣) وهي قراءة أَبِي حَيْوةَ أيضًا؛ أي: هُوَ قُرْآنُ رَبٍّ مَجِيدٍ، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٠٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٥٨، مختصر ابن خالويه ص ١٧١، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٩، البحر المحيط ٨/ ٤٤٦.

وهو الذي يُعْرَفُ باللوح المحفوظ من الشياطين، ومن الزيادة فيه والنقصان، ومعنى حِفْظِ القُرْآنِ أنه يُؤْمَنُ مِنْ تَحْرِيفِهِ وتبديله وتغييره، فلا يَلْحَقُهُ شَيْءٌ من ذلك.

قرأ يَحْيَى بنُ يَعْمُرَ: «فِي لُوحٍ» بضم اللام[1]؛ أي: أنه يَلُوحُ، وهو ذُو نُورٍ وَعُلُوٍّ وَشَرَفٍ[2]، وقرأ الباقون بفتح اللام، وقرأ نافعٌ وابنُ مُحَيْصِنٍ: ﴿مَحْفُوظٌ﴾ بضم الظاء[3] على نعت القرآن، كأنه قيل: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَجِيدٌ مَحْفُوظٌ فِي لَوْحٍ، وقرأ الباقون بالكسر على نعت اللوح، قال أبو عُبَيْدٍ[4]: الوجه الخفض؛ لأن الآثار الواردة في اللَّوْحِ المَحْفُوظِ تُصَدِّقُ ذلك.

فصل

رُوِيَ عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «إنَّ فِي صَدْرِ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ مَكْتُوبًا: لا إله إلا الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، دِينُهُ الإِسْلَامُ، وَمُحَمَّدٌ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَمَنْ آمَنَ بالله ـ عزّ وجلّ ـ، وَصَدَّقَ وَعْدَهُ، واتَّبَعَ رُسُلَهُ أَدْخَلَهُ الجَنَّةَ، قال: واللَّوْحُ لَوْحٌ مِنْ دُرَّةٍ بَيْضاءَ، طُولُهُ ما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، وَعُرْضُهُ ما بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وَحافَّتاهُ الدُّرُّ والياقُوتُ، وَدَفَّتاهُ ياقُوتَةٌ حَمْراءُ، وَقَلَمُهُ نُورٌ،

---

(١) وهي قراءة ابن السَّمَيْفَع أيضًا، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٥٨، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٩، البحر المحيط ٨/ ٤٤٦.

(٢) قال ابنُ السِّكِّيتِ: «واللُّوحُ: الهَواءُ»، إصلاح المنطق ص ١٢٣، وقال الأزهري: «وقال الليث: ويقال للشيء إذا تلألأ: لاح يلوح لَوْحًا ولُوحًا... قال: واللوح: الهواء». تهذيب اللغة ٥/ ٢٤٨، وينظر: الصحاح ١/ ٤٠٢.

(٣) وهي أيضًا، قراءة زيد بن عَلِيٍّ والأعرجِ: «مَحْفُوظٌ» بالرفع، ينظر: السبعة ص ٦٧٨، البحر المحيط ٨/ ٤٤٦.

(٤) ينظر قوله في الوسيط للواحدي ٤/ ٤٦٣.

وَكَلامُهُ نُورٌ، مَعْقُودٌ بِالعَرْشِ، وَأَصْلُهُ فِي حِجْرِ مَلَكٍ يُقالُ لَهُ: ماطَرْيُونُ، مَحْفُوظٌ مِنَ الشَّياطِينِ، فذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾، ولله - عزّ وجلّ - فيه فِي كُلِّ يَوْمٍ ثَلاثُمِائَةٍ وَسِتُّونَ نَظْرَةً، يُحْيِي وَيُمِيتُ، وَيُعِزُّ وَيُذِلُّ، وَيَفْعَلُ ما يَشاءُ، وَيَحْكُمُ ما يُرِيدُ»[١].

وعن أَنَسِ بن مالِكٍ - رضي الله عنه - قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ للهِ - تعالَى - لَوْحًا مِنْ زُمُرُّدةٍ خَضْراءَ، جَعَلَهُ تَحْتَ العَرْشِ، كَتَبَ فِيهِ: أنا اللهُ، لَا إلَهَ إلّا أنا، أَرْحَمُ وَأَتَرَحَّمُ، خَلَقْتُ بِضْعةَ عَشَرَ وَثَلاثَمِائةِ خُلُقٍ، مَنْ جاءَنِي بِخُلُقٍ مِنْها مَعَ شَهادةِ أَنْ لَا إلَهَ إلّا اللهُ دَخَلَ الجَنّةَ»[٢]، والله أعلم.

* * *

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٧٥-١٧٦، الوسيط ٤/ ٤٦٣، عين المعاني ورقة ١٤٤/ أ، تفسير القرطبي ١٩/ ٢٩٨، البداية والنهاية لابن كثير ١/ ١٥.

(٢) ينظر: المعجم الأوسط ٢/ ٢٠، الكامل في الضعفاء ٧/ ١١٩، شفاء الصدور ورقة ٢٢٨/ أ، مجمع الزوائد ١/ ٣٦ كتاب الإيمان: باب في أصول الدين وفرائضه، الدر المنثور ٦/ ٣٣٥، كنز العمال ١/ ٣٩.

سورة الطارق

مكية

وهي مائتان وتسعة وثلاثون حرفًا، وإحدى وستون كلمةً، وسبع عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الطَّارِقِ أَعْطاهُ اللهُ ـ تعالَى ـ مِنَ الأَجْرِ بِعَدَدِ كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّماءِ عَشْرَ حَسَناتٍ»(١).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ۝١﴾ عطف على السماء، أَقْسَمَ اللهُ تعالى بالكواكب؛ لأنها تَطْرُقُ بِاللَّيْلِ، وَتَخْتَفِي بالنهار، وهذا الاسم يَقَعُ على كل ما طَرَقَ لَيْلًا، ومنه حديث جابر ـ رضي الله عنه ـ قال: «نَهَى النَّبِيُّ ﷺ أَنْ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٧٧، الوسيط ٤/ ٤٦٤، الكشاف ٤/ ٢٤٢، مجمع البيان ١٠/ ٣٢٠.

[٣٠٧/ أ] يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا حَتَّى تَسْتَحِدَّ المُغَيَّبَةُ، وَتَمْتَشِطَ الشَّعِثَةُ»[١] / ، يُقال: طَرَقَ يَطْرُقُ طُرُوقًا: إذا زارَ لَيْلًا، قال ابنُ الرُّومِيِّ:

٥٠١ ـ يا راقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بأَوَّلِهِ ... إنَّ الحَوادِثَ قَدْ يَطْرُقْنَ أَسْحارا

لا تَفْرَحَنَّ بِلَيْلٍ طابَ أَوَّلُهُ ... فَرُبَّ آخِرِ لَيْلٍ أَجَّجَ النّارا[٢]

وقالت هِنْدٌ يَوْمَ أُحُدٍ:

٥٠٢ ـ نَحْنُ بَناتُ طارِقْ
نَمْشِي عَلَى النَّمارِقْ
إنْ تُقْبِلُوا نُعانِقْ
أَوْ تُدْبِرُوا نُفارِقْ
فِراقَ عَبْدٍ آبِقْ[٣]

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ١٦١ كتاب النكاح: باب «لا يَطْرُقْ أَهْلَهُ لَيْلًا»، ورواه مسلم في صحيحه ٦/ ٥٥ كتاب الإمارة: باب كراهة الطروق ليلًا لِمَنْ وَرَدَ مِنْ سَفَرٍ». والاسْتِحْدادُ هو حَلْقُ العانةِ، والمُغَيَّبَةُ: هي التي غاب عنها زَوْجُها، اللسان: حدد، غيب.

(٢) البيتان من البسيط، وليسا لابن الرومي، ولا هما في ديوانه، وإنما هما لِمُحَمَّدِ بن حازم بن عمرٍو الباهِلِيِّ بالولاء المتوفَّى سنة (٢١٥هـ)، ويُرْوَى الثاني: «**لاَ تَأْمَنَنَّ بِلَيْلٍ طابَ...**».
التخريج: الحيوان للجاحظ ٦/ ٥٠٨، البيان والتبيين ٣/ ٢٠٢، معجم الشعراء ص ٣٧١، الكشف والبيان ١٠/ ١٧٨، البصائر والذخائر ١/ ٤٨، المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٤، مجمع البيان ١٠/ ٣٢١، عين المعاني ورقة ١٤٤/ أ، التذكرة الحمدونية ١/ ٨٩، شرح نهج البلاغة ٥/ ١٦٦، ١٩/ ٣٢١.

(٣) الأبيات من الرجز المشطور، لِهِنْدٍ بنتِ عُتْبَةَ، وَنُسِبَتْ لِهِنْدٍ بنتِ بَياضةَ بن رَباحِ بنِ طارِقٍ الإيادِيّةِ، وَلِهِنْدٍ بنتِ الفِنْدِ الزِّمّانِيِّ، ويُرْوَى الأخير:

فِراقَ غَيْرِ وامِقْ =

تريد: إن أبانا نَجْمٌ في شَرَفِهِ وَعُلُوِّهِ.

قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ٢﴾ يا محمدُ، ثُمَّ فَسَّرَهُ لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ فقال: ﴿ٱلنَّجۡمُ﴾ خبر ابتداء محذوف، تقديره: هُوَ النَّجمُ ﴿ٱلثَّاقِبُ ٣﴾ يعني المنير المضيء، وهو اسم الجنس، وأُرِيدَ به العمومُ، وقيل[1]: أراد به الثُّرَيّا، والعرب تسميه النَّجْمَ، وقيل: إنه زُحَلُ، ومسكنه في السماء السابعة، يقال: ثَقَبَ: إذا ارْتَفَعَ، وَسُمِّيَ زُحَلُ ثاقِبًا لارتفاعه، هذا قول الفَرّاءِ[2]، وقال غيره[3]: لِطُلُوعِهِ من المشرق، كأنه يَثْقُبُ مَوْضِعَهُ.

وجوابُ القَسَمِ قولُهُ: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ﴾ رفع بالابتداء ﴿لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ٤﴾ أَقْسَمَ اللهُ بِما ذُكِرَ أنه ما مِنْ نَفْسٍ إلّا عليها حافظٌ من الملائكة، يحفظ عليها أعمالها وقولها وفعلها، وَيُحْصِي عليها ما تكسب من خير أو شر.

قرأ الحسنُ وأبو جعفرٍ وعاصمٌ وحَمْزةُ وابنُ عامرٍ: ﴿لَّمَّا﴾ بالتشديد،

= **اللغة**: المعنى: تقول: نَحْنُ في الشَّرَفِ بِمَنْزِلةِ الطارق في السماء، وليست تريد أَنَّهُنَّ يَنْتَسِبْنَ إِلَى رجل اسْمُهُ طارِقٌ، النَّمارِقُ: جَمْعُ نُمْرُقةٍ، وهي الوِسادةُ، العَبْدُ الآبِقُ: الهارِبُ.
التخريج: أدب الكاتب ص ٧١، جمهرة اللغة ص ٧٥٦، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٢٣٧، المحاسن والمساوئ للبيهقي ص ٤٠٦، إعراب ثلاثين سورة ص ٣٨، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٦٠، مقاييس اللغة ٣/ ٤٤٩، المخصص ١٣/ ٢١٠، الاقتضاب ٣/ ٧٦، ٧٧، شرح أدب الكاتب للجواليقي ص ١٣٢، زاد المسير ٩/ ٨٠، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٠، اللسان: طرق، نمرق، ارتشاف الضرب ص ٢٢٤٩، مغني اللبيب ص ٥٠٧، شرح شواهد المغني ص ٨٠٩، همع الهوامع ٢/ ٢٤.

(١) قاله ابن زيد، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٧٨، شفاء الصدور ورقة ٢٢٨/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٧٨، الوسيط ٤/ ٤٦٤، المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٥، زاد المسير ٩/ ٨١.

(٢) معانِي القرآن ٣/ ٢٥٤.

(٣) ذكره النحاس بغير عزو في إعراب القرآن ٥/ ١٩٧.

يعنون: ما كُلُّ نَفْسٍ إلّا عليها حافِظٌ، وهي لغة هُذَيْلٍ[١]، يقولون: نَشَدْتُكَ اللهَ لَمّا فَعَلْتَ[٢]، بِمَعْنَى: إلّا فَعَلْتَ، وَسَأَلْتُكَ اللهَ لَمّا قُمْتَ، يعنون: إلّا قُمْتَ، وقرأ الآخرون بالتخفيف[٣]، جعلوا «ما» صلةً، مَجازُهُ: إنْ كُلُّ نَفْسٍ لَعَلَيْها حافِظٌ[٤].

فصل

عن أَبِي أُمامةَ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «وُكِّلَ بالمؤمن سِتُّونَ وَمِائةُ مَلَكٍ، يَذُبُّونَ عَنْهُ ما لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِ، مِنْ ذَلِكَ: لِلْبَصَرِ سَبْعةُ أَمْلاكٍ يَذُبُّونَ عَنْهُ، كَما يُذَبُّ عَنْ قَصْعةِ العَسَلِ الذُّبابُ، لَوْ وُكِّلَ العَبْدُ إِلَى نَفْسِهِ طَرْفةَ عَيْنٍ لَاخْتَطَفَتْهُ الشَّياطِينُ»[٥].

---

(١) ذكر الفراء أنها لغة هُذَيْلٍ، فقال: «ونرى أنها لغةٌ في هُذَيْلٍ، يجعلون «إلَّا» مع «إنِ» المخففة «لَمّا»، ولا يجاوزون ذلك، كأنه قال: ما كُلُّ نَفْسٍ إلَّا عَلَيْها حافِظٌ». معانِي القرآن ٣/ ٢٥٤، وذكر ذلك الأزهريُّ، أيضًا، في تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٥، ومعانِي القراءات ٣/ ١٣٨، وينظر: عين المعانِي للسجاوندي ورقة ١٤٤/ أ، وينظر ما سبق فِي الآية ٣٢ من سورة يس ٢/ ٢٣٠.

(٢) حكى سيبويه: أَقْسَمْتُ عليك إلَّا فَعَلْتَ وَلَمّا فَعَلْتَ. الكتاب ٣/ ١٠٥، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ١٩٨، أماليُّ ابن الشجري ٣/ ١٤٥، ١٤٦.

(٣) قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو والكسائي ويعقوب وخلف واليزيدي: «لَما» بالتخفيف، وقرأ الباقون بالتشديد، ورُوِيَ عن هشام التخفيفُ والتشديدُ، ينظر: السبعة ص ٦٧٨، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣، ٤، النشر في القراءات العشر ٢/ ٢٩١، البحر المحيط ٨/ ٤٤٨، ٤٤٩، إتحاف فضلاء البشر ٢/ ١٣٦، ٦٠٢.

(٤) قال سيبويه: «ومثل ذلك: ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾، إنَّما هي: لَعَلَيْها حافِظٌ، وقال تعالى: ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾، إنما هي: لَجَمِيعٌ، و«ما» لَغْوٌ». الكتاب ٢/ ١٣٩، وينظر أيضًا: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٤، إعراب القرآن ٥/ ١٩٨، حروف المعاني ص ١١، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٦، معاني الحروف ص ١٣٣.

(٥) رواه الطبرانِيُّ فِي المعجم الكبير ٨/ ١٦٧، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٧٩، مجمع الزوائد ٧/ ٢٠٩ كتاب القَدَرِ: باب دفع ما لَمْ يقدر عليه العبدُ.

ثـم نَبَّهَ على البعث بقوله تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥﴾ هذا مِنْ نَظَرِ القَلْبِ، والمعنى: فَلْيَنْظُرْ نَظَرَ تَفَكُّرٍ واسْتِدْلاَلٍ، حَتَّى يَعْرِفَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ رَبُّــهُ، وأن الذي ابتدأه من نطفة قادرٌ على إعادته، والأصل: مِمّا خُلِقَ؟ حُذفت الألف لأنه استفهام.

وَتَمَّ الكلام، ثُمَّ بَيَّنَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، فقال: ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦﴾؛ أي: مَدْفُوقٍ مَصْبُوبٍ في الرَّحِمِ وهو المَنِيُّ، «فاعِلٌ» بمعنى «مَفْعُولٍ»، قال الفَرّاءُ[1]: وأهــل الحجاز يَجْعَلُونَ الفاعلَ بِمَعْنَى المفعول في كثيرٍ من كلامهم، كقولهم: سِرٌّ كاتِمٌ، وَلَيْلٌ نائِمٌ، وَنَهارٌ صائِمٌ، وَهَمٌّ ناصِبٌ، وَعِيشةٌ راضِيةٌ.

والدَّفْــقُ: صَبُّ الماءِ، يُقال: دَفَقْتُ الماءَ / ؛ أي: صَبَبْتُهُ، ثم وَصَفَ ذلك [٣٠٧/ ب] الماءَ، فقال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾ يعني صُلْبَ الرَّجُلِ وَتَرائِبَ المَـرْأَةِ[2]، والوَلَدُ لا يكون إلا مــن الماءَيْنِ، والتَّرائِبُ جَمْعُ تَرِيبةٍ، وهي مكان

---

(١) معاني القرآن ٣/ ٢٥٥ باختلاف في ألفاظه، وهذا هو مذهب الكوفيين، وأما البصريون فإن هذا عندهم مما جاء على النســب، والمعنى: مِنْ ماءٍ ذِي دَفْقٍ، قال سيبويه: «وقال الخليل: إنما قالوا: عِيشةٌ راضِيةٌ، وَطاعِمٌ وَكاسٍ على ذا، أي: ذات رِضًا وَذُو كِسْوةٍ وَطَعامٍ، وقالوا: فاعلٌ لِذِي الفِعْلِ، وقال الشاعر:

كِلِينِـي لِهَمٍّ يـا أُمَيْمَـةَ ناصِبِ

أي: لِهَــمٍّ ذِي نَصَــبٍ». الكتــاب ٣/ ٣٨٢، وينظر أيضًا: معاني القــرآن وإعرابه ٥/ ٣١١، إعراب القرآن ٥/ ١٩٨، تهذيب اللغة ٩/ ٣٩.

وَوافَقَ الزَّجّاجِيُّ وابنُ خالَوَيْهِ الكوفيين، ينظر: أخبار أبِي القاسم الزجاجي ص ٢٠٨، ليس في كلام العرب ص ٣١٧، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٩/ ٣٩، زاد المســير ٩/ ٨٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤.

(٢) قالــه أبو عمر الزاهد والنقاش والأزهري، ينظر: ياقوتة الصراط ص ٥٦٨، شــفاء الصدور ورقة ٢٢٩/ أ، تهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٥.

الحُلِيِّ على الصَّدْرِ، أراد موضع القلادة من الصَّدْرِ[(١)]، والمشهور من كلام العرب أنها عِظامُ النَّحْرِ والصَّدْرِ، واحدها تَرِيبةٌ، قال الشاعر:

٥٠٣ ـ وَبَدَتْ كَأَنَّ عَلَى تَرائِبِ نَحْرِها ... جَمْرَ الغَضَى فِي ساعةٍ تَتَوَقَّدُ[(٢)]

وقال امرؤُ القيسِ:

٥٠٤ ـ مُهَفْهَفةٌ بَيْضاءُ غَيْرُ مُفاضةٍ ... تَرائِبُها مَصْقُولةٌ كالسَّجَنْجَلِ[(٣)]

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ۝٨﴾ الهاء في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ عائدة على الإنسان، يريد: إنَّ الله تعالى على بَعْثِ الإنسان وإعادته بعد الموت لَقادِرٌ[(٤)]،

---

(١) قاله الزجاج وأبو عمر الزاهد، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٢، ياقوتة الصراط ص ٥٦٨، وقال الأزهري: «وقال أهل اللغة أجمعون: التَّرائِبُ موضع القلادة من الصدر». تهذيب اللغة ١٤/ ٢٧٥.

(٢) البيت من الكامل، لَمْ أقف على قائله، ويُرْوَى:

وَبَـدَتْ كَأَنَّ تَرائِبًا مِـنْ نَحْرِها

اللغة: الغَضَى: شجر من أشجار الرمل.

التخريج: نشوار المحاضرة للقاضي التنوخي ٥/ ٢٧٧، الفرج بعد الشدة للقاضي التنوخي ٢/ ٣٨٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٠، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥.

(٣) البيت من الطويل، لامرئ القيس.

اللغة: مُهَفْهَفةٌ: ضامِرةُ البَطْنِ، غَيْرُ مُفاضةٍ: غَيْرُ واسِعةِ البَطْنِ، السَّجَنْجَلُ: المِرْآةُ، والسَّجَنْجَلُ: سَبائِكُ الفِضّةِ.

التخريج: ديوانه ص ١٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٢، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٠، ديوان الأدب ٢/ ٨٦، تهذيب اللغة ٥/ ٣٧٧، ١١/ ٢٦٠، ١٤/ ٢٧٥، إعراب ثلاثين سورة ص ٤٧، الصاحبي ص ٣١٦، زاد المسير ٩/ ٨٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥، اللسان: ترب، سجل، هفف، البحر المحيط ٨/ ٤٤٧، التاج: ترب، فيض، هفف، سجل.

(٤) قاله الحسن وقتادة والفراء والزجاج، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥٥، جامع البيان =

وقيل[١]: عائدة على رَدِّ الماء فِي الصُّلْبِ أو فِي الإحْلِيلِ[٢]، وقيل[٣]: هو قادر على رَجْعِهِ بَعْدَ الكِبَرِ إلَى الشَّبابِ، وَبَعْدَ الشَّبابِ إلَى الصِّبا، وَبَعْدَ الصِّبا إلَى النُّطْفةِ، ومعنى الرَّجْعِ: رَدُّ الشَّيْءِ إلَى أوَّلِ حالِهِ.

والقول الأول هو الاختيار؛ لقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩﴾ أي: تُظْهَرُ وَتُخْتَبَرُ يومَ القيامة، والسَّرائِرُ جمع سَرِيرةٍ، وهي فرائض الأعمال كالصلاة والصوم والزكاة والوضوء وَغُسْلِ الجَنابةِ، هي سَرائِرُ بَيْنَ الله تعالى وبين العَبْدِ؛ لأن الأعمال كُلَّها سرائرُ خَفِيّةٌ، فلو شاء العبد أن يقول: صَلَّيْتُ ـ وَلَمْ يُصَلِّ ـ، أو صُمْتُ ـ وَلَمْ يَصُمْ ـ، أو اغْتَسَلْتُ ـ وَلَمْ يَغْتَسِلْ ـ لَفَعَلَ.

و﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف، والعامل فيه ﴿لَقَادِرٌ﴾ على قول من قال: الهاء في ﴿رَجْعِهِۦ﴾ عائدة على الإنسان، وعلى قول مَنْ قال: هي عائدة على رَدِّ الماء في الصُّلْبِ أو الإحْلِيلِ نَصَبَ يَوْمًا بفعل مضمر؛ أي: اذْكُرْ يَوْمَ تُبْلَى السَّرائِرُ، ولا يعمل فيه ﴿لَقَادِرٌ﴾[٤].

= ٣٠/ ١٨٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٢، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٠، تهذيب اللغة ١/ ٣٦٤، زاد المسير ٩/ ٨٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧.

(١) قاله مجاهد وعكرمة وابن زيد، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥٥، جامع البيان ٣٠/ ١٨٢، ١٨٣، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٠، تهذيب اللغة ١/ ٣٦٤، إعراب ثلاثين سورة ص ٤٩، الوسيط ٤/ ٤٦٥، زاد المسير ٩/ ٨٤، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧.

(٢) إحْلِيل الذَّكَرِ: ثَقْبُهُ الذي يخرج منه البَوْلُ، وجمعه الأحالِيلُ. اللسان: حلل.

(٣) قاله الضحاك ومقاتل، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٨٣، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٠، الوسيط ٤/ ٤٦٥، زاد المسير ٩/ ٨٣، ٨٤، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧.

(٤) لا يعمل في ﴿يَوْمَ﴾ قَوْلُهُ: ﴿لَقَادِرٌ﴾؛ لأنه لو كان هو العامل فيه لكان المعنى: إن الله قادرٌ على رَجْعِهِ في هذا اليوم، وهو خطأ؛ لأن الله قادر على رَجْعِهِ في هذا اليوم وفي غيره، ولذلك فالعامل في «يَوْمَ» فِعْلٌ مضمرٌ كما ذكر الجِبْلِيُّ وغيرُهُ، وذهب النَّحّاسُ إلَى أن العامل فيه =

فصل

عن أَبِي الدَّرْداءِ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ضَمِنَ اللهُ لِخَلْقِهِ أرْبَعَ خِصالٍ: الصلاة والزكاة وصوم رمضان والغُسْلَ من الجَنابةِ، وهي السرائر التي قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾»[1].

وعن عبد الله بن عَمْرو ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلاثٌ مَنْ حافَظَ عَلَيْهِنَّ فَهُوَ وَلِيُّ اللهِ حَقًّا، وَمَنِ اخْتانَهُنَّ فَهُوَ عَدُوُّ اللهِ حَقًّا: الصَّلاةُ والصَّوْمُ والجَنابةُ»[2].

قوله: ﴿فَمَا لَهُ﴾ يعني أبا جهل بن هشام ﴿مِن قُوَّةٍ﴾ فيمتنع بها من العذاب ﴿وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾﴾ ينصره من دون الله.

[٣٠٨/ أ] ثم أقسم الله ـ سبحانه ـ بالسماء، فقال ـ سبحانه ـ / : ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾﴾ يعني المطر؛ لأنه يجيء ويرجع ويتكرر ﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾﴾ قال أبو عبيدة[3] والفَرّاءُ[4]: تَتَصَدَّعُ بالنبات؛ أي: تَـتَشَقَّقُ عن النبات والأشجار، والصَّدْعُ: الشَّقُّ

= قولـه: ﴿ناصِرٍ﴾، وذهب الأنباري إلَى أن العامل فيه فعـل مضمر يدل عليه قوله: «رَجْعِهِ»؛ أي: يَرْجِعُهُ يَوْمَ تُبْلَى السَّـرائِرُ، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٠، ٢٠١، الخصائص ٢/ ٤٠٢، ٣/ ٢٥٥، ٢٥٦، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٦٩، ٤٧٠، الكشـاف ٤/ ٢٤١، البيان للأنباري ٢/ ٥٠٧، تفسير القرطبي ٢٠/ ٨، مغني اللبيب ٦٩٩-٧٠٠.

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٤٦٦، مجمع البيان ١٠/ ٣٢٣ ـ الجامع الصغير ٢/ ١٢٦، الدر المنثور ٦/ ٣٣٦.

(٢) ينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٨٠، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ أ، تفسـير القرطبي ٢٠/ ٩، مجمع الزوائد للهيثمي ١/ ٤٥ كتاب الإيمان، الدر المنثور ١/ ٢٩٥.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٢٩٤.

(٤) معانِي القرآن ٣/ ٢٥٥.

﴿إِنَّهُۥ﴾ يعنـي القرآن ﴿لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾﴾ يفصل بين الحق والباطل، وهذا جواب القسم، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ بالباطل واللعب، وقيل: بالكذب.

وانقطـع الكـلام، ثم قـال: ﴿إِنَّهُمْ﴾ يعني كفار مكـة ﴿يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾﴾ بالنبـي ﷺ وبالمؤمنين؛ أي: يَحْتالُونَ عليهم ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾﴾ يعني: يَكِيدُهُم اللهُ تعالى فـي الدنيا والآخرة، فَيُنْزِلُ بِهِمْ نِقْمَتَهُ وَعَذابَهُ، ﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ وَعِيدٌ من الله وتهديد ﴿أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ﴿١٧﴾﴾ يعني: قَرِيبًا، وقيل: قَلِيلًا أي: بعد قليل يَنْزِلُ بهم العذابُ، فَقُتِلُوا يوم بدر، ثم نُسِخَ الإمهالُ بآية السيف.

ومعنى «أَمْهِلْ» و«مَهِّلْ»: أَنْظِرْ وَلَا تَعْجَلْ، ونصب ﴿رُوَيْدًا﴾ على المصدر، والرُّوَيْـدُ فـي هذا الموضع هـو الإمْهـالُ، وقيل: نصبه علـى النعت لمصدر محذوف أي: إمْهالًا رُوَيْدًا، قال ابن خالَوَيْهِ[1]: «والأول أَصَحُّ».

وقال صاحب إنسان العين[2]: هو حال؛ أي: رِفْقًا بِهِمْ، ويجيء أيضًا صفة نحو: سَـيْرًا رُوَيْدًا، ومصدرًا نحو: رُوَيْدَكَ، واسـمَ فِعْلٍ نحو: رُوَيْدَ زَيْدًا كأنها تصغير «رَوْدٍ» أو «رُودٍ»، قال الشاعر:

---

(١) قـال ابن خالويـه: «رُوَيْدًا: نصب على المصـدر، والأصل: إرْوادًا، فَرُوَيْـدَ تصغير إرْوادٌ». إعراب ثلاثين سورة ص ٥٣، وبه قال المرزوقي في شرح الحماسة ١/ ١٢٧.

(٢) قال السـجاوندي: «رُوَيْدًا: قَرِيبًا، «مَهِّـلْ» و«أَمْهِلْ» بمعنًى، وقيل: «مَهِّلْ»: كُفَّ، و«أَمْهِلْ»: أَنْظِرْهُمْ، «رُوَيْدًا» انْتِظارًا لِلْعَذابِ، قال:

رُوَيْـدَكِ حَتَّى تَنْظُـرِي عَمَّ تَنْجَلِي ... عَمايـةُ هَـذا العـارِضِ المُتَأَلِّـقِ

عين المعانِي ورقة ١٤٤/ أ، هذا ما ذكره السـجاوندي، وأما ما حكاه عنه المؤلف هنا فقد قاله سيبويه من قبلُ في الكتاب ١/ ٢٤١، ٢٤٣، ٢٤٤، وينظر أيضًا: المقتضب ٣/ ٢٠٨-٢١١، ٢٧٧-٢٧٨، الأصـول ١/ ١٤٣، تهذيـب اللغـة ١٤/ ١٦٢، الصحاح ٢/ ٤٧٩، معانِي الحروف ص ١٦٧.

٥٠٥ ـ كَأَنَّهُ ثَمِلٌ يَمْشِي عَلَى رُودِ[١]

أو تصغير «أَرْوَدَ»، فَحُذِفَت الألِفُ الزائدة، كَسُوَيْدٍ وَزُهَيْرٍ من أَسْوَدَ وَأَزْهَرَ[٢]، وقد أَرْوَدَ به؛ أي: رَفَقَ به.

وقيل[٣]: وُضِعَ موضع الأمر؛ أي: أَرْوِدْ بمعنى: ارْفُقْ على أصله من: رادَتِ الرِّيحُ تَرُودُ: إذا تَحَرَّكَتْ حَرَكَةً خَفِيفَةً.

و﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ تخصيص في معرض الاستثناء؛ لأن «مَهِّلْ» أَمْرٌ على وجه المبالغة في الإمهال، و﴿أَمْهِلْهُمْ﴾ أيضًا فِعْلُ أَمْرٍ، مجزومٌ للأَمْرِ على قول

---

(١) هذا عجز بيت من البسيط، وصدره:

تَـكادُ لاَ تَثْلِمُ البَطْحـاءَ وَطْأَتُهُ

وهو لِلْجَمُوحِ الظَّفَرِيِّ، ويُروى:

تـكاد لَاَ تَثْلِـمُ البطحـاءَ وَطْأَتُهـا   كَأَنَّها مِثْـلُ مَنْ يَمْشِـي على رود

اللغة: الثُّلْمةُ: الخِلَلُ في الحائط وغيره، الثَّمِلُ: الذي قد أَخَذَ منه الشَّرابُ والسُّكْرُ، والمعنى: أنه يَمْشِي مَشْيًا لَيِّنًا.

التخريج: شرح أشعار الهذليين ص ٨٧٢، تأويل مشكل القرآن ص ٥٥٩، الصحاح ص ٤٧٩، تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٢، مجمل اللغة ص ٤٠٥، مقاييس اللغة ٢/ ٤٥٨، المختار من شعر بشار ص ١١١، المخصص ١٤/ ٨٩، أساس البلاغة: رويد، التنبيه والإيضاح ٢/ ٢٣، زاد المسير ٩/ ٨٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢، شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ٢٩، اللسان: رأد، رود، التاج: رأد، رود.

(٢) قال الأزهري: «أبو عبيد عن أصحابه: تكبير رُوَيْدُ: رَوْدٌ، وَأَنْشَدَ:

يَمْشِـي، ولا تَكْلِمُ البَطْحاءَ مِشيتُه   كأنـه فاتـر يَمْشِـي عَلَـى رُودِ

تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٢، ومعنى هذا أنه تصغير «رَوْدٍ»، ولَمْ أقف على أنه تصغير «أَرْوَدَ»، وينظر: الصحاح ٢/ ٤٧٩، الصاحبي ص ٢٢٩، وذكر العسكري أن ابن الأنباري ذهب إلى أن «رُوَيْدًا» تصغير إرْوادٍ، ينظر: جمهرة الأمثال للعسكري ١/ ٣٩٣، وينظر: اللسان: رود.

(٣) حكاه الأزهري عن الليث والمنذري في تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٢-١٦٣.

الكوفيين، وموقوفٌ على قول البصريين[١]، والهاء والميم كناية عن الكافرين، في موضع نصب، والله أعلم، وبالله التوفيق.

---

(١) ذهب البصريون إلَى أن فعل الأمر مَبْنِيٌّ لا معرب، وهو ما عَبَّرَ عنه المؤلفُ هنا بأنه موقوف، قال سيبويه: «هذا باب ما يعمل في الأفعال فيجزمها، وذلك «لَمْ» و«لَمّا» واللام التي في الأمر، وذلك قولك: لِيَفْعَلْ، و«لا» في النهي، وذلك قولك: لاَ تَفْعَلْ، فإنما هُما بِمَنْزِلةِ «لَمْ»». الكتاب ٣/ ٨.

ثم قال سيبويه: «واعلم أن هذه اللام قد يجوز حذفها فِي الشعر وتعمل مضمرةً، كأنهم شَبَّهُوها بـ«أنْ» إذا أعملوها مضمرةً، وقال الشاعر:

مُحَمَّدُ! تَفْدِ نَفْسَكَ كُلُّ نَفْسٍ ... إذا ما خِفْتَ مِنْ شَيْءٍ تَبالاَ

وإنما أراد: لِتَفْدِ، وقال مُتَمِّمُ بنُ نُوَيْرةَ:

عَلَى مِثْلِ أَصْحابِ البَعُوضةِ فاخْمُشِي ... لك الوَيْلُ حُرَّ الوَجْهِ أَوْ يَبْكِ مَنْ بَكَى

أراد: لِيَبْكِ». الكتاب ٣/ ٨-٩.

ثم قال سيبويه: «واعلم أن حروف الجزم لا تَجْزِمُ إلّا الأفعالَ، ولا يكون الجزم إلّا في هذه الأفعال المضارعة للأسماء، كما أن الجَرَّ لا يكون إلّا في الأسماء، والجزم في الأفعال نظير الجَرِّ في الأسماء، فليس للاسم في الجزم نصيبٌ، وليس للفعل في الجَرِّ نصيب، فَمِنْ ثَمَّ لَمْ يُضمروا الجازم كما لَمْ يُضمروا الجارَّ». الكتاب ٣/ ٩.

وقال الفراء: «وقوله: «وَتَعاوَنُواْ» هو فِي موضع جزم؛ لأنها أمْرٌ، وليست بمعطوفة على «تَعْتَدُواْ»». معانِي القرآن ١/ ٣٠٠، وقال الفراء أيضًا: «وقوله: «قُل لِلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ» معناه فـي الأصل حكايةٌ بِمَنْزِلةِ الأمْرِ، كقولك: قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا اغْفِرُوا، فإذا ظهر الأمر مُصَرَّحًا فهو مجزوم لأنه أمْرٌ». معاني القرآن ٣/ ٤٥.

وينظر في هذه المسألة أيضًا: المقتضب ٢/ ١٢٩، الأصول ٢/ ١٧٤، ١٧٥، شرح القصائد السبع الطوال لابن الأنباري ص ٣٨، سر صناعة الإعراب ص ٣٩١، ٣٩٢، أسرار العربية ص ٣١٧ وما بعدها، الإنصاف ص ٥٢٤ وما بعدها، مسائل خلافية في النحو ص ٨٥-٨٧، شرح المفصل لابن يعيش ٧/ ٦١، ٦٢، شرح التسهيل لابن مالك ٤/ ٦٠-٦٢، مغني اللبيب ص ٣٠٠.

سورة الأعلى

مكية وقيل: مدنية

وهي مائتان وأحَدٌ وسبعون حرفًا، واثنتان وسبعون كلمةً، وتسع عشرة آيةً.

باب ما جاء فِي فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ الأعْلَى أعْطاهُ اللهُ - تعالَى - مِنَ الأجْرِ عَشْرَ حَسَناتٍ بِعَدَدِ كُلِّ حَرْفٍ أنْزَلَهُ اللهُ تعالَى عَلَى إبْراهِيمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ - عليهم السلام - »[1].

وعن عَلِيٍّ - كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ - قال: «كانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُحِبُّ هَذِهِ السُّورةَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾[2]، وَأوَّلُ مَنْ قالَ: سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى مِيكائِيلُ عليه السّلام،/ فقال النَّبيُّ ﷺ: «يا جِبْرِيلُ: أخْبِرْنِي عَنْ ثَوابِ مَنْ قالَها فِي صَلاَتِهِ أوْ فِي غَيْرِ صَلاَتِهِ، قال: يا مُحَمَّدُ: ما مِنْ مُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنةٍ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ أوْ فِي غَيْرِ سُجُودِهِ: سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى، إلّا كانَتْ لَهُ فِي مِيزانِهِ أثْقَلَ مِنَ العَرْشِ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٨٢، الوسيط ٤/ ٤٦٨، الكشاف ٤/ ٢٤٥، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٢٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٩٦، وينظر: الوسيط ٤/ ٤٦٨، مجمع الزوائد ٧/ ١٣٦، كتاب التفسير: سورة «سَبِّحْ».

والكُرْسِيِّ وَجِبالِ الدُّنْيا، وَيَقُولُ اللهُ سبحانه: صَدَقَ عَبْدِي، أنا الأعْلَى فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَيْسَ فَوْقِي شَيْءٌ، اشْهَدُوا يا مَلائِكَتِي أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي وَأدْخَلْتُهُ جَنَّتِي، فَإذا ماتَ العَبْدُ زارَهُ مِيكائِيلُ كُلَّ يَوْمٍ، فَإذا كانَ يَوْمُ القِيامةِ حَمَلَهُ عَلَى جَناحِهِ، فَيُوقِفُهُ بَيْنَ يَدَي اللهِ ـ عز وجل ـ، فَيَقُولُ: يا رَبِّ شَفِّعْنِي فِيهِ، فَيَقُولُ: قَدْ شَفَّعْتُكَ فِيهِ، اذْهَبْ بِهِ إلَى الجَنّةِ، وَكُنْ رَفِيقَهُ أبَدَ الآبِدِينَ»(١).

ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الأعْلَى زِيدَ فِي حَسَناتِهِ مِنْ كُلِّ حَسَنةٍ ألْفُ قِيراطٍ، ومُحِيَ عنه مِنَ السَّيِّئاتِ مِثْلُ ذَلِكَ»(٢).

وعن عُقْبَةَ بنِ عامِرٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا نَزَلَتْ ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾(٣)، قال رسولُ الله ﷺ: «اجْعَلُوها فِي رُكُوعِكُمْ»، فَلَمّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، قالَ ﷺ: «اجْعَلُوها فِي سُجُودِكُمْ»(٤).

وَرُوِيَ عن عبد الملك بن مَيْسَرةَ(٥) بإسناده متصلًا برسول الله ﷺ أنَّهُ قال: «مَنْ [قام](٦) مِنْ مَرْقَدِهِ فَقَرَأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ إلَى آخِرِها مَرّةً واحِدةً،

---

(١) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٣٠/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤، بصائر ذوي التمييز ١/ ٥١٥.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) الواقعة ٧٤-٩٦، والحاقة ٥٢.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ١٥٥، والدارمي في سننه ١/ ٢٩٩ كتاب الصلاة: باب ما يُقال في الركوع، وأبو داود في سننه ١/ ١٩٩ كتاب الصلاة: باب ما يقول الرجل في ركوعه وسجوده، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٨٣.

(٥) أبو زيد الهِلَالِيُّ العامريُّ الكُوفِيُّ الزَّرّادُ، تابِعِيٌّ ثقة صَدُوقٌ، رَوَى عن ابنِ عُمَرَ والضَّحّاكِ وعطاءٍ وابنِ جُبَيْرٍ، تُوُفِّيَ في إمارة خالد القَسْرِيِّ على العراق. [الثقات ٥/ ١١٨، تهذيب الكمال ١٨/ ٤٢١-٤٢٣].

(٦) مكان هذه الكلمة بياض بالأصل، والحديث لم أعثر له على تخريج.

كَتَبَ اللهُ لَهُ سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ حَجَّةٍ»، فاسْتَكْثَرَ رَجُلٌ مِمَّنْ سَمِعَ الرّاوِيَ ذَلِكَ، فَقالَ له: سَبْعِينَ أَلْفًا أَوْ سَبْعَمِائَةِ أَلْفٍ؟ فقال الرّاوِي: سَبْعَمِائَةِ أَلْفِ حَجَّةٍ مَبْرُورةٍ مَقْبُولةٍ، سَمِعْتُها مِنْ سَبْعِينَ بَدْرِيًّا، رَوَوْها جَمِيعُهُمْ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ.

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قولـه ـ عز وجـل ـ: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ يعني: قُلْ: سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى، وَإلَى هذا التأويل ذهب جماعة من الصحابة والتابعين، وقال قوم: معناه: نَزِّهْ وَعَظِّمْ رَبَّكَ الأعلى، والتسبيح هو التَّنْزِيهُ للهِ تعالى من الشريك والأولاد والأشباه والأنداد، والاسم صِلةٌ، والمعنى: نَزِّهْ رَبَّكَ أَنْ تُسَمِّيَ بِاسْمِهِ غَيْرَهُ، وقيل: ارْفَعْ صَوْتَكَ بِذِكْرِهِ، قال الشاعر:

٥٠٦ ـ قَبَحَ الإلَهُ وُجُوهَ تَغْلِبَ كُلَّما سَبَحَ الحَجِيجُ وَكَبَّرُوا تَكْبِيرا[1]

وموضع ﴿ٱلْأَعْلَى﴾ خفض على نعت ﴿رَبِّكَ﴾ / ، قال صاحب النَّظْمِ[2]: [٣٠٩/ أ] فقد احتج بهذا الفصلِ مَنْ يقول: إن الاسم والمُسَمَّى واحدٌ؛ لأن أحدًا لا

---

(١) البيت من الكامل، لِجَرِيرٍ، من قصيدة يهجو بها الأخْطَلَ، وروايته في ديوانه:
شَبَحَ الحَجِيجُ وَكَبَّرُوا إهْلالا

اللغة: شَبَحَ الدّاعِي بالشين المعجمة: مَدَّ يَدَهُ للدعاء، الإهْلَالُ: رَفْعُ الصَّوْتِ.

التخريج: ديوانه ص ٥٢، مجمع البيان ١/ ١٤٩، عين المعاني ورقة ١٤٤/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٥، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٧٤، التاج: سبح، فتح القدير ٥/ ٤٢٣.

(٢) الحَسَنُ بن يَحْيَى بن نصر الجُرْجانِيُّ، أبو علي الجَمّاجِمِيُّ، من أهل السُّنَّةِ، رَوَى عن العباس ابن عيسى العقيلي، رَوَى عنه أبو النضر الطوسي، من كتبه: نظم القرآن. [الأنساب ٢/ ٨٠، معجم البلدان ٢/ ١٨٥: جَمّاجِمُو، تاريخ جرجان ص ١٨٨، إيضاح المكنون ٢/ ٣٤٤].

يقول: سُبْحانَ اسْمِ اللهِ ولا: سُبْحانَ اسْمِ رَبِّنا، فمعنى ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: سَبِّحْ رَبَّكَ الأعْلَى، والرَّبُّ أيضًا اسْمٌ، فلو كان غيرَ المُسَمَّى لَمْ يَجُزْ أن يَقَعَ التسبيح عليه، هكذا حكاه الواحِدِيُّ عنه[1]. وقرأ أُبَيٌّ: «سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى»[2]، والأعلى هو القادر على كل شيء العالِي عليه.

فصل

عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قُلْنا: يا رسول الله: كَيْفَ نَقُولُ في سُجُودِنا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فَأَمَرَنا رَسُولُ اللهِ ﷺ أنْ نَقُولَ في سُجُودِنا: «سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى»[3].

ويُسَنُّ للقارئ إذا قرأ هذه الآية أن يقول: سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى، وَإنْ كانَ في غَيْرِ الصَّلاةِ، رُوِيَ ذلك عن جماعة من الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: «مَنْ قَرَأَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، فَلْيَقُلْ: سُبْحانَ رَبِّيَ الأعْلَى»[4].

وقوله: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢﴾ يعني: خَلَقَ الإنسانَ في بَطْنِ أُمِّهِ من نطفة، ثُمَّ مِنْ عَلَقةٍ، ثُمَّ مِنْ مُضْغةٍ، فَسَوَّى خَلْقَهُ، وَأَشْهَدَهُ على نفسه بأنه رَبُّهُ، ﴿وَٱلَّذِى

---

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٤٦٩.

(٢) وهي أيضًا، قراءة عَلِيِّ بنِ أَبِي طالب وعبدِ الله بن عمر، ينظر: مُختصر ابن خالويه ص ١٧٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٤.

(٣) ينظر: تفسير مُجاهد ٢/ ٧٥١، كتاب الدعاء للطبرانِيِّ ص ١٩١، الوسيط ٤/ ١٦٩، الدر المنثور ٦/ ٣٣٨.

(٤) رواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٢٣٢، وأبو داود في سننه ١/ ٢٠٢ كتاب الصلاة: باب في الدعاء في الصلاة.

﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾؛ أي: قَـدَّرَ الأشـياءَ، فَهَدَى لِدِينِهِ مَنْ شـاءَ مِـنْ خَلْقِهِ، فحذف «وَأَضَلَّ»؛ لأن ذِكْرَ الْهُدَى دَلَّ على ذلك[1].

وقيل: قَدَّرَ فَهَدَى الذَّكَرَ لِيَأْتِيَ الأُنْثَى، فلولا أنه ـ عز وجل ـ جَبَلَ كُلَّ ذَكَرٍ على معرفة كيف يَأْتِي أُنْثاهُ لَما اهْتَدَى لِذَلِكَ؛ لأن إتْيانَ ذُكْرانِ الحَيَوانِ مُخْتَلِفٌ لاختلاف الصُّوَرِ والخَلْقِ والهَيْئاتِ، هكذا قاله الواحدي عن صاحب النَّظْمِ[2].

وقال مجاهد[3]: هَدَى الإنسانَ لِسَبِيلِ الخَيْرِ والشَّرِّ والسَّعادةِ والشَّقاوةِ، وَهَدَى الأَنْعامَ لِمَراتِعِها، وقال السُّدِّيُّ[4]: قَدَّرَ مُدّةَ الجَنِينِ في الرَّحِمِ، ثم هَدَى لِلْخُرُوجِ من الرَّحِمِ، قرأ عَلِيٌّ وأبو عبد الرحمن السُّـلَمِيُّ والكِسـائِيُّ: «قَدَرَ» بتخفيف الدال[5]، وقرأ الباقون بالتشديد، وهما بمعنًى واحدٍ.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلْمَرْعَىٰ ۝٤﴾ يعني الحَشِيشَ، فَأَنْبَتَ العُشْبَ مِنْ بَيْـنَ أخْضَرَ وَأحْمَـرَ وَأبْيَضَ وَأصْفَرَ وما ترعاه النَّعَـمُ ﴿فَجَعَلَهُۥ﴾ بعد الخُضْرةِ ﴿غُثَآءً﴾ هَشِـيمًا باليًا كالغُثاءِ الذي تراه فوق السَّـيْلِ ﴿أَحْوَىٰ ۝٥﴾ أسْـوَدَ بعد

(١) قـال الفراء: «قَـدَّرَ فَهَدَى وَأَضَلَّ، فاكتفى مِنْ ذِكْرِ الضلال بِذِكْـرِ الهُدَى لكثرة ما يكون معه». معانِي القرآن ٣/ ٢٥٦، وينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٥، إعراب ثلاثين سورة ص ٥٥، زاد المسير ٩/ ٨٩، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦.

(٢) ينظر: الوسيط ٤/ ٤٧٠.

(٣) ينظر قوله في صحيح البخاري ٦/ ٨٢ كتاب التفسـير: سـورة «سَبِّحِ اسْـمَ رَبِّكَ الأَعْلَى». جامع البيان ٣٠/ ١٩١، الكشـف والبيان ١٠/ ١٨٣، الوسـيط ٤/ ٤٧٠، المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، زاد المسير ٩/ ٨٨، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٥.

(٤) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٢٣١/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٣، الوسيط ٤/ ٤٧٠، زاد المسير ٩/ ٨٨، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٦.

(٥) ينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ١٥.

الخُضْرةِ، والأحْوَى: شَـدِيدُ الخُضْرةِ، يَضْرِبُ إلَى السَّوادِ لِرِيِّهِ، والحُوَّةُ أيضًا: حُمْرةٌ تكون فِي شَفةِ بعض النساء، والعرب تَسْتَحِبُّ ذلك(١)، قال ذُو الرُّمّةِ:

٥٠٧ ـ لَمْياءُ فِي شَـفَتَيْها حُوّةٌ لَعَسٌ ... وَفِـي اللِّثـاتِ وَفِـي أنْيابِها شَـنَبُ
صَفْـراءُ فِي نَعَـجٍ بَيْضاءُ فِـي دَعَجٍ ... كَأنَّهـا فِضّـةٌ قَـدْ مَسَّـها ذَهَـبُ(٢)

و﴿أَحْوَىٰ﴾ نعـت ﴿غُثَآءً﴾، وقيل(٣): هو حال مـن المَرْعَى؛ أي: أخْرَجَ المَرْعَـى فِي حـالِ خُضْرَتِهِ، فَجَعَلَهُ غُثاءً، يعنِي: يابِسًـا، والغُثـاءُ: ما يَبِسَ مِنَ النَّبْـتِ، فَحَمَلَتْـهُ الأوْدِيةُ والمِياهُ، وَفي الآية تقديـمٌ وتأخيرٌ، والتقدير: والذي أخْـرَجَ المَرْعَى أحْوَى، فَجَعَلَهُ غُثاءً(٤)، وقيل: لا تقديم في الآية ولا / تأخير، [٣٠٩/ ب]

---

(١) قاله ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة ص ٥٦.

(٢) البيتان من البسيط لِذِي الرُّمّةِ، ورواية الثانِي في ديوانه:
كَحْلاءُ فِي بَرَجٍ صَفْراءُ فِي نَعَجٍ
اللغة: اللَّعَسُ: سَـوادٌ يَعْلُو شَفةَ المرأة البيضاء، الشَّنَبُ: بَرْدُ الفَمِ والأسْنانِ، النَّعَجُ: البياض الخالص، البَرَجُ: سَعةُ العَيْنَيْنِ، الدَّعَجُ: شِدّةُ سَوادِ العَيْنِ مَعَ شِدّةِ بَياضِ بَياضِها.
التخريـج: ديوانـه ص ٣٢، ٣٣، العيـن ١/ ٣٣٤، ٣/ ٣١٩، ٦/ ٢٦٨، غريـب الحديث للهـروي ٤/ ٥، غريب الحديـث لابن قتيبة ١/ ٢٠٩، الكامل للمبـرد ١/ ١٦٠، جمهرة اللغـة ص ١٣٣١، مجالـس العلماء ص ١٣٩، إعراب ثلاثين سـورة ص ٥٦، الخصائص ٣/ ٢٩١، الصحاح ص ١٥٨، المخصص ١/ ٩٨، ذكر الفرق بين الأحرف الخمسـة ص ٣٧٢، الاقتضاب ٣/ ٢٢٨، مجمع البيان ١٠/ ٣٢٧، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ أ، تفسـير القرطبي ٢٠/ ١٧، اللسـان: حوا، شـنب، لعس، المقاصد النحوية ٤/ ٢٠٢-٢٠٣، همع الهوامع ٣/ ١٤٩، المزهر للسيوطي ٢/ ٤٩٩.

(٣) قالـه الزجاج فِي معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٥، وينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٠٤، تفسـير القرطبي ٢٠/ ١٧.

(٤) الـذي قال بالتقديم والتأخير في الآية هو الفراء وثعلب وابن الأنباري، ينظر: معانِي القرآن للفـراء ٣/ ٢٥٦، مجالس ثعلب ص ٣٧٠، الأضداد لابـن الأنباري ص ٣٥٣، وحكاه =

ومعناها: والذي أَخْرَجَ المَرْعَى فَجَعَلَهُ غُثاءً؛ أي: يابسًا، أحْوَى؛ أي: أَسْوَدَ مِنْ قِدَمِهِ، هكذا ذكره العَزِيزِيُّ[١].

قوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ۝٦﴾؛ أي: سَنَجْعَلُكَ يا محمد قارِئًا بأن نُلْهِمَكَ القُرْآنَ، فلا تَنْسَى ما تَقْرَؤُهُ أبَدًا، و«لا» بمعنى «لَيْسَ»، وهو خَبَرٌ، وليس بِنَهْيٍ؛ إِذْ لَا يَجُوزُ أَنْ يُنْهَى الإنسانُ عن النِّسْيانِ؛ لأنه ليس باختياره[٢]، وقال صاحب «إنسان العين»[٣]: هو نَهْيٌ، وَإِثْباتُ الألِفِ كقول الراجز:

٥٠٨ - إذا العَجُوزُ غَضِبَتْ فَطَلِّقْ

وَلَا تَرَضّاها وَلَا تَمَلَّقْ[٤]

والمعنى: لاَ تَنْسَ العَمَلَ بِهِ.

= النقاش عن ثعلب في شفاء الصدور ٢٣١/ ب، وحكاه الأزهري عن الفراء في التهذيب ٥/ ٢٦٤، ٨/ ١٧٦.

(١) يعني أبا بكر السجستانِيَّ، قاله في تفسير غريب القرآن ص ١٧٧.

(٢) هذا قول ثعلب والنحاس والطبري وابن خالويه وابن كيسان، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٠٥، شفاء الصدور ورقة ٢٣١/ ب، جامع البيان ٣٠/ ١٩٣، إعراب ثلاثين سورة ص ٥٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٩.

(٣) لَمْ يذكره في عين المعانِي، وقد حكى ابن خالويه هذا الرأي عن بعض العلماء فِي إعراب ثلاثين سورة ص ٥٧، ٥٨، وبه قال ابن عطية فِي المحرر الوجيز ٥/ ٤٦٩، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٢٨٣.

(٤) البيتان من الرجز المشطور، لِرُؤْبةَ بنِ العَجّاجِ.
اللغة: لَا تَرَضّاها: لاَ تَطْلُبْ رِضاها، التَّمَلُّقُ: التَّوَدُّدُ والتَّلَطُّفُ.
التخريج: ملحق ديوانه ص ١٧٩، المسائل الحلبيات ص ٨٦، الخصائص ١/ ٣٠٧، سر صناعة الإعراب ص ٧٨، المنصف ٢/ ٧٨، ١١٥، المخصص ١٣/ ٢٥٨، ١٤/ ٩، الحلل ص ٣٤٠، الإنصاف ص ٢٦، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ٢١، شرح المفصل =

ثم استثنى، فقال: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾ أن تَنْساهُ، وهو ما نُسِخَ من القُرْآنِ، و﴿مَا﴾ في موضع نصب على الاستثناء، أي: لَسْتَ تَنْسَى إلّا ما شاءَ اللهُ أنْ يُنْسِيَكَ، فَيَرْفَعُهُ مِنْ قَلْبِكَ، وقيل: إلّا ما شاءَ اللهُ أنْ يَرْفَعَ تِلَاوَتَهُ وَيَنْسَخَهُ بِغَيْرِ تَبْدِيلٍ، وقيل: معناه: إلا ما شاءَ اللهُ أنْ يُنْسِيَكَ بِنَسْخِهِ مِنْ رَفْعِ تِلَاوَتِهِ وَحُكْمِهِ، كما قال تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾... الآية.[١]، والإِنْساءُ: نَوْعٌ من النَّسْخِ[٢].

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ﴾ من القول والعمل ﴿وَمَا يَخْفَىٰ ۝٧﴾ منهما، والمعنى: إنه يَعْلَمُ السِّرَّ والعلانيةَ ﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ۝٨﴾ أي: نُهَوِّنُ عَلَيْكَ عَمَلَ الجَنّةِ ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ۝٩﴾؛ أي: عِظْ يا مُحَمَّدُ أَهْلَ مَكّةَ بالقرآن إنْ نَفَعَت الموعظةُ والتذكيرُ، و﴿إِن﴾ في معنى «قَدْ»؛ أي: فَذَكِّرْ قَدْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى، قال الكِسائِيُّ[٣]: سَمِعْتُ العرب تقول: إنْ قامَ زَيْدٌ، وَظَنَنْتُهُ شَرْطًا، قال: فسألْتُهُمْ فقالوا: نريد: قَدْ قام زيدٌ، وليس نريد: ما قام زيد.

= ١٠/ ١٠٤، ١٠٦، شرح التسهيل لابن مالك ١/ ٥٦، شرح شافية ابن الحاجب للرضي ٣/ ١٨٥، اللسان: رضي، ارتشاف الضرب ص ٢٣٨٨، البحر المحيط ٦/ ٢٤٥، المقاصد النحوية ١/ ٢٣٦، همع الهوامع ١/ ١٧٥، خزانة الأدب ٨/ ٣٥٩، ٣٦١، التاج: رضي.

(١) البقرة ١٠٦.

(٢) ينظر في هذه الأقوال في كيفية الإنساء: جامع البيان ٣٠/ ١٩٢-١٩٣، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٥، الوسيط ٤/ ٤٧٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٨، ١٩، البحر المحيط ٨/ ٤٥٣، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٧٩.

(٣) قول الكسائي ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٣٢/ أ، وحكاه أبو عمر الزاهد عن ثعلب في ياقوتة الصراط ص ٥٧١، وينظر: الأضداد لابن الأنباري ص ١٨٩، ١٩٠، تهذيب اللغة ١٥/ ٥٦٨، إعراب ثلاثين سورة ص ٥٩، اللسان: أنن.

وقال الواحِدِيُّ[(١)]: المعنى: إنْ نَفَعَتْ أوْ لَمْ تَنْفَعْ؛ لأن النَّبِيَّ ـ ﷺ ـ بُعِثَ مُبَلِّغًا لِلإعْذارِ والإنْذارِ، فعليه التذكير في كل حالٍ، نَفَعَ أوْ لَمْ يَنْفَعْ، وَلَمْ يَذْكُرِ الحالةَ الثّانِيةَ كقوله تعالى: ﴿سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ﴾. الآية.[(٢)].

ومـا بعده ظاهرُ الإعرابِ إلى قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾؛ أي: قَدْ سَعِدَ وَفازَ مَنْ زَكَّى عَمَلَهُ بِتَقْوَى اللهِ تعالَى، وَتَطَهَّرَ من الذُّنُوبِ بالعمل الصالح، وَأَدَّى زَكاةَ مالِهِ.

والزّاكِي: النّامِي الكَثِيرُ الخَيْرِ، ومنه أُخِذَتِ الزَّكاةُ لِنُمُوِّها وَزِيادَتِها، والزكاة فـي اللغة هي النَّماءُ والزِّيادةُ، وفي الشَّـرْعِ: / عبـارة عن إخراج جُزْءٍ من المال [٣١٠/ أ] وَتَطْهِيرٍ لِلْباقِي، ويقال: نَمَى المالُ يَنْمِي، وَيَنْمُو لغةٌ ضعيفةٌ[(٣)]، قال الشاعر:

٥٠٩ ـ يا حُبَّ لَيْلَى لاَ تَغَيَّرْ وازْدَدِ

وانْـمِ كَما يَنْمِي الخِضابُ بِالْيَدِ[(٤)]

---

(١) الوسيط ٤/ ٤٧٠.

(٢) النحل ٨١.

(٣) قـال أبو عبيد: «نَمَى الخِضابُ في اليَدِ والشَّـعَرِ، وإنما هـو: ارْتَفَعَ وَعَلَا، فهو يَنْمِي، وزعم بعـض النـاس أن يَنْمُو لغةٌ». غريب الحديث ١/ ٣٤٠، وقد ذكر ابن السـكيت اللغتين في إصـلاح المنطق ص ١٣٨، ١٣٩ بغير تضعيف لإحداهما، وقال ابن دريد: «ونَمَى الشـيءُ يَنْمِي وَيَنْمُو، والياء أعلى وأفصح؛ فمن قال: يَنْمُو جعل المصدر نُمُوًّا، ومن قال يَنْمِي جعل المصدر نَماءً». جمهرة اللغة ٢/ ٩٩٢، وقال الفارابي: «وَنَما الشَّيْءُ أي: زادَ. لغة في نَمَى يَنْمِي نَماءً». ديوان الأدب ٤/ ٨٠، وينظر: الصحاح ٦/ ٢٥١٥، اللسان: نمي.

(٤) البيتان من الرجز المشطور، لِمَجْنُونِ لَيْلَى، وَلَيْسا في ديوانه.

اللغة: انْمِ: يُقالُ: نَمِيَ المالُ يَنْمِي: إذا كَثُرَ وَزادَ، وَنَمِيَ الخِضابُ في اليَدِ والشَّعَرِ: إذا اسْوَدَّ جِدًّا أوْ زادَ صَبْغُهُ.

التخريج: جمهرة اللغة ص ١٠٨٥، مقاييس اللغة ٥/ ٤٧٩، تصحيح الفصيح وشرحه ص ٣٩، أساس البلاغة: نمي، البرهان للزركشي ٢/ ٤٦٥، اللسان: نمي، التاج: نمي.

قولـه: ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ۝١٥﴾؛ أي: وَشَـهِدَ أنْ لا إلَـهَ إلّا اللهُ، وَصَلَّى الصَّلَـواتِ الخَمْـسَ، قيل[1]: نزلت هذه الآية فِي عثمـان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ.

فصل

عـن جابـر ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ مَنْ شَـهِدَ أنْ لاَ إلَهَ إلّا اللهُ، وَخَلَعَ الأنْدادَ، وَشَـهِدَ أنِّي رَسُـولُ اللهِ، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾، قـال: «هِيَ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، والمُحافَظَةُ عَلَيْها حِينَ يُنادَى بِها، والاهْتِمامُ بِمَواقِيتِها»[2].

قولـه: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ۝١٦﴾ يعنـي المشـركين ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ۝١٧﴾ يعنـي: من الدنيا لِمَـنِ اتَّقَى اللهَ تعالَى؛ لأن الدنيـا تَفْنَى وتنقطع، والآخـرة لا تَفْنَى ولا تنقطع، قرأ العامـة: ﴿تُؤۡثِرُونَ﴾، وتصديقهم قراءةُ أُبَيٍّ: «بَلْ أنْتُمْ تُؤْثِرُونَ»، وقرأ أبو عمرو بالياء[3] يعني الأشقياء، وَأَدْغَمَ اللامَ فِي التاء حَمْزةُ والكِسائِيُّ وَهِشامٌ[4].

---

(١) ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٣٢/ ب.

(٢) ينظـر: الكشـف والبيـان ١٠/ ١٨٥، الوسـيط ٤/ ٤٧١، مجمع الزوائـد ٧/ ١٣٧ كتاب التفسير: سورة «سَبِّحْ».

(٣) قـرأ الجمهور: ﴿بَـلْ تُؤْثِرُونَ﴾ بالتاء، وقرأ أُبَيٌّ وابنُ مسـعود: ﴿بَلْ أَنْتُـمْ تُؤْثِرُونَ﴾، وقرأ ابنُ مسـعود أيضًا، وأبو عمرو واليزيديُّ وأبو رجاء والحَسَـنُ والجَحْدَرِيُّ وأبو حَيْوةَ وابنُ أَبِي عَبْلَةَ والزَّعْفرانِيُّ وابنُ مِقْسَـمٍ: ﴿يُؤْثِرُونَ﴾ بالياء، ينظر: السبعة ص ٦٨٠، مختصر ابن خالويه ص ١٧٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٣، البحر المحيط ٨/ ٤٥٥.

(٤) ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٦٨، الإتحاف ٢/ ٦٠٤.

قال عَرْفَجةُ[١]: كُنّا عند ابن مسعودٍ، فَقَرَأ هذه الآيَةَ، فقال لنا: «أتَدْرُونَ لِـمَ آثَرُوا الحياةَ الدُّنْيا عَلَى الآخِرةِ؟ قُلْنا: لا، قال: إنَّ الدُّنْيا أُحْضِرَتْ، وَعُجِّلَ لَنا طَعامُها وَشَرابُها وَنِساؤُها وَلَذَّتُها وَبَهْجَتُها، وَإنَّ الآخِرةَ غُيِّبَتْ عَنّا وَزُوِيَتْ عَنّا، فَأخَذْنا العاجِلَ، وَتَرَكْنا الآجِلَ»[٢].

فصل

عن أبي موسى الأشْعَرِيِّ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «مَنْ أحَبَّ دُنْياهُ أضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أحَبَّ آخِرَتَهُ أضَرَّ بِدُنْياهُ، فَآثِرُوا ما يَبْقَى عَلَى ما يَفْنَى»[٣].

قوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا﴾ يعني الذي ذُكِرَ في هذه السورة ﴿لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾﴾ يعني الكُتُبَ الأولَى، واحدتها صحيفة، ثم بَيَّنَ ما هي فقال: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾ يعني كُتُبًا أُنْزِلَتْ على إبراهيم وَتَوْراةِ مُوسَى، وقال عكرمة[٤]: هذه السورة في صحف إبراهيم وموسى، وقال السُّدِّيُّ[٥]: نزلت

---

(١) هو عَرْفَجةُ بنُ عبد الله الثَّقَفِيُّ، وقيل: السُّلَمِيُّ الكُوفِيُّ، تابعيٌّ ثقةٌ، رَوَى عن عَلِيّ بن أبي طالب وابنِ مسعودٍ وعائشةَ ـ رضي الله عنهم ـ. [الثقات ٥/ ٢٧٣، ٢٧٤، تهذيب الكمال ١٩/ ٥٥٧-٥٥٨].

(٢) رواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٩/ ٢٣٤، وينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٩٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٦، الوسيط ٤/ ٤٧٢.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٤/ ٤١٢، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٠٨، ٣١٩ كتاب الرقاق، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٣٣/ أ، الوسيط ٤/ ٤٧٢.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ١٩٧، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٨، الوسيط ٤/ ٤٧٢، زاد المسير ٩/ ٩٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٤.

(٥) ينظر قوله في شفاء الصدور ورقة ٢٣٣/ أ، الوسيط ٤/ ٤٧٢، زاد المسير ٩/ ٩٣.

هذه السورةُ كُلُّها على إبراهيم وعلى موسى، ويقال(١): إن في صُحُفِ إبراهيمَ: [٣١٠/ ب] ينبغي للعاقل أن يكون / حافظًا لِلسانِهِ، عارفًا بِزَمانِهِ، مُقْبِلًا على شَأْنِهِ، و﴿صُحُفِ﴾ خفض على البدل من قوله: ﴿لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ﴾.

فصل

عن أَبِي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كانَتْ صُحُفُ إبْراهِيمَ عليه السّلام أمْثالًا كُلُّها وَعِبَرًا، أَيُّها المَلِكُ المُسَلَّطُ المُبْتَلَى المَغْرُورُ، إنِّي لَمْ أَبْعَثْكَ لِتَجْمَعَ الدُّنْيا بَعْضَها إلَى بَعْضٍ، وَلَكِنْ بَعَثْتُكَ لِتَرُدَّ عَنِّي دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنِّي لاَ أَرُدُّها وَلَوْ كانَتْ مِنْ كافِرٍ»(٢).

وعنه أيضًا قال: قلتُ: يا رسول الله: كَم الأَنْبِياءُ؟ قال: «مِائةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا»، قال: قلتُ: يا رسول الله: كَم المرسلون منهم؟ قال: «ثَلاثُمِائةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ، وَبَقِيَّتُهُمْ أَنْبِياءُ»، قلتُ: يا رسول الله: أكانَ آدَمُ نَبِيًّا؟ قال: «نَعَمْ! كَلَّمَهُ اللهُ وَخَلَقَهُ بِيَدِهِ»، ثم قال: «يا أبا ذر: أَرْبَعَةٌ من الأنبياء عَرَبٌ: هُودٌ وَصالِحٌ وَشُعَيْبٌ وَنَبِيُّكَ»، قلتُ: يا رسول الله: كَمْ أَنْزَلَ اللهُ مِن كِتابٍ؟ قال: «مِائةً وَأَرْبَعَةَ كُتُبٍ، منها على آدَمَ عَشْرَ صُحُفٍ، وَعَلَى شِيثَ خَمْسِينَ صَحِيفَةً، وعلى أَخْنُوخَ ـ وهو إدْرِيسُ ـ ثلاثين صَحِيفةً، وهو أَوَّلُ مَنْ خَطَّ بالقلم، وعلى إبراهيم عَشَرَ صَحائِفَ، والتَّوْراةَ والإنْجِيلَ والزَّبُورَ والفُرْقانَ»، قال: قلتُ: يا رسول الله

---

(١) ذكره الثعلبي بغير عزو في الكشف والبيان ١٠/ ١٨٦، وينظر: عين المعاني ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٥.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٧٨ كتاب البرِّ والإحسان: باب ما جاء في الطاعات وثوابها، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٥، تفسير ابن كثير ١/ ٦٠٠، موارد الظمآن ص ٥٣، الدر المنثور ٦/ ٣٤١.

ـ صلى الله عليك وسلم ـ: ما كان فِي صُحُفِ مُوسَى؟ قال: «كان فيها: عَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بِالنّار كَيْفَ يَضْحَكُ؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بِالمَوْتِ كَيْفَ يَفْرَحُ؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بِالحِسابِ كَيْفَ يَعْمَلُ بِالسَّيِّئاتِ؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بِالقَدَرِ كَيْفَ يَنْصَبُ؟ ـ وَفِي خَبَرٍ آخَرَ «كَيْفَ يَحْزَنُ» ـ، وَعَجِبْتُ لِمَنْ يَرَى الدُّنْيا وَتَقَلُّبَها بِأهْلِها كَيْفَ يَطْمَئِنُّ إلَيْها؟ وَعَجِبْتُ لِمَنْ أيْقَنَ بِالجَنّةِ كَيْفَ لَا يَعْمَلُ بِالحَسَناتِ؟»[1]، لا إله إلا الله، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

* * *

(١) رواه ابن حبان في صحيحه ٢/ ٧٦: ٧٩ كتاب البرِّ والإحسان: باب ما جاء في الطاعات وثوابها، وينظر أيضًا: الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٤٥.

سورة الغاشية

مكية

وهـي ثلاثمائة وَأحَدٌ وسـبعون حرفًا، واثنتان وتسـعون كلمةً، وَسِـتٌّ وعشرون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عـن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضـي الله عنه ـ قال: قال رسـول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الغاشِيةِ حاسَبَهُ اللهُ حِسابًا يَسِيرًا»[1].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الغاشِيةِ خَلَقَ اللهُ مِنْها مَلَكًا يَفْرِشُ مَنازِلَهُ فِي الجَنّةِ إلَى يَوْمِ القِيامةِ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب/ [٣١١/ أ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَـٰشِيَةِ ①﴾؛ أي: قَدْ أتاكَ، ﴿هَلْ﴾ بِمَعْنَى «قَدْ»، والغاشـية: القيامة، سُـمِّيَتْ غاشِيةً لأنها تَغْشَـى النّاسَ بِأهْوالِها

(١) ينظر: الكشـف والبيان ١٠/ ١٨٧، الوسـيط ٤/ ٤٧٣، الكشـاف ٤/ ٢٤٨، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٣٣.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

وَشَـدائِدِها[١]، وقيل[٢]: سُـمِّيَتْ غاشِـيةً لأنها تَرْكَبُ كُلَّ شَـيْءٍ، وَكُلُّ ما عَلَا شَيْئًا وَغَطّاهُ فَقَدْ غَشِيَهُ، وقيل[٣]: الغاشية: النار لقوله تعالى: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ ﴾[٤].

ومعنــى حَدِيثٍ وخَبَرٍ واحدٌ، وكذلك: حَدَّثَنـا وَأَخْبَرَنا واحدٌ، يَدُلُّ على هــذا قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ تُحَدِّثُ أَخۡبَارَهَا﴾[٥]؛ لأن معنــى «يُحَدِّثُ» و«يُخْبِرُ» واحدٌ[٦].

قولــه: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾ يعني: يوم القيامــة ﴿خَٰشِعَةٌ ٢﴾ يعني: ذليلة خاضعــة، و﴿خَٰشِعَةٌ﴾ خبر لــ﴿وُجُوهٞ ﴾، وقولــه: ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ٣﴾ معنى النَّصَبِ الدُّؤوبُ[٧] في العمل، والمعنى: عامِلةٌ في الدنيا بمعاصي الله، ناصِبةٌ فــي النار في الآخــرة[٨]، وأراد عَبَدةَ الأوثان وَكُفّارَ أهْــلِ الكتاب مِثْلَ الرُّهْبانِ وغيرهم من أهل الطغيان.

---

(١) قاله ابن عباس وأكثر المفسـرين، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٩٩، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٩، الكشـف والبيـان ١٠/ ١٨٧، الوسـيط ٤/ ٤٧٣، زاد المسـير ٩/ ٩٤، تفسـير القرطبي ٢٠/ ٢٥.

(٢) ذكره النقاش بغير عزو في شفاء الصدور ورقة ٢٣٣/ ب.

(٣) قاله سعيد بن جبير ومحمد بن كعب القرظي، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ١٩٩، إعراب القرآن ٥/ ٢٠٩، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٧، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٥، ٢٦.

(٤) إبراهيم ٥٠.

(٥) الزلزلة ٤.

(٦) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٠٩.

(٧) الدُّءُوبُ: مصدر من مصادر الفعل دَأَبَ، يقال: دَأَبَ يَدْأَبُ دَأْبًا وَدَأَبًا وَدُءُوبًا. اللسان: دأب.

(٨) قاله عكرمة والسدي، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢١٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٨٨، زاد المسير ٩/ ٩٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٧.

ورفـع ﴿عَامِلَةٌ﴾ على إضمار: وهي عاملة، فعلى هذا التأويل تقف على ﴿خَٰشِعَةٌ﴾، ويجوز أن يكـون ﴿عَامِلَةٌ﴾ خبرًا بعد خبر عن ﴿وُجُوهٌ﴾، وعلى هذا التأويل لا تقف على ﴿خَٰشِعَةٌ﴾[١].

قوله: ﴿تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ۝٤﴾ أي: حـارّةً، قد أحْماها اللهُ تعالَى لَهُمْ، فهي تَتَلَظَّـى على أعـداء الله، قرأه العامة بفتح التاء، وقرأ أبـو عمرو ويعقوب وأبو بكر بضمهـا[٢]؛ اعتبارًا بقوله: ﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ۝٥﴾ قد انتهى حَرُّها، كقوله تعالَى: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾[٣] قد انتهى حَرُّهُ، وَبَلَغَ مُنْتَهاهُ، وقرأ هشامٌ: «آنِيةٍ» بإمالةِ الهمزة[٤].

ثم أخْبَرَ عن طعام الأشـقياء، فقال تعالَى: ﴿لَّيْسَ لَهُمْ﴾ يعني: لأهل النار ﴿طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ۝٧﴾ ﴿لَّا﴾ بمعنى «لَيْسَ»[٥]،

---

(١) قاله النَّحّاسُ ومَكِّيٌّ، ينظر: إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٠٩-٢١٠، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٢، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٧.

(٢) قرأ أبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وأبو رجاء ويعقوب والحسن واليزيدي وابن محيصن: «تُصْلَـى» بضم التـاء، وقرأ الباقون، وَحَفْصٌ عـن عاصمٍ، وَعَلِيُّ بنُ نصـر عن أَبِي عمرو: «تَصْلَـى» بفتح التاء، ينظر: السـبعة ص ٦٨١، تفسـير القرطبـي ٢٠/ ٢٨، البحر المحيط ٨/ ٤٥٧، الإتحاف ٢/ ٦٠٥.

(٣) الرحمن ٤٤.

(٤) قرأ هشـام من طريق الحلوانِـيِّ: «آنِيةٍ» بإمالة الهمزة، ورواها عبد الـوارث عن أَبِي عَمْرٍو، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧٢، الإتحاف ٢/ ٦٠٦.

(٥) حكى سيبويه أن بعضهم يجعل «لا» بمعنى «ليس»، وأنشد:

مَـنْ فَـرَّ عَـنْ نِـيرانِـهـا ... فَـأنـا ابْـنُ قَـيْـسٍ، لاَ بَـراحُ

وذكر أنها قليلة، ينظر: الكتاب ١/ ٥٨، ٢/ ٢٩٦، الأصول لابن السراج ١/ ٩٦، اللامات للزجاجي ص ١٠٦-١٠٧، وبـه قال ابـن خالويه في إعـراب ثلاثين سـورة ص ٦٧، =

والضَّرِيعُ هو نَبْتٌ بالحجاز له شَوْكٌ، يُقال له: الشِّبْرِقُ، وأهل الحجاز يُسَمُّونَهُ الضَّرِيعَ إذا يَبِسَ[(١)]، وهو أخْبَثُ الطعامِ وَأبْشَعُهُ، لا تَرْعاهُ دابّةٌ، وقيل[(٢)]: الضَّرِيعُ: العَوْسَجُ الرَّطْبُ، وهو نبات في النّارِ يُشْبِهُ العَوْسَجَ.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «الضَّرِيعُ شَيْءٌ يَكُونُ فِي النّارِ يُشْبِهُ الشَّوْكَ، أمَرُّ مِنَ الصَّبْرِ، وَأنْتَنُ مِنَ الجِيفةِ، وَأشَدُّ حَرًّا مِنَ النّارِ، سَمّاهُ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ ضَرِيعًا»[(٣)].

وقال أبو الدَّرْداءِ والحَسَنُ: «إنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ يُرْسِلُ على أهل النّارِ الجُوعَ حَتَّى يَعْدِلَ عندهم ما هم فيه من العذاب، فَيَسْتَغِيثُونَ، فَيُغاثُونَ بِالضَّرِيعِ، ثُمَّ يَسْتَغِيثُونَ، فَيُغاثُونَ بِطَعامٍ ذِي غُصّةٍ، فَيَذْكُرُونَ أنَّهُمْ كانوا يُجِيزُونَ الغُصَصَ فِي الدُّنْيا بِالماءِ، فَيَسْتَسْقُونَ، فَيُعْطِشُهُمْ / ألْفَ سَنةٍ، ثُمَّ يُسْقَوْنَ من عَيْنٍ آنِيةٍ [٣١١/ ب]

= وينظر أيضًا: المفصل ص ٣٠، ٣١، الإنصاف للأنباري ص ٣٦٧-٣٦٨، مغني اللبيب ص ٣١٥، خزانة الأدب ١/ ٤٦٧.

(١) قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والفراء وابن قتيبة، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٥٧، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٥، تأويل مشكل القرآن ص ٦٨، جامع البيان ٣٠/ ٢٠١-٢٠٢، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٧، تهذيب اللغة ١/ ٤٧١، الوسيط ٤/ ٤٧٤، زاد المسير ٩/ ٩٦، تفسير القرطبي ٢٠/ ٢٩.

(٢) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٧٣، وحكاه الأزهري عن ثعلب عن ابن الأعرابِيِّ في تهذيب اللغة ١/ ٤٧٢، والعَوْسَجُ: شَجَرٌ كثير الشَّوْكِ، له ثَمَرٌ أحْمَرُ مُدَوَّرٌ كأنه خَرَزُ العَقِيقِ، واحدته عَوْسَجةٌ. اللسان: عسج.

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٨٨، الوسيط ٤/ ٤٧٤، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٣٦، عين المعاني ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٠، الدر المنثور ٦/ ٣٤٢.

شَــرْبةً لا هَنِيئــةً ولا مَرِيئةً، فكلما أدْنَوْهُ من وُجُوهِهِمْ سَــلَخَ جُلُــودَ وُجُوهِهِمْ وَشَــواها، فإذا وصل إلَى بُطُونِهِمْ قَطَّعَهــا، فذلك قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾[1].

فلما نزلت هذه الآية قال المشركون: إنَّ إبِلَنا لَتَسْمَنُ على الضَّرِيعِ، وَكَذَبُوا في ذلك، فَإنَّ الإبِلَ لا تَرْعاهُ، فأنزل الله تعالَى تكذيبًا لَهُمْ، فقال تعالَى: ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى مِن جُوعٍ﴾[2].

ثم وَصَفَ أهل الجنة بقوله تعالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ۝٨﴾ قال مقاتل: في نعمةٍ وكرامةٍ ﴿لِّسَعْيِهَا﴾ في الدنيا ﴿رَاضِيَةٌ ۝٩﴾ في الآخرة حين أُعْطِيَت الجنةَ بعملها ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝١٠﴾ مرتفعة ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ يعني: في الجنة ﴿لَٰغِيَةً ۝١١﴾؛ أي: باطلًا، يقال: لَغا الرَّجُلُ يَلْغُو لَغْوًا: إذا قال كلامًا فاسدًا.

وقوله: ﴿تَسْمَعُ﴾ يُقْرَأُ بالياء والتاء؛ لأن المراد باللاغية اللَّغْوُ[3]، فالتأنيث على اللفظ والتذكير على المعنى، قرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿لَا يُسْــمَعُ﴾ بياء مضمومة ﴿فِيها لاَغِيةٌ﴾ رفعًا اسمَ ما لَمْ يُسَمَّ فاعلُهُ، وقرأ نافع: ﴿تُسْمَعُ﴾ بتاء مضمومة ﴿لَاغِيةٌ﴾ رفعًا، وقرأ حمزة والكسائي وعاصم وابن عامر وأبو جعفر

---

(١) محمــد ١٥، والحديث رواه الترمذي في ســننه ٤/ ١٠٨ أبواب صفــة جهنم: باب ما جاء في صفة طعام أهل النار، وينظر: المصنف لابن أبِي شــيبة ٨/ ٩٣، جامع البيان ١٨/ ٧٧، الوسيط ٤/ ٤٧٤، عين المعاني ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ١٥/ ٣٢٢.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٨٨، الوسيط ٤/ ٤٧٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٢، زاد المسير ٩/ ٩٧.

(٣) أي: أنــه مصــدر، وهذا ما اختاره المؤلف في «الطاغيــة» و«الخاطئة» في الآيتيــن ٥-٩ من سورة الحاقــة ص ١١٦٢، ١١٦٥، وينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، تهذيب اللغة ٨/ ١٩٧، الحجة للفارسي ٤/ ١١٥، الصحاح ٦/ ٢٤٨٣.

والأعمش: ﴿لَّا تَسۡمَعُ﴾ بتاء مفتوحة ﴿لَٰغِيَةٗ﴾ نصبًا[1] على الخِطابِ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

﴿فِيهَا عَيۡنٞ جَارِيَةٞ ١٢﴾ قال الكَلْبِيُّ: لَمْ أدْرِ بِماءٍ أو بغيره، وَكُلُّ عُيُونِ الجنةِ جاريةٌ، قال ابن عباس: أَرْضُ الجَنَّةِ فِضّةٌ، وَسـاعاتُها كالسّاعةِ الَّتِي بَعْدَ طُلُوعِ الفَجْرِ إِلَى أنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، لا شَمْسَ فِيها ولا قَمَرَ، فهي كذا مُنِيرةٌ، وليس فيها حَرٌّ يُؤْذِي ولا بَرْدٌ يُؤْذِي، وَأَنْهارُها مُنْسَـكِبةٌ تَجْرِي في غَيْرِ أُخْدُودٍ[2]، والعين مؤنثة على الصحيح، وقد حُكِيَ تذكيرُها[3] كما قال الشاعر:

٥١٠ ـ والعَيْـنُ بِالإثْمِـدِ الحـارِيِّ مَكْحُولُ[4]

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو وَرُوَيْسٌ، وابنُ مُحَيْصِنٍ في أحد وَجْهَيْهِ، والحَسَنُ واليَزِيدِيُّ وعيسى ابنُ عمـر: «يُسْمَعُ» بالياء مبنيًّا للمفعول «لاغِيةٌ» بالرفع، وقرأ نافعٌ، وأبو عمرو في روايةٍ عنه، وابنُ كثيرٍ في روايـة شبلٍ عنه، وابنُ مُحَيْصِنٍ في وجهه الثانِي، والأعرجُ: «تُسْمَعُ» بالتاء مبنيًا للمفعول «لاغيةٌ»، وقرأ الباقون، وخارجةُ عن نافع: «تَسْمَعُ»، ينظر: السبعة ص ٦٨١-٦٨٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٣، البحر المحيط ٨/ ٤٥٨، الإتحاف ٢/ ٦٠٦.

(٢) ينظر قول ابن عباس في شفاء الصدور ورقة ٢٣٤/ أ، الدر المنثور ١/ ٣٧.

(٣) هـذا مـا ذكره النحاس، ثم قال بعد أن أنشـد البيـت: «ولا يَعْرِفُ الأصمعيُّ فـي العَيْنِ إلا التأنيـثَ. قال أبو جعفر: وهو الصحيـح، وفي هذا البيت قولان، قال محمد بن يزيد: ما لَمْ يَكُـنْ فيه علامـة التأنيث، وكان غَيْرَ حَقِيقِيِّ التأنيثِ فَلَكَ تَذْكِيـرُهُ نحو: هذه نار، وذاك دار، وأما الأصمعي فقال: مَكْحُولٌ للحاجب؛ لأنه تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ». إعراب القرآن ٥/ ٢١٢-٢١٣، وقد أجاز سـيبويه تذكيره في ضرورة الشـعر، وَشَبَّهَهُ بقولهم: مَوْعِظَةٌ جاءَنا، وأنشد البيت: والعين بالإثمد... ينظر: الكتاب ٢/ ٤٥-٤٦، ولَمْ يذكر أبو حاتم السجستانِيُّ والمبرد في العين غير تأنيثها، ينظر: المذكر والمؤنث للسجسـتانِي ص ١٠٨-١١٠، المذكر والمؤنث للمبرد ص ٨٧، وقال ابن التسـتري فيما يذكر ويؤنث والمعنى فيه مختلف: «العين مؤنثة، فمذكرها: أعْيانُ الرَّجُلِ». المذكر والمؤنث ص ٥٥-٥٦.

(٤) هذا عجز بيت من البسيط، لِطُفَيْلٍ الغَنَوِيِّ، وصدره:

إِذْ هِيَ أَحْوَى مِنَ الرِّبْعِيِّ حاجِبُهُ =

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾ قال ابن عباس: ألواحها من ذَهَبٍ، مُكَلَّلةٌ بِالزَّبَرْجَدِ والدُّرِّ والياقُوتِ، مُرْتَفِعةٌ ما لَمْ يَجِئْ أَهْلُها، فإذا أراد أن يَجْلِسَ عليها تَواضَعَتْ له حَتَّى يَجْلِسَ عليها، ثُمَّ تَرْتَفِعُ إلَى مَواضِعِها[1].

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾﴾؛ أي: أَقْداحٌ لا عُرَى لَها ولا آذانَ، موضوعةٌ عندهم مصفوفةٌ لَهُمْ، إذا شاؤوا أخذوها ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ قد صُفَّ بَعْضُها إلَى بَعْضٍ، والنَّمارِقُ: الوَسائِدُ والمَرافِقُ، واحدتها: نُمْرُقةٌ ـ بضم النون ـ، وَرَوَى الفَرّاءُ سَماعًا عن العرب: نِمْرِقةٌ بكسر النون والراء[2]، قال الشاعر:

٥١١ ـ كُهُولٌ وَشُبّانٌ حِسانٌ وُجُوهُهُمْ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفةٍ وَنَمارِقِ[3]

= اللغة: إِذْ هِيَ: يَعْنِي: هَذِهِ المَرْأَةَ، شَبَّهَها بِالظَّبْيِ، الحُوَّةُ: حُمْرةٌ تَضْرِبُ إلَى السَّوادِ، الرِّبْعِيُّ: ما نَتَجَ فِي الرَّبِيعِ، الإِثْمِدُ: الكُحْلُ، الحارِيُّ: المَنْسُوبُ إلَى الحِيرةِ، وَهُوَ نَسَبٌ عَلَى غَيْرِ القِياسِ، وَهُوَ حِيرِيٌّ.

التخريج: ديوانه ص ٧٥، الكتاب ٢/ ٤٦، معانِي القرآن للفراء ١/ ١٢٧، المذكر والمؤنث للفراء ص ٧٢، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢١٣، شرح أبيات سيبويه ١/ ١٢٩، إعراب القراءات السبع ١/ ٧٨، سر صناعة الإعراب ص ٦٦٩، المنصف ٣/ ٨٥، شرح شواهد الإيضاح ص ٣٤٢، الإنصاف ص ٧٧٥، شرح المفصل ١٠/ ١٨، اللسان: صرخد، هجج، ارتشاف الضرب ص ١١١٣.

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٤٧٥، مجمع البيان ١٠/ ٣٣٧ ـ زاد المسير ٩/ ٩٨، تفسير القرطبي ١٧/ ٦٥.

(٢) قال الفراء: «وسَمِعْتُ بَعْضَ كَلْبٍ يقول: نِمْرِقةٌ بكسر النون والراء». معانِي القرآن ٣/ ٢٥٨.

(٣) البيت من الطويل، لِزُهَيْرِ بنِ أَبِي سُلْمَى، وَلَمْ أَقِفْ عليه في ديوانه.

التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ١٨٩، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٤، البحر المحيط ٨/ ٤٥٧، الدر المصون ٦/ ٥١٤، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٢٩٩، فتح القدير ٥/ ٤٣٠.

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ۝١٦﴾ يعني: مبسوطة، وقيل[١]: مُفَرَّقَةٌ فِي المَجالِسِ، والزَّرابِيُّ: البُسُطُ والطَّنافِسُ، واحدها زَرْبِيٌّ وَزَرْبِيَّةٌ[٢].

فصل

[٣١٢/ أ] عن عَلِيٍّ بن أبي طالبٍ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ أنه ذَكَرَ أهل / الجنة، فقال: «يَجِيئُونَ فَيَدْخُلُونَ، فإذا أساسُ بُيُوتِهِمْ مِنْ جَنْدَلِ اللُّؤْلُؤِ، وَسُرُرٌ مَرْفُوعةٌ، وَأَكْوابٌ مَوْضُوعةٌ، وَنَمارِقُ مَصْفُوفةٌ، وَزَرابِيُّ مَبْثُوثةٌ، فلولا أن الله قَدَّرَها لَهُمْ لَالْتُمِعَتْ أَبْصارُهُمْ[٣] بِما يَرَوْنَ، فَيُعانِقُونَ الأزْواجَ، وَيَقْعُدُونَ على السُّرُرِ، فيقولون: الحَمْدُ للهِ الذِي هَدانا لِهَذا»[٤].

قال قتادةُ[٥]: لَمّا نَعَتَ اللهُ ما في الجنة عَجِبَ مِنْ ذلك أَهْلُ الضَّلَالَةِ، فأنزل الله تعالَى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧﴾ الألفُ أَلِفُ التوبيخ في لفظ الاستفهام، سُئِلَ الحَسَنُ عن هذه الآية، وقيل له: الفِيلُ أَعْظَمُ في الأُعْجُوبةِ؟ فقال[٦]: أمّا الفِيلُ فالعرب بعيدةُ العَهْدِ بها، ثم هي خِنْزِيرٌ، لا يُرْكَبُ ظَهْرُها، ولا يُؤْكَلُ لَحْمُها، ولا يُحْلَبُ دَرُّها، والإبل مِنْ أَعَزِّ مالِ العَرَبِ

(١) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٥٢٥، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٧، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٧٥.

(٢) قاله أبو عبيدة وابنُ قتيبة وثعلبٌ وغيرهم، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٦، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٥، مجالس ثعلب ص ١٩٧، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٨، الوسيط ٤/ ٤٧٥.

(٣) لَالْتُمِعَتْ أبصارُهُمْ: لَذَهَبَتْ. اللسان: لمع.

(٤) ينظر: جامع البيان ٨/ ٢٤٢، ٢٤/ ٤٦، الوسيط ٤/ ٤٧٥، مجمع البيان ١٠/ ٣٣٨.

(٥) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٦، إعراب القرآن ٥/ ٢١٣-٢١٤، الوسيط ٤/ ٤٧٦.

(٦) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ١٨٩، الوسيط ٤/ ٤٧٦، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٥.

وَأنْفَسِهِ، تَأْكُلُ النَّوَى والقَتَّ، وَتُخْرِجُ اللَّبَنَ، ويأخذ الصَّبِيُّ بِزِمامِها ويذهب بِها حيث شاءَ، مع عِظَمِها فِي نفسها.

وَيُحْكَى أن فَـأْرةً أَخَذَتْ بِزمامِ ناقةٍ، فَجَعَلَتْ تَجُـرُّهُ، وهي تَتْبَعُها حتى بلغـت الجُحْرَ، فَجَرَّت الزِّمامَ فَبَرَكَـت النّاقةُ، فَجَرَّت الفَـأْرةُ الزِّمامَ، فَقَرَّبَت الناقةُ فَمَها مِنْ جُحْرِ الفَأْرةِ[١]، فسبحان الذي قَدَّرَها وَسَخَّرَها، وقيل[٢]: الإبل هاهنا: السَّحابُ، قال الثعلبي ـ رحمه الله ـ[٣]: وَلَمْ أجِدْ لذلك أصلًا في كتب الأئمة.

قوله: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ١٨﴾ يعني: عن الأرض بغير عَمَدٍ حتى لا يَنالُها شَـيْءٌ ﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ١٩﴾ على الأرض مُرْساةً عليها لا تزول ﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ٢٠﴾ يعني: بُسِطَتْ، والسَّطْحُ: بَسْطُ الشَّيْءِ، ويقال لِظَهْرِ البَيْتِ إذا كان مُسْتَوِيًا: سَطْحٌ[٤].

قـال أنـسُ بن مالك: صَلَّيْتُ خَلْفَ عَلِيِّ بنِ أَبِـي طالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ، فقـرأ: ﴿أفَلا يَنْظُرُونَ إلَى الإبِلِ كَيْفَ خَلَقْتُ﴾، وكذلك ﴿رَفَعْتُ﴾ و﴿نَصبْتُ﴾

---

(١) هـذه الحكاية حكاها الثعلبي عن أبي القاسـم بن حبيب عن بعض التفاسـير في الكشـف والبيـان ١٠/ ١٨٩، وينظر: الوسـيط ٤/ ٤٧٦، المحرر الوجيـز ٥/ ٤٧٤، عين المعاني ورقة ١٤٤/ ب.

(٢) قالـه أبو عمرو بن العلاء، قال ابن خالويه: «من جعله السـحابَ قـرأ: «إِلَى الإبِلِّ». إعراب ثلاثين سـورة ص ٧٠، يعني بتشديد اللام، وحكاه ابن عطية عن المبرد في المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٤، وينظر: زاد المسير ٩/ ٩٩، اللسان: أبل.

(٣) الكشف والبيان ١٠/ ١٩٠.

(٤) حكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ٤/ ٢٧٨، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤٧٦.

و﴿سَطَحْتُ﴾ برفع التاء.[١]، وقرأ الحسن: ﴿سُطِّحَتْ﴾ بالتشديد[٢]، وقرأ الباقون بالتخفيف على الفعل المَجْهُولِ، ومعنى الآية: هَلْ يَقْدِرُ أحَدٌ أن يَخْلُقَ مِثْلَ الإبل، أو يَرْفَعَ مِثْلَ السماء، أو يَنْصِبَ مِثْلَ الجِبالِ، أو يَسْطَحَ مِثْلَ الأرض غَيْرِي؟ وهل يفعل مِثْلَ هذا الفِعْلِ أحَدٌ سِوايَ؟

﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ يعني: ذَكِّرْ يا محمد عِبادِي حُجَجِي وآياتِي، ليس عليك إلا التذكير والموعظة، وبذلك أُمِرْتَ، وَلِذَلِكَ بُعِثْتَ ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾﴾ أي: بِجَبّارٍ ولا مُتَسَلِّطٍ[٣]، وقيل[٤]: معناه: لَسْتَ تَرُدُّهُمْ إلَى الإيمان، وَتُكْرِهُهُمْ على الإسلام، ثم نَسَخَتْها آيةُ القتال[٥].

قرأ هشام: ﴿بِمُسَيْطِرٍ﴾ بالسين، وقرأ هارُونُ: ﴿بِمُسَيْطَرٍ﴾ بالسين أيضًا وفتح الطاء، وهي لغة تميم[٦]، وقرأ حمزة بإشمام الصاد زايًا، وقرأ الباقون بالصاد الخالصة[٧]، وأصله السين، مشتق من السَّطْرِ؛ لأن معنى السَّطْرِ: هو

---

(١) قول أنس رواه الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ١٩٠، وهذه أيضًا، قراءة أبي حَيْوةَ وابنِ أبِي عَبْلةَ ومحمد بن السَّمَيْفَع وَأبِي العالية، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٦، البحر المحيط ٨/ ٤٥٩.

(٢) هذه قراءة الحَسَنِ وهارونَ الرشيدِ وأبي حَيْوةَ وأبي رجاء، ينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٦، البحر المحيط ٨/ ٤٥٩.

(٣) قاله ابن عباس ومجاهد، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٥٤، جامع البيان٣٠/ ٢٠٧، إعراب القرآن ٥/ ٢١٤.

(٤) قاله ابن زيد، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٠٧، إعراب القرآن ٥/ ٢١٤.

(٥) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٠٧، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٧٧، نواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٥٢، الناسخ والمنسوخ لابن حزم ص ١٨، ٦٥.

(٦) ذكر الثعلبي ذلك في الكشف والبيان ١٠/ ١٩٠، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧.

(٧) ينظر في هذه القراءات: السبعة ص ٦٨٢، البحر المحيط ٨/ ٤٥٩، الإتحاف ٢/ ٦٠٦.

الذي لا يَخْرُجُ عن الشيء، قد مُنِعَ من ذلك، ويقال: تَسَيْطَرَ: إذا تَسَلَّطَ، ثم أُبْدِلَ مِنَ السِّينِ صادٌ لأن بعدها طاءً[١].

قيل: هذه الآية منسوخة بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[٢]، وقيل: / ليست بمنسوخة[٣].

وقوله: ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾ ﴿مَن﴾ في موضع نصب على الاستثناء المنقطع عما قبله، معناه: لكنْ مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ؛ أي: أَعْرَضَ عن الإيمان، وكَفَرَ بعد التذكير بالقرآن ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾﴾ وهو أن يُدْخِلَهُ النّارَ، ولا عذاب أعظم منها.

وإنما قال: ﴿ٱلْأَكْبَرَ﴾؛ لأنهم عُذِّبُوا في الدنيا بالجوع والقحط والأسْرِ، ودليل هذا التأويل قراءة ابن مسعود: ﴿إلّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ. فَإِنَّهُ يُعَذِّبُهُ اللهُ العَذابَ الأكْبَرَ﴾[٤].

ثم ذكر أن مرجعهم إليه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾ يعني: مرجعهم ومصيرهم ومعادهم إلينا بعد الموت، يقال: آبَ يَئُوبُ أَوْبًا وَإِيابًا، والأصل: إِيْوابٌ، فَأُدغمت الياء فِي الواو، وانقلبت الواو إِلَى الياء[٥].

---

(١) من أول قوله: «وأصله السين، مشتق من السطر» قاله النحاس بنصه في إعراب القرآن ٥/ ٢١٤، وقال الزجاج قريبًا منه في معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٦٦، وحكاه الأزهري عن الزجاج في تهذيب اللغة ١٢/ ٣٢٨.

(٢) التوبة ٥.

(٣) القولان ذكرهما النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢١٥، وينظر: نواسخ القرآن ص ٢٥٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧.

(٤) ينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٧.

(٥) قاله الزجاج والنقاش، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٩، شفاء الصدور ورقة ٢٣٥/ أ، وحكاه الأزهري عن الزجاج في تهذيب اللغة ١٥/ ٦٠٩.

وقرأ أبو جعفر بتشـديد اليـاء[١]، قال أبو حاتم[٢]: وهـذا لا يجوز، ولو جاز لجاز في الصيام والقيام، وهو شاذٌّ لَمْ يُجِزْهُ أَحَدٌ غَيْرُ الزَّجّاجِ، فإنه قال[٣]: يُقالُ: أَيَّبَ إيّابًا على: فَيْعَلَ فِيعالًا.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ يعني: جزاؤهم بعد المرجع بأعمالهم خيرها وشـرها على الله ـ عزّ وجلّ ـ، قال قتـادة[٤]: إلَى الله الإياب، وعلى الله الحساب، والله أعلم بالصواب.

* * *

---

(١) قرأ أبو جعفر وشيبةُ: «إيّابَهُمْ» بتشديد الياء، ينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨، البحر المحيط ٨/ ٤٦٠.

(٢) ينظر قوله في المحتسب ٢/ ٣٥٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨.

(٣) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣١٩.

وقـد أجاز ابنُ خالَوَيْـهِ أن يكون الإيّابُ بالتشـديد مصدرَ أَوَّبَ، فقال: «ولـه عندي وَجْهٌ، تجعلـه مصدر أَوَّبَ إيّابًا، كما قالوا: أَرَّقَ إرّاقًا». إعراب القراءات السـبع ٢/ ٤٧١-٤٧٢، ولكنه في إعراب ثلاثين سـورة ص ٧٣ جعله مصدر أَيَّبَ، مثل: كَذَّبَ كِذّابًا، وينظر أيضًا: التبيان للعكبري ص ١٢٨٤، اللسان: أوب، التاج: أوب.

(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٠٩.

سورة الفجر
مكِّية وقيل: مدنيّة

وهي خمسمائة وسبعة وتسعون حرفًا، ومائة وسبع وثلاثون كلمةً، وثلاثون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ فِي اللَّيالِي العَشْرِ مِنْ ذِي الحِجّةِ غُفِرَ له، وَمَنْ قَرَأها فِي سائِرِ الأيّامِ كانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ القِيامةِ»[1]، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الفَجْرِ أَتَتْ تَمْشِي ذُنُوبُهُ وَهُمُومُهُ وَكُرُوبُهُ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ أقسم الله تعالى بِفَجْرِ النهار، وهو

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٩١، الوسيط ٤/ ٤٧٨، الكشاف ٤/ ٢٥٤، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٤١.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

انْفِجارُ الصُّبْحِ كُلَّ يَوْمٍ إذا انْفَجَرَ ضَوْؤُهُ، قال النَّقّاشُ[١]: وَيُسَمَّى الفَجْرُ فَجْرًا؛ لأنه مأخوذ من انفجار الجُرْحِ، وقيل[٢]: أراد بالفجر هاهنا فَجْرَ أَوَّلِ يَوْمٍ من المُحَرَّمِ؛ لأن منه تَنْفَجِرُ السَّنَةُ، وقيل[٣]: هو فَجْرُ ذِي الحِجّةِ؛ لأن الله تعالى قَرَنَ الأَيّامَ بِها فقال: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ وهي عَشْرُ ذِي الحِجّةِ فِي قول أكثر المفسرين، والأصل فيها: لَيالِيَ، ولو جاءت على الأصل لَقُلْتَ: وَلَيالِيَ يا هذا لأنه لا ينصرف[٤].

قوله: ﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣﴾ يعني بالشفع يومَ النَّحْرِ، وَبِالوَتْرِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وهذا قول ابن عباس[٥]، وقيل[٦]: الشَّفْعُ: صَلاةُ الغَداةِ والوَتْرُ: صَلاةُ المَغْرِبِ، وقيل[٧]: الشَّفْعُ: آدَمُ وَحَوّاءُ والوَتْرُ: اللهُ ـ سبحانه ـ، وقيل[٨]: الشَّفْعُ: كُلُّ زَوْجٍ والوَتْرُ: / اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ. [٣١٣/ أ]

---

(١) شفاء الصدور ورقة ٢٣٥/ أ.

(٢) قاله ابن عباس وقتادة، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢١٧، الكشف والبيان ١٠/ ١٩١، الوسيط ٤/ ٤٧٨، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦، زاد المسير ٩/ ١٠٣، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٣٨.

(٣) قاله الضحاك، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٩١، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٦، زاد المسير ٩/ ١٠٣.

(٤) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢١٧.

(٥) ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٥٥، جامع البيان ٣٠/ ٢١٢-٢١٣، شفاء الصدور ورقة ٢٣٥/ ب، زاد المسير ٩/ ١٠٤.

(٦) قاله ابن عباس وعطية العَوْفِيُّ، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٩٣، زاد المسير ٩/ ١٠٦.

(٧) قاله ابن عباس وعطاء ومقاتل، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٥٩، شفاء الصدور ورقة ٢٣٦/ ب، زاد المسير ٩/ ١٠٧، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٠.

(٨) قاله مجاهد ومسروق والحسن وأبو صالح، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٥٥، جامع البيان ٣٠/ ٢١٤، شفاء الصدور ورقة ٢٣٦/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٣، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٤١، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٠.

وَرَوَى عِمْـرانُ بـنُ الحُصَيْنِ[١] عـن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: «هِـيَ الصَّلَواتُ الخَمْسُ، فِيها شَـفْعٌ وَوَتْرٌ»[٢]، وقيل[٣]: الشَّـفْعُ: أبْوابُ الجَنّـةِ والوَتْرُ أبْوابُ النّارِ، وفيه أقاويلُ كثيرةٌ يطول شرحها هاهنا.

ومعنى الشَّـفْعِ فـي اللغة اثنانِ، والوَتْـرُ واحِدٌ[٤]، قرأ أبو جعفر وَشَـيْبةُ ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: «الوَتْرِ» بفتح الواو، وقرأ يحيى بن وَثّابٍ والأعمشُ والحسنُ وَحَمْزةُ والكِسائِيُّ بكسر الواو[٥]، وهما لُغَتانِ حَسَنَتانِ.

قوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ۝٤﴾ يعني: إذا سارَ وَذَهَبَ، وقيل: إذا جاء وأقبل، واختلف القُـرّاءُ فِي قوله: ﴿يَسۡرِ﴾، فقرأ أهلُ المدينة وأبو عمرو وعيسـى بنُ عُمَـرَ بالياء فـي الوصل، وَرُوِيَ ذلك عن الكسـائيِّ، وقرأ ابـنُ عامر وعاصمٌ وَحَمْزةُ بحذف الياء في الوصل والوقف إتْباعًا لِلْخَطِّ، وقرأ ابن كثير ويعقوبُ بالياء في الحالَيْنِ على الأصل[٦].

---

(١) عِمْرانُ بنُ حُصَيْنِ بن عُبَيْدٍ، أبو نُجَيْدٍ الخُزاعِيُّ، من علماء الصحابة، أسلم عام خَيْبَرَ، وكانت معه رايةُ خُزاعةَ يوم فتح مكة، بعثه عُمَرُ إلَى أهل البصرة ليفقههم، وَوَلّاهُ زِيادٌ قَضاءَها، وكان ممن اعتزل حرب صِفِّينَ، توفي بالبصرة سنة ٥٢هـ. [أسـد الغابـة ٤/ ١٣٧، ١٣٨، الإصابة ٤/ ٥٨٤-٥٨٦، الأعلام ٥/ ٧٠].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسـند ٤/ ٤٣٨، ٤٤٢، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٨/ ٢٣٢، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٣٥/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٢.

(٣) قاله الحسن بن الفضل، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٩٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٧٧، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤١.

(٤) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٥٢٦، وحكاه الأزهري عن الليث في التهذيب ١/ ٤٣٧.

(٥) قـرأ بكسـر الواو أيضًا: ابنُ عباس وابنُ مسـعود وَخَلَفٌ وَقَتادةُ وأبـو رجاء وطلحةُ، ينظر: معانِي القراءات للأزهري ٣/ ١٤٢، تفسـير القرطبي ٢٠/ ٤١، البحر المحيط ٨/ ٤٦٣، الإتحاف ٢/ ٦٠٨.

(٦) ينظـر في هذه القراءات: السـبعة ٦٨٣-٦٨٤، تفسـير القرطبـي ٢٠/ ٤٢، البحر المحيط ٨/ ٤٦٣، الإتحاف ٢/ ٦٠٧.

قال الزَّجّاجُ[١]: والحذف أحَبُّ إلَيَّ لأنها فاصلةٌ، والفواصل تُحْذَفُ منها الياءاتُ وَتَدُلُّ عليها الكَسَراتُ.

وقال صاحب «إنسان العين» في معنى ﴿يَسْرِ﴾[٢]؛ أي: يُسْرَى فيه، فلما عُدِلَ سَقَطَتْ ياؤُهُ كَبَغِيٍّ من باغِيةٍ، قال: وقد تُحْذَفُ الياءُ بلا عِلّةٍ، كما قال الشاعر:

٥١٢ ـ كَفّاكَ كَفٌّ ما تُلِيقُ دِرْهَمًا   جُودًا وَأُخْرَى تُعْطِ بِالسَّيْفِ الدَّما[٣]

أي: تُعْطِي.

وكذلك ذكره الثَّعْلَبِيُّ[٤] عن أكثر أهل المعانِي أنهم قالوا: المعنى: يُسْرَى فِيهِ كقولهم: لَيْلٌ نائِمٌ، وَنَهارٌ صائِمٌ، وَسِرٌّ كاتِمٌ.

قال الفَرّاءُ[٥]: وقد تَحْذِفُ العَرَبُ الياءَ، وَتَكْتَفِي بِكَسْرِ ما قَبْلَها، وأنشد

---

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢١، باختلاف يسير في ألفاظه.

(٢) قاله في عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب، غير أنه لَمْ يذكر البيت.

(٣) البيت من الرجز التام، لِلْحُصَيْنِ بنِ الحِمامِ، ومعنى «ما تُلِيقُ»: ما تُمْسِكُ.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٢٧، ١١٨، ٣/ ٢٦٠، إيضاح الوقف والابتداء ص ٢٦٤، الزاهر لابن الأنباري ٢/ ٨٠، شرح كتاب سيبويه للسيرافِيِّ ٢/ ١٦٣ إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٣٠٢، إعراب ثلاثين سورة ص ٢٣١، الخصائص ٣/ ٩٠، ١٣٣، سر صناعة الإعراب ص ٥١٩، ٧٧٢، المنصف ٢/ ٧٤، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٥، أمالِيُّ ابن الشجري ٢/ ٢٨٩، الإنصاف ص ٣٨٧، زاد المسير ٤/ ١٥٨، التذكرة الحمدونية ٧/ ٢٧٢، أساس البلاغة: ليق، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ٢/ ٥٨، شرح المفصل لابن يعيش ٤/ ١٥٣، ٥/ ٨٤، اللسان: ليق، التاج: ليق.

(٤) الكشف والبيان ١٠/ ١٩٤.

(٥) معانِي القرآن ٣/ ٢٦٠.

البيتَ المذكورَ. وقال الخليلُ بنُ أحمد[١]: إسقاط الياء منه وِفاقًا لِرُؤوسِ الآيِ.

وقال المُؤَرِّجُ[٢]: سألتُ الأخفش عن العلة في سقوط الياء من ﴿يَسۡرِ﴾، فقال: لا أُجِيبُكَ ما لَمْ تَبِتْ عَلَى بابِ دارِي سَنةً، قال: فَبِتُّ عَلَى بابِ دارِهِ سَنةً، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فقال: اللَّيْلُ لا يَسْرِي، وَإِنَّما يُسْرَى فِيهِ، وهو مصروف، فلما صَرَفَهُ بَخَسَهُ حَظَّهُ من الإعراب، ألا تَرَى إِلَى قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾[٣] وَلَمْ يَقُلْ: بَغِيّةً؛ لأنه صرفه عن باغية.

قوله: ﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ﴾؛ أي: فيما ذُكِرَ ﴿قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥﴾ أي: مَقْنَعٌ وَمُكْتَفًى في القَسَمِ لِذِي عَقْلٍ وَلُبٍّ، سُمِّيَ بذلك؛ لأنه يَحْجُرُ صاحِبَهُ عَمّا لا يَحِلُّ له أي: يَمْنَعُهُ، ولهذا سُمِّيَ حِجْرُ البَيْتِ حِجْرًا لأنه يَمْنَعُ من الطواف فيه، وأصل الحَجْرِ: المَنْعُ، ومنه قولهم: حَجَرَ الحاكِمُ على فلانٍ: إذا مَنَعَهُ من التصرف بِمالِهِ[٤].

قوله: ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾؛ أي: أَلَمْ تُخْبَرْ ﴿كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦ إِرَمَ﴾ اختلف

---

(١) قال الخليل: «العَرَب ربَّما حَذَفوا الياء من قولِهم: «لا أدْرِ» في موضع «لا أدْرِي»، يكتفون بالكسرة فيها كقوله الله عزّ وجلّ ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، والأصل يَسْرِي». العين ٨/ ٥٨-٥٩، وقال سيبويه: «وجميع ما لا يُحذف في الكلام، وما يُختار فيه ألَّا يُحذف، يُحذف في الفواصل والقوافِي، فالفواصل قول الله تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾، و﴿مَا كُنَّا نَبۡغِ﴾، و﴿يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾، و﴿ٱلۡكَبِيرُ ٱلۡمُتَعَالِ﴾. الكتاب ٤/ ١٨٤، ١٨٥.

(٢) ينظر قول المُؤَرِّج في الكشف والبيان ١٠/ ١٩٥، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣، الوافِي بالوفيات ١٥/ ٢٦٠ في ترجمة الأخفش سعيد بن مسعدة.

(٣) مريم ٢٨.

(٤) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ١٩٥، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٣.

العلماء في معنى ﴿إِرَمَ﴾، فمنهم من قال[١]: إِرَمُ ذاتُ العِمادِ: دِمَشْقُ، وقيل[٢]: هي الإسكندرية، وقيل[٣]: / هي قبيلة من قوم عاد، كان فيهم المُلْكُ، وكان عادٌ أباهُمْ، فَنَسَبَهُمْ إليه، وقال محمد بن إسحاق[٤]: إِرَمُ هو جَدُّ عادٍ بنِ عَوْصِ ابنِ إِرَمَ بنِ سامِ بنِ نُوحٍ عليه السّلام، وقيل[٥]: إِرَمُ أَبُو عادٍ، وهو عادُ بنُ إِرَمَ ابنِ سامِ بن نُوحٍ عليه السّلام. [٣١٣/ ب]

و﴿إِرَمَ﴾ في موضع خفض على النعت لـ«عادٍ»، أو على البدل، لكنه لا ينصرف، ومعنى ﴿إِرَمَ﴾ القديمة، وَمَنْ جَعَلَ ﴿إِرَمَ﴾ مدينةً قَدَّرَ في الكلام حَذْفًا، تقديره: بِمَدِينةِ عادٍ إِرَمَ، وقيل: تقديره: بِعادٍ صاحِبةِ إِرَمَ، وإرَم معرفة مؤنثة على هذا القول، فلذلك لَمْ يَنْصَرِفْ.

وانصرف عادٌ لأنه مذكر خفيف وهو اسم لِلْحَيِّ[٦]، وقرأه الضَّحّاكُ:

---

(١) قاله سعيد بن المسيب ومالك بن أنس وسعيد المَقْبُرِيُّ وخالد الرَّبَعِيُّ، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢١٩، إعراب القرآن ٥/ ٢٢٠-٢٢١، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٦، زاد المسير ٩/ ١١٠.

(٢) قاله محمد بن كعب القُرَظِيُّ، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢١٩، إعراب القرآن ٥/ ٢٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٦، زاد المسير ٩/ ١١٠، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٤٢، مجمع البيان ١٠/ ٣٤٩.

(٣) قاله قتادة ومقاتل، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢١٩، ٢٢٠، إعراب القرآن ٥/ ٢٢١، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٦، عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب، مجمع البيان ١٠/ ٣٤٩.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٤، وينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٦، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٨١.

(٥) حكاه الفراء عن الكلبي في معانِي القرآن ٣/ ٢٦٠، وذكره الزجاج بغير عزو في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٢، والقرطبي في تفسيره ٢٠/ ٤٥ عن محمد بن إسحاق.

(٦) هذه الفقرة من أول قوله: «وإرم في موضع خفض» نقلها المؤلف عن مَكِّيٍّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٣، ٤٧٤، وينظر: الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٦٨-٦٦٩.

«بِعـادَ»[١] بغير صَرْفٍ، جعله اسـمًا للقبيلة، قال صاحب «إنسـان العين»[٢]: و«أَرِمَ»[٣] بفتـح الألـف هو العَلَمُ؛ أي: أَصْحابِ العَلَـمِ؛ أي: أَصْحابِ أَعْلَامِ هَذِهِ المَدِينةِ، وَأَرَمَّ الشَّيْءُ: إذا بَلِيَ، من رَمَّ العَظْمُ: إذا بَلِيَ.

وقولـه: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧﴾ يعني الطِّـوال، يقال: رَجُلٌ مُعَمَّـدٌ: إذا كان طويلًا، وقيل: ذات البناء والحصون والأساطين[٤].

ثـم وَصَفَهُـمْ، فقـال: ﴿ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ ۝٨﴾ أي: لَـمْ يُخْلَقْ مِثْلُ تلـك القَبيلةِ في الطُّولِ والقُوّةِ، وهم الذيـن قالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾[٥]، ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾ أي: قَطَعُوا وَخَرَقُوا الصَّخْرَ يعني: الحَجَرَ، واحدتها صخرة ﴿بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ يعني: بِوادِي القُرَى، فاتَّخَذُوا فيها بُيُوتًا، كما قال تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ﴾[٦]، ومعنى ﴿جَابُوا۟﴾ أي: قَطَعُوا كما ذكرنا، مأخـوذ من: جُيِّبَ القَمِيصُ: إذا قُطِعَ له جَيْبٌ، والمِجْوَبُ: حَدِيدةٌ يُجابُ بِها؛ أي: يُقْطَعُ[٧].

وموضع «ثَمُودَ» خفض عطفا على «عادٍ»، ولم ينصرف؛ لأنه اسم للقبيلة

---

(١) وهذه قراءة الحَسَنِ أيضًا، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٤٦٤، الإتحاف ٢/ ٦٠٨.
(٢) قاله في عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب.
(٣) وقد قرأ بفتح الهمزة مجاهدٌ والضحاكُ وقتادةُ، ينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٤.
(٤) انتهى كلام صاحب إنسان العين، قاله في عين المعانِي ورقة ١٤٤/ ب.
(٥) فصلت ١٥.
(٦) الشعراء ١٤٩.
(٧) ينظـر: إصلاح المنطق ص ١٥٧، ٢٥٤، أدب الكاتـب ص ٦٢، الكامل للمبرد ١/ ١٩٨، ٣/ ١٢٦، الاشـتقاق لابن دريد ص ٣٩٦، تهذيـب اللغة ١١/ ٢١٨، الصحاح ١/ ١٠٤، اللسان: جوب.

وهـو معرفة، ومن صرفه جعله اسـمًا لِلْحَيِّ، ومن خفضـه بغير تنوين حذف التنوين لالْتِقاءِ السـاكنين، و﴿ٱلَّذِينَ﴾ في موضـع خفض على النعت، ويجوز أن يكون فـي موضع نصب بمعنى: أعْنِي، وفي موضع رفع بمعنى: هُم الذِينَ جابُوا الصَّخْرَ بِالوادِ[١].

و﴿جَابُوا۟﴾ من ذوات الواو، يقال: جابَ الشَّـيْءَ يَجُوبُهُ: إذا قَطَعَهُ وَدَخَلَ فيه، وحُذفت الياء من «الوادِ»؛ لأنها رأس آية، والكسرة تدل عليها[٢].

قوله: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾﴾ سُمِّي ذا الأوتاد؛ لأنه كان إذا غَضِب على أحَدٍ مَدَّهُ على الأرض، وَأوْتَدَ يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ وَرَأْسَهُ على الأرض، وَسَلَّطَ / عليه الحَيّاتِ والعَقارِبَ حتى يَمُوتَ[٣]. [٣١٤/ أ]

وقيـل[٤]: معنـاه: ذِي الجُنُـودِ الكَثِيرةِ المُحْتاجـةِ لِضَـرْبِ الأوْتادِ في أسـفارها، ومحله خفض عطف على ما قبله، ولَمْ ينصرف لأنه اسم أعجمي، و﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾ من نعته.

ثـم جمـع عـادًا وثَمُـودَ وفِرْعَـوْنَ وَوَصَفَهُـمْ، فقـال: ﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿١١﴾﴾ يعنـي: طَغَوْا فيها بالمعاصي والقتل، فقتلوا عباد الله، وعبدوا غير الله تعالى ﴿فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴿١٢﴾﴾ يعني: في البلاد ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ

---

(١) هذه الفقرة من أول قوله: «وموضع ثمود خفض» نقلها المؤلف بنصها عن النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢١، وينظر: إعراب ثلاثين سورة ص ٧٧، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٤.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢١-٢٢٢.

(٣) قاله مجاهد، ينظر: جامع البيان ٢٣/ ١٥٦، ٣٠/ ٢٢٤، الكشف والبيان ١٠/ ١٩٨، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٤٣، مجمع البيان ١٠/ ٣٥١، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٨.

(٤) قاله ابن عباس والنحاس، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٢٤، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٢٢، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٤٣، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٥١.

عَذَابٍ ﴿١٣﴾ يعني: لَوْنًا من العذاب، والسَّوْطُ: اللَّوْنُ، والعرب تقول لكل لَوْنٍ من العذاب: سَوْطُ عَذابٍ[١]، وقيل[٢]: معناه: قِطْعَةَ عَذابٍ. قال أهل المعانِي[٣]: وهذا على الاستعارة؛ لأن السَّوْطَ عندهم غايةُ العَذابِ، فَجَرَى ذلك لِكُلِّ عَذابٍ، قال الشاعر:

٥١٣ - أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ أَظْهَرَ دِينَهُ وَصَبَّ عَلَى الكُفّارِ سَوْطَ عَذابِ؟[٤]

قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ أي: عليه طَرِيقُ العِبادِ لا يَفُوتُهُ أَحَدٌ، والمِرْصادُ والمَرْصَدُ: الطريق، وجمعه مَراصِدُ[٥]، وهذه الآية جواب القسم، وقد اعْتَرَضَ بَيْنَ القَسَمِ وَجَوابِهِ قولُهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾.

---

(١) قال الفراء: «هذه كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب تُدْخِلُ فيه السَّوْطَ، جرى به الكلامُ والمَثَلُ». معانِي القرآن ٣/ ٢٦١، وقال مِثْلَهُ النَّقّاشُ في شفاء الصدور ورقة ٢٣٧/ ب، وحكاه الأزهري عن الفراء في تهذيب اللغة ١٣/ ٢٤.

(٢) قاله أبو عمر الزاهد في ياقوتة الصراط ص ٥٧٥.

(٣) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٦١، وحكاه الأزهري عنه في تهذيب اللغة ١٣/ ٢٤، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ١٩٩، ثمار القلوب للثعالبي ص ٦٧٩، وقال الزمخشري: «ومن المجاز: صَبَّ عليهم سَوْطَ عَذابٍ، وَساقَ الأُمُورَ بِسَوْطٍ واحِدٍ، وهما يَتَعاطَيانِ سَوْطًا واحدًا: إذا اتَّفَقا على نَجْرٍ واحِدٍ وَخُلُقٍ واحِدٍ». أساس البلاغة: سوط.

(٤) البيت من الطويل، لأَوْسِ بن بُجَيْرٍ الطّائِيِّ يخاطب أبا بكر الصديق بعد أن شارك في وَقْعةِ بُزاخةَ، وَيُرْوَى:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ يَصُبُّ عَلَى الكُفّارِ سَوْطَ عَذابِ؟

وَنُسِبَ لِعُمَيْرِ بن بُجْرةَ برواية أخرى، وهي:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يَوْمَ بُزاخةٍ أحالَ عَلَى الكُفّارِ سَوْطَ عَذابِ؟

التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٠، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٤٩، الإصابة ١/ ٣٥٧، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٢٢، فتح القدير ٥/ ٤٣٦.

(٥) قاله ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة ص ٧٩، وينظر: تهذيب اللغة ١٢/ ١٣٧.

فصل

رَوَى مِقْسَمٌ[١] عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ في هذه الآية قال: «إنَّ عَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ سَبْعَ مَحابِسَ، يُسْأَلُ العَبْدُ عِنْدَ أَوَّلِها عن شَهادةِ أنْ لا إله إلا اللهُ، فَإِنْ جاءَ بِها تامّةً جازَ إِلَى الثّانِي، فَيُسْأَلُ عن الصَّلاةِ، فَإِنْ جاءَ بِها تامّةً جازَ إِلَى الثّالِثِ، فَيُسْأَلُ عَنِ الزَّكاةِ، فَإِنْ جاءَ بِها تامّةً جازَ إِلَى الرّابِعِ، فَيُسْأَلُ عن الصَّوْمِ، فَإِنْ جاءَ بِهِ تامًّا جازَ إِلَى الخامِسِ، فَيُسْأَلُ عن الحَجِّ، فَإِنْ جاءَ بِهِ تامًّا جازَ إِلَى السّادِسِ، فَيُسْأَلُ عن العُمْرةِ، فَإِنْ جاءَ بِها تامّةً جازَ إِلَى السّابِعِ، فَيُسْأَلُ عن المَظالِمِ، فَإِنْ خَرَجَ مِنْها وَإِلَّا يُقالُ: انْظُرُوا لَهُ، فَإِنْ كانَ له تَطَوُّعٌ أَكْمَلَ به أعْمالَهُ، فَإِنْ فَرَغَ انْطُلِقَ بِهِ إِلَى الجَنّةِ»[٢].

قولـه تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ﴾ يعني: اخْتَبَرَهُ بِالغِنَى واليُسْرِ والنِّعْمةِ والتَّوْسِعةِ ﴿فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ أكْرَمَهُ بالمال، وَنَعَّمَهُ بما يُوَسِّعُ عليه من الأفضال ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾ فَضَّلَنِي بما أعْطانِي ﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾ بالفقر ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾؛ أي: ضَيَّقَهُ عليه، وَجَعَلَهُ على قَدْرِ بُلْغَتِهِ، ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ أذَلَّنِي بِالفَقْرِ، قرأ ابن عامر وأبو جعفر: «فَقَدَّرَ» بالتشديد[٣]، وقرأه

---

(١) هو مِقْسَمُ بن بُجْرةَ، أو نَجْدةَ بن حارثة بن قُنَيْرةَ الكِنْدِيُّ التُّجِيبِيُّ، أبو القاسم النَّخْعِيُّ، قيل: أسلم في حياة النبي ﷺ، وَبايَعَ مُعاذًا باليَمَنِ، وقيل: له صُحْبةٌ، وَشَهِدَ فَتْحَ مِصْرَ، وَرَوَى عن عَلِيٍّ وابنِ عَبّاسٍ، وتوفِّي سنة (١٠١هـ). [الإصابة ٦/ ١٦٢، تهذيب الكمال ٢٨/ ٤٦١-٤٦٣].

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٠، الوسيط ٤/ ٤٨٢، عين المعاني ورقة ١٤٥/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٠.

(٣) قرأ ابن عامر وأبو جعفر وعيسى بن عمر وخالد والحَسَنُ بخلاف عنه: ﴿فَقَدَّرَ﴾ بالتشديد، ينظر: البحر المحيط ٨/ ٤٦٥، الإتحاف ٢/ ٦٠٨.

العامـة بالتخفيف، وهما لغتان، وكان أبو عمرو يقول[١]: «قَدَرَ» بِمَعْنَى «قَتَرَ»، و«قَدَّرَ» هو أن يُعْطِيَهُ ما يَكْفِيهِ.

ثم رَدَّ الله على هذا الكافر، فقال: ﴿كَلَّا﴾ أي: لَيْسَ الأَمْرُ كما يَظُنُّ، أي: لَـمْ أَبْتَلِهِ بالغِنَـى لكرامته عَلَيَّ، وَلَمْ أَبْتَلِهِ / بالفَقْرِ لِهَوانِهِ، فإن الله يُوَسِّـعُ على الكافر لا لِكَرامَتِهِ، وَيُقَتِّرُ على المُؤْمِنِ لا لِهَوانِهِ، كما رَوَى عبدُ الله بن مسـعود ـ رضي الله عنه ـ قال: سَـمِعْتُ رسـولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ يُعْطِي الدُّنْيا مَنْ أَحَبَّ وَمَنْ لَا يُحِبُّ، وَلَا يُعْطِي الدِّينَ إلّا مَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أعْطاهُ اللهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ»[٢].

ثم أَخْبَرَ عن الكفـار، فقال: ﴿بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: لا تَبَرُّونَهُ، وَلاَ تُحْسِـنُونَ إِلَيْـهِ ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾﴾؛ أي: لا تأمرون بإطعامه، ومن قرأ: «تَحاضُّونَ» بألفٍ أراد: تَتَحاضُّونَ، فحذف التاء، والمعنى: لاَ يَحُـضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًـا ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ﴾ يعني الميراث ﴿أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾ يعني: شَـدِيدًا؛ أي: تَلُمُّونَ جَمِيعَهُ في الأكْلِ، يقال: لَمَمْتُ الشَّـيْءَ وَأَلْمَمْتُـهُ: إذا أتَيْتَ علـى آخِرِهِ[٣]، وأصل التُّراثِ: الـوِراثُ، فأبدلوا من الواو المضمومة تاءً.

---

(١) قول أبِي عمرو حكاه الأخفش عن بعضهم بغير عزو في معانِي القرآن ص ٥٣٧، والنقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٣٨/ أ، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥١، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٢٦.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسـند ١/ ٣٨٧، والحاكم في المسـتدرك ١/ ٣٣ كتاب الإيمان: باب «إن الله لا يعطي الإيمان إلا مَنْ يحب»، ٢/ ٤٤٧ كتاب التفسير: سورة الزخرف.

(٣) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٨، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٧، وينظر أيضًا: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٧٨، تهذيب اللغة ١٥/ ٣٤٤، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٣.

قوله: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ﴾ يعني جَمْعَ المالِ ﴿حُبًّا جَمًّا ۝٢٠﴾ يعني: كثيرًا شديدًا، يقال: جَمَّ الماءُ فِي الحَوْضِ: إذا كَثُرَ واجْتَمَعَ، ومنه: جَمّةُ السَّفِينةِ[1]، قرأ أهل البصرة: «تُحِبُّونَ» وما قبله بالياء في الأربعة كُلِّها، وقرأها الآخرون بالتاء، وقرأ أبو جعفر وأهل الكوفة: ﴿تَحَاضُّونَ﴾ بالألف وفتح التاء، وَرُوِيَ عن الكِسائِيِّ: «تُحاضُّونَ» بضم التاء، وقرأ الباقون: «تَحُضُّونَ» بغير ألف[2].

وقوله تعالى: ﴿كَلَّآ﴾؛ أي: لا يفعلون ما أُمِرُوا به مِنْ إكْرامِ اليَتِيمِ والحَضِّ على طعام المسكين.

ثم خَوَّفَهُمْ، فقال: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١﴾ يعني: مَرّةً بَعْدَ مَرّةٍ، فَتَكَسَّرَ كُلُّ شَيْءٍ على ظَهْرِها، وَدُقَّتْ جِبالُها وَأَنْشازُها حَتَّى اسْتَوَتْ مَعَ وَجْهِ الأرض[3] ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢﴾ يعني: جاءَ أَمْرُهُ وَقَضاؤُهُ وَظُهُورُ قُدْرَتِهِ؛ لأنه ـ سبحانه ـ لا يُوصَفُ بِتَحَوُّلٍ مِنْ مَكانٍ إِلَى مَكانٍ، وقوله: ﴿وَٱلْمَلَكُ

---

(١) جَمّةُ المَرْكَبِ البَحْرِيِّ: الموضع الذي يجتمع فيه الماءُ الرّاشِحُ من حُزُوزِهِ. اللسان: جمم.

(٢) قرأ أبو عمرو ويعقوبُ واليَزِيدِيُّ والحَسَنُ ومجاهدٌ وأبو رجاء وقتادة والجَحْدَرِيُّ: ﴿يُكْرِمُونَ﴾ و﴿يَحُضُّونَ﴾ و﴿يَأْكُلُونَ﴾ و﴿يُحِبُّونَ﴾ بالياء فيها جميعًا، وقرأ هؤلاء: «يَحُضُّونَ» بغير ألف، وقرأ غيرهم بالتاء، وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر: ﴿تَحُضُّونَ﴾ بغير ألف، وقرأ عاصم وحمزة والكسائي وأبو جعفر وخلف: ﴿تَحاضُّونَ﴾ بفتح التاء وبالألف، وَرَوَى الشَّيْزَرِيُّ عن الكسائي: ﴿تُحاضُّونَ﴾ بضم التاء، وهي قراءة ابن مسعود وزيد بن عَلِيٍّ وابنِ المبارك وابن مُحَيْصِنٍ، ينظر: السبعة ص ٦٨٥، البحر المحيط ٨/ ٤٦٦، الإتحاف ٢/ ٦٠٨-٦٠٩.

(٣) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ٥٢٧، وينظر: غريب القرآن للسجستاني ص ١٧٨، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٤.

صَفًّا صَفًّا﴾ يريد صفوف الملائكة إذا نزلوا يوم القيامة، كانوا صَفًّا بعد صَفٍّ مُحِيطِينَ في الأرض، وهما منصوبان على الحال، وقيل[١]: هما مصدران في موضع الحال.

قوله: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ يعني: يوم القيامة، فَأُبْرِزَتْ لِلْخَلْقِ يَنْظُرُونَ إليها، كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾[٢]، فَيَراها الخَلْقُ كُلُّهُمْ، قال الضَّحّاكُ: «يُجاءُ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ مِنْ مَسِيرةِ خَمْسِمِائَةِ عامٍ، عليها سبعون أَلْفَ زِمامٍ، على كل زِمامٍ سبعون أَلْفَ مَلَكٍ مُتَعَلِّقٍ بها يَحْبِسُونَها عن الخَلْقِ، وُجُوهُهُمْ مِثْلُ الجَمْرِ، وَأَعْيُنُهُمْ مِثْلُ البَرْقِ، فإذا تَكَلَّمَ أَحَدُهُمْ تَتَناثَرُ مِنْ فِيهِ النّارُ، بِيَدِ كُلِّ مَلَكٍ مِرْزَبَةٌ[٣] عليها اثنتان وسبعون / رَأْسًا كأمثال الجِبالِ، وهي [٣١٥/ أ] أَخَفُّ فِي يَدِهِ من الرِّيشِ، ولها رُءُوسٌ كَرُءُوسِ الأفاعِي، وَأَعْيُنٌ زُرْقٌ تريد أن تَنْقَلِبَ على الخلائق من غضب الله تعالى»[٤].

وقرأ الكسائي وهشام: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ﴾ بالإشمام[٥].

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢٤، وينظر: التبيان للعكبري ص ١٢٨٦.

(٢) النازعات ٣٦.

(٣) المِرْزَبةُ والإِرْزَبّةُ: عُصَيّةٌ من حَدِيدٍ، وهي أيضًا: الِمطْرَقةُ الكبيرة التِي تكون لِلْحَدّادِ، فإن قلتَها بالميم خَفَّفْتَ الباءَ، وإن قلتَها بالهمزة شَدَّدْتَ الباءَ، ينظر: اللسان: رزب

(٤) هذا حديث رواه مسلم عن ابن مسعود بلفظ: «يُؤْتَى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها... إلخ». صحيح مسلم ٨/ ١٤٩ كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب في شدة حر نار جهنم وبُعْدِ قعرها، ورواه الترمذي في سننه ٤/ ١٠٣ أبواب صفة جهنم: باب ما جاء في صفة النار.

(٥) وهي قراءة رُوَيْسٍ أيضًا، ينظر: الإتحاف ٢/ ٦٠٩.

فصل

عن أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا نزلت هذه الآيةُ: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾، تَغَيَّرَ لَوْنُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَعُرِفَ في وَجْهِهِ حتى اشْتَدَّ على أصحابه ما رَأَوْا مِنْ حالِهِ، فانطلق بعضهم إلَى عَلِيٍّ ـ رضي الله عنه ـ، فقالوا: يا عَلِيُّ! لقد حَدَثَ أمْرٌ قد رَأَيْناهُ مِنْ نَبِيِّ الله ﷺ، فجاء عَلِيٌّ، فاحْتَضَنَهُ مِن خَلْفِهِ، ثم قَبَّلَ بَيْنَ عاتِقَيْهِ، ثم قال: يا نَبِيَّ الله! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، ما الذي حَدَثَ اليومَ؟، قال: «جاءَنِي جِبْرِيلُ فَأَقْرَأَنِي: ﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ﴾، قلتُ: كَيْفَ يُجاءُ بِها؟ قال: يَجِيءُ بها سبعون ألف مَلَكٍ يقودونها بسبعين ألف زمام، فَتَشْرُدُ شَرْدةً لو تُرِكَتْ لأَحْرَقَتْ أَهْلَ الجَمْعِ، ثم أَتَعَرَّضُ لِجَهَنَّمَ، فتقول: ما لِي وَلَكَ يا محمدُ؟ قد حَرَّمَ اللهُ لَحْمَكَ عَلَيَّ، فلا يبقى أحدٌ إلا قال: نَفْسِي نَفْسِي، وإن محمَّدًا يقول: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي»[١].

قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ﴾ يعني أمية بن خلف الجُمَحِيَّ، إذا عايَنَ جَهَنَّمَ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾ وَمِنْ أَيْنَ له أن يُقْبَلَ منه الإيمانُ والتوبةُ في ذلك اليومِ؟ كما قال تعالى: ﴿ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ﴾[٢].

﴿يَقُولُ﴾ هذا الكافر ﴿يَٰلَيْتَنِى قَدَّمْتُ لِحَيَاتِى ﴿٢٤﴾﴾ يعني: قَدَّمْتُ فِي الدنيا لِحَياتِي في الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾[٣] يعني الحياة، وقيل: معناه: قَدَّمْتُ لِحَياتِي مِنَ النّارِ، فَأَكُونَ مِنَ الأحْياءِ ﴿ فَيَوْمَئِذٍ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠١، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٨٥، ٤٨٦، مجمع البيان ١٠/ ٣٥٤، عين المعاني ورقة ١٤٥/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٥.

(٢) غافر ٨٥.

(٣) العنكبوت ٦٤.

﴿لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ (٢٥) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ (٢٦)﴾ قـرأه العامة بكسـر الـذال والثاء، وقرأ الكسـائي ويعقـوب بفتح الذال والثـاء[1] وهو الاختيـار[2]، وهي قراءة النبي ﷺ.

والمعنى: لَا يُعَذِّبُ عَذابَ اللهِ أَحَدٌ، وَلَا يُوثِقُ كَوَثاقِ اللهِ أَحَدٌ، ومن قرأ: «لاَ يُعَذَّبُ.. وَلاَ يُوثَقُ» بفتح الذال والثاء، أراد: لَا يُعَذَّبُ وَلَا يُوثَقُ يَوْمَ القِيامَةِ كَما يُعَذَّبُ هَذا الكافِرُ.

قولـه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧)﴾ يعني: بالإيمـان، المُوقِنةُ المُصَدِّقةُ بمـا وَعَدَ اللهُ مِنَ البَعْثِ والثَّوابِ والعِقابِ، والطُّمَأْنينةُ حَقيقةُ الإيمانِ ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾؛ أي: إلَـى ثَوابِ رَبِّكِ ﴿رَاضِيَةً﴾ بالثـواب ﴿مَّرْضِيَّةً (٢٨)﴾ عَنْكِ، وهما نصب على الحال.

---

(١) قرأ النَّبيُّ ﷺ ويعقوبُ والحَسَـنُ وابنُ سِـيرِينَ وابنُ أَبِي إسحاقَ وسَوّارٌ القاضي وأبو حَيْوَةَ وابنُ أَبِي عَبْلَةَ وأبو بَحْرِيّةَ وَسَـلاَّمٌ والكسـائي: «لاَ يُعَذَّبُ... وَلاَ يُوثَقُ» بفتح الذال والثاء، وقرأ الباقون بكسر الذال والثاء، ورُوِيَ أن أبا عمرو رجع إلَى قراءة النبي ﷺ، ينظر: السبعة ص ٦٨٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٦، البحر المحيط ٨/ ٤٦٧، الإتحاف ٢/ ٦٠٩.

(٢) قولـه: «وهو الاختيار» إنما هو اختيـار أَبِي عُبَيْدٍ؛ فإن أكثر القُرّاءِ قَـرَءُوا: «لَا يُعَذِّبُ... وَلَا يُوثِقُ» بكسـر الذال والثاء، وإنما اختار أبو عبيد فَتْحَ الذال والثاء، واحتجَّ بحديثٍ رواه عن هشـام وَعَبّادِ بن عَبّادٍ عن خالِدٍ الحَذّاءِ عن أَبِي قِلاَبَةَ عَمَّنْ أَقْرَأَهُ النَّبِيُّ ﷺ: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذَّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ * وَلَا يُوثَقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾ بفتـح الـذال والثاء، قال النحاس: «وهـذا الحديث بَيِّنٌ؛ لأنه إذا وقـع فِي الحديث مجهولٌ لَمْ يُحْتَجَّ به في غير القـرآن، فكيف في كتاب الله ومعارضتِهِ الجماعةَ الذين قِراءَتُهُمْ عن النبيِّ ﷺ؟ ». إعراب القرآن ٥/ ٢٢٤، ٢٢٥.

وقال ابن خالويه: «وقيل لأبِي عمرو بن العلاء: لِمَ تَرَكْتَ هذه القراءةَ، يعني الفتح، وقد أُثِرَ عن رسول الله ﷺ؟ فقال: لأَنِّي أَتَّهِمُ الواحدَ الشّاذَّ إذا أتى بخلاف ما عليه الكافّةُ، يعني أنه قد رُوِيَ عن رسـول الله ﷺ الفَتْحُ من وَجْهٍ واحدٍ، والكَسْـرُ عنه من وُجُوهٍ». إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٨٠، وينظر: الحجة للفارسي ٤/ ١٢٣، معاني القراءات للأزهري ٣/ ١٤٥، ١٤٦.

[٣١٥/ ب] وقوله: ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾؛ أي: مع عبادي، وقيل: في جُمْلَةِ / عبادي الصالحين المُصْطَفَيْنَ، قال صاحب «إنسان العين»[١]: وَقُرِئَ: «فِي عِبادِهِ»: في أَبِي بَكْرٍ أو عُثْمانَ أو حَمْزةَ ـ رضي الله عنهم ـ، وَرُوِيَ عن ابن عباس أنه قرأها: «فادْخُلِي فِي عَبْدِي»[٢] على التوحيد ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ يعني: دارَ كَرامَتِي التي جعلتُها ثَوابًا لأوليائي.

قيل: لَمّا نزلت هذه الآيةُ قال أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ: إنَّ هَذا الخَيْرَ ـ وَرَبِّي ـ لَحَسَنٌ، فقال له النَّبِيُّ ﷺ: «أما إنَّ المَلَكَ سَيَقُولُها لَكَ عِنْدَ المَوْتِ»[٣].

فصل

رُوِيَ عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه قال: «إذا تُوُفِّيَ العَبْدُ المُؤْمِنُ

---

(١) قال السَّجاوَنْدِيُّ صاحب إنسان العين: «وَقُرِئَ: «فِي عَبْدِي»؛ أي: عِنْدَ البَعْثِ. الضَّحّاكُ: في طاعتي، «جَنَّتِي» أي: في رَحْمَتِي، وقيل: في جَنّةِ الخُلْدِ، والآية في أَبِي بَكْرٍ، رضي الله عنه، ابنُ عَبّاسٍ، قال ﷺ: «سَيُقالُ لَكَ هَذا يا أبا بَكْرٍ». الضحاكُ: في عُثْمانَ رضيَ الله عنه حِينَ تَصَدَّقَ بِبِئْرِ رُومةَ. بُرَيْدةُ الأسْلَمِيُّ: في حَمْزةَ بنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، رضي الله عنه ـ. عكرمةُ: في عامّةِ المؤمنين، إذِ العِبْرةُ لعموم اللفظ لا لِخُصُوصِ السَّبَبِ، وقيل: في خُبَيْبٍ الذي صَلَبَهُ أَهْلُ مَكّةَ». عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ. ولَمْ أقف على هذه القراءة التي ذكرها المؤلف هنا نقلًا عن السجاوندي.

(٢) قرأ ابن عباس وسعد بن أَبِي وَقّاصٍ وعكرمة والضحاك ومجاهد وأبو جعفر وأبو صالح والكلبي وأبو شيخ الهُنائِيُّ واليَمانِيُّ: «فِي عَبْدِي» بالإفراد، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٦٠، البحر المحيط ٨/ ٤٦٧، الإتحاف ٢/ ٦٠٩.

(٣) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٣٩، شفاء الصدور ورقة ٢٣٩/ ب، الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٤، الوسيط ٤/ ٤٨٧، تفسير القرطبي ٢٠/ ٥٨.

أَرْسَلَ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ مَلَكَيْنِ، وَأَرْسَلَ إِلَيْهِ تُحْفةً من الجنّةِ، فَيُقالُ: اخْرُجِي أَيَّتُها النَّفْسُ المُطْمَئِنّةُ، إِلى رَوْحٍ وَرَيْحانٍ، وَرَبٍّ عَنْكِ راضٍ غَيْرِ غَضْبانَ، فَتَخْرُجُ كَأَطْيَبِ رِيحِ مِسْكٍ وَجَدَهُ أَحَدٌ فِي أَنْفِهِ»[1].

وعن سعيد بن جُبَيْرٍ قال: «مات ابنُ عباس بالطائف، فَشَهِدْتُ جِنازَتَهُ، فجاء طائرٌ لَمْ نَرَ على خِلْقَتِهِ، فدخل فِي نَعْشِهِ، ثُمَّ لَمْ يُرَ خارِجًا مِنْهُ، فلما دُفِنَ تُلِيَتْ هذه الآيةُ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ، لَمْ نَدْرِ مَنْ تلاَها: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾[2]، والله أعلم.

* * *

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه عبد الرزاق في مصنفه ٣/ ٥٦٤: ٥٦٧، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٣، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٨٧، عين المعاني ورقة ١٤٥/ أ، مجمع الزوائد للهيثمي ٢/ ٣٢٧-٣٢٨ كتاب الجنائز: باب في موت المؤمن وغيره.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٤٣ كتاب معرفة الصحابة/ باب ذِكْرِ عبد الله بن عباس، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٠/ ٢٣٦، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٤، مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٥ كتاب المناقب: باب مناقب عبد الله بن عباس.

سورة البلد

مكية

وهي ثلاثمائةٌ وَأحَدٌ وثلاثون حرفًا، واثنتان وثمانون كلمة، وعشرون آية.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عــن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضــي الله عنه ـ قال: قال رســول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ أعْطــاهُ اللهُ الأمْــنَ مِنْ غَضَبِهِ»، وَيُــرْوَى: «مِنْ غَضَبِ يَوْمِ القِيامةِ»[١].

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُــورةَ البَلَدِ أقْسَــمَ جِبْرِيلُ عليه السّلام مِنْ تَحْتِ العَرْشِ: أُقْسِمُ بِاللهِ إنَّكَ لَمِنَ الصّالِحِينَ»[٢].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله ـ عــزّ وجلّ ـ: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١﴾ يعنــي مكة، و﴿لَآ﴾ صلة

---

(١) ينظر: الكشــف والبيان ١٠/ ٢٠٦، الوســيط ٤/ ٤٨٨، الكشــاف ٤/ ٢٥٧، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٥٧.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

زائدة، يعني: أُقْسِمُ، والإشارة بـ«هَذا» إلَى مَكّةَ، و﴿ٱلْبَلَدِ﴾ نعت لـ«هَذا»، أو بَدَلٌ، أو عَطْفُ بَيانٍ[1].

قوله: ﴿وَأَنتَ﴾ يا محمد ﴿حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢﴾؛ أي: حَلالٌ، والحِلُّ والحَلالُ واحدٌ، وهو ضِدُّ المُحْرِمِ[2]، وذلك أن الله تعالىَ أَحَلَّ لِنَبِيِّهِ عليه السّلام دُخُولَ مَكّةَ يَوْمَ الفَتْحِ بِغَيْرِ إحْرامٍ حَتَّى قاتَلَ وَقَتَلَ، وَأَحَلَّ ما شاءَ، وَحَرَّمَ ما شاءَ، وقد قال ﷺ: «لَمْ تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلِي، وَلاَ تَحِلُّ لأحَدٍ بَعْدِي، وَلَمْ تَحِلَّ لِي إلّا ساعةً مِنْ نَهارٍ»[3].

[٣١٦/ أ] ثم عطف على القَسَمِ بقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ يعني/ آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ[4]، وقيل[5]: إبراهيم ومُحَمَّدٌ ﷺ، وقيل[6]: أراد محمَّدًا عليه السّلام وَأُمَّتَهُ، من قوله

(١) هذه الأوجه الثلاثة ذكرها النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٢٧، ورَجَّحَ كون «البلد» عطف بيان، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٥.

(٢) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٥٣٨، والزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٧، وحكاه النحاس عن الأخفش في إعراب القرآن ٥/ ٢٢٨، وينظر: إعراب ثلاثين سورة ص ٨٧.

(٣) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد عن ابن عباس في المسند ١/ ٢٥٣، والبخاري في صحيحه ٢/ ٩٥ كتاب الجنائز: باب الإِذْخِرِ والحشيش في القَبْرِ، ٢/ ٢١٣ كتاب الحج: باب «لا يُعْضَدُ شَوْكُ الحَرَمِ»، ٣/ ١٣ كتاب البيوع: باب ما قيل في الصَّوّاغِ، ٥/ ٩٨ كتاب المغازي: باب غزوة الفتح.

(٤) قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة والحسن وأبو صالح والضحاك والفراء، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٥٨، معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٦٣، جامع البيان ٣٠/ ٢٤٥، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٧، الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٧، زاد المسير ٩/ ١٢٧، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٥٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٦١.

(٥) قاله أبو عمران الجَوْنِيُّ، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٤٦، إعراب القرآن ٥/ ٢٢٨، الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٧، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٥٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٦٢.

(٦) قاله الماوردي في تفسيره النكت والعيون ٦/ ٢٧٥، والزمخشري في الكشاف ٤/ ٢٥٥، =

ﷺ: «إِنَّما أنا لَكُمْ مِثْلُ الوالِدِ أُعَلِّمُكُمْ»[(١)]، وقيل[(٢)]: أرادَ كُلَّ والِدٍ وَمَوْلُودَهُ.

ثم ذكر جواب القَسَمِ، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ يعني: مُنْتَصِبًا قائمًا على قدميه، قال ابن عباس[(٣)]: خُلِقَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَى الأَرْضِ عَلَى أَرْبَعةٍ إِلّا الإنْسانَ، فإنه خُلِقَ مُنْتَصِبًا قائمًا عَلَى رِجْلَيْنِ.

والكَبَدُ: الاسْتِواءُ والاسْتِقامةُ، وقيل[(٤)]: معنى ﴿فِى كَبَدٍ﴾؛ أي: في نَصَبٍ يُكابِدُ مَصائِبَ الدُّنْيا وشدائد الآخرة، قال ذو الإِصْبَعِ العَدْوانِيُّ[(٥)]:

٥١٤ - لِيَ ابْنُ عَمٍّ لَوَ انَّ النّاسَ فِي كَبَدٍ لَظَلَّ مُحْتَجِرًا بِالنَّبْلِ يَرْمِينِي[(٦)]

= وحكاه القرطبي عن الماوردي في الجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٦٢.

(١) هذا جزء من حديث رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٢٥٠، والدارمي في سننه ١/ ١٧٢ كتاب الصلاة والطهارة: باب الاستنجاء بالأحجار، وابن ماجه في سننه ١/ ١١٤ كتاب الطهارة: باب الاستنجاء بالحجارة.

(٢) قاله ابن عباس والزجاج، ينظر: معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٧، الكشاف ٤/ ٢٥٥، زاد المسير ٩/ ١٢٨، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ، مجمع البيان ١٠/ ٣٦٢.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٢٠٧، الوسيط للواحدي ٤/ ٤٨٨.

(٤) قاله عطاء والحسن وقتادة، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٤٦، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٨، إعراب القرآن ٥/ ٢٢٨، الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٧، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٦٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٢.

(٥) هو حُرْثانُ بن الحارث بن مُحَرِّثِ بن ثعلبة، وقيل: حُرْثانُ بن عَمْرٍو، من عَدْوانَ، شاعر جاهلي حكيم شجاع، لُقِّبَ بِذِي الإِصْبَعِ لأن حَيّةً نَهَشَتْ إِصْبَعَ رِجْلِهِ فَقَطَعَها، وقيل: كانت لـه إِصْبَعٌ زائدةٌ، عاش طويلًا وله حروب ووقائع وأخبار، وشعره مَلِيءٌ بالحكمة والعظة والفخر. [الشعر والشعراء ص ٧١٢-٧١٣، الأعلام ٢/ ١٧٣].

(٦) البيت من البسيط، لذي الإصبع العدواني يصف خلافًا بينه وبين ابنِ عَمٍّ له، ورواية ديوانه: «وَلِي ابْنُ عَمٍّ».

اللغة: الكَبَدُ: الشدة والمشقة، المُحْتَجِزُ: الذي يَشُدُّ وسطه بثوب أو نحوه. =

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥﴾ يعني أبا الأَشَدَّيْنِ[١]، وهو رجل من بَنِي جُمَحَ، كان قَوِيًّا شَدِيدَ الخَلْقِ، يقول الله ـ عزّ وجلّ ـ: يَظُنُّ مِنْ شِدَّتِهِ أنْ لَنْ يَقْدِرَ عليه اللهُ، فلا يُعاقِبُهُ.

ثم أَخْبَرَ عن مقالة هذا الإنسان، فقال: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦﴾ وهو المال الكثير بَعْضُهُ على بَعْضٍ[٢]، ومعناه: أهْلَكْتُ في عَداوةِ محمدٍ مالًا كثيرًا[٣]، قال الله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧﴾؛ أي: أيَظُنُّ أنَّ الله لَمْ يَرَهُ ولا يَسْألُهُ عن ماله من أيْنَ اكْتَسَبَهُ وَأيْنَ أنْفَقَهُ؟

ثم ذَكَّرَهُ النِّعَمَ لِيَعْتَبِرَ، فقال تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩﴾ ذَكَّرَ اللهُ تعالَى الإنْسانَ النِّعَمَ التي أنْعَمَ بها عليه لِيَعْتَبِرَ وَيَشْكُرَ، ثم قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ النَّجْدُ: طَرِيقٌ في ارتفاعٍ، قال الشاعر:

٥١٥ ـ غَداةَ غَدَوْا فِتْيانُكُمْ بَطْنَ نَخْلةٍ ... وَآخَرُ مِنْهُمْ جازِعٌ بَطْنَ كَبْكَبِ[٤]

= التخريج: ديوانه ص ٩١، المفضليات ص ١٦٣، إعراب القرآن ٥/ ٢٢٩، الأغانِي ٣/ ٩، أماليُّ القالِي ١/ ٢٥٦، شرح المفضليات للتبريزي ص ٦٠٠، المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٤، منتهى الطلب ٣/ ٦٥، البحر المحيط ٨/ ٤٦٨، الدر المصون ٦/ ٥٢٥، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٤٢، فتح القدير ٥/ ٤٤٣.

(١) تقدم ذكره ص ١٢٦٠-١٢٦١.

(٢) قاله أبو عبيدة وابن قتيبة والنقاش، ينظر: مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٨، شفاء الصدور ورقة ٢٤٠/ ب، وينظر: زاد المسير ٩/ ١٣٠، المعانِي ورقة ١٤٥/ أ.

(٣) قاله الكلبي ومقاتل والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٦٤، الوسيط ٤/ ٤٨٩، زاد المسير ٩/ ١٣١، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ أ.

(٤) البيت من الطويل، لامرئ القيس، ولا شاهد فيه على هذه الرواية التي أوردها المؤلف؛ لأنه يستشهد على معنى النَّجْدِ، أما رواية الديوان، والتي هي شاهد على ما يريده المؤلفُ، فهي قوله:

فَرِيقانِ مِنْهُمْ جازِعٌ بَطْنَ نَخْلةٍ ... وَآخَرُ مِنْهُمْ قاطِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ =

والمعنى: بَيَّنّا له طريق الخير والشر والحق والباطل والهدى الضلالة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾[1].

فصل

عن أَبِي حازم قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالَى يقول: يا ابن آدم! إنْ نازَعَكَ لِسانُكَ فِيما حَرَّمْتُ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَعَنْتُكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ فَأَطْبِقْ، وَإِنْ نازَعَكَ بَصَرُكَ إِلَى بَعْضِ ما حَرَّمْتُ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَعَنْتُكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ فَأَطْبِقْ، وَإِنْ نازَعَكَ فَرْجُكَ إِلَى ما حَرَّمْتُ عَلَيْكَ، فَقَدْ أَعَنْتُكَ عَلَيْهِ بِطَبَقَتَيْنِ فَأَطْبِقْ»[2].

قوله: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾﴾؛ أي: لَمْ يَقْتَحِمْها ولا جاوَزَها، قيل: هِيَ عَقَبةٌ بَيْنَ الجَنّةِ والنّارِ، والاقْتِحامُ: الدُّخُولُ في الأمْرِ الشَّدِيدِ، و«لا» مع

= وَيُرْوَى:

غَداةَ غَدَوْا فَسالِكٌ بَطْنَ نَخْلةٍ وَآخَرُ مِنْهُمْ جازِعٌ نَجْدَ كَبْكَبِ

اللغة: بَطْنُ نَخْلةَ: بُسْتانُ ابنِ عامِرٍ، أو عُبَيْدِ اللهِ بنِ مَعْمَرٍ، وهي نَخْلةُ اليَمانِيَةُ، جازِعٌ: يقال: جَزَعَ الوادِيَ؛ أي: قَطَعَهُ عُرْضًا، كَبْكَبٌ: هو الجَبَلُ الأَحْمَرُ الذي تَجْعَلُهُ خَلْفَ ظَهْرِكَ إذا وَقَفْتَ بِعَرَفةَ.

التخريج: ديوانه ص ٤٣، إصلاح المنطق ص ٤٧، الصحاح ص ٢٠٨، ٥٤٢، ١١٩٦، الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٩، تهذيب إصلاح المنطق ص ١٣٣، معجم البلدان ٢/ ٢٥٣، ٤/ ٤٣٤، ٥/ ٢٦٥، أساس البلاغة: جزع، مجمع البيان ١٠/ ٣٦٠، عين المعاني ورقة ١٤٥/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٥، رصف المباني ص ١٩٩، معجم ما استعجم ص ١٣٠٥، اللسان: جزع، كبب، نجد، التاج: نجد، جزع، نخل، فتح القدير ٥/ ٤٤٤.

(١) الإنسان ٣.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٠٩، الوسيط ٤/ ٤٩٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٦٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٥.

[٣١٦/ ب] الماضي بمعنى «لَمْ» مع المستقبل[١]، كقوله ﷺ / :

إنْ تَغْفِـرِ اللَّهُـمَّ تَغْفِـرْ جَمّـا
وَأيُّ عَبْـدٍ لَـكَ لا أَلَـمّـا[٢]

أي: أيُّ عَبْدٍ لَكَ لَمْ يُلِمَّ بِذَنْبٍ؟ أَخَذَهُ من اللَّمَمِ، وهو من الصغائر.

وَذِكْرُ العَقَبةِ هاهنا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ تعالَى لِمُجاهَدةِ النَّفْسِ والهَوَى والشَّيْطانِ فـي أعمال البِرِّ، فجعله كالذي يَتَكَلَّفُ صُعُودَ العَقَبـةِ[٣]، يقول: لَمْ يَحْمِلْ عَلَى نَفْسِـهِ المَشَـقَّةَ بِعِتْقِ الرَّقَبـةِ والإطْعامِ، وهو قولـه: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾﴾؛ أي: مـا اقتحام العقبة؟، قال سـفيانُ بـنُ عُيَيْنةَ[٤]: «كُلُّ شَـيْءٍ قـالَ اللهُ تعالَى:

---

(١) قال الأخفش: «وقال: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» يقول: فَلَمْ يَقْتَحِمْ، كما قال: «فَلَا صَدَّقَ»؛ أي: فَلَمْ يُصَدِّقْ». معاني القرآن ص ٥٣٨.
وإذا كانـت بمعنى «لَمْ» لَمْ يَلْزَمْ تكريرُها كما قال العلمـاء، قال الفَرّاءُ: «وقوله تعالى: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ»، وَلَمْ يُضَمَّ إلَى قوله: «فَلاَ اقْتَحَمَ» كَلاَمٌ آخَرُ فيه «لا»؛ لأن العرب لا تكاد تُفْرِدُ «لا» فـي الكلام حتى يُعِيدُوها عليه في كـلام آخَرَ، كما قال تعالى: «فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى»، و«لَا خَـوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ»، وهو كان في آخِرِهِ معناه، فاكتفى بواحدة من أخرى، ألا ترى أنه فَسَّـرَ اقتحامَ العَقَبةِ بشـيئين فقال: «فَكُّ رَقَبَةٌ. أَوْ أَطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ... ثُمَّ كانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُواْ»، فَفَسَّرَها بثلاثة أشياءَ، فكأنه كان في أَوَّلِ الكلام: فَلاَ فَعَلَ ذا وَلَا ذا وَلَا ذا». معانِي القرآن ٣/ ٢٦٤، ٢٦٥، وينظر أيضًا: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٢٩، الأصول لابن السراج ١/ ٤٠٠، ٤٠١، ٢/ ٦٠، حروف المعانِي للزجاجي ص ٨، الحجة للفارسي ٤/ ١٢٥، تهذيب اللغة ١٥/ ٤٢٠، الصاحبي ص ٢٥٧.
(٢) تقدم برقم ٢٩٧، ٣/ ٢١٤.
(٣) قاله قتادة والواحدي، ينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٤٩١، وينظر قول قتادة في الكشف والبيان ١٠/ ٢١٠، المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٥، زاد المسير ٩/ ١٣٤، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ ب.
(٤) ينظر قوله في جامع البيان ٢٩/ ٥٩، إعراب القرآن ٥/ ٢٣٢، الكشف والبيان ١٠/ ٢١٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٦٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ٦٦.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فإنه أَخْبَرَهُ به، يعني النَّبِيَّ ﷺ، وما قال: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فَإِنَّهُ لَمْ يُخْبِرْهُ بِهِ».

وقوله: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ١٣﴾ يعني أَنَّ مَنْ أَعْتَقَ رَقَبةً، وَفَكَّها من الرِّقِّ، كانت فِداءَهُ من النار، قرأ أبو عمرو وابن كثير والكسائي وأبو رجاء والحَسَنُ: «فَكَّ رَقَبَةً»[1]، بفتح الكاف ونصب الرقبة على الفعل، وقرأ غيرهم بالإضافة على الاسم، وهو اختيار الشيخين أَبِي عُبَيْدٍ وَأَبِي حاتِمٍ[2]، وهو رفع على إضمار «هِيَ»، أو بدل من العقبة.

فصل

عن سهل بن سعد السّاعِدِيِّ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ نَسَمةً مُسْلِمةً أَعْتَقَ اللهُ تعالَى بِكُلِّ عُضْوٍ مِنها عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النّارِ»[3].

وعن أَبِي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أَيُّما امْرِئٍ أَعْتَقَ أَمةً مُسْلِمةً اسْتَنْقَذَ اللهُ تعالَى بِكُلِّ عُضْوٍ مِنها عُضْوًا مِنْهُ مِنَ النّارِ»[4].

---

(١) وهي أيضًا، قراءة عَلِيِّ بنِ أَبِي طالب وابنِ مُحَيْصِنٍ واليَزِيدِيِّ، ينظر: السبعة ص ٦٨٦، القرطبي ٢٠/ ٧٠، البحر المحيط ٨/ ٤٧١، الإتحاف ٢/ ٦١٠-٦١١.

(٢) ينظر اختيارهما فِي إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣١، الكشف والبيان ١٠/ ٢١٠.

(٣) رُوِيَ هذا الحديث عن عَلِيِّ بن أَبِي طالب أيضًا، رواه عبد الرزاق في مصنفه ١/ ٥٢، والنسائيُّ في السنن الكبرى ٣/ ١٦٩ كتاب العتق: باب فضل العتق، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٤/ ١١٠، والمعجم الكبير ١/ ١٠٩، ٦/ ١٥٧.

(٤) رواه البخاري في صحيحه ٣/ ١١٧ كتاب الرَّهْنِ فِي الحَضَرِ: باب في العتق وفضله، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ٢١٨ كتاب العتق: باب فضل العتق، ورواه البيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ٢٧١ كتاب العتق: باب فضل إعتاق النسمة.

وقولــه: ﴿أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝١٤﴾ يعنــي: مَجاعةٍ، يقال: سَـغِبَ يَسْـغَبُ سَـغَبًا: إذا جـاعَ[١]، قيـل: «مِنْ مُوجِبـاتِ المَغْفِـرةِ إطْعـامُ المُؤْمِنِ السَّـغْبانِ»[٢]، قـرأ أبو رجاء والحَسَـنُ وابنُ كثير وأبو عمرو والكسـائي: «أَوْ أَطْعَمَ»[٣] على الفعل الماضي، وقرأ الباقون: ﴿إِطْعَٰمٌ﴾ على اسم المصدر.

وقولـه: ﴿يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ۝١٥﴾ يعنـي: ذا قرابة ﴿أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ۝١٦﴾ أي: فاقـةٍ قَدْ لَصِقَ بالتُّرابِ من الفَقْرِ، والمَتْرَبةُ مصدر قولهم: [تَرِبَ][٤] يَتْرَبُ تَرَبًـا وَمَتْرَبةً: إذا افْتَقَرَ حتى لَصِقَ بالتـراب ضُرًّا[٥]. وقيل[٦]: المَتْرَبةُ هاهنا من التُّرْبةِ، وهي شِدّةُ الحالِ، وأنشد الهُذَلِيُّ:

٥١٦ ـ فَكُنّا إذا ما الضَّيْفُ جاءَ بِلادَنا سَـفَكْنا دِماءَ البُدْنِ فِي تُرْبةِ الحالِ[٧]

---

(١) قالــه ابن قتيبة في تفسـير غريب القرآن ص ٥٢٨، وحكاه الأزهـري عن الليث في تهذيب اللغة ٨/ ٤١.

(٢) هذا حديث رواه الحاكم عن جابر بن عبد الله في المستدرك ٢/ ٥٢٤ كتاب التفسير: سورة البلد، وينظر: شـفاء الصدور للنقاش ورقة ٢٤١/ ب، الوسـيط للواحدي ٤/ ٤٩٣، الدر المنثور ٦/ ٣٥٥، كنز العمال ٦/ ٤٢٤، ٩/ ٢٤٣، ١٥/ ٧٨١.

(٣) وهــذه قـراءة عَلِيِّ بنِ أَبِي طالب وابــن محيصن واليزيديِّ أيضًا، ينظر: السـبعة ص ٦٨٦، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٠، البحر المحيط ٨/ ٤٧١، الإتحاف ٢/ ٦١١.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) قاله أبو عبيد في غريب الحديث ٢/ ٩٣، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٩، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٠.

(٦) قاله أبو حامد الخارْزَنْجِيُّ، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢١١، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٠.

(٧) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، وليس في أشعار الهذليين، ويُرْوَى صدرُه:

فَكُنّا إذا ما الضَّيْفُ حَلَّ بِأَرْضِنا

اللغة: قال ابن هشـام: «يَعْنِي بالحال الطِّينَ الذي يُخالِطُهُ الرَّمْلُ، وهو الذي تقول له العَرَبُ السِّهْلةُ».

=

قال عبد الملك بن هشام[١]: الحالُ: الطِّينُ الذي يُخالِطُهُ الرَّمْلُ.

ونصب ﴿يَتِيمًا﴾ بـ﴿إِطْعَـٰمٌ﴾ الذي / هو مصدر منون مقدر بـ«أنْ» [٣١٧/ أ] والفعلِ، أي: أوْ أنْ أطْعَمَ يَتِيمًا، و﴿مِسْكِينًا﴾ عطف عليه.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا نزلت هذه الآية: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ بَكَى رسولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا وَلَيْلَةً، وَلَمْ تَرْقَأْ له دَمْعةٌ[٢]، فَقامَ أبو ذَرٍّ فقال: يا رسول الله! أعُوذُ بالله من غضب الله وغضب رسوله، هَلَكْنا، وما هذه العَقَبةُ؟ قال: «عَقَبةٌ كَأْداءُ سَوْداءُ فِي نارِ جَهَنَّمَ، مِنْ أسْفَلِها إلَى أعْلاَهاَ مَسِيرةُ ألْفِ عامٍ، كُلَّما بَلَغُوا أعْلاَها زَلِقُوا[٣]، وهي جَمْرةٌ واحِدةٌ عليها الأفاعِي والعَقارِبُ، تَضْرِبُ الحَيّةُ بِفَقارِها، فَيَتَناثَرُ لَحْمُهُ عَلَى قَدَمَيْهِ»، قال: فَبَكَى المسلمون، وقالوا: يا رسول الله: ما لَنا مُدْخَلٌ؟ فَدَعا رَسُولُ اللهِ ﷺ رَبَّهُ، فَأنْزَلَ اللهُ تعالَى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾ يا محمد، لا يَنْجُو منها إلّا مَنْ أعْتَقَ رَقَبةً أوْ أطْعَمَ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبةٍ يَتِيمًا ذا مَقْرَبةٍ أوْ مِسْكِينًا ذا مَتْرَبةٍ[٤].

= **التخريج**: السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٨١، رسالة الصاهل والشاحج ص ٦٤٨، الكشف والبيان ١٠/ ٢١١، عين المعاني ١٤٥/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٠، اللسان: حول، فتح القدير ٥/ ٤٤٥.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢/ ٣٨١.

(٢) لَمْ تَرْقَأْ لَهُ دَمْعةٌ: لَمْ تَجِفَّ وَلَمْ تَنْقَطِعْ، يُقال: رَقَأَ الدَّمْعُ يَرْقَأُ رَقْأً وَرُقُوءًا: إذا جَفَّ وانْقَطَعَ. اللسان: رقأ.

(٣) زَلِقَتْ قَدَمُهُ: زَلَّتْ وَلَمْ تَثْبُتْ. اللسان: زلق.

(٤) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٤١/ ب.

﴿ثُمَّ كَانَ﴾ مع ذلك، يعني: مَعَ إِطْعامِ القَرِيبِ أو المسكين ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وقيل[1]: ﴿ثُمَّ﴾ هاهنا بمعنى الواو؛ أي: وَكانَ من الذين آمنوا ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ على فرائض الله وَأَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ١٧﴾ يعني: بِالبِرِّ والتَّقْوَى فيما بينهم، والرَّحْمةِ لِلْيَتِيمِ والمِسْكِينِ والضَّعِيفِ.

ثم وصفهم فقال: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ١٨﴾ وقد تقدم تفسيرهم في سورة الواقعة[2]، وكذلك تفسير ﴿أَصْحَـٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ﴾[3].

وقوله: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ٢٠﴾ يعني: مُطْبَقةٌ على الذين كفروا بآيات الله، وهم أصحاب المَشْأَمةِ، قرأ أبو عمرو وَحَفْصٌ وَحَمْزةُ ويعقوبُ وعيسى ابنُ عمر: ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ بالهمزة هاهنا وفي سورة الهُمَزةِ[4]، وقرأ غيرهم بغير هَمْزٍ[5]، وهما لغتان، يقال: آصَدْتُ البابَ وَأَوْصَدْتُهُ: إذا أَغْلَقْتَهُ وَأَطْبَقْتَهُ[6]،

---

(١) هذا مذهب الأخفش، فقد قال: «وقال: «ثُمَّ صَوَّرْناكُمْ ثُمَّ قُلْنا لِلْمَلَائِكَةِ»؛ لأن «ثُمَّ» في معنى الواو، يجوز أن يكون معناه: لآدم، كما تقول لِلْقَوْمِ: قد ضربناكم، وإنما ضربتَ سَيِّدَهُمْ». معاني القرآن ص ٢٩٤، وقاله ابن فارس في الصاحبي ص ٢١٥، وينظر: الكشف والبيان للثعلبي ١٠/ ٢١١، زاد المسير لابن الجوزي ٩/ ١٣٥، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٧٦، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ ب، خزانة الأدب ١١/ ٣٩.

(٢) الآية ٨، وانظر ما سبق ٣/ ٢٩٠.

(٣) الواقعة ٩، وانظر ما سبق ٣/ ٢٩١.

(٤) الهُمَزةِ ٨.

(٥) قرأ ابن كثير وابن عامر ونافع، وأبو بكر عن عاصمٍ، والكسائيُّ: «مُوصَدةٌ» بغير همزة، وكان حَمْزةُ يقرؤها بغير همز في الوقف فقط، ينظر: السبعة ص ٦٨٦، البحر المحيط ٨/ ٤٧١، الإتحاف ٢/ ٦١١.

(٦) قاله الفراء وأبو عبيدة وابن السكيت وابن قتيبة والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٦٦، ٢٩٠، مجاز القرآن ٢/ ٢٩٩، إصلاح المنطق ص ١٥٩، ١٦٠، =

وقيل[1]: معنى المُؤْصَدةِ: المُطْبَقةُ، مأخوذ من: آصَدْتُ؛ أي: أطْبَقْتُ.

والْمُوصَدةِ بغير الهمز: المُطْبَقةُ، مأخوذٌ من: أوْصَدْتُ؛ أي: أغْلَقْتُ، ومنه قيل للباب: وَصِيدٌ، والمعنى: أن أبوابها عليهم مُطْبَقةٌ، فلا يفتح لهم باب، ولا يخرج منها غَمٌّ، ولا يدخلُ فيها رَوْحٌ آخِرَ الأبَدِ؛ لا نِهايةَ لَهُ وَلا أمَدَ، والله أعلم.

* * *

= غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٢٩، أدب الكاتب ص ٣٦٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٠، إعراب القرآن ٥/ ٢٨٩، وينظر: تهذيب اللغة ١٢/ ٢٢٢، معانِي القراءات ٣/ ١٤٨، الصحاح ٢/ ٤٤١، ٥٥٠.

(١) قاله ابن خالويه والفارسي، ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٨٦، إعراب ثلاثين سورة ص ٩٥، الحجة للفارسي ٤/ ١٢٦، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢١١، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٧٦، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ ب.

سورة ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾
مكية

وهي مائتان وسبعة وأربعون حرفًا، وأربع / وخمسون كلمةً، وخمس [٣١٧/ ب] عشرة آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿وَٱلشَّمۡسِ﴾، فكَأنَّما تَصدَّقَ بِكُلِّ شَيْءٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ والقَمَرُ»(١)، ورُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ الشَّمْسِ، لَمْ تَخْرُجِ الشَّمْسُ حَتَّى تَقُولَ: رَبِّ اغْفِرْ لِعَبْدِكَ فُلاَنَ، فَيَقُولُ المَلَكُ: قَدْ فَعَلَ»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ١﴾ يعني ضَوْءَها في قول مجاهد

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢١٢، الوسيط ٤/ ٤٩٤، الكشاف ٤/ ٢٦٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٦٧، عين المعاني ورقة ١٤٥/ ب.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

والكلبي[١]، وقال قتادة[٢]: هو النهار كله، وقال مقاتل[٣]: يريد حَرَّها، كقوله تعالى في ﴿طه﴾: ﴿وَلَا تَضْحَىٰ﴾[٤]، يعني: وَلَا يُؤْذِيكَ حَرُّها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ يعني: تَبِعَها، يُقال: تَلا يَتْلُو تُلُوًّا: إذا اتَّبَعَ، وذلك في النصف الأول من الشهر، إذا غَرَبَت الشمسُ تَلاَها القَمَرُ فِي الإضاءةِ، وَخَلَفَها في النُّورِ[٥]، ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣﴾ يعني: جَلَّى الشَّمْسَ، وَكَشَفَها بِإِضاءَتِها، وقيل: جَلَّى الظُّلْمَةَ وَكَشَفَها، فجازت الكناية عن الظلمة وَإِنْ لَمْ تُذْكَرْ؛ لأن معناها معروف بِذِكْرِ القَمَرِ، وهذا كما يُقال: أَصْبَحَتْ بارِدةً، وَأَمْسَتْ دَفِيئَةً، وَهَبَّتْ شَمالًا؛ لأن المعنى معروف لِما ذُكِرَ في أَوَّلِهِ، وهذا قول الفَرّاءِ[٦]، قال الصَّفّارُ[٧]: وهو قولٌ بعيدٌ؛ لأن الظُّلْمَةَ لَمْ يَتَقَدَّمْ لَها ذِكْرٌ.

﴿وَالَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ۝٤﴾؛ أي: يَغْشَى الشَّمْسَ، فَيَذْهَبُ بِضَوْئِها فَتَغِيبُ

---

(١) ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٦٢، جامع البيان ٣٠/ ٢٦١، الكشف والبيان١٠/ ٢١٢، الوسيط ٤/ ٤٩٤.

(٢) ينظر قوله فِي جامع البيان ٣٠/ ٢٦١، الكشف والبيان ١٠/ ٢١٢، الوسيط ٤/ ٤٩٤، زاد المسير ٩/ ١٣٧.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٢١٢، المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٧، زاد المسير ٩/ ١٣٧، البحر المحيط ٨/ ٤٧٣.

(٤) من الآية ١١٩.

(٥) قاله ابن عباس وابن زيد، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٦١، الكشف والبيان ١٠/ ٢١٢، زاد المسير ٩/ ١٣٨.

(٦) معانِي القرآن ٣/ ٢٦٦.

(٧) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٣٥.

فَتُظْلِمُ الآفاقُ، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ۝٥﴾؛ أي: والَّذِي بَناها[1]، وقيل[2]: وَمَنْ بَناها كقوله تعالى: ﴿فَٱنكِحُواْ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[3]، وقوله: ﴿وَلَا تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾[4]، «ما» بمعنى «مَنْ»، كقول أهل الحجاز: فَسُبْحانَ ما يُسَبِّحُ لَهُ الرَّعْدُ[5]، فإن «ما» يَعُمُّ كُلَّ شَيْءٍ.

وقال الفَرّاءُ[6] والزَّجّاجُ[7]: «ما» بمعنى المصدر، تقديره: وَبِنائِها. ويحتاج إلَى تقديرِ حَذْفِ مُضافٍ تقديره: وَصاحِبِ بِنائِها، وهو الأَصَحُّ[8].

---

(١) قاله الأخفش في معانِي القرآن ص ٥٣٩، وأبو عبيدة في مجاز القرآن ١/ ٢٤٠، ٢٤١، ٢/ ٩٥، وحكاه ابن قتيبة والزجاجي عن أبي عمرو بن العلاء، ينظر: تأويل مشكل القرآن ص ٥٣٣، حروف المعانِي للزجاجي ص ٥٥.

(٢) قاله أبو عبيدة في مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠، والأزهري في تهذيب اللغة ١٥/ ٦٢٦، وحكاه ابن فارس عن أبِي عبيدة في الصاحبي ص ٢٦٩.

(٣) النساء ٣.

(٤) النساء ٢٢.

(٥) هذا القول حكاه أبو عمرو وأبو زيد عن العرب، ينظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٣، المقتضب للمبرد ٢/ ٢٩٥، ٤/ ١٨٥، الأصول لابن السراج ٢/ ١٣٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢، المسائل الشيرازيات ص ٤٩٣، المسائل المشكلة ص ٢٦٥.

(٦) قال الفراء: «وقد تكون «ما» وما بعدها في معنى المصدر، كقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، ﴿وَنَفْسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾، كأنه قال: والسَّماءِ وَبِنائِها، وَنَفْسٍ وَتَسْوِيَتِها». معانِي القرآن ٣/ ٢٦٣-٢٦٤.

(٧) قال الزجاج: «وقوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ معناه: والسَّماءِ وَبِنائِها، وكذلك: ﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ معناه: والأَرْضِ وَطَحْوِها، وكذلك: ﴿وَنَفْسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾. معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢.

(٨) المؤلف بهذا يختار رأي الفَرّاءِ والزَّجّاجِ، وإليه ذهب المُبَرِّدُ وابنُ السَّرّاجِ والنَّحّاسُ وابنُ خالَوَيْهِ، ينظر: المقتضب للمبرد ٢/ ٥١، ٢٩٥، الأصول لابن السراج ٢/ ١٣٥، ١٣٦، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٣٥-٢٣٦، إعراب ثلاثين سورة لابن خالويه ص ٩٨.

قال بعض النحويين(١): وقد يدخل «ما» لِصِفاتِ مَنْ يَعْقِلُ، كقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢)؛ لأن الرَّبَّ هو المالِكُ، والمالِكُ صِفةٌ.

﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦﴾؛ أي: وَسَّعَها وَبَسَطَها على الماء، وفي «ما» الوجهان أيضًا كما ذكرنا، ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧﴾؛ أي: عَدَلَ خَلْقَها، وَسَوَّى أَعْضاءَها، وفي «ما» أيضًا الوجهان كما تقدم.

قوله: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ يعني: بَيَّنَ لَها الخَيْرَ والشَّرَّ، وقيل: عَلَّمَها الطاعة والمعصية، والإِلْهامُ: التَّلْقِينُ، والالْتِهامُ: الابْتِلاعُ، يقال: جَيْشٌ لَهامٌ كأنه يَلْتَهِمُ ما يَمُرُّ به، وَفَرَسٌ لِهَمٌّ كأنه يَلْتَهِمُ الأَرْضَ(٣)، وقيل: أصله التشريف، واللَّهامِيمُ: الأَشْرافُ، هكذا ذكره صاحب/ إنسان العين(٤). [٣١٨/ أ]

فصل

عن أَبِي هريرة قال: سمعتُ النَّبي ﷺ يقول: «إن الله تعالَى مَنَّ عَلَى

---

(١) هو طاهر بن أحمد بن بابشاذ، وهذا ما قاله في شرح الجمل ١/ ٣٦.

(٢) الشعراء ٢٣.

(٣) قال ابن دريد: «واللَّهْمُ: أصل بناءِ الْتَهَمَهُ الْتِهامًا: إذا ابتَلَعَهُ، وَجَيْشٌ لُهامٌ: يَلْتَهِمُ كُلَّ شَيْءٍ، وَبَحْرٌ لِهَمٌّ: واسِعٌ كَثِيرُ الماءِ، وَرَجُلٌ لِهَمٌّ: جَوادٌ، وَفَرَسٌ لِهَمٌّ وَلِهْمِيمٌ وَلُهْمُومٌ: إذا كان جوادًا غَزِيرَ الجَرْيِ، وَأَلْهَمَهُ اللهُ كذا وكذا إِلْهامًا». جمهرة اللغة ٢/ ٩٨٧، وينظر: المحيط في اللغة ٣/ ٤٩٤، اللسان: لهم.

وقال الأزهري: «وقال الليث: فَرَسٌ لِهَمٌّ، وَلِهْمِيمٌ: سابقٌ يَجْرِي أمامَ الخَيْلِ؛ لالْتِهامِهِ الأَرْضَ، والجميع لَهامِيم، ورجُلٌ لَهُوم: أكول، ويقال: أَلْهَمَهُ اللهُ خَيْرًا؛ أي: لَقَّنَهُ خَيْرًا، ونَسْتَلْهِمُ اللهَ الرَّشادَ، وَجَيْشٌ لُهام: يَغْتَمِرُ مَنْ يَدْخُلهُ أي: يُغَيِّب ما فِي وَسَطه». تهذيب اللغة ٦/ ٣١٨-٣١٩.

(٤) لَمْ يذكره فِي عين المعانِي.

قَوْمٍ، فَأَلْهَمَهُم الخَيْرَ، وَأَدْخَلَهُمْ فِي رَحْمَتِهِ، وابْتَلَى قَوْمًا، فَخَذَلَهُمْ وَذَمَّهُمْ على أَفْعالِهِمْ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا غَيْرَ ما ابْتَلاهُمْ بِهِ، فَعَذَّبَهُمْ وَقَدْ عَدَلَ فِيهِمْ»[(١)].

وقد رُوِيَ في هذه الآيةِ الحَدِيثُ الصَّحِيحُ، وَأَنَّ تفسيرها: «التَّوْفِيقُ مِنَ اللهِ لِلْخَيْرِ والخِذْلَانُ لِلشَّرِّ»[(٢)]، رواه مُسْلِمٌ بإسناده عن عِمْرانَ بنِ الحُصَيْنِ عن النَّبِيِّ ﷺ.

قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ يعني: سَعِدَ وَفازَ مَنْ أَصْلَحَها وَطَهَّرَها من الذُّنُوبِ، وهذا جواب القسم.

قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ خابَتْ وَخَسِرَتْ نَفْسٌ أَضَلَّها اللهُ وَأَغْواها، وقيل: المعنى: أَفْلَحَ مَنْ زَكّاهُ اللهُ، وَخابَ مَنْ أَضَلَّهُ اللهُ.

وأصل ﴿دَسَّىٰهَا﴾: دَسَّسَها من التَّدْسِيسِ، وهو إخْفاءُ الشَّيْءِ، لَكِنْ أَبْدَلُوا من السين الثانية ياءً، وَقُلِبَتْ أَلِفًا لِتَحْرِيكِها وانْفِتاحِ ما قَبْلَها[(٣)]، وقيل[(٤)]:

---

(١) ينظر: طبقات المحدثين بأصبهان ٢/ ٤١٣-٤١٤، الوسيط ٤/ ٤٩٦، كنز العمال ١/ ١١٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه ٨/ ٤٧ كتاب القَدَرِ: باب حِجاجِ آدَمَ وَمُوسَى، عليهما السلام، وينظر: كتاب السُّنّة لابن أبي عاصم ص ٧٦، ٧٧، المعجم الكبير للطبراني ١٨/ ٢٢٣، ٢٢٤، جامع البيان ٣٠/ ٢٦٥.

(٣) قاله ابن خالويه والجوهري، ينظر: إعراب ثلاثين سورة ص ١٠٢، الصحاح ٦/ ٢٣٣٦، وينظر أيضًا: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٧، المخصص ١٣/ ٢٨٨.

(٤) قاله الفراء وابن السكيت وابن قتيبة والزجاج، ينظر: معاني القرآن للفراء٣/ ٢٦٧، الإبدال لابن السكيت ص ١٣٤، تأويل مشكل القرآن ص ٣٤٤، أدب الكاتب ص ٣٧٦، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٢، وحكاه الأزهري عن الليث وابن الأعرابِيِّ في تهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١، ١٣/ ٤١.

الأصل: دَسَّسْتَ، فَقُلِبَت السينُ ياءً، قال أبو عبيدة[١]: والعرب تقلب حروف المضاعفة إلَى الياء. قال قيس بن عمرو[٢]:

٥١٧ـ فَأَنْتَ الذِي دَسَّيْتَ عَمْرًا، فَأَصْبَحَتْ حَلاَئِلُهُ مِنْهُ أرامِلَ ضُيَّعا[٣]

يعني: أغْوَيْتَ. وقال صاحب «إنسان العين»[٤]: أصله: دَسَّسَ أو دَسَّ نَفْسَهُ في الصالحين، وليس منهم، ومعنى ﴿دَسَّـٰهَا﴾ هاهنا؛ أي: أهْمَلَها وَخَذَلَها وَأَخْفَى مَحَلَّها وَلَمْ يَشْهَرْها بالطاعة والعمل الصالح.

فصل

عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: انْتَبَهْتُ لَيْلَةً فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللهِ

---

(١) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٠.

(٢) قيس بن عمرو بن مالك، من بَنِي الحارث بن كعب، يُعرف بِالنَّجاشِيِّ الحارِثِيِّ، كان فاسقاً رقيق الإسلام، وهو شاعر هَجّاءٌ مُخَضْرَمٌ، اشتهر في الجاهلية والإسلام، أصله من نَجْرانَ، انتقل إلَى الحجاز، واستقر بالكوفة وهجا أهلها، وهَدَّدَهُ عُمَرُ بقطع لسانه، توفِّي سنة (٤٠هـ). [الشعر والشعراء ص ٣٣٦].

(٣) البيت من الطويل، لقيس بن عمرو، وَنُسِبَ لرجل من طيء، وزعم أبو حاتِمٍ أنه مصنوع، وَيُرْوَى عَجُزُهُ:

حَلاَئِلُهُ مِنْهُمْ أرامِلُ ضُيَّعُ

التخريج: جمهرة اللغة ص ١٠٥٨، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٤٢٤، شفاء الصدور ورقة ٢٤٣، تهذيب اللغة ١٣/ ٤١، مقاييس اللغة ٢/ ٢٧٧، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٧، اللسان: دسا، البحر المحيط ٨/ ٤٧٢، الدر المصون ٦/ ٥٣١، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٣٦٣، فتح القدير ٥/ ٤٤٩.

(٤) عين المعانِي ورقة ١٤٥/ ب، وعبارة «دس نفسه في الصالحين» حكاها ثعلبٌ عن ابن الأعرابِي، ذكر ذلك النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٤٣/ أ، والأزهري في تهذيب اللغة ١٢/ ٢٨١، وأبو بكر السجستانِيُّ في غريب القرآن ص ١٧٩.

ﷺ يقول: «رَبِّ أعْطِ نَفْسِي تَقْواها، وَزَكِّها أنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكّاها، أنْتَ وَلِيُّها وَمَوْلاَها»(١).

قوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ١١﴾؛ أي: بِطُغْيانِها وَعَداوَتِها، قرأه العامة بفتح الطاء، وقرأ الحَسَنُ وَحَمّادُ بنُ سَلَمَةَ بضم الطاء(٢)، والطَّغْوَى اسمٌ من الطُّغْيانِ كالدَّعْوَى من الدُّعاءِ، والواو بدل الياء كالتَّقْوَى(٣)، وإن كان من: طَغَوْتَ فهو كالدَّعْوَى من: دَعَوْتُ(٤)، وتُرفع الطّاءُ كالفُتْيا(٥)، والمعنى: أن الطُّغْيانَ حَمَلَهُمْ على التكذيب.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٢٠٩، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢١٤، الوسيط ٤/ ٤٩٨.

(٢) وهي أيضًا، قراءة محمد بن كعب والجَحْدَرِيِّ، ينظر: المحتسب ٢/ ٣٦٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٨، البحر المحيط ٨/ ٤٧٥.

(٣) الطَّغْوَى من ذوات الياء، ولكنْ قُلِبَت الياءُ واوًا؛ لأنه اسم جاء على وزن «فَعْلَى»، قال الزجاج: «وأصل «طَغْواها»: طَغْياها، و«فَعْلَى» إذا كانت من ذوات الياء أُبدلت في الاسم واوًا؛ لِيُفْصَلَ بين الاسم والصفة». معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٣، وقال ابن خالويه: «العرب إذا أتَتْ بِهَذا البِناءِ على «فَعْلَى» ظهرت الواوُ، وإن كانت من ذوات الياء، فإذا ضَمُّوا له أوَّلَهُ صَحَّت الياءُ، فيقولون: الفَتْوَى والفُتْيا، والبَقْوَى والبُقْيا، والطَّغْوَى والطُّغْيا... ومعنى الطَّغْوَى والطُّغْيا والطُّغْيانِ واحدٌ، فمعناه: كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطُغْيانِها، ولكنه أتى بالمصدر على «فَعْلَى» ليوافق رُءُوسَ الآيِ». إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٩٠، وينظر: تهذيب اللغة ٨/ ١٦٧، المسائل الشيرازيات ص ٢٠٢، المحتسب ٢/ ٣٦٣.

(٤) يعني أنه إذا كان من «طَغَوْتَ تَطْغَى»، فإن الواو في «طَغْواها» غير منقلبة، وهذه لغةٌ حكاها الأخفش، فقال: «وقال: ﴿لاَ تَطْغَوْا﴾ [هود: ١١٢] من طَغَوْتَ تَطْغَى مثل مَحَوْتَ تَمْحَى». معانِي القرآن ص ٣٥٩، وقال ابن السكيت: «الكسائي: طَغَوْتَ يا رَجُلُ وَطَغَيْتَ». إصلاح المنطق ص ١٤١، وينظر: التكملة للفارسي ص ٢٦٩، المسائل الشيرازيات ص ٢٠٢، الصحاح للجوهري ٦/ ٢٤١٢، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٧٩.

(٥) يعني أن الطاء تُضَمُّ؛ ليصير «طُغْيا» على وزن «فُعْلَى» مثل الفُتْيا، ينظر: إعراب القراءات =

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا ۝١٢﴾؛ أي: انْتُدِبَ وَقامَ بِهِ، يُقالُ: بَعَثْتُهُ عَلَى الأَمْرِ فانْبَعَثَ لَهُ، والأَشْقَى: عاقِرُ النّاقةِ، وهو مِصْدَعٌ وَقُدارُ بنُ سالِفٍ، لكن «أَفْعَلَ» يستوي فيه الواحدُ والجَمْعُ والمُذَكَّرُ[1]، يقال: هُوَ أَفْضَلُ وَهُما أَفْضَلُ وَهُمْ أَفْضَلُ، والمعنى: أَفْضَلُ مِنْ كَذا، فتحذف «مِنْ» وما اتصل بها، كما تقول: أَبُوكَ أَفْضَلُ، وَأَخُوكَ أَعْقَلُ؛ أي: أَفْضَلُ وَأَعْقَلُ مِنْ غَيْرِهِ[2]، قال الشاعر:

٥١٨ـ إذا ما سُتُورُ البَيْتِ أُرْخِينَ لَمْ يَكُنْ ... سِراجٌ لَنا إِلّا وَوَجْهُكِ أَنْوَرُ[3]

أراد: أَنْوَرُ مِنْ غَيْرِهِ، وذلك لأنه خبر مبتدأ، والخَبَرُ ما أفادَ السّامِعَ، ولا تقع الإفادة إلا/ بتقدير المحذوف. [٣١٨/ ب]

= السبع ٢/ ٤٩٠، وقال الجوهري: «قال الأصمعي: طُغْيا بالضم، وقال ثعلب: طَغْيا بالفتح، وهو الصغير من بَقَرِ الوَحْشِ». الصحاح ٦/ ٢٤١٣.

(١) المؤلف في كلامه هذا مُتابِعٌ للفراء في أن قوله: «أشْقاها» للاثنين، فقد قال: «وقوله تعالى: «إذِ انْبَعَثَ أشْقاها» يُقال: إنهما كانا اثنين: فُلانُ بنُ دَهْرٍ، والآخر: قُدارٌ، وَلَمْ يَقُلْ: أشْقَياها، وذلك جائز لو أتى؛ لأن العرب إذا أضافت «أفْعَلَ» التي يَمْدَحُونَ بها وَتَدْخُلُ فيها «مِنْ» إلَى أسْماءٍ وَحَّدُوها في موضع الاثنين والمؤنث والجمع، فيقولون للاثنين: هَذانِ أفْضَلُ النّاسِ، وَهَذانِ خَيْرُ النّاسِ، وَيُثَنُّونَ أيضًا، ». معانِي القرآن ٣/ ٢٦٨.
قال النحاس مُعَلِّقًا على كلام الفراء: «هذا الذي حَكاهُ خِلافُ ما قال اللهُ تعالى، وقاله رسول الله ﷺ، وقاله أهل التأويل، قال الله: «أشْقاها»، فَخَبَّرَ عن واحدٍ، فَحَكَى [يعني الفراء] أنهما اثنان، وقال رسول الله ﷺ: «انْتُدِبَ لَها رَجُلٌ»، وَلَمْ يَقُلْ: رَجُلانِ، وقال أهل التأويل: انْتُدِبَ لَها قُدارُ ابنُ سالِفٍ». إعراب القرآن ٥/ ٢٣٨، وقد أجاز الزمخشريُّ وابنُ عطية والباقولِيُّ ما ذهب إليه الفراء، ينظر: الكشاف ٤/ ٢٥٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٨٨، كشف المشكلات ٢/ ٤١٩.

(٢) هذا القول حكاه ابن الأنباري عن ثعلب عن الكسائي والفراء وهشامٍ في الزاهر ١/ ٣٠.

(٣) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله.

التخريج: معانِي القرآن للفراء ٢/ ٨٣، الزاهر لابن الأنباري ١/ ٣٠، الأزهية للهروي ص ٢٣٩، همع الهوامع ١/ ٣٧١، خزانة الأدب ٨/ ٢٤٤.

والمعنى: أنَّ عاقِرَ النّاقةِ هُوَ أشْقى الأوَّلِينَ عَلَى لِسانِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، لِما رُوِيَ عن صُهَيْبٍ قال: قال رسول الله ﷺ لِعَلِيٍّ ـ كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ ـ: «مَنْ أشْقَى الأوَّلِينَ؟» قال: عاقِرُ النّاقةِ، قال: «صَدَقْتَ»، قال: «فَمَنْ أشْقَى الآخِرِينَ؟» قال: قُلْتُ: لا أعْلَمُ يا رَسُولَ اللهِ، قال: «الذي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذِهِ»[1]، وَأشارَ بِيَدِهِ إلَى يافُوخِهِ.

قوله تعالَى: ﴿فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾ يعني: صالِحٌ عليه السّلام ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾﴾ يعني: شِرْبَها وَقِسْمَها مِنَ الماءِ، ونصب ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾ على الإغْراءِ؛ أي: احْذَرُوا عَقْرَ ناقةِ اللهِ[2]، وكل تحذير فما بعده نصب عليه، و«سُقْياها» عطف على ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾، ﴿فَكَذَّبُوهُ﴾ يعني صالِحًا ﴿فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ﴾؛ أي: أهْلَكَهُمْ رَبُّهُمْ بِتَكْذِيبِهِمْ رَسُولَ اللهِ وَعَقْرِهِم النّاقةَ ﴿فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾﴾ يعني: فَسَوَّى الدَّمْدَمةَ عليهم جَمِيعًا وَعَمَّهُمْ بِها، فاسْتَوَتْ عَلَى صَغِيرِهِمْ وَكَبِيرِهِمْ.

قال المُؤَرِّجُ[3]: والدَّمْدَمةُ: إهْلَاكٌ باسْتِئْصالٍ، قال الجَوْهَرِيُّ[4]: يُقال: دَمْدَمْتُ الشَّيْءَ: إذا ألْصَقْتَهُ بِالأرْضِ وَطَحْطَحْتَهُ، وقال العَزِيزِيُّ[5]: أرْجَفَ بِهِم الأرْضَ، وَحَرَّكَها عليهم، وقال الأزهري[6]: أطْبَقَ عَلَيْهِمْ، والكُلُّ معناه:

---

(١) رواه الطبراني في المعجم الكبير ٨/ ٣٨، وأبو يَعْلَى في مسنده ١/ ٣٧٧، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٩/ ١٣٦ كتاب المناقب: باب مناقب عَلِيٍّ.

(٢) يعني بالإغراء هنا التحذير، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٦٨، معانِي القرآن للأخفش ص ٥٣٩، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٠، إعراب القرآن ٥/ ٢٣٨، مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٧.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٢١٥، الوسيط ٤/ ٥٠٠، زاد المسير ٩/ ١٤٣، البحر المحيط ٨/ ٤٧٢.

(٤) الصحاح ٥/ ١٩٢١.

(٥) يعني أبا بكر العزيزي السجستانِيَّ، قاله في تفسير غريب القرآن ص ١٧٩.

(٦) تهذيب اللغة ١٤/ ٨١.

أهلكهم، ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾؛ أي: سَوّاها بِالأَرْضِ. قال الشاعر:

٥١٩ ـ فَدُمْدِمُوا بَعْدَما كانُوا ذَوِي نِعَمٍ وَعِيشَةٍ أُسْكِنُوا مِنْ بَعْدِها الحُفَرا[1]

وقرأ عبد الله بن الزُّبَيْرِ: «فَدَهْدَمَ عَلَيْهِمْ»[2] بالهاء، وهُما لغتان كقولك: امْتُقِعَ واهْتُقِعَ: إذا تَغَيَّرَ لَوْنُهُ[3].

قوله: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾﴾ يعني عاقِبَتَها، قرأ أهل المدينة والشام: ﴿فَلَا يَخافُ﴾ بالفاء، وقرأ الباقون بالواو[4]، فمن قرأ بالفاء فالفعل للهِ ـ عزّ وجلّ ـ[5]، ومن قرأ بالواو فالفعل لِلْعاقِرِ[6]، وقيل[7]: للهِ تعالَى كالفاء، والله أعلم.

---

(١) البيت من البسيط، لَمْ أقف على قائله.
التخريج: الزاهر لابن الأنباري ١/ ١٨٩.

(٢) ينظر: إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٩١، شواذ القراءة للكرمانِيِّ ورقة ٢٦٦، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٩، البحر المحيط ٨/ ٤٧٦.

(٣) قاله الثعلبي في الكشف والبيان ١٠/ ٢١٥، وامْتُقِعَ واهْتُقِعَ وانْتُقِعَ وابْتُقِعَ، كُلُّها أَلْفاظٌ لا تَأْتِي إلّا بصيغة المَبْنِيِّ للمفعول، ينظر: التهذيب ٦/ ٥٣٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٩، اللسان: مقع، هقع.

(٤) قرأ أُبَيٌّ ونافع وابن عامر وأبو جعفر والأعرج: «فَلَا يَخافُ» بالفاء، ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قرأ: ﴿وَلَمْ يَخَفْ عُقْباها﴾، وهي قراءة ابن الزبير أيضًا، وقرأ الباقون بالواو، ينظر: السبعة ص ٦٨٩، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٩١، تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٠، البحر المحيط ٨/ ٤٧٦، الإتحاف ٢/ ٦١٢.

(٥) هذا القول حكاه النحاس عن نفطويه في إعراب القرآن ٥/ ٢٤٠، وحكاه الأزهري عن ابن الأنباري في معانِي القراءات ٣/ ١٥٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٨.

(٦) قاله الفراء في معانِي القرآن ٣/ ٢٧٠، وحكاه النحاس عن شَيْخِهِ إبْراهِيمَ بنِ محمدٍ في إعراب القرآن ٥/ ٢٤٠، وحكاه الأزهري عن ابن الأنباري في معاني القراءات ٣/ ١٥٠، وينظر: مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٨.

(٧) قاله ابن عباس والحسن وقتادة ومجاهد، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٦٤، جامع البيان =

سورة ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾

مكية وقيل: مدنية

وهي ثلاثمائة وعشرة أحرف، وإحدى وسبعون كلمةً، وإحدى وعشرون آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿وَٱلَّيۡلِ﴾ أعْطاهُ اللهُ ـ تَعالَى ـ حَتَّى يَرْضَى، وَعافاهُ مِنَ العُسْرِ، وَيَسَّرَ لَهُ اليُسْرَ»[1]، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ اللَّيْلِ لَمْ يَسْخَطِ اللهُ عَلَيْهِ أبَدًا»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١﴾ يعني: يَغْشَى كُلَّ شَيْءٍ بِظُلْمَتِهِ،

= ٣٠/ ٢٧١، وبه قال مَكِّيُ بنُ أَبِي طالِبٍ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٨، والكشف عن وجوه القراءات ٢/ ٣٨٢، وحكاه ابن سيده عن ثعلب في المحكم والمحيط الأعظم ١/ ١٤٠.

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢١٦، الوسيط ٤/ ٥٠١، الكشاف ٤/ ٢٦٢، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٧٣.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

فَيَصِيرُ لَهُ كالغِشاءِ، فحذف المفعول[١]، وقيل[٢]: يَغْشَى النَّهارَ بظُلْمَتِهِ، فَيُذْهِبُ ضَوْءَ النَّهارِ كقوله تعالى: ﴿يُغْشِي ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ / يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾[٣]، ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾؛ أي: ظَهَرَ وَبانَ، والمعنى: تَجَلَّى عن ظُلْمةِ اللَّيْلِ، أقْسَمَ اللهُ تعالَى بالليل والنهار[٤]، وله أن يُقْسِمَ بما شاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وقال الصَّفّارُ[٥]: قوله: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ خفض على العطف، وليستْ بِواوِ قَسَمٍ. [٣١٩/ أ]

قوله: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ قال مقاتل والكَلْبِيُّ[٦]: يعني آدَمَ وَحَوّاءَ، و«ما» والفعل مصدر؛ أي: وَخَلْقِ الذَّكَرِ والأُنْثَى، وقيل: «ما» بمعنى «مَنْ»، أقْسَمَ اللهُ تعالَى بنفسه، وقيل: «ما» بمعنى «الذي»[٧]، وهو قول الحَسَنِ والكَلْبِيِّ[٨]، وجواب القسم قوله تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ۝٤﴾؛ أي: إنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ، عَمَلٌ لِلْجَنّةِ وَعَمَلٌ لِلنّارِ.

قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥﴾؛ أي: أعْطَى مالَهُ في سبيل الله، واتَّقَى رَبَّهُ، واجْتَنَبَ مَحارِمَهُ ﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦﴾؛ أي: أيْقَنَ بِالخَلَفِ، وقيل: بالجنة،

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٤١، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٠.
(٢) قاله ابن عباس والطبري والنقاش والثعلبي، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٧٣، شفاء الصدور ورقة ٢٤٤/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢١٦، زاد المسير ٩/ ١٤٥.
(٣) الأعراف ٥٤.
(٤) ذهب الزجاج إلَى أن قوله تعالى: «والنَّهارِ» قَسَمٌ آخَرُ، وليس معطوفًا على «واللَّيْلِ»، ينظر: معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٥.
(٥) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٤١.
(٦) ينظر قولهما في الوسيط للواحدي ٤/ ٥٠١، زاد المسير ٩/ ١٤٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٢.
(٧) ينظر ما سبق من آراء في «ما» هذه في الآية الخامسة من سورة الشمس ٤/ ٤٤٥.
(٨) ينظر قولهما في جامع البيان ٣٠/ ٢٧٥، الوسيط ٤/ ٥٠١، عين المعانِي ورقة ١٤٥/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٠-٨١.

وقيل: بـ«لا إله إلّا الله» ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ أي: فَسَنُهَيِّئُهُ لِعَمَلِ الخَيْرِ، وقيل: للجنة، وموضع ﴿مَنْ﴾ رفع بالابتداء، و﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾ الخبر، وهو شرط وجزاء.

قال المفسرون[1]: نزلت هذه الآية في أبي بكر الصِّدِّيقِ ـ رضي الله عنه ـ، اشترى سَبْعَةَ نَفَرٍ من المؤمنين كانوا في أيْدِي أهْلِ مَكَّةَ يُعَذِّبُونَهُمْ في الله فَأعْتَقَهُمْ، فقال عَمّارُ بنُ ياسِرٍ ـ رضي الله عنه ـ وهو يَذْكُرُ بلالًا وَأصْحابَهُ وما كانوا فيه من البلاء وَإعْتاقَ أَبِي بَكْرٍ إيّاهُمْ، وكان اسم أَبِي بَكْرٍ عَتِيقًا:

٥٢٠ ـ جَزَى اللهُ خَيْرًا عَنْ بِلالٍ وَصَحْبِهِ ... عَتِيقًا، وَأخْزَى فاكِهًا وَأبا جَهْلِ

عَشِيّةَ هَمّا فِي بِلالٍ بِسَوْءَةٍ ... وَلَمْ يَحْذَرا ما يَحْذَرُ المَرْءُ ذُو العَقْلِ

بِتَوْحِيدِهِ رَبَّ الأنامِ وَقَوْلِهِ ... شَهِدْتُ بِأنَّ اللهَ رَبِّي عَلَى مَهْلِ

فَإنْ يَقْتُلُونِي يَقْتُلُونِي فَلَمْ أكُنْ ... لأُشْرِكَ بِالرَّحْمَنِ مِنْ خِيفَةِ القَتْلِ

فَيا رَبَّ إبْراهِيمَ والعَبْدِ يُونُسٍ ... وَمُوسَى وَعِيسَى نَجِّنِي، ثُمَّ لاَ تُمْلِ

لِمَنْ ظَلَّ يَهْوَى الغَيَّ مِنْ آلِ غالِبٍ ... عَلَى غَيْرِ بِرٍّ كانَ مِنْهُ وَلَا عَدْلِ[2]

قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ﴾ يريد: بمالِهِ ﴿وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨﴾ عن الله ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩﴾ يعني: جَحَدَ الآخِرةَ والجَنّةَ ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ يعني: لِعَمَلِ أهْلِ

---

(١) روى الحاكم ذلك بسنده عن عبد الله بن الزبير في المستدرك ٢/ ٥٢٥ كتاب التفسير: سورة «واللَّيْلِ إذا يَغْشَى»، وينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٧٩، شفاء الصدور ورقة ٢٤٤/ ب، أسباب النزول ص ٣٠١، الوسيط ٤/ ٥٠٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ٨٢، ٨٣.

(٢) الأبيات من الطويل، لِعَمّارِ بنِ ياسِرٍ ـ رضي الله عنه ـ.

التخريج: فضائل الصحابة للنسائي ١/ ١٢٠، الوسيط ٤/ ٥٠٣، حلية الأولياء لأبِي نعيم ١/ ١٤٨، تاريخ مدينة دمشق ١٠/ ٤٤١، ٤٣/ ٣٧٦، سبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٢/ ٣٦٢.

النار، قيل[١]: نزلت هذه الآية في أبي سُفْيانَ بن حَرْبٍ، وقيل: في أُمَيّةَ وَأُبَيٍّ ابْنَيْ خَلَفٍ الجُمَحِيِّ؛ لأنهما كانا كافرين، وأبو سفيان مات على الإسلام، وقيل: الآية عامّةٌ فِي الكفار.

ومعنى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ﴾؛ أي: نُهَيِّئُهُ، والعرب تقول: قد يَسَّرَتِ الغَنَمُ: إذا تَهَيَّأَتْ لِلْوِلاَدةِ[٢]، وقد تقدم الإعراب في الآية قبلها، فأغْنَى عن الإعادة هاهنا؛ إذ المعنى واحد/ . [٣١٩/ ب]

فصل

عن عَلِيِّ بنِ أبي طالِبٍ ـ رضي الله عنه ـ قال: كُنّا فِي جِنازةٍ في بَقِيعِ الغرْقَد[٣]، فَأتانا النَّبِيُّ ﷺ، فَقَعَدَ وَنَحْنُ حَوْلَهُ، وَبِيَدِهِ مِخْصَرةٌ لَهُ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ[٤] بِها الأرْضَ وَيُفَكِّرُ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقالَ: «ما مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ الجَنّةِ، وَمَقْعَدُهُ مِنَ النّارِ، وما مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسةٍ إلّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيّةً أو سَعِيدةً»، فقال رَجُلٌ من القوم: أفَلاَ نَتَّكِلُ عَلَى كِتابنا وَنَدَعُ العَمَلَ؟ فَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ السَّعادةِ فَسَيَصِيرُ إِلَى السَّعادةِ وَمَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاوةِ

---

(١) ينظر: الوسيط ٤/ ٥٠٤، زاد المسير ٩/ ١٥٠، تاريخ دمشق ٣٠/ ٧٠.

(٢) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٧١، وأنشد:

هُما سَيِّدانا يَزْعُمانِ، وَإنَّما ... يَسُودانِنا أنْ يَسَّرَتْ غَنَماهُما

وقاله النقاش في شفاء الصدور ٢٤٤/ ب، وحكاه الأزهري عن الفراء وأبي عبيد في تهذيب اللغة ١٣/ ٥٩، ٦٠.

(٣) بَقِيعُ الغَرْقَدِ: مقبرة بالمدينة، والبَقِيعُ: المكان المُتَّسِعُ، ولا يُسَمَّى بَقِيعًا إلّا وفيه شَجَرٌ، والغَرْقَدُ: شَجَرٌ له شَوْكٌ كان يَنْبُتُ في هذه المقبرة، فَذَهَبَ وَبَقِيَ الاسمُ لازمًا للموضع. معجم البلدان ١/ ٥٦٠، اللسان: بقع.

(٤) يَنْكُتُ بِها الأرْضَ؛ أي: يَضْرِبُ الأرضَ بِطَرَفِها فَيُؤَثِّرُ فيها. اللسان: نكت.

فَإِنَّهُمْ مُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ الشِّقْوةِ، فقال: «لا، اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا، فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِما خُلِقَ لَهُ، أمّا مَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ السَّعادةِ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعادةِ، وَأَمّا مَنْ كانَ مِنْ أَهْلِ الشَّقاوةِ، فَيُيَسَّرُ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقاوةِ»، ثُمَّ تَلا هذه الآياتِ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾[1]، رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

قولـه: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ يعني: في جَهَنَّـمَ، و«ما» في موضع نصب بـ﴿يُغْنِي﴾؛ أي: وَأَيُّ شَـيْءٍ يَدْفَعُ عنه مالُهُ إذا سَقَطَ فِي النّارِ؟[2] وقيل[3]: إذا هَلَـكَ، يُقال في الهَلاكِ: رَدِيَ يَرْدَى وَتَرَدَّى: إذا سَـقَطَ، وَرَدُؤَ الرَّجُلُ يَرْدُؤُ رَداءَةً، فَهُوَ رَدِيءٌ مُرْدِئٌ[4].

قولـه: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢﴾؛ أي: البيان، قال الزَّجّاجُ[5]: معناه: علينا أن

---

(١) صحيـح البخاري ٢/ ٩٩ كتاب الجنائز: باب موعظة المُحَـدِّثِ عند القَبْرِ، ٦/ ٨٤ كتاب تفسير القرآن: سورة «واللَّيْلِ إذا يَغْشَى»، صحيح مسلم ٨/ ٤٦، ٤٧ كتاب القَدَرِ: باب كيفية خلـق الأدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وَأَجَلِهِ. والمِخْصَرةُ: قضيب يُمْسِـكُهُ الرئيسُ لِيَتَوَكَّأَ عليه، وَيُشِيرَ بِهِ إِلَى ما يريد، سُمِّيَتْ بذلك لأنها تحمل تحت الخصر. اللسان: خصر.

(٢) يعني أن «ما» اسـتفهامية، قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٤٣، وذهب ابن خالويه إلى أن «ما» نافية، وأجازه مَكِّيٌّ، ينظر: إعراب ثلاثين سـورة ص ١١١، مشـكل إعراب القرآن ٢/ ٤٧٩، وينظـر أيضًـا: التبيان للعكبري ص ١٢٩١، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٨٥، تفسـير القرطبي ٢٠/ ٨٥، ٨٦، مغني اللبيب ص ٤١٥.

(٣) قالـه النحاس فِي إعراب القرآن ٥/ ٢٤٣، وينظر أيضًا: إعراب ثلاثين سـورة لابن خالويه ص ١١١.

(٤) هـذا أيضًا، من كـلام النحاس، وقـال الأزهري: «قـال الليث: رَدُؤَ الشَّـيْءُ يَـرْدُؤُ رَداءةً، وإذا أصـاب الإنسـانُ شَـيْئًا رَدِيئًا فهو مُرْدِئٌ، وكذلك إذا فعل شـيئًا رَدِيئًـا». تهذيب اللغة ١٤/ ١٦٧-١٦٨.

(٥) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٦.

نُبَيِّـنَ طَرِيقَ الهُدَى من طريق الضـلال، واللام لام توكيد دخلت على الهدى، فحُذفت الألف لئلا تشبه «لا» التي للنفي، ولالتصاق اللام بما بعدها[١]، وكذا قوله: ﴿وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ ﴿١٣﴾﴾ يعني: الدنيا والآخرة.

قوله: ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ﴾ يا أهل مكة ﴿نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ يعني: على الكفار، وقرأ عبيد بن عمير: ﴿تَـتَلَظَّى﴾ على الأصل، [وقرأ البَزِّيُّ: ﴿نارًا تَّلَظَّى﴾ بتشـديد التـاء][٢]، وقـرأ غيرهما على الحـذف[٣]، وهو فعل مسـتقبل، والأصل فيه: تتَلَظَّى، فأدغمت التاء بالتاء.

ومعنـى ﴿تَلَظَّىٰ﴾: تَوَهَّجُ وَتَلْتَهِـبُ وَتَأَجَّجُ ﴿لَا يَصْلَاهَا﴾؛ أي: لا يدخلها ﴿إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾﴾ يعنـي المشـرك ﴿الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾ كَذَّبَ بِاللهِ وَرُسُـلِهِ وَكُتُبِهِ، وَتَوَلَّى عن طاعة الله.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴿١٧﴾﴾ يعنـي: المُتَّقِي رَبَّهُ التّـارِكُ مَحارِمَهُ ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾﴾ يطلـب أن يكون عند الله زاكِيًا رغبةً إليه وَتَقَرُّبًا، لا يطلب رِياءً ولا سُمْعةً ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾﴾؛ أي: لا يُرِيدُ مُكافَأَةَ أَحَدٍ فَيُجازِيَهُ عليها، ولا يَتَصَدَّقُ لِيُكافَأَ على صَدَقَتِهِ ولا على نِعْمةٍ أُنْعِمَ بِها عَلَيْهِ ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ

---

(١) قاله النحاس في إعراب القرآن ٥/ ٢٤٣.

(٢) ما بين المعقوفتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) قرأ عبد الله بن مسعود وابن الزبير وزيد بن عَلِيٍّ وَعُبَيْدُ بن عُمَيْرٍ وسفيانُ بن عُيَيْنَةَ وعمرو ابن دينار وطلحة بن مصرف: «تَـتَلَظَّى» بتاءين، وقرأ ابن كثير في رواية البَزِّيِّ عنه ورويسٌ: ﴿نارًا تَّلَظَّى﴾ بإدغام التنوين في التاء، ينظر: السبعة ص ٦٩٠، مختصر ابن خالويه ص ١٧٥، إعراب القراءات السـبع ٢/ ٤٩٣، تفسـير القرطبي ٢٠/ ٨٦، البحر المحيـط ٨/ ٤٧٨، الإتحاف ٢/ ٦١٤.

رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ﴿٢٠﴾﴾؛ أي: إلا طَلَبَ ثَوابِ الله الآجِلِ بصفاته الكريمة، الرفيع بسلطانه، المَنِيعِ في شأنه وبرهانه، ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ يعني: بثواب الله تعالَى إذا / أدخله [٣٢٠/ أ] الجنــة، نزلت هذه الآية أيضًا في أَبِي بكر ـ رضي الله عنه ـ[1]، وقيل[2]: في أَبِي الدَّحْداحِ[3].

ونصب ﴿ٱبۡتِغَآءَ﴾ على الاســتثناء المنقطع، ودخول اللام على «سَوْفَ» ـ وهــو حرفٌ ـ دليلٌ أن «سَــوْفَ» كجــزءٍ من الفعــل، وإلا فاللام تدخل على الاسم أو ما ضارَعَهُ من الفعل، هكذا ذكره صاحب «إنسان العين»[4].

فصل

رُوِيَ عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «هَنِيئًا لَكَ يا أبا بَكْرٍ، هذا جِبْرِيلُ عليه السّلام يُخْبِرُنِــي عــن الله ـ عزّ وجلّ ـ أنه يقــول لَكَ: يا أبا بكر: أنــا راضٍ عَنْكَ، فَهَلْ

---

(١) روى الطبري ذلك عن عبد الله بن الزبير في جامع البيان ٣٠/ ٢٨٧، وينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٤٥/ ب، أسـباب النزول ص ٣٠١، الوسـيط ٤/ ٥٠٥، مجمـع الزوائد ٧/ ١٣٨ كتاب التفسير: سورة «واللَّيْلِ»، ٩/ ٥٠ كتاب المناقب: باب ما جاء في أَبِي بكر.

(٢) ذكره النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٤٥/ ب.

(٣) ويقــال: أبو الدَّحْداحةِ، وهو ثابت بن الدَّحْداحِ بن نُعَيْمِ بن غَنْمِ بن إياسٍ، حَلِيفُ الأنصار، أقبل في غزوة أُحُدٍ يَحُثُّ المســلمين على القتال، فَحَمَلَ بِمَنْ مَعَهُ على المشــركين، فَقَتَلَهُ خالد بن الوليد، وقيل: إنه بَرِئَ من جِراحِهِ، ومات بعد ذلك على فراشه بعد عودة النبي ﷺ من الحديبية. [أسد الغابة ١/ ٢٢١، الإصابة ١/ ٥٠٣].

(٤) لَمْ يذكر ذلك في عين المعانِي، وقد قال ابن جني: «وكذلك قوله تعالَى: ﴿فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ﴾، ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾، إنمــا الــلامُ داخِلةٌ فيه على الفعل لا على الحرف». ســر صناعــة الإعراب ص ٤٠٨، فليس هذا دليلًا على أن «سَــوْفَ» كَجُــزْءٍ من الفعل كما زعم صاحب إنسان العين، وتابعه الجبلي عليه.

أَنْتَ راضٍ عَنِّي؟» فَخَرَّ أَبُو بَكْرٍ ساجِدًا فقال: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ، أَنْتَ هَدَيْتَنِي وَرَزَقْتَنِي وَعَصَمْتَنِي، فَلَكَ الحَمْدُ يا رَبِّ كَثِيرًا، حَسْبِي يا رَبِّ، قَدْ رَضِيتُ قَدْ رَضِيتُ[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٤٦/ ب، وينظر: أسباب النزول ص ٢٧٢، تفسير القرطبي ١٧/ ٢٤٠، كنز العمال ١٢/ ٥٠٥، ٥٠٩.

سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾

مكية

وهي مائة وثمانية وخمسون حرفًا، وأربعون كلمةً، وإحدى عشرة آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ كانَ فِيمَنْ يَرْضاهُ اللهُ تعالَى لِمُحَمَّدٍ أنْ يَشْفَعَ لَهُ، وَيَكْتُبُ لَهُ بِعَدَدِ كُلِّ يَتِيمٍ وَسائِلٍ عَشْرَ حَسَناتٍ»[1]، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ الضُّحَى هَدَمَتْ ذُنُوبَهُ كَما يَهْدِمُ السَّيْلُ ما مَرَّ بِهِ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ أقْسَمَ اللهُ تعالَى بِالضُّحَى، والمراد به النَّهارُ كُلُّهُ[3]، بدليل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾؛ أي: سَكَنَ واسْتَقَرَّ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٢٢، الوسيط ٤/ ٥٠٧، الكشاف ٤/ ٢٦٥، مجمع البيان ١٠/ ٣٧٩.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) قاله الفراء في معاني القرآن ٣/ ٢٧٣، وينظر: تهذيب اللغة ٥/ ١٥٠، الوسيط ٤/ ٥٠٧، زاد المسير ٩/ ١٥٦.

ظَلَامُـهُ، فَقابَلَهُ بِاللَّيْلِ، يقال: طَرْفٌ ساجٍ، وَلَيْلٌ ساجٍ، وَبَحْرٌ ساجٍ: إذا كان ساكِنًا، قال الراجز:

٥٢١ـ يا حَبَّذا القَمْراءُ واللَّيْلُ السّاجْ
وَطُرُقٌ مِثْلُ مُلاءِ النَّسّاجْ[1]

وقال أعشى بني ثعلبة:

٥٢٢ـ فَما ذَنْبُنا أَنْ جاشَ بَحْرُ ابْنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ ساجٍ ما يُوارِي الدَّعامِصا[2]

---

(١) البيتان من الرجز المشطور لِلْحارِثِيِّ.
اللغة: لَيْلَةٌ قَمْراءُ: مضيئة، السّاجْ: أصله السّاجِي، فحذفت الياء.
التخريج: العين للخليل ٦/ ١٦١، مجاز القرآن ٢/ ٣٠٢، غريب الحديث لابن قتيبة ٢/ ٥، الكامل للمبرد ١/ ٢٨٣، جامع البيان ٣٠/ ٢٩٠، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩، جمهرة اللغة ص ٤٧٦، ٧٩١، أمالِيُّ القالِي ١/ ١٧٤، تهذيب اللغة ١١/ ١٤٠، إعراب ثلاثين سورة ص ١١٦، الخصائص ٢/ ١١٥، مقاييس اللغة ٣/ ١٣٧، المخصص ٩/ ٢٦، الكشف والبيان ١٠/ ٣٢٣، أمالِيُّ المرزوقي ص ٣٠٦، أساس البلاغة: سجو، المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣، مجمع البيان ١٠/ ٣٨٠، شرح الجمل لطاهر بن أحمد ١/ ١٩٤، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٩١، شرح التسهيل لابن مالك ٣/ ٢٢، شرح المفصل ٧/ ١٣٩، ١٤١، اللسان: سجا، البحر المحيط ٨/ ٤٨٠، الدر المصون ٦/ ٥٣٧، التاج: سجا.
(٢) من الطويل، للأعشى من قصيدة يهجو بها عَلْقَمَةَ بنَ عُلَاثَةَ، ويمدح عامر بن الطفيل، ورواية ديوانه:

أَتُوعِدُنِي أَنْ جاشَ بَحْرُ ابنِ عَمِّكُمْ وَبَحْرُكَ ساجٍ لَا يُوارِي الدَّعامِصا

اللغة: جاشَ البَحْرُ: هاجَ فَلَمْ يُسْتَطَعْ رُكُوبُهُ، الدَّعامِصُ: جَمْعُ دُعْمُوصٍ، وَهِيَ دُوَيْبَةٌ تَكُونُ في مُسْتَنْقَعِ الماءِ.
التخريج: ديوانه ص ٢٠١، جامع البيان ٣٠/ ٢٨٩، جمهرة اللغة ص ١١٤٨، ١١٩٧، ديوان المعانِي ١/ ١٧٣، الصحاح ص ١٠٤٠، ٢٣٧٢، الكشف والبيان ١٠/ ٣٢٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٣، التذكرة الحمدونية ٨/ ٩٧، مجمع البيان ١٠/ ٣٨٠، تفسير =

وتقول: سَجا: إذا سَكَنَ، وَسَجا: إذا غَطَّى كُلَّ شَيْءٍ بِظَلاَمِهِ، وَسَجا: إذا امْتَدَّ بِظَلاَمِهِ، وَسَجا: إذا أظْلَمَ[1].

والمعروف في لغة العرب أن الضُّحَى ضُحَى النهار، وهو مِنْ أوَّلِ طُلُوعِ الشمس إلَى أنْ تُشْرِقَ، قال محمد بن يزيد[2]: والضُّحا يُكْتَبُ بالألف لا غَيْرُ؛ لأنــه من: ضَحا يَضْحُو. وقال الكوفيون[3]: يُكْتَبُ باليــاء لِضَمّةِ أوَّلِهِ. قال أبو جعفر[4]: وهذا القول لا يصح في معقول ولا قياس؛ لأنه إنْ كُتِبَ على اللفظ فَلَفْظُهُ الألف، وَإنْ كُتِبَ على المعنى فهو راجع إلَى الواو.

والضُّحَى جَرٌّ بواو القَسَمِ، و«اللَّيْلِ» عطف عليه، وليست بِواوِ قَسَمٍ، فإن قال قائل: لِمَ لا تكون الواو الثانية قَسَـمًا كالأُولَى؟ قيل: لا يصلح ذلك؛ لأنه

= القرطبي ٢٠/ ٩١، اللسـان: دعمص، سـجا، حماسـة الظرفـاء ٢/ ١٢٧، البحر المحيط ٨/ ٤٨٠، الدر المصون ٦/ ٥٣٧، التاج: دعمص، سجا.

(١) ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٧٣، مجاز القرآن ٢/ ٣٠٢، ياقوتة الصراط ص ٥٨٣.

(٢) ينظر قوله في إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٤٧، عمدة الأدباء للأنباري ص ٢٩٢، وقد ذكر محقق كتاب المقصور والممدود للقالِي أن قول المبرد قد أُثبت بحاشية مخطوط الكتاب، ينظر: المقصور والممدود للقالِي ص ٢١٧.

(٣) ينظـر قولهم في إعراب القرآن ٥/ ٢٤٧، وقال ابـن ولاد: «الضحى بالضم مقصور يكتب بالياء والألف، فإذا فتحت أولها مددت فقلت: هو الضحاء للإبل بِمَنْزِلةِ الغداء». المقصور والممـدود ص ٦٦، وينظر: حاشـية المقصور والممدود للقالـي ص ٢١٧، عمدة الأدباء ص ٢٩١، وقال الأنباري: «وَيُحْكَى عن أبِي العَبّاسِ أحْمَدَ بنِ يَحْيى ثَعْلَبٍ أنه كَتَبَ مُصْحَفًا لبعض أكابرِ أبْناءِ طاهِرٍ، فنظر فيه أبو العَبّاسِ محمدُ بنُ يَزِيدَ المُبَرِّدُ، وقـد كَتَبَ: «والضُّحَى» بالياء، فقال له أبو العباس المُبَرِّدُ: لِماذا كَتَبْتَهُ بالياء وهو من ذَواتِ الواو؟ فقـال: لأن الضَّمَّ في أوَّلِهِ يُوهِمُ أنَّهُ من ذَواتِ الياء، فقال له أبو العباس المُبَرِّدُ: أفَلَا يَزُولُ هذا التَّوَهُّمُ إلَى يَوْمِ القِيامةِ؟». عمدة الأدباء ص ٢٩٢.

(٤) يعني النحاس، ينظر: إعراب القرآن ٥/ ٢٤٧.

يصلح في موضعها في الثانية «ثُمَّ» والفاءُ في غير القرآن، تقول: والضُّحَى، ثُمَّ اللَّيْلِ إذا سَجا، و«ثُمَّ» والفاءُ لا يكونان لِلْقَسَمِ قَطُّ، فاعرف ذلك، هذا ما ذكره ابنُ خالَوَيْهِ[1].

قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾؛ أي: ما تَرَكَكَ رَبُّكَ يا محمد مُنْذُ اخْتارَكَ، ولا أبْغَضَكَ مُنْذُ أحَبَّكَ، يقال: أسْتَوْدِعُكَ اللهَ غَيْرَ مُوَدَّعٍ؛ أي: غَيْرَ مَتْرُوكٍ، وبهذا سُـمِّيَ الوَداعُ؛ لأنه فِراقٌ وَمُتارَكةٌ[2]، وَلَمْ يَأْتِ بالتخفيف إلّا في الشعر[3]، كما قال:

٥٢٣ـ لَيْتَ شِعْرِي عَنْ خَلِيلِي، ما الَّذِي غالَـهُ فِـي الـوُدِّ حَتَّـى وَدَعَـهْ؟[4]

---

(١) إعراب ثلاثين سورة ص ١١٦.

(٢) قاله أبو بكر السجستانِيِّ في تفسير غريب القرآن ص ١٨٠، وينظر: زاد المسير ٩/ ١٥٧.

(٣) قرأ النَّبِيُّ ﷺ وابنُ عباس وعروة بن الزبير وابنُه هشامٌ، وأبو حيوة وأبو بحرية وابن أبي عبلة: «وَدَعَـكَ» بالتخفيف، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧٥، المحتسـب ٢/ ٣٦٤، تفسـير القرطبي ٢٠/ ٩٤، البحر المحيط ٨/ ٤٨٠.

(٤) البيت من الرَّمَلِ لأبي الأسـود الدُّؤَلِيِّ يخاطب حَوْثَرةَ صاحب رُزْداقَ جِيَّ كما في ديوانه، ويُرْوَى:

سَـلْ أمِيـرِي مـا الَّـذِي غَيَّـرَهُ عَنْ وِصالِـي اليَوْمَ حَتَّـى وَدَعَهْ؟

ونُسِبَ لأنَـسِ بنِ زُنَـيْمٍ الدُّؤَلِيِّ من أبيات قالها لِعُبَيْدِ الله بنِ زِيادٍ، ونسب لعبد الله بن كُرَيْزٍ، وغالَهُ: ذَهَبَ بِهِ وَصَرَفَـهُ.

التخريـج: ديوان أبِي الأسـود ص ٣٦، الشـعر والشـعراء ص ٧٢٩، إعراب ثلاثين سـورة ص ١١٧، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٩٦، الخصائص ١/ ٩٩، ٣٩٦، المحتسب ٢/ ٣٦٤، الصحاح ص ١٢٩٦، تصحيح الفصيح وشـرحه ص ٢٦٠، المفـردات للراغب ص ٥١٧، الحلل للبطليوسي ص ١٧٧، شـرح أدب الكاتب للجواليقي ص ٧٦، الإنصاف ص ٤٨٥، البيان للأنباري ٢/ ٥١٩، تاريخ دمشق ٢٩/ ٢٦٩، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٧٣٦، مجمع البيان ١٠/ ٣٨٠، التبيان للعكبري ص ١٢٩٢، الحماسـة البصرية ص ٨٠٦، شـرح شـافية ابن =

/ ويقال: قَلَيْتُهُ أَقْلِيهِ قِلًى: إذا أبْغَضْتَهُ، وهذا جوابُ القَسَمِ، والأصل: وَما قَلاَكَ، والعرب تَحْذِفُ من الثّانِي لدلالة الأوَّلِ، تقول: أَعْطَيْتُكَ وَأَكْرَمْتُ[1].

قال المفسرون: أبْطَأَ جِبْرِيلُ عليه السّلام على النَّبيِّ ﷺ، فقال المشركون: قَدْ قَلاَهُ اللهُ وَوَدَّعَهُ، فأنزل الله تعالَى هذه الآيَةَ[2].

قولـه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ أي: وَلَـكَ في الآخِرةِ يا محمد من الشرف والكرامة أفْضَلُ مِمّا أعْطَيْتُكَ فِي الدنيا ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ يعني: فَتَرْضَى ثَوابَهُ، و«سَوْفَ» و«عَسَى» فِي العِداتِ من الله واجِبٌ.

فصل

عـن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: دَخَلْتُ على رسـول الله ﷺ، وهو على سَـرِيرٍ مَرْمُولٍ بِالشَّـرِيطِ[3]، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسـادةٌ مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُها لِيـفٌ، وَدَخَلَ عليه عُمَـرُ بنُ الخَطّابِ ـ رضي الله عنـه ـ وَناسٌ من الصحابة ـ

= الحاجب للرضي ١/ ١٣١، اللسان: ودع، البحر المحيط ٨/ ٤٨٠، الإصابة ١/ ٢٧٣، شرح شواهد شرح الشافية ص ٥٠، ٥٣، خزانة الأدب ٥/ ١٥٠، ٦/ ٤٧١، فتح القدير ٥/ ٤٥٧.

(١) في الأصـل: «وأكرمتك»، وما ذكره من الحذف من الثانِي لدلالـة الأول قاله الفراء والزجاج والنحاس، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٧٣، ٢٧٤، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩، إعراب القرآن ٥/ ٢٤٩، وينظر أيضًا: تهذيب اللغة ٣/ ١٣٦، ٩/ ٢٩٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ٩٤.

(٢) روى ذلك مسـلمٌ بسـنده عن جُنْدُبِ بنِ عبد الله البَجَلِيِّ في صحيحه ٥/ ٨٢ كتاب الجهاد والسِّـيَرِ: باب ما لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى المشـركين، والترمذي في سـننه ٥/ ١١٢ أبواب تفسير القرآن: سورة «والضُّحَى»، ورواه الحاكم عن زيد بن أرقم في المستدرك ٢/ ٥٢٦، ٥٢٧ كتاب التفسير: سورة «والضُّحَى».

(٣) مَرْمُولٌ بِالشَّرِيطِ: مَنْسُوجٌ بِالسَّعَفِ أو اللِّيفِ، يقال: رَمَلَ الحَصِيرَ يَرْمُلُهُ رَمْلًا، وَأَرْمَلْتُهُ فهو مَرْمُولٌ وَمُرْمَلٌ: إذا نَسَجَهُ.

رضي الله عنهم ـ، فانْحَرَفَ النَّبيُّ ﷺ انْحِرافةً، فَرأى عُمَرُ أثَرَ الشَّرِيطِ فِي جَنْبِهِ فَبَكَى، فقال له: «ما يُبْكِيكَ يا عُمَرُ؟»، فقال: وَما لِيَ لا أبْكِي وَكِسْرَى وَقَيْصَرُ يَعِيشانِ فيما يَعِيشانِ فيه من الدنيا وَأنْتَ على الحالِ الَّتِي أرَى؟ فقال له النَّبيُّ ﷺ: «يا عُمَرُ، أما تَرْضَى أن تَكُونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة؟»، قال: بلى، قال: «هو كذلك»[1].

ثم ذَكَرَ اللهُ تعالى نِعَمَهُ عليه، فقال: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦﴾ يعني: وَجَدَكَ يتيمًا، لا كافِلَ لَكَ وَلَا مُرَبِّيَ، فَآواكَ وَضَمَّكَ إلَى عَمِّكَ أبِي طالِبٍ، فَرَعاكَ وَغَذّاكَ وَعَطَفَ عليك، حتى فَضَّلَكَ على سائر ولده وأهله وأقاربه، مع مُخالَفَتِكَ لِدِينِهِ وَلآلِهَتِهِ.

﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾؛ أي: فَهَداكَ إلَى دِينِهِ الذي بَعَثَكَ به إلَى خَلْقِهِ، قال السُّدِّيُّ[2]: كان النبيُّ ﷺ على أمْرِ قَوْمِهِ أرْبَعِينَ يَوْمًا، وقيل: وَجَدَكَ ضالاً عن مَعالِمِ النُّبُوّةِ وأحكام الشريعة غافلا عنها، فَهَداكَ إليها، دليله ونظيره قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[3]، وقوله تعالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[4]، وهذا قول الضحاك[5] واختيار الزجاج[6].

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٣٩، وأبو يعلى في مسنده ٥/ ١٦٧-١٦٨، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٢/ ١٧٥.
(٢) ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٢٩٣، الكشف والبيان ١٠/ ٢٢٦، الكشاف ٤/ ٢٦٥.
(٣) يوسف ٣.
(٤) الشورى ٥٢.
(٥) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٢٦، الوسيط ٤/ ٥١١، زاد المسير ٩/ ١٥٨، القرطبي ٢٠/ ٩٦.
(٦) معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٣٩، ٣٤٠.

وقال سعيد بن المسيب[١]: «خَرَجَ عليه السّلام في قافلةِ مَيْسَرةَ[٢] غُلامَ خَدِيجةَ، فَبَيْنا هُوَ راكِبٌ ذاتَ لَيْلةٍ ظَلْماءَ ناقةً، جاء إبْلِيسُ ـ لعنه الله ـ، فَأخَذَ بِزِمامِ النّاقةِ، فَعَدَلَ به عن الطريق، فجاء جبريلُ عليه السّلام، فَنَفَخَ إبْلِيسَ نَفْخةً وَقَعَ منها في الحَبَشةِ، وَرَدَّهُ إلَى القافِلةِ، فَمَنَّ اللهُ عليه بذلك».

وقيل[٣]: معناه: وَجَدَكَ ضالًّا لَيْلةَ المِعْراجِ حين انْصَرَفَ عنك جِبْريلُ، لا تعرف الطَّرِيقَ، فَهَداكَ إلَى ساقِ العَرْشِ، وفيه أقاويل يطول شرحها / [٣٢١/ أ] في هذا المختصر، أضربنا عنها خشية التطويل.

والذي نذهب إليه وَنَدِينُ به أن النبي ﷺ ما أشْرَكَ بالله قَطُّ، ولا عَبَدَ صَنَمًا ولا وَثَنًا، بل كان مُوَحِّدًا له مُؤْمِنًا به، كما قيل له: يا رسول الله: مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قال: «كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ والجَسَدِ، مُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»[٤].

قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾ يعني: وَجَدَكَ فَقِيرًا لا مالَ لَكَ، فَأغْناكَ بِالعِلْمِ والقُرْآنِ والحِكْمةِ البالِغةِ والكَفالةِ بِمالِ خَدِيجةَ، وفي قراءة عبد الله: «وَوَجَدَكَ عَدِيمًا فَأغْنَى»[٥].

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٢٨، مجمع البيان ١٠/ ٣٨٤، زاد المسير ٩/ ١٥٩، عين المعاني ورقة ١٤٦/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ٩٧.

(٢) وَرَدَ ذِكْرُهُ في السيرة، وكان رَفِيقَ النَّبِيِّ ﷺ في تجارة السيدة خديجة إلى الشام قبل أن يتزوجها، وَحَكَى بَعْضَ أدِلّةِ نُبُوَّتِهِ، وَلَمْ يَرِدْ ما يَدُلُّ على أنه عاش إلَى البعثة. [الطبقات الكبرى ١/ ١٣٠، ١٣١، الإصابة ٦/ ١٨٩].

(٣) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٢٨، عين المعاني ورقة ١٤٦/ أ.

(٤) رواه الحاكم عن مَيْسَرةِ الفَجْرِ العُقَيْلِيِّ في المستدرك ٢/ ٦٠٨- ٦٠٩ كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، وينظر: المعجم الكبير ٢٠/ ٣٥٣، ومُنْجَدِلٌ؛ أي: مُلْقًى على الجَدالةِ، وهي الأرض. اللسان: جدل.

(٥) قرأ ابن مسعود أيضًا: ﴿وَوَجَدَكَ غَرِيمًا﴾، ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٤، مختصر ابن خالويه ص ١٧٥.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «لَقَدْ سَأَلْتُ رَبِّي ـ عزّ وجلّ ـ مَسْأَلةً وَدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ سَأَلْتُهُ، قُلْتُ: أيْ رَبِّ! إنَّهُ قد كانت أنْبِياءُ قَبْلِي، منهم مَنْ سَخَّرْتَ له الرِّيحَ، وَذَكَرَ سُلَيْمانَ، ومنهم مَنْ كان يُحْيِي المَوْتَى، وَذَكَر عِيسَى، ومنهم ومنهم»، قال: «فَقالَ: أَلَمْ أَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَيْتُكَ؟» قال: «قُلْتُ: بَلَى إي رَبِّ، قال: أَلَمْ أَجِدْكَ ضالًّا فَهَدَيْتُكَ؟، «قلتُ: «بَلَى إي رَبِّ، قال: أَلَمْ أَجِدْكَ عائِلًا فَأَغْنَيْتُكَ؟ »، قال: «قلتُ: «بَلَى إي رَبّ»، قال: أَلَمْ أَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ وَوَضَعْتُ عَنْكَ وِزْرَكَ؟ »، قال: «قلتُ: بَلَى إي رَبِّ»[1].

ثم أوْصاهُ باليتامى والفقراء، فقال تعالَى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩﴾ لا تَقْهَرْ حَقَّهُ، ولا تَظْلِمْهُ، وَلاَ تَحْقِرْهُ، وَلاَ تَكْفَهِرَّ في وَجْهِهِ، فقد ذُقْتَ اليُتْمَ فاعْطِفْ على اليتيم وارْحَمْهُ، وَكُنْ له كالأبِ الشَّفِيقِ.

وقرأ النَّخْعِيُّ والشَّعْبِيُّ: «فَلاَ تَكْهَرْ»[2] بالكاف، وكذلك هو في قراءة عبد الله بن مسعود، والكَهْرُ في اللغة: القَهْرُ والانْتِهارُ، والكَهْرُ: عُبُوسُ الوَجْهِ والشَّتْمُ[3]، والعرب تُعاقِبُ بَيْنَ الكاف والقاف[4]، يَدُلُّ عليه حَدِيثُ مُعاوِيَةَ بنِ

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٢٦ كتاب التفسير: سورة «والضُّحَى»، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٤/ ٧٥، والمعجم الكبير ١١/ ٣٦٠، والواحدي في الوسيط ٤/ ٥١٠، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٨/ ٢٥٣ كتاب علامات النبوة: باب عِظَمِ قَدْرِهِ ﷺ.

(٢) وهي أيضًا، قراءة أشْهَبَ العُقَيْلِيِّ وجعفر بن محمد، ينظر: مختصر ابن خالويه ص ١٧٥، شواذ القراءة للكرماني ورقة ٢٦٦، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٠، البحر المحيط ٨/ ٤٨٢.

(٣) قاله النقاش في شفاء الصدور ورقة ٢٤٨/ ب، وينظر: تهذيب اللغة ٦/ ١١، ١٢، اللسان: كهر.

(٤) ينظر: معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٤١، ٢٧٤، غريب الحديث للهروي ١/ ١١٤-١١٥، =

الحَكَمِ[1] الذي تكلم في الصلاة: «واللهِ ما كَهَرَنِي وَلَا ضَرَبَنِي»[2]، يعني رسول الله ﷺ.

و﴿ٱلْيَتِيمَ﴾ نصب بـ﴿تَقْهَرْ﴾، وكذلك قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠﴾ أي: تَزْجُرْ، قال المفسرون[3]: يريد السائل على الباب، يقول: لَا تَنْهَرْهُ إذا سَأَلَكَ، فقد كُنْتَ فَقِيرًا، فَإمّا أن تُطْعِمَهُ، وإما أن تَرُدَّهُ رَدًّا لَيِّنًا. يقال: نَهَرَهُ وانْتَهَرَهُ: إذا اسْتَقْبَلَهُ بِكَلِمةٍ تَزْجُرُهُ، واليتيم والسائل هما اسمان يدلان على الجنس.

و«أمّا» إذا كانت تَخْيِيرًا كُسِرَتْ، تقول: ارْكَبْ إمّا فَرَسًا وَإمّا حِمارًا، قال الله تعالى: ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ [الكهف: ٨٦][4] فكسرها للتخيير،

= الإبدال لابن السكيت ص ١١٤، الإبدال والمعاقبة والنظائر ص ٧٨، ٧٩، إعراب ثلاثين سورة ص ١٢٢، إعراب القراءات السبع ٢/ ٤٩٨، تهذيب اللغة ٦/ ١١-١٢.
وقال ابن سيده: «يقال: كَشَطْتُ عنه جِلْدَهُ وَقَشَطْتُ، قال: وقريش تقول: كَشَطْتُ، وقيس وتميم وأسد تقول: قَشَطْتُ، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «قُشِطَتْ»، قال: ويقال: قَحَطَ القِطارُ وَكَحَطَ، وَقَهَرْتُ الرَّجُلَ أَقْهَرُهُ، وَكَهَرْتُهُ أَكْهَرُهُ، وسمعت بعض غَنْمِ بنِ دُودانَ يقول: «فَلاَ تَكْهَرْ». المخصص ١٣/ ٢٧٧.

(١) معاوية بن الحَكَمِ بن مالك بن خالد بن صَخْرِ بن الشَّرِيدِ السُّلَمِيِّ الحجازي، صحابِيٌّ كان يسكن بلاد بني سليم، ويَنْزِلُ المدينة. [الثقات لابن حبان ٣/ ٣٧٣، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٨٥].

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٤٤٧، ٤٤٨، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٠ كتاب المساجد ومواضع الصلاة: باب تحريم الكلام في الصلاة، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الكبير ١٩/ ٤٠١-٤٠٢.

(٣) قاله جمهور المفسرين، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٧٥، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٠، الوسيط ٤/ ٥١٢، زاد المسير ٩/ ١٦٠، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠١.

(٤) الكهف ٨٦.

و«أمَّـا» إذا كانت خَبَرًا فُتِحَتْ، تقول: أمّا عَمْرٌو فَقادِمٌ، وَأمّا زَيْدٌ فَظاعِنٌ، وهي هاهنا خَبَرٌ[١]، قال الشاعر:

٥٢٤ ـ تَرَحَّـلَ جِيرانِي، فَأمّا خِيارُهُمْ فَسـارُوا، وَأمّـا شَـرُّهُمْ فَمُقِيـمُ[٢]

قولـه: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾؛ أي: حَدِّثْ بِمـا أنْعَمَ اللهُ عَلَيْكَ وَما خَصَّكَ به من النبوة والإسلام والقرآن.

---

(١) «إمّا» المكسورة بمعنى «أوْ»، ومعناها الإباحة أو التخيير، و«أمّا» المفتوحة ليست خَبَرًا كما قال المؤلف، بل هي حرف شـرط، والفاء واقعة في جوابها، قال سيبويه: «وأما «أمّا» ففيها معنـى الجـزاء، كأنه يقول: عَبْدُ اللهِ مَهْما يَكُنْ مِنْ أمْـرِهِ فَمُنْطَلِقٌ، ألا ترى أن الفاء لازمة لَها أبدا». الكتاب ٤/ ٢٣٥.

وقـال المبرد: «هذا باب «أمّا» و«إمّا»، أما المفتوحـة فإن فيها معنى المُجازاةِ، وذلك قوله: أمّا زَيْدٌ فله درهم، وَأمّا زَيْدٌ فَأعْطِهِ دِرْهَمًا، فالتقدير: مَهْما يَكُنْ من شيء فَأعْطِ زَيْدًا دِرْهَمًا، فَلَزِمَـت الفاءُ الجَـوابَ، لِما فيه من معنى الجزاء... وَمَنْ رَأي أن يقول: زَيْدًا ضَرَبْتُهُ، نصب بهـذا فقال: أمّا زَيْـدًا فاضْرِبْهُ، وقـال: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ﴾...، وأما «إمّا» المكسـورة فإنها تكـون في موضـع «أوْ»، وذلك قولك: ضَرَبْتُ إمّـا زَيْدًا وَإمّا عَمْـرًا؛ لأن المعنى: ضَرَبْتُ زَيْـدًا أوْ عَمْرًا، وقال الله تعالـى: ﴿إِمَّا ٱلۡعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ﴾، وقال: ﴿إِنَّا هَدَيۡنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا﴾. المقتضـب ٣/ ٢٧-٢٨، وينظر أيضًا: حروف المعاني ص ٦٣، ٦٤، تهذيب اللغـة ١٥/ ٦٢٨-٦٣٠، الصاحبي ص ٢٠٦، الأزهية ص ١٥٣، معانِي الحروف ص ١٢٩: ١٣١، رصـف المبانِي ص ٩٧، مغني اللبيب ص ٧٨ وما بعدها، الجنى الدانِي ص ٥٢٢.

(٢) البيت من الطويل لابن مَيّادةَ، وَنُسِبَ لِمُزاحِمٍ العُقَيْلِيِّ. وروايته في ديوان ابن ميادة:

مَنـازِلُ، أمّـا أهلُهـا فَتَحَمَّلُـوا فَسـارُوا، وَأمّـا صَبُّهُـمْ فَمُقِيـمُ

التخريـج: ديوان ابن ميـادة ص ٢٥١، معجم البلدان ٧/ ١٧٥: قِنْـعٌ، زهر الآداب ٤/ ٥، تاريخ دمشق ١٨/ ٢٠٤، منتهى الطلب ٧/ ١٣١.

فصلٌ جامعٌ

عن عُمَرَ بنِ الخَطّابِ ـ رضي الله عنه ـ / قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اليَتِيمَ إذا بَكَى اهْتَزَّ لِبُكائِهِ عَرْشُ الرَّحْمَنِ ـ عزّ وجلّ ـ، فيقول اللهُ تعالَى لِمَلائِكَتِهِ: يا مَلائِكَتِي: مَنْ أَبْكَى هَذا اليَتِيمَ الذي غَيَّبْتُ أباهُ فِي التُّرابِ؟ فتقول الملائكةُ: رَبَّنا أَنْتَ أَعْلَمُ، فيقول اللهُ تعالَى: يا مَلائِكَتِي: فَإِنِّي أُشْهِدُكُمْ أَنَّ مَنْ أَسْكَتَهُ وَأَرْضاهُ أَنْ أُرْضِيَهُ يَوْمَ القِيامةِ»[1]، قال: فكان عُمَرُ ـ رضي الله عنه ـ إذا رَأى يَتِيمًا مَسَحَ رَأْسَهُ، وَأَعْطاهُ شَيْئًا.

وعن سَلْمانَ الفارِسِيِّ قال: شَهِدْتُ يَوْمًا النَّبِيَّ ﷺ إذْ أتاهُ رَجُلٌ يَشْكُو إليه قَساوةَ قَلْبِهِ، فقال له: «أَتُحِبُّ أَنْ يَلِينَ قَلْبُكَ وَتُدْرِكَ حاجَتَكَ؟» فقال: نَعَمْ، قال: «ارْحَمِ اليَتِيمَ، وامْسَحْ بِرَأْسِهِ، وَأَطْعِمْهُ مِنْ طَعامِكَ يَلِنْ قَلْبُكَ وَتُدْرِكْ حاجَتَكَ»[2].

وقال عليه السّلام: «مَنْ مَسَحَ بِرَأْسِ يَتِيمٍ ـ لَمْ يَمْسَحْهُ إلّا للهِ ـ كانَ لَهُ بِكُلِّ شَعَرةٍ تَمُرُّ عَلَيْها يَدُهُ عَشْرُ حَسَناتٍ، وَمَنْ أَحْسَنَ إِلَى يَتِيمٍ أَوْ يَتِيمةٍ عِنْدَهُ كُنْتُ أنا وَهُوَ فِي الجَنّةِ كَهاتَيْنِ»[3]، وَفَرَّقَ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ.

---

(١) ينظر: الكامل في الضعفاء ٢/ ٣٠٨، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٨٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠١.

(٢) رواه البيهقي في السنن الكبرى ٤/ ٦٠ كتاب الجنائز: باب ما يُستحب من مسح رأس اليتيم، وينظر: المصنف لعبد الرزاق ١١/ ٩٧، مجمع الزوائد ٨/ ١٦٠ كتاب البرِّ والصِّلةِ: باب ما جاء في الأيتام والأرامل والمساكين.

(٣) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي أمامة في المسند ٥/ ٢٥٠، ٢٦٥، والطبرانِيُّ في المعجم الكبير ٨/ ٢٠٢، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ٨/ ١٦٠ كتاب البرِّ والصلة: باب ما جاء في الأيتام والأرامل.

وعن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «رَأْسُ اليَتِيمِ يُمْسَحُ مِنْ وَسَطِهِ إِلَى نَاصِيَتِهِ، وَرَأْسُ مَنْ لَهُ أَبٌ يُمْسَحُ مِنْ نَاصِيَتِهِ إِلَى وَسَطِهِ»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا مِنْ بَيْنِ المُسْلِمِينَ إِلَى طَعامِهِ وَشَرابِهِ حَتَّى يَسْتَغْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ البَتَّةَ»(٢).

وعن أَنَسِ بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: «مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا، وَكانَ فِي نَفَقَتِهِ، وَكَفاهُ مُؤْنَتَهُ كانَ لَهُ حِجابًا من النار يوم القيامة، وَمَنْ مَسَحَ رَأْسَ يَتِيمٍ كانَ لَهُ بِكُلِّ شَعَرةٍ حَسَنةٌ»(٣).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «لاَ يَلِي أَحَدٌ مِنْكُمْ يَتِيمًا فَيُحْسِنَ وِلاَيَتَهُ، وَيَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ إِلّا كُتِبَ لَهُ بِكُلِّ شَعَرةٍ حَسَنةٌ، وَمُحِيَ عَنْهُ بِكُلِّ شَعَرةٍ سَيِّئةٌ، وَرُفِعَ لَهُ بِكُلِّ شَعَرةٍ دَرَجةٌ»(٤).

وعن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكَ

---

(١) رُوِيَ هذا الحديثُ عن ابن عباس، قال ابن حجر: «هذا موضوع». لسان الميزان ٥/ ١٨٨، وينظر: مجمع الزوائد للهيثمي ٨/ ١٦٣ كتاب البر والصلة: باب ما جاء فِي الأيتام والأرامل. كنز العمال ٣/ ١٦٩.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن مالك بن الحارث في المسند ٤/ ٣٤٤، ٥/ ٢٩، والطبرانِيُّ عن مالك ابن عمرو القشيري في المعجم الكبير ١٩/ ٣٠٠.

(٣) رواه ابن عدي في الكامل في الضعفاء ٣/ ٣٤٦، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠١.

(٤) رواه ابن حبان بسنده عن عبد الله بن أبِي أوْفَى في كتاب المجروحين ٢/ ٢٠٣، وينظر: مجمع البيان ١٠/ ٣٨٥، مجمع الزوائد ٨/ ١٦١ كتاب البر والصلة: باب ما جاء في الأيتام والأرامل، كنز العمال ٣/ ١٧٥.

سائِلٌ عَلَى فَرَسٍ باسِطٌ كَفَّيْهِ فَقَدْ وَجَبَ له الحَقُّ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «لَا تَرُدَّ السّائِلَ وَلَوْ بِظَلْفٍ مُحْرَقٍ»[(٢)].

وعن النُّعْمانِ بن بَشِيرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لاَ يَشْكُرِ النّاسَ لَا يَشْكُرِ اللهَ، وَمَنْ لاَ يَشْكُرِ القَلِيلَ لاَ يَشْكُرِ الكَثِيرَ، وَإِنَّ التَّحَدُّثَ بِنِعْمَةِ اللهِ شُكْرٌ، وَإِنَّ السُّكُوتَ عَنْهُ كُفْرٌ، وَإِنَّ الجماعةَ رَحْمةٌ والفُرْقةَ عَذابٌ»[(٣)].

وعن بَكْرِ بن عبد الله المُزَنِيِّ[(٤)] قال: قال رسول الله ﷺ:/ «مَنْ أُعْطِيَ خَيْرًا فَلَمْ يُرَ عَلَيْهِ سُمِّيَ بَغِيضَ اللهِ مُعادِيًا لِنِعْمَةِ اللهِ»[(٥)]. [٣٢٢/ أ]

وَرُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ عَظُمَتْ نِعْمةُ اللهِ عَلَيْهِ عَظُمَتْ مُؤْنةُ النّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ لَمْ يَحْتَمِلْ تِلْكَ المُؤْنةَ عَرَّضَ تِلْكَ النِّعْمةَ لِلزَّوالِ»[(٦)]، فَنَظَمَ

---

(١) هذا حديث موضوع، ينظر: الوسيط ٤/ ٥١٢، كنز العمال ٦/ ٤٠٦، تذكرة الموضوعات للفتني ص ٦٢.

(٢) رواه أحمد الإمام بسنده عن ابن بُجَيْدٍ الأنصاري عن جَدَّتِهِ في المسند ٤/ ٧٠، ٥/ ٣٨١، ٦/ ٣٨٣، ٤٣٥، ورواه النسائي في سننه٥/ ٨١ كتاب الزكاة: باب رَدِّ السائل، والطبرانيُّ في المعجم الأوسط ١/ ٢١٩، والمعجم الكبير ٢٤/ ٢٢٠. والظِّلْفُ: ظُفُرُ كُلِّ ما اجْتَرَّ كالبقرة والشاة والظبي ونحوها. اللسان: ظلف.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند ٤/ ٢٧٨، ٣٧٥، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣١، الوسيط ٤/ ٥١٣، مجمع الزوائد ٥/ ٢١٧ كتاب الخلافة: باب لزوم الجماعة، ٨/ ١٨٢ كتاب البر والصلة: باب شكر القليل.

(٤) بكر بن عبد الله بن عمرو بن هلال، أبو عبد الله المُزَنِيُّ البصري، تابعي ثقة، كان فقيهًا عابدًا فاضلًا من خيار الناس، رَوَى عن ابن عمر وأنس، توفِّي سنة (١٠٦هـ)، وقيل: (١٠٨هـ). [الثقات ٤/ ٧٤، تهذيب الكمال ٤/ ٢١٦-٢١٨].

(٥) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣١، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٢.

(٦) هذا حديث ضعيف، رواه ابن حبان عن معاذ بن جبل وابن عباس، رضي الله عنهما، في =

هذا الحَدِيثَ أبو العَتاهِيةِ فقال:

٥٢٥ ـ ما أحْسَنَ الدُّنْيا وَإقْبالَها إذا أطاعَ اللهَ مَنْ نالَها
مَنْ لَمْ يُواسِ النّاسَ مِنْ فَضْلِهِ عَرَّضَ لِلإدْبارِ إقْبالَها
فاحْذَرْ زَوالَ المُلْكِ يا جابِرٌ واعْطِ مِنْ دُنْياكَ مَنْ سالَها
فَإنَّ ذا العَرْشِ جَزِيلُ العَطا يُعْطِيكَ فِي الحَبّةِ أمْثالَها[1]

وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: «ما مَسَّتْ عَبْدًا نِعْمةٌ، فَعَلِمَ أنَّها من الله إلا كَتَبَ اللهُ لَهُ شُكْرَها قَبْلَ أنْ يَحْمَدَهُ، وما عَلِمَ اللهُ مِنْ عَبْدٍ نَدامةً على ذَنْبٍ إلّا غَفَرَ لَهُ قَبْلَ أنْ يَسْتَغْفِرَهُ، وَإنَّ العَبْدَ لَيَشْتَرِي الثَّوْبَ بِالدِّينارِ وَنِصْفِ الدِّينارِ، فَيَحْمَدُ اللهَ، لَمْ يَبْلُغْ رُكْبَتَيْهِ حَتَّى يَغْفِرَ اللهُ لَهُ»[2].

= كتاب المجروحين ١/ ١٤٢، ٣٨٤، ٢/ ٢٨٠، وينظر: علل الدارقطني ٦/ ٤٩، الكامل في الضعفاء ١/ ١٧٤، كنز العمال ٦/ ٣٤٧، ٣٩٠، ٥٨٨، كشف الخفاء ٢/ ١٩٠، تذكرة الموضوعات ص ٦٤.

(١) الأبيات من السريع، لعَلِيِّ بن أبِي طالب رضيَ الله عنه يُخاطب جابرَ بن عبد الله الأنصاريَّ، رضي الله عنه، ويُرْوَى الثالث:

فَإنَّ ذا العَرْشِ جَزيلُ العَطا ءِ يُضْعِفُ بِالحَبةِ أمثالَها

والبيتان الأول والثانِي فقط لأبِي العتاهية فِي ديوانه.

التخريج: ديوان الإمام عَلِيٍّ ص ١٥٦، ديوان أبِي العَتاهِيةِ ص ٣٧٤، المحاسن والأضداد للجاحظ ص ٩٦، الأغانِي ٣/ ١٥٢، روضة العقلاء ص ٢٥٧، أدب الدنيا والدين ص ٢٠٨، المناقب والمثالب ص ٣٧١، محاضرات الأدباء ٢/ ٥٣٢، ٥٦٨، المستطرف ١/ ٧٣.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ١/ ٥١٤ كتاب الدعاء: باب فضيلة التحميد والتسبيح والتهليل، والطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٣/ ١٢٣، وذكره الهيثميُّ في مجمع الزوائد ١٠/ ١٩٩ كتاب التوبة: باب الندامة على الذنب.

وَيُسَنُّ للقارئ أن يُكَبِّرَ عند فراغه من «الضُّحَى» حتى يَخْتِمَ مع خاتِمةِ كُلِّ سُورةٍ، رُوِيَ ذلك مرفوعًا عن أُبَيٍّ بن كعب عن النبي ﷺ، قيل: إن الأصل فِي ذلك أن الوَحْيَ لَمّا فَتَرَ عن رسول الله ﷺ، وقال المشركون: قد هَجَرَهُ شَيْطانُهُ وَوَدَّعَهُ، اغْتَمَّ لذلك، فَلَمّا نَزَلَ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ كَبَّرَ عند ذلك رَسُولُ اللهِ ﷺ فَرَحًا بِنُزُولِ الوَحْيِ، فاتَّخَذَهُ النّاسُ سُنّةً[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رَوَى الحاكمُ ذلك في المستدرك ٣/ ٣٠٤ كتاب معرفة الصحابة: باب ذِكْرِ مناقب أُبَيٍّ بن كعب، وينظر: الوسـيط ٤/ ٥١٤، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٣، الدر المنثور ٦/ ٣٦٠، كنز العمال ٢/ ٣٤٩.

سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾
مكية

وهي مائة وثلاثة أحرف، وسبع وعشرون كلمةً، وثماني آيات.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ أُعْطِيَ مِنَ الأجْرِ كَمَنْ لَقِيَ محمَّدًا ﷺ مُغْتَمًّا فَفَرَّجَ عَنْهُ»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ جُعِلَتْ ذُنُوبُهُ هَباءً مَنْثُورًا، وَلا يُحاسَبُ بِها فِي الآخِرةِ أبَدًا».

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ يعني: أَلَمْ نَفْسَحْ لَكَ، وَنُوَسِّعْ وَنُلَيِّنْ قَلْبَكَ يا مُحَمَّدُ بالإيمان والنُّبُوّةِ والعِلْمِ والحِكْمةِ، والشرح: التَّوْسِعةُ، وَكُلُّ ما وَسَّعْتَهُ وَفَتَحْتَهُ فَقَدْ شَرَحْتَهُ، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ لفظه استفهام، ومعناه التقرير

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٢، الوسيط ٤/ ٥١٥، الكشاف ٤/ ٢٦٨، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٨٧.

والوجوب؛ أي: قَدْ فَعَلْنا ذلك[١]، يَدُلُّ على هذا قوله في النَّسَقِ عليه: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ يعني: حَطَطْنا عَنْكَ إثْمَكَ الذي سَلَفَ منك في الجاهلية.

والوِزْرُ: الثِّقْلُ الذي كان قبل الرسالة، فَغَفَرَ اللهُ لَهُ بقوله: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[٢]، والوِزْرُ: الإثْمُ، وأصله الحِمْلُ الثَّقِيلُ، وَكُلُّ شَيْءٍ يَحْمِلُهُ الرَّجُلُ عَلَى ظَهْرِهِ فهو وِزْرٌ، ومنه سُمِّيَ الوَزِيرُ وَزِيرًا لأنه يَحْمِلُ أثْقالَ صاحِبِهِ، وهو مَحَطُّ الأثْقالِ/ وَمُسْتَوْدَعُ الأعْباءِ[٣]. [٣٢٢/ ب]

ثم وَصَفَ ذلك الوِزْرَ بقوله: ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾؛ أي: أثْقَلَهُ وَأوْهَنَهُ حَتَّى سُمِعَ نَقِيضُهُ؛ أي: صَوْتُهُ[٤]، وهذا مَثَلٌ، يُقال: أنْقَضَ ظَهْرَكَ: أثْقَلَهُ حَتَّى جَعَلَهُ نِقْضًا، والنِّقْضُ: البَعِيرُ المَهْزُولُ الذي أتْعَبَهُ السَّفَرُ والعَمَلُ، فَنَقِضَ لَحْمُهُ فَيُقالُ له حينئذ: نِقْضٌ[٥].

---

(١) قاله مَكِّيٌّ في مشكله ٢/ ٤٨٢، وينظر: تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٥، مغني اللبيب ص ٢٥.
(٢) الفتح ٢.
(٣) قاله ثعلب في مجالسه ص ٢٢٥-٢٢٦، وحكاه النقاش عنه في شفاء الصدور ورقة ٢٤٩/ أ.
(٤) قاله ابن قتيبة في غريب القرآن ص ١٥٢، ٥٣٢، وثعلب في مجالسه ص ٢٢٥.
(٥) قال ابن السكيت: «والنِّقْضُ: البعير المهزول، وجمعه أنقاض». إصلاح المنطق ص ١٧، وقال الأزهري: «قال الليث: والنِّقْضُ والنِّقْضةُ هما الجَمَلُ والنّاقةُ اللَّذانِ قد هَزَلَتْهما الأسْفارُ وَأدْبَرَتْهُما، والجميع الأنْقاضُ... وقال الله تعالى: «وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ. الَّذِي أنْقَضَ ظَهْرَكَ» قال الفَرّاءُ في التفسير عن الكلبي: أثقلَ ظَهْرَكَ، قال أبو منصور: وقال نَحْوَ ذلك مُجاهِدٌ وَقَتادةُ، والأصل فيه أن الظَّهْرَ إذا أثْقَلَهُ حِمْلُهُ سُمِعَ له نَقِيضٌ أي صَوْتٌ خَفِيٌّ، وذلك عند غاية الإثْقالِ، فَأخْبَرَ اللهُ عزّ وجلّ أنه غَفَرَ لِنَبِيِّهِ أوْزارَهُ التي كانت تَراكَمَتْ على ظَهْرِهِ حتى أوْقَرَتْهُ، وأنها لو كانت أثقالًا حُمِلَتْ على ظَهْرِهِ، لَسُمِعَ لَها نَقِيضٌ؛ أي: صوتٌ، وكل صوت لِمَفْصِلٍ أو إصْبَعٍ أو ضِلَعٍ فهو نَقِيضٌ، وقد أنْقَضَ ظَهْرُ فُلانٍ: إذا سُمِعَ له نَقِيضٌ». تهذيب اللغة ٨/ ٣٤٤، ٣٤٥.

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ: قالوا: يا رسـول الله: أَيَنْشَـرِحُ الصَّدْرُ؟ قـال: «نَعَمْ»، قالوا: يا رسـول الله: وَهَلْ لِذَلِكَ عَلاَمَةٌ يُعْـرَفُ بِها؟ قال: «نَعَمْ، التَّجافِـي عَنْ دارِ الغُـرُورِ، والإنابةُ إِلَى دارِ الخُلُودِ، والاسْـتِعْدادُ لِلْمَوْتِ قَبْلَ نُزُولِ المَوْتِ»[١]، أشـارَ النَّبيُّ ﷺ إِلَى ذَهابِ الشَّـواغِلِ التي تَصُدُّ عن حَقِيقةِ الإيمانِ، وذلك أنَّ صِدْقَ الإيمانِ بالله وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ تُوجِبُ لِلإِنْسـانِ الزُّهْدَ فِي الدُّنْيا والرَّغْبَةَ فِي الآخِرةِ والاسْتِعْدادَ لِلْمَوْتِ، فَإِنَّهُ بابُ الآخِرةِ.

ثم ذَكَرَ مِنَّتَهُ علـى نَبِيِّهِ ﷺ، فقال تعالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ يعني: إذا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي، فَجَعَلْتُ ذِكْرَكَ مَقْرُونًا بِذِكْرِي، قال قتادة[٢]: وَرَفَعَ اللهُ ذِكْرَهُ في الدنيا والآخرة، فليس خَطِيبٌ يَخْطُبُ، ولا مُتَشَهِّدٌ، ولا صاحِبُ صَلاةٍ إِلّا يُنادِي بِها: أَشْـهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ محمَّدًا رَسُولُ اللهِ، وكذلك رَفَعَ ذِكْرَهُ في الأذانِ، وفي هذا يقول حَسّانُ بنُ ثابتٍ في مَدْحِ النَّبِيِّ ﷺ:

٥٢٦ ـ أَغَـرُّ عَلَيْـهِ لِلنُّبُـوّةِ خاتِـمٌ ... مِـنَ اللهِ مَشْـهُودٌ يَلُـوحُ وَيُشْـهَدُ
وَضَمَّ الإِلَـهُ اسْـمَ النَّبِيِّ مَعَ اسْـمِهِ ... إذا قالَ فِي الخَمْسِ المُؤَذِّنُ: أَشْـهَدُ
وَشَـقَّ لَـهُ مِـنْ اسْـمِـهِ لِيُجِلَّـهُ ... فَذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهَذا مُحَمَّدُ[٣]

---

(١) رواه الحاكم بسـنده عن ابن مسـعود في المسـتدرك ٤/ ٣١١ كتاب الرقاق، وينظر: جامع البيان ٨/ ٣٦، ٣٧، الوسـيط ٤/ ٥١٥، تفسـير القرطبي ٧/ ٨١، ١٥/ ٢٤٧، ٢٠/ ١٠٤، الدر المنثور ٣/ ٤٣، ٤٤، ٥/ ٣٢٥.

(٢) ينظر قوله في جامع البيان ٣٠/ ٢٩٦، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٣، الوسيط ٤/ ٥١٦، زاد المسير ٩/ ١٦٣.

(٣) الأبيات من الطويل لِحَسّانَ يمدح النبي ﷺ، ورواية الثالث في ديوانه: «**مِنْ اسْمِهِ لِيُعِزَّهُ**». =

ثم وَعَدَهُ اليُسْـرَ والرَّخاءَ بَعْدَ الشِّـدّةِ، وذلك أنه كان ﷺ بِمَكّةَ في شِدّةٍ، فقال تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦﴾ والعُسْـرُ: الشِّـدّةُ والضِّيقُ والفَقْرُ وَشِدّةُ الفاقةِ والمَعاشِ، واليُسْرُ: الغِنَى وَحُسْنُ المَعاشِ.

والفاء فِي الأوَّلِ إشـارةٌ إلَى اليُسْـرِ بِفَتْحِ المَدائِنِ، حيث عَيَّرَهُ أهْلُ مَكّةَ بالفقر، والثانِي إلَى اليُسْـرِ فِي الآخِـرةِ، وهو ابتداء، والدليل على ابتدائه تَعَرِّيهِ مِنْ فاءٍ أو واوٍ، والفاء لا تدخل إلّا في عطف أو جواب، وقولك: إنَّ مَعَ الفارِسِ سَيْفًا ـ مرتين ـ لا يُوجِبُ تَعَدُّدَ السَّيْفِ؛ لأن بناء التحذير على التكرار، ولا فاءَ فيه، وظاهر التلاوة عُسْـرانِ وَيُسْـرانِ، إلا أنَّ المُرادَ عُسْـرٌ واحد؛ لأنه مذكور بلفظ التعريف، واليُسْرُ مذكور بلفظ التنكير/ [٣٢٣/ أ]، وكل واحد منهما غير الآخر[1].

قـال الفَرّاءُ[2]: والعرب إذا ذَكَرَتْ نَكِرةً، ثـم أعادَتْها بِنَكِرةٍ مِثْلِها صارَتا اثنتين، كقولك: إذا كَسَبْتَ دِرْهَمًا فَأنْفِقْ دِرْهَمًا، فالثانِي غَيْرُ الأوَّلِ، فإذا أعادتها معرفةً فَهِيَ هِيَ، كقولك: إذا كَسَبْتَ دِرْهَمًا فَأنْفِقِ الدِّرْهَمَ، فالثاني هو الأوَّلُ.

= **التخريج**: ديوان حسـان ص ٣٣٨، والأبيات كلها أو بعضهـا في المصادر التالية: المحب والمحبوب للسري الرفاء ٤/ ١٧، شفاء الصدور ورقة ١٢٦/ ب، الجليس الصالح الكافِي ٢/ ٢٠٤، الكشـف والبيان ١٠/ ٢٣٣، الوسيط ٤/ ٥١٧، مجمع البيان ١٠/ ٣٨٩، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ، تفسـير القرطبـي ١/ ١٣٣، ٢٠/ ١٠٦، البحر المحيط ٨/ ٤٨٤، البداية والنهاية ٦/ ٣١٧، تفسـير ابن كثير ٤/ ٥٦١، خزانة الأدب ١/ ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٧، فتح القدير ٥/ ٤٦٢.

(١) قاله الثعلبي في الكشـف والبيان ١٠/ ٢٣٤، وينظـر: التبيان للعكبري ص ١٢٩٣، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٩٢، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ.

(٢) لـم أقـف على هذا القول في معانِي القرآن، وإنما حكاه الأزهري عن سَـلَمةَ عن الفراء في تهذيب اللغة ٢/ ٨٠، وينظر أيضًا: الوسيط ٤/ ٥١٨، زاد المسير ٩/ ١٦٤، اللسان: عسر، التاج: عسر.

وَنَحْـوَ هذا قال الزَّجّاجُ[١]: ذَكَرَ العُسْـرَ مع الألف والـلام، ثُمَّ ثَنَّى ذِكْرَهُ فصار المعنى: إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرَيْنِ.

قرأ العامة بتخفيف السـين، وقرأ أبو جعفر وعيسى بنُ عُمَرَ بضمهما[٢]، وفي حرف عبـد الله: ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ مَرّةً واحدةً غَيْرَ مُكَرَّرةٍ[٣]، والمعنى: إنَّ مَعَ العُسْرِ فِي الدنيا لِلْمُؤْمِنِ يُسْرًا في الآخرة، وربما اجتمع له اليُسْرانِ مَعًا: يُسْرُ الدنيا، وهو ما ذَكَرَهُ اللهُ تعالَى في الآية الأُولَى، وَيُسْرُ الآخِرةِ، وهو ما ذَكَرَهُ في الآية الثانية لقوله ﷺ: «لَنْ يَغْلِبَ عُسْـرٌ يُسْـرَيْنِ»[٤]؛ أي: يُسْرُ الدُّنْيا والآخِرةِ. والعُسْرُ بَيْنَ يُسْرَيْنِ إمّا فَرَجٌ فِي الدنيا، وإما ثَوابٌ فِي الآخِرةِ[٥].

وَرُوِيَ عـن العُتْبِيِّ[٦] أنه قـال: كُنْتُ ذات يوم في البادية بِحالةٍ من الغَمِّ، فَأُلْقِيَ في رُوعِي[٧] بَيْتُ شِعْرٍ، فقلتُ:

---

(١) معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤١.

(٢) وهـي أيضًا، قـراءة ابن وثاب وأبِي عمرو، ينظر: إعراب القراءات السـبع ٢/ ٥٠١، البحر المحيط ٨/ ٤٨٤، النشر ٢/ ٢١٦.

(٣) قراءة عبد الله بن مسعود في معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٧٥، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٤.

(٤) هذا جزء من حديث رواه الحاكم بسنده عن عُمَرَ وَعَلِيٍّ في المستدرك ٢/ ٣٠١، ٥٢٨ كتاب التفسـير: سورة آل عمران، وسورة «أَلَمْ نَشْرَحْ»، وينظر: المصنف لابن أبِي شيبة ٤/ ٥٨٩، ٨/ ٣٧.

(٥) حكاه الواحدي عن صاحب النظم في الوسيط ٤/ ٥١٩، وينظر: زاد المسير ٩/ ١٦٤.

(٦) هو محمد بن عُبَيْدِ الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عُتْبَةَ بن أبِي سـفيان بن أبِي حرب، أبو عبد الرحمن الأموي، كان صاحب أخبار وروايةً للآداب ومن أفصح الناس، قدم بغداد وحدث بها، توفِّي سـنة (٢٢٨هـ). [معجم الشـعراء ض ٣٥٦، طبقات الشعراء ص ٣١٤، الأعلام ٦/ ٢٥٩].

(٧) الرُّوعُ: القَلْبُ؛ لأنه موضع الرَّوْعِ، وهو الفَزَعُ. اللسان: روع.

٥٢٧ - أَرَى المَـوْتَ لِمَنْ أَصْبَـ ـحَ مَـهْـمُـومًـا لَـهُ أَرْوَحْ

فَلَمّا جَنَّ اللَّيْلُ سَمِعْتُ هاتِفًا يَهْتِفُ مِنَ الهَواءِ، وَهُوَ يَقُولُ:

٥٢٨ - أَلَا يـا أَيُّهـا المَرْءُ الْـ ـلَـذِي الـغَـمُّ بِـهِ بَـرَّحْ

وَقَـدْ أَنْـشَـدَ بَـيْـتًـا لَـمْ يَـزَلْ فِـي فِـكْـرِهِ يَسْنَحْ

إذا اشْـتَـدَّ بِكَ العُـسْـرُ فَفَكِّرْ فِـي «أَلَـمْ نَـشْـرَحْ»

فَـعُـسْـرٌ بَـيْـنَ يُـسْـرَيْـنِ إذا أَبْـصَـرْتَـهُ فـافْـرَحْ[1]

قال: فَحَفِظْتُ الأبْياتَ، فَفَرَّجَ اللهُ عَنِّي غَمِّي، وأنشد سُلَيْمانُ بن أَحْمَدَ الرَّقِّيُّ:

٥٢٩ - تَوَقَّعْ إذا ما عَرَتْكَ الخُطُوبُ سُـرُورًا يُسَـيِّرُها عَنْـكَ قَسْـرا

تُـرَى اللهَ يُـخْـلِـفُ مِـيعـادَهُ وَقَدْ قالَ: إنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرا[2]؟

---

(١) الأبيات من بحر الهزج، وقد وردت مع القصة برواياتٍ مختلفةٍ، ففي بهجة المجالس: «قال العَبْسِيُّ: خرجت حاجًّا، فَضاقَ صَدْرِي، فجعلتُ أقول:

أَرَى الـمَـوْتَ لِـمَـنْ أَمْـسَـى عَـلَـى الـذُّلِّ لَـهُ أَصْـلَـحْ

فَإِذا هاتِفٌ مِنْ وَرائِي يَقُولُ:

يـا أَيُّـهـا الـمَـرْءُ الـذِي يَـرَى الـهَـمَّ بِـهِ بَـرَّحْ

إذا ضـاقَ بِـكَ الـصَّـدْرُ فَـفَـكِّـرْ فِـي أَلَـمْ نَـشْـرَحْ

اللغة: أَرْوَحُ: أَسَرُّ وَأَفْضَلُ، بَرَّحَ بِهِ الغَمُّ: اشْتَدَّ عَلَيْهِ وَشَقَّ.

التخريج: الاقتباس من القرآن ٢/ ١٩٣، الفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ٢٦، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٥، الوسيط ٤/ ٥١٩، ٥٢٠، بهجة المجالس ١/ ١٨٣، زهر الآداب ٣/ ١٣٢، زاد المسير ٩/ ١٦٥، ١٦٦، عين المعاني ورقة ١٤٦/ أ، طبقات المفسرين للداودي ١/ ٣٩٦، طبقات الشافعية الكبرى ٥/ ٢٤٢، ٢٤٣.

(٢) البيتان من المتقارب، لَمْ أقف على قائلهما.

التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٦، الوسيط ٤/ ٥٢٠، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ.

وأنشد إسْحاقُ بنُ بُهْلُولٍ القاضِي[١]:

٥٣٠ ـ فَلَا تَيْأَسْ وَإِنْ أَعْسَرْتَ يَوْمًا ... فَقَدْ أَيْسَرْتَ فِي دَهْرٍ طَوِيلِ
وَلاَ تَظْنُنْ بِرَبِّكَ ظَنَّ سُوءٍ ... فَإِنَّ اللهَ أَوْلَى بِالجَمِيلِ
فَإِنَّ العُسْرَ يَتْبَعُهُ يَسارٌ ... وَقَوْلُ اللهِ أَصْدَقُ كُلِّ قِيلِ[٢]

وأنشد أبو بكر بن الأنباري:

٥٣١ ـ إذا بَلَغَ العُسْرُ مَجْهُودَهُ ... فَثِقْ عِنْدَ ذاكَ بِيُسْرٍ سَرِيع
أَلَمْ تَرَ نَحْسَ الشِّتاءِ الفَظِيـ ... ـعِ يَتْلُوهُ سَعْدُ الرَّبِيعِ البَدِيعِ؟[٣]

---

(١) إسحاق بن بُهْلُول بن حَسّانَ التَّنُوخِيُّ الأنباري، فقيه حَنَفِيٌّ مُحَدِّثٌ من بيت وجاهة في الأنبار، رحل في طلب الحديث إلى بغداد والكوفة والبصرة والحجاز، واستدعاه المتوكل، وسمع منه ببغداد وأكرمه، توفِّي بالأنبار سنة (٢٥٢هـ)، من كتبه: المتضاد، القراءات، المسند. [سير أعلام النبلاء١٢/ ٤٨٩، الأعلام ١/ ٢٩٤].

(٢) الأبيات من الوافر، لعَلِيٍّ، رضي الله عنه، ورواية ديوانه:

وَلاَ تَظْنُنْ بِرَبِّكَ غَيْرَ خَيْرٍ

وَنُسِبَ الأول والثاني فقط لِمُحْمُودٍ الوَرّاقِ، وهما في ديوانه باختلاف يسيرٍ في الرواية.

التخريج: ديوان الإمام عَلِيٍّ ص ١٥١، ديوان محمود الوراق ص ١٤١، الفرج بعد الشدة لابن أَبِي الدنيا ص ٩٠، ٩١، الفرج بعد الشدة للتنوخي ١/ ٦٦، ٢/ ٤٤٥، الاقتباس من القرآن ٢/ ٢٢٠، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٥، المناقب والمثالب للخوارزمي ص ٤٢٣، الوسيط ٤/ ٥٢٠، البصائر والذخائر ٥/ ٩، ١٠، تاريخ دمشق ٤٢/ ٥٢٤، مجمع البيان ١٠/ ٣٩١، بهجة المجالس ١/ ١٨٣، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ، شرح نهج البلاغة لابن أَبِي الحديد ٣/ ١٥٩، المستطرف ١/ ١٠٩، البداية والنهاية ٨/ ١١.

(٣) البيتان من المتقارب، لَمْ أقف على قائلهما.

التخريج: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٥، ٢٣٦، الوسيط ٤/ ٥٢٠، مجمع البيان ١٠/ ٣٩١، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ.

[٣٢٣/ ب] وقال آخر / :

٥٣٢ ـ إذا الحادِثاتُ بَلَغْنَ المَدَى وَكادَتْ لَهُنَّ تَذُوبُ المُهَجْ
وَحَلَّ البَلاَءُ، وَقَلَّ الرَّجاءُ فَعِنْدَ التَّناهِي يَكُونُ الفَرَجْ[١]

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: أُهْدِيَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَغْلَةٌ، أَهْداها لَهُ كِسْرَى، فَرَكِبَها بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ، ثُمَّ أَرْدَفَنِي خَلْفَهُ، ثُمَّ سارَ بِي مَلِيًّا، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ فَقالَ لِي: «يا غُلاَمُ!» فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ يا رَسُولَ اللهِ، فقال: «احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَإِذا سَأَلْتَ فاسْأَلِ اللهَ، وَإِذا اسْتَعَنْتَ فاسْتَعِنْ بِاللهِ، فَقَدْ مَضَى القَلَمُ بِما هُوَ كائِنٌ، فَلَوْ جَهِدَ الخَلْقُ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِما لَمْ يَقْضِهِ اللهُ لَكَ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، وَلَوْ جَهِدُوا أَنْ يَضُرُّوكَ بِما لَمْ يَكْتُبْهُ اللهُ عَلَيْكَ لَما قَدَرُوا عَلَيْهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَعْمَلَ بِالصَّبْرِ مَعَ اليَقِينِ فافْعَلْ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِعْ فاصْبِرْ، فَإِنَّ فِي الصَّبْرِ عَلَى ما تَكْرَهُ خَيْرًا كَثِيرًا، واعْلَمْ أَنَّ مَعَ الصَّبْرِ النَّصْرَ، وَأَنَّ مَعَ الكَرْبِ الفَرَجَ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا»[٢].

---

(١) البيتان من المتقارب لعَلِيٍّ، رضي الله عنه، ورواية ديوانه:

إذا النائِباتُ بَلَغْنَ المَدى وَكادَت تَذوبُ لَهُنَّ المُهَج
وَحَلَّ البَلاءُ، وَبانَ العَزاءُ فَعِندَ التَناهي يَكونُ الفَرَج

وَنُسِبا لِمَنْصُورٍ الفَقِيهِ، وهما في ديوانه.

التخريج: ديوان الإمام عَلِيٍّ ص ٥٦، ديوان منصور الفقيه ص ٨٧، الفرج بعد الشدة للتنوخي ٥/ ٢٣، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٦، بهجة المجالس ١/ ١٨٠، القرطبي ٩/ ٢٢٠، الكشكول ص ٤٨٣.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٨، والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٤١ =

قوله: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧﴾؛ أي: فاتْعَبْ، يقال: نَصِبَ يَنْصَبُ نَصَبًا: إذا تَعِبَ، والمعنى: إذا فَرَغْتَ يا محمدُ من الصلاة المكتوبة، فانْصَبْ إِلَى رَبِّكَ بالدعاء[1] ﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾؛ أي: ارْغَبْ إليه بالمسألة والدعاء، وَتَضَرَّعْ إليه راهِبًا من النار، راغِبًا فِي الجنة، والله أعلم.

* * *

= كتاب معرفة الصحابة: باب ذِكْرِ عبد الله بن عباس، ورواه الطبرانِيُّ في المعجم الأوسط ٥/ ٣١٦، والمعجم الكبير ١١/ ١٠٠، ١٤٣، ١٧٨، ١٢/ ١٨٤.

(١) قاله ابن عباس والضحاك ومقاتل والكلبي والفراء، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٧٥، جامع البيان ٣٠/ ٢٩٨، ٢٩٩، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٦، زاد المسير ٩/ ١٦٦، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٠٨.

سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾
مكِّية، وقيل: مدنية

وهي مائة وخمسون حرفا، وأربع وثلاثون كلمة، وثماني آيات.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ التِّينِ أعْطاهُ اللهُ ـ تعالَى ـ خَصْلَتَيْنِ: العافِيةَ واليَقِينَ ما دامَ فِي دارِ الدُّنْيا، فَإذا ماتَ أعْطاهُ اللهُ مِنَ الأجْرِ بِعَدَدِ مَنْ قَرَأ هَذِهِ السُّورةَ صِيامَ يَوْمٍ»[1]، وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ هَذِهِ السُّورةَ ـ يعني: سورة التين ـ اسْتَغْفَرَتْ لَهُ ثِمارُ الأرْضِ»[2].

باب ما جاء فيها من الإعراب



قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾ قال أكثر المفسرين[3]: هو تِينُكُمْ

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٨، الوسيط ٤/ ٥٢٢، الكشاف ٤/ ٢٦٩، مجمع البيان ١٠/ ٣٩٢.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

(٣) ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٦٩، معاني القرآن للفراء ٣/ ٢٧٥، جامع البيان ٣٠/ ٣٠١،=

هذا الذي تأكلون، وَزَيْتُونُكُم الذي تَعْصِرُونَ منه الزَّيْتَ، وإنما أَقْسَمَ اللهُ تعالَى بالتِّينِ لأنه فاكهة مُخَلَّصةٌ مِنْ شائِبَةِ التَّنْغِيصِ، رَوَى أَبُو ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال في التِّينِ: «لَوْ قُلْتُ: إنَّ فاكِهةً نُزِّلَتْ من الجَنّةِ لَقُلْتُ: هَذِهِ؛ لأنَّ فاكِهةَ الجَنّةِ بِلَا عَجَمٍ،/ فَكُلُوها فَإِنَّها تَقْطَعُ البَواسِيرَ، وَتَنْفَعُ مِنَ النِّقْرِسِ»[1]، [٣٢٤/ أ] وعن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُلُوا التِّينَ، فَإِنَّ على كُلِّ ناحِيةٍ مِنْهُ: بِسْمِ اللهِ القَوِيِّ».

وأما الزَّيْتُونُ، فإنه يُعْصَرُ مِنْهُ الزَّيْتُ الذي يَدُورُ في أَكْثَرِ الأَطْعِمةِ مَعَ الاصْطِباغِ بِهِ والادِّهانِ واتِّخاذِ الصّابُونِ، وهو مُبارَكٌ مِنْ شَجَرةٍ مُبارَكةٍ، وقيل[2]: التِّينُ: الجَبَلُ الذي عليه دِمَشْقُ، والزَّيْتُونُ: الجَبَلُ الذي عليه بَيْتُ المَقْدِسِ، وإنما سُمِّيا بِهِما لأَنَّهُما يُنْبِتانِهِما.

قوله: ﴿وَطُورِ سِينِينَ ۝٢﴾ يعني الجَبَلَ الذي كَلَّمَ اللهُ عليه مُوسَى عليه السّلام، وقيل[3]: التِّينُ والزَّيْتُونُ جَبَلَانِ بِالشّامِ يُنْبِتانِ التِّينَ والزَّيْتُونَ، يُقال لهما: طُورُ تَيْنا، وَطُورُ زَيْتا بالسُّرْيانِيّةِ، وقيل[4]: التين: مَسْجِدُ دِمَشْقَ، والزَّيْتُونُ: مَسْجِدُ

= ٣٠٢، إعراب القرآن ٥/ ٢٥٤، شفاء الصدور ورقة ٢٤٩/ ب، ٢٥٠/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٨، الوسيط ٤/ ٥٢٣، زاد المسير ٩/ ١٦٨، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٠.

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٨، الوسيط ٤/ ٥٢٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، عين المعاني ورقة ١٤٦/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٠، والعَجَمُ: نَوَى التَّمْرِ.

(٢) قاله عكرمة وقتادة، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٣٠٢-٣٠٣، معاني القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٣، الوسيط ٤/ ٥٢٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١١.

(٣) قاله عكرمة وقتادة وابن قتيبة، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٢، إعراب ثلاثين سورة ص ١٢٨، غريب القرآن للسجستاني ص ١٨٠، زاد المسير ٩/ ١٦٩، عين المعاني ورقة ١٤٦/ أ، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١١.

(٤) قاله كعب الأحبار وابن زيد وقتادة، ينظر: جامع البيان ٣٠/ ٣٠٢، شفاء الصدور =

بَيْتِ المَقْدِسِ، وَطُورُ سِينِينَ: مَسْجِدُ الطُّورِ، وسِينِينُ: المُبارَكةُ بِلُغةِ الحَبَشةِ[١]، وقال مقاتل[٢]: كُلُّ جَبَلٍ فيه شَجَرٌ مُثْمِرٌ فهو سِينِينُ وَسَيْناءُ بلغة النَّبَطِ.

قوله: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣﴾؛ أي: الآمِنِ، يعني البَلَدَ الحَرامَ مَكّةَ يَأْمَنُ الخائِفُ فيه في الجاهِلِيّةِ والإِسْلاَمِ، وَأَنْشَدَ الفَرّاءُ[٣]:

٥٣٣ـ أَلَمْ تَعْلَمِي يا أَسْمُ ـ وَيْحَكِ ـ أَنَّنِي حَلَفْتُ يَمِينًا لاَ أَخُونُ أَمِينِي؟[٤]

يريد آمِنِي، وهذا عطف على ﴿وَطُورِ﴾، و﴿ٱلْبَلَدِ﴾ نعت[٥]، و﴿ٱلْأَمِينِ﴾ نعتُ ﴿ٱلْبَلَدِ﴾.

= ورقة ٢٥٠/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٩، المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، زاد المسير ٩/ ١٦٩، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٠.

(١) قال عكرمة: «وطور سينين» هو الحَسَنُ بلغة الحبشة، وقال مجاهد وقتادة: هو المبارك الحسن، ينظر: تفسير مجاهد ٢/ ٧٦٩، جامع البيان ٣٠/ ٣٠٤، ٣٠٥، الوسيط ٤/ ٥٢٣، المحرر الوجيز ٥/ ٤٩٩، عين المعاني ورقة ١٤٦/ ب.

(٢) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٢٣٩، الوسيط ٤/ ٥٢٣، زاد المسير ٩/ ١٧٠، عين المعاني ورقة ١٤٦/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ٧٦.

(٣) معاني القرآن ٣/ ٢٧٦، وقال النحاس: «وَخُولِفَ الفَرّاءُ في هذا، فقيل: أَمِينٌ بمعنى مأمونٍ في الآية والبيتِ جميعا». إعراب القرآن ٥/ ٢٥٦، يعني أنه فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول، وليس فَعِيلًا بمعنى فاعل كما ذهب الفراء، وينظر: الكشاف ٤/ ٢٦٨، ٢٦٩، البيان للأنباري ٢/ ٥٢١، الفريد ٤/ ٦٩٦.

(٤) البيت من الطويل، لَمْ أقف على قائله، و«أَسْمُ» ترخيم أَسْماءَ.

التخريج: جامع البيان ٣٠/ ٣٠٥، الأضداد لابن الأنباري ص ٣٤، إعراب القرآن ٥/ ٢٥٦، الأضداد لأبي الطيب اللغوي ص ١٢، مقاييس اللغة ١/ ١٣٤، الصحاح ص ٢٠٧٢، الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٠، التبيان للطوسي ١٠/ ٣٧٦، مجمع البيان للطبرسي ١٠/ ٣٩٣، زاد المسير ٩/ ١٧١، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٣، اللسان: أمن، التاج: أمن.

(٥) يعني أنه نعت لاسم الإشارة «هذا»، ويجوز أن يكون بدلاً منه أو عطف بيان عليه.

وهذه أقسام، ثم ذكر جواب القسم، فقال تعالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ يعني آدَمَ وَذُرِّيَّتَهُ، خَلَقَهُم اللهُ تعالَى في أَحْسَنِ صُورةٍ وَأَعْدَلِ قامةٍ، مُتَزَيِّنًا بالعَقْلِ، مُؤَدِّيًا لِلأَمْرِ، مُهَذَّبًا بِالتَّمْيِيزِ، مَدِيدَ القامةِ، يَتَناوَلُ مَأْكُولَهُ بِيَدِهِ، وَخَلَقَ كُلَّ ذِي رُوحٍ مُنْكَبًّا عَلَى وَجْهِهِ[١]، ومعنى التقويم: التعديل، يُقال: قَوَّمْتُهُ فاسْتَقامَ.

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾﴾ يعني: رَدَدْناهُ بَعْدَ الشَّبابِ وَحُسْنِ الصُّورةِ إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ حِينَ يَنْقُصُ عُمُرُهُ، وَيَضْعُفُ بَدَنُهُ، وَيَذْهَبُ عَقْلُهُ، وهو نكرة تَعُمُّ الجِنْسَ، كما يُقال: فُلانٌ أَكْرَمُ قائِمٍ، فإذا عَرَّفْتَهُ قلتَ: القائِمِينَ، وفي مصحف عبد الله: ﴿أَسْفَلَ السّافِلِينَ﴾[٢] بالألف واللام، و﴿أَسْفَلَ﴾ نصب على الظرف[٣]، و﴿سَٰفِلِينَ﴾ خفض بالإضافة، ومعناه: إِلَى أَرْذَلِ العُمُرِ والْهَرَمِ.

فصل

عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «المَوْلُودُ حَتَّى يَبْلُغَ الحِنْثَ ما عَمِلَ مِنْ حَسَنةٍ كُتِبَتْ لِوالِدَيْهِ، فَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ عليه ولا علَى والِدَيْهِ، فإذا بَلَغَ الحِنْثَ، وَجَرَى عليه القَلَمُ، أَمَرَ اللهُ المَلَكَيْنِ اللَّذَيْنِ معه يَحْفَظانِهِ وَيُسَدِّدانِهِ، فإذا بَلَغَ أربعين سَنةً فِي الإسلام أَمَّنَهُ اللهُ تعالَى من

(١) قاله أبو بكر بن طاهر، ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٠، الوسيط ٤/ ٥٢٤، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٤.

(٢) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٠، الوسيط ٤/ ٥٢٥، تفسير القرطبي ٢٠/ ١١٥.

(٣) ويجوز أن يكون حالاً من الهاء في قوله: «رَدَدْناهُ»، ويجوز أن يكون صفةً لمكان محذوف؛ أي: مَكانًا أَسْفَلَ سافِلِينَ، ينظر: إعراب ثلاثين سورة ص ١٣٠، الفريد ٤/ ٦٩٦، الدر المصون ٦/ ٥٤٣.

البَلَايـا الثَّلَاثِ: من الجُنُونِ والجُذامِ والبَرَصِ، فإذا بلغ خمسين سَنةً خَفَّفَ اللهُ حِسابَهُ، وَتَجاوَزَ عن سَيِّئاتِهِ، فإذا بلغ ستين سَنةً أَمَّنَهُ اللهُ من الفَزَعِ الأكْبَرِ، وَرَزَقَهُ / الإنابةَ إليه فيما يُحِبُّ، والفَزَعُ الأكْبَرُ هو إطْباقُ بابِ النّارِ حِينَ يُطْبَقُ على أهْلِها، فإذا بلغ سبعين سَنةً أَحَبَّهُ أهْلُ السَّماءِ، فإذا بلغ ثمانين كَتَبَ اللهُ حَسَناتِهِ، وَتَجاوَزَ عن سَيِّئاتِهِ، فإذا بلغ تسعين غَفَرَ اللهُ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِهِ وما تَأَخَّرَ، وَشَفَّعَهُ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ، وكان اسْمُهُ أَسِيرَ اللهِ فِي أَرْضِهِ، فإذا بلغ أَرْذَلَ العُمُرِ كي لا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا، كَتَبَ اللهُ له مِثْلَ ما كان يَعْمَلُ به فِي صِحَّتِهِ من الخَيْرِ، فَإِنْ عَمِلَ سَيِّئَةً لَمْ تُكْتَبْ عَلَيْهِ»[1]. [٣٢٤/ ب]

ثم اسْتَثْنَى الجَماعةَ من الواحد؛ لأن الإنسان اسمُ جِنْسٍ، فقال تعالَى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ يريد: مِنْهُمْ، فإنه يُكْتَبُ لَهُمْ في حال هَرَمِهِمْ وَخَرَفِهِمْ مِثْلُ الذي كانوا يعملون به في حالِ شَبابِهِمْ وَصِحَّتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، فذلك قوله ـ تعالَى ـ: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦﴾ يعني: غير منقوص بغير عمل، لا يُمَنُّ عليهم به، ولا يُنْقَصُونَ من أُجُورِهِمْ إذا بَلَغُوا الهَرَمَ.

قوله: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧﴾؛ أي: فما يُكَذِّبُكَ أَيُّها الإنسان بعد هذه الحُجّةِ والبُرْهانِ بالبعث والحساب الذي فيه جَزاءُ الأعمالِ، قيل: نزلت هذه الآية في عُتْبَةَ بنِ رَبِيعةَ، وقيل: في الوليد بن المغيرة، وقيل: في أَبِي جهل ابن هشام، وقيل: في شَيْبَةَ، وقيل: في كَلَدةَ بنِ شَيْبَةَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد مختصرًا في مسنده ٢/ ٨٩، وأبو يعلى في مسنده ٦/ ٣٥١، ٣٥٢، ٧/ ٢٤٢-٢٤٤، وابن حبان في كتاب المجروحين ٣/ ١٣٢، وابن الجوزي في الموضوعات ١/ ١٧٩-١٨٠ وقال: «هذا الحديث لا يصح عن رسول الله»، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ٢٠٤-٢٠٦ كتاب التوبة: باب فيمن طال عمره من المسلمين.

و«ما» حرفٌ لَفْظُهُ لَفْظُ استفهامٍ، ومعناه التقريرُ، ومحله رفعٌ بالابتداء، و﴿ يُكَذِّبُكَ ﴾ الخَبَرُ، ومعنى ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ ﴾؛ أي: ما الذي يَجْعَلُكَ تُكَذِّبُ بالمُجازاةِ بَعْدَ هَذِهِ الحُجَجِ والبَراهِينِ ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٨﴾ ﴾؛ أي: بِأَقْضَى القاضِينَ.

والألف في ﴿ أَلَيْسَ ﴾ ألف تقرير في لفظ الاستفهام، و«لَيْسَ» فِعْلٌ يحتاج إلَى اسم وخبر، فـ﴿ٱللَّهُ ﴾ ـ سبحانه ـ اسمُ «لَيْسَ»، و«أَحْكَمُ» الخبر، و﴿ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ خفضٌ بالإضافة، وإنما انصرف أَحْكَمُ وهو على وزن «أَفْعَلَ» صفةً؛ لأنه أُضِيفَ، فَخَرَجَ عن شَبَهِ الأَفْعالِ؛ لأنها لا تُضافُ، فانصرف إلَى الخفض[1].

فصل

عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا نزلت سورة التين على رسول الله ﷺ فَرِحَ بها فَرَحًا شديدًا، حتى تَبَيَّنَ لنا شِدَّةُ فَرَحِهِ، فَسَأَلْنا ابنَ عباس ـ رضي الله عنه ـ عن تفسيرها، فقال: «التِّين» بلاد الشام، ﴿وَٱلزَّيْتُونِ﴾ بلاد فِلَسْطِينَ، ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ الذي كَلَّمَ اللهُ ـ عزّ وجلّ ـ موسى عليه، ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ مَكّةَ، ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ محمد ﷺ، ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴾ عَبَدَةُ اللَّاتِ والعُزَّى، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أبو بكر وَعُمَرُ وَعُثْمانُ وَعَلِيٌّ ـ رضي الله عنهم ـ، ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ بعد هذه الحُجَجِ والبَراهِينِ، / ﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ إذْ بَعَثَكَ فيهم نَبِيًّا، وَجَمَعَكَ على التَّقْوَى يا محمدُ»[2]. [٣٢٥/ أ]

---

(١) ينظر: إعراب ثلاثين سورة ص ١٣٢.

(٢) هذا حديث موضوع ذكره الواحديُّ في الوسيط ٤/ ٥٢٦، وينظر: تاريخ بغداد ٢/ ٩٦، تاريخ دمشق ١/ ٢١٤، الموضوعات ١/ ٢٤٩، الدر المنثور ٦/ ٣٦٥.

وقال قتادة: بَلَغَنا أن النَّبِيَّ ﷺ كان إذا قرأ هذه الآيةَ قال: «بَلَى! وَأنا عَلَى ذَلِكَ مِن الشَّاهِدِينَ»[1]، والله أعلم.

* * *

(١) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في مسنده ٢/ ٢٤٩، والترمذي في سننه ٥/ ١١٤ أبواب تفسير القرآن: سورة التين، وأبو داود في سننه ١/ ٢٠٣ كتاب الصلاة: باب مقدار الركوع والسجود، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٤١.

سورة العلق

مكية

وهي مائتان وثمانون حرفًا، واثنتان وسبعون كلمةً، وتسع عشرة آيةً.

باب ما جاء في فضل قراءتها

عن أُبَيٍّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ سُورةَ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فكَأَنَّما قَرَأ المُفَصَّلَ كُلَّهُ»(١).

وَرُوِيَ عنه ﷺ أنه قال: «مَنْ قَرَأ سُورةَ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ خَلَقَ اللهُ مِنْها مَلَكًا ساجِدًا، لَمْ يَرْفَعْ رَأْسَهُ، وَلاَ يَفْتُرُ مِنَ الدُّعاءِ لِقارِئِها»(٢).

باب ما جاء فيها من الإعراب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله ـ عزّ وجلّ ـ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ①﴾ يعني: خَلَقَ الخَلْقَ كُلَّهُمْ، والباء في ﴿بِٱسْمِ﴾ يجوز أن تكون متعلقة بموجود إذا جعلتها معمولة لقولك:

---

(١) ينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٢، الوسيط ٤/ ٥٢٧، الكشاف ٤/ ٢٧٢، مجمع البيان ١٠/ ٣٩٦.

(٢) لَمْ أعثر له على تخريج.

﴿ٱقۡرَأۡ﴾، ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف إذا جعلتها حالًا، كأنه قال: اقْرَأْ مُسْتَفْتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ، ففي الجارِّ والمجرور على هذا مُضْمَرٌ مرفوعٌ، وليس فيه على التقدير الآخر ضمير مرفوع، بل الضمير المرفوع في قول الله تعالَى: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ لا غَيْرُ[1]، والألف من «اسْمِ رَبِّكَ» لازمة فِي الوجهين جميعًا؛ لأنه لَمْ يَكْثُرْ هذا في الاستعمال[2].

قال أبو عبيدة[3]: ومجازه: اقْرَأْ اسْمَ رَبِّكَ، والباء زائدة. وإنما دخلت الباءُ لِتَدُلَّ على الملازمة والتكرير، ومثله: أَخَذْتُ بِالخِطامِ، فلو قلتَ: اقْرَأْ اسْمَ رَبِّكَ، وَأَخَذْتُ الخِطامَ، لَمْ يكن في الكلام ما يدل على لزوم الفعل وتكريره[4]، والمعنى: اذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ، كأنه أُمِرَ أن يَبْتَدِئَ القِراءةَ باسم الله تعالَى تَأْدِيبًا.

ثم وصف ذلك فقال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢﴾ يعني الدَّمَ، واحدها عَلَقةٌ، وإنما جمع لَفْظُ العَلَقِ، والإنسانُ واحد؛ لأنه في معنى الجمع.

وهذه السورة أَوَّلُ ما نزل من القرآن على رسول الله ﷺ، وأول ما نزل

---

(١) من أول قوله: «والباء في قوله: «بِاسْمِ» يجوز...» نقله المؤلف عن طاهر بن أحمد بن بابشاذ في شرح المقدمة المحسبة ص ٤٣٧، وينظر أيضًا: الكشاف للزمخشري ٤/ ٢٧٠، الفريد للهمدانِيِّ ٤/ ٦٩٧.

(٢) قال ابن قتيبة: «باب ألف الوصل في الأسماء، تكتب «بِسْمِ اللهِ» إذا افتتحتَ بها كتابًا، أو ابتدأت بها كلامًا، بغير ألف؛ لأنها كثرت في هذه الحال على الألسنة في كل كتاب يُكْتَبُ، وعند الفَزَعِ والجَزَعِ، وعند الخَبَرِ يَرِدُ، والطعامِ يُؤكَلُ، فَحُذفت الألف استخفافًا، فإذا توسَّطَتْ كلامًا أثْبتَّ فيها ألِفًا نحو: أَبْدَأُ باسم الله، وأختم باسم الله، وقال الله تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾، و﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ﴾، وكذلك كُتِبَتْ في المصاحف في الحالَيْنِ مبتدأةً ومتوسطةً». أدب الكاتب ص ١٨٤.

(٣) مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤.

(٤) قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٨٤.

منها خَمْسُ آيات من أولها إلَى قوله: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾، نزل بها جبريل عليه السّلام على رسول الله ﷺ وهو قائمٌ على حراء، فَعَلَّمَهُ إيّاهُنَّ[1].

قوله: ﴿ٱقْرَأْ﴾ تكرير للتأكيد، ثم استأنف/ فقال: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣﴾ يعني: الحليم عن جهل العباد، لا يَعْجَلُ عليهم بالعقوبة، وهو ابتداء وخبر في موضع حال من المضمر في ﴿ٱقْرَأْ﴾[2].

قوله: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤﴾ يعني: عَلَّمَ الكِتابَ بِالقَلَمِ، فحذف الكتاب، وهو المراد فِي المعنى ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ مفعول ثانٍ؛ أي: عَلَّمَ الإنْسانَ خَطًّا بالقَلَمِ، قيل[3]: أراد بالإنسان هاهنا جميعَ الخَلْقِ، وهو قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾[4].

وقيل[5]: أراد آدمَ عليه السّلام، عَلَّمَهُ الأسْماءَ كُلَّها، وهو قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[6]، وقيل[7]: أراد بالإنسان هاهنا محمَّدًا ﷺ، وهو

---

(١) روى الإمام أحمد ذلك بسنده عن السيدة عائشة، رضي الله عنها، في المسند ٦/ ٢٣٢، ٢٣٣، ورواه البخاري في صحيحه ٦/ ٨٧ كتاب تفسير القرآن: سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾، ٨/ ٦٧ كتاب التعبير، وينظر: البرهان للزركشي ١/ ٢٠٦-٢٠٨.

(٢) أي: اقْرَأْ مُجازِيًا لَكَ رَبُّكَ، قاله مَكِّيٌّ في مشكل إعراب القرآن ٢/ ٤٨٤.

(٣) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٥١/ أ، المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٢، البحر المحيط ٨/ ٤٨٩.

(٤) النحل ٧٨.

(٥) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٥١/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٥، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٢.

(٦) البقرة ٣١.

(٧) ينظر: شفاء الصدور ورقة ٢٥١/ أ، الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٥، المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٢، زاد المسير ٩/ ١٧٦، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٢، البحر المحيط ٨/ ٤٨٩.

قوله: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾[١].

قوله تعالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ﴾ يعني أبا جهل بن هشام ﴿لَيَطْغَىٰ ۝٦﴾ يريد: في نِعَمِ اللهِ تعالَى عليه، فَيُبَدِّلُ نِعَمَ اللهِ كُفْرًا، والطغيان: مجاوزة المقدار، وقيل[٢]: الطغيان هاهنا: التكذيب ﴿أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ ۝٧﴾ يعني: أنْ رَأى نَفْسَهُ غَنِيًّا، قال الكَلْبِيُّ[٣]: يرتفع من مَنْزِلةٍ إلَى مَنْزِلةٍ في اللباس والطعام وغيرهما، قيل[٤]: وهذه الهاء في إضمار الإنسان المذكور عائدة على النفس.

فصل

كان رسول الله ﷺ يقول: «أعُوذُ بِكَ مِنْ فَقْرٍ يُنْسِي، وَمِنْ غِنًى يطْغِي»[٥]، وعن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: «مَنْهُومانِ لَا يَشْبَعانِ: طالِبُ

---

(١) النساء ١١٣.

(٢) حكاه النقاش عن الحسين بن واقد في شفاء الصدور ورقة ٢٥١/ ب.

(٣) ينظر قوله في الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٦.

(٤) قال الفراء: «وقوله تعالى: «أنْ رَآهُ اسْتَغْنَى»، وَلَمْ يَقُلْ: أنْ رَأى نَفْسَهُ، والعرب إذا أوْقَعَتْ فِعْلًا يكتفي باسمٍ واحدٍ على أنْفُسِها، أو أوْقَعَتْهُ من غيرها على نفسه جعلوا مَوْضِعَ المُكَنَّى نَفْسَهُ، فيقولون: قَتَلْتَ نَفْسَكَ، ولا يقولون: قَتَلْتَكَ، قَتَلْتُهُ، ويقولون: قَتَلَ نَفْسَهُ، وَقَتَلْتُ نَفْسِي، فإذا كان الفعل يريد اسْمًا وَخَبَرًا طَرَحُوا النَّفْسَ، فقالوا: مَتَى تَراكَ خارِجًا؟ وَمَتَى تَظُنُّكَ خارِجًا؟ وقوله تعالى: «أنْ رَآهُ اسْتَغْنَى» من ذلك». معانِي القرآن ٣/ ٢٧٨، وينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٣، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٦٢، إعراب ثلاثين سورة ص ١٣٧.

(٥) رواه أبو يعلى عن أنس في مسنده ٧/ ٣١٣، والطبراني عن ابن مسعود في المعجم الكبير ٩/ ٢٠٠، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١١٠، ١٤٤ كتاب الأذكار: باب الدعاء في الصلاة وبعدها، وباب ما يستعاذ منه.

عِلْمٍ، وَطالِبُ الدُّنْيا، وَلا يَسْتَوِيانِ، أمّا طالِبُ العِلْمِ فَيَزْدادُ رِضًى لِلرَّحْمَنِ، وَأمّا طالِبُ الدُّنْيا فَيَزْدادُ في الطُّغْيانِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾[١].

ثم خَوَّفَهُ اللهُ بِالرَّجْعةِ، فقال تعالَى: ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ يعني المرجع إلَى الله تعالى في الآخرة، و﴿ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ مصدر على «فُعْلَى» ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩﴾ يعني أبا جهل بن هشام ﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠﴾ يعني النَّبِيَّ ﷺ، وذلك أن أبا جهل ـ لَعَنَهُ اللهُ ـ قال: لَئِنْ رَأيْتُ محمَّدًا يُصلِّي لأطَأَنَّ عُنُقَهُ، فرآه يصلي، فانطلق عَدُوُّ الله إليه، فارْتَدَّ على عَقِبَيْهِ يَتَّقِي بِيَدَيْهِ، فَأتَوْهُ فقالوا له: ما لَكَ يا أبا الحَكَمِ؟ قال: إنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نارٍ وَهَوْلًا وَأجْنِحةً، فقال رسول الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ دَنا مِنِّي لاَخْتَطَفَتْهُ المَلائِكةُ عُضْوًا عُضْوًا»[٢]، فأنزل الله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾ تَعَجُّبًا من جهله.

وهي كلمةُ تَنْبِيهٍ للمتسائل على ما يَسْألُ عنه، وَتَحُثُّهُ على التَّفَهُّمِ للإجابة، ومعنى ﴿أَرَءَيْتَ﴾ هاهنا تَعْجِيبٌ لِلْمُخاطَبِ، وَكَرَّرَ هذه اللَّفْظَةَ للتأكيد في التَّعْجِيبِ، وهو قوله: ﴿أَرَءَيْتَ / إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١﴾ يعني النَّبِيَّ ﷺ، قال الأخفش[٣]: ﴿أَرَءَيْتَ﴾ الثاني بَدَلٌ من الأول، والخبر ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾. وهذا [٣٢٦/ أ]

---

(١) رواه الدارمي بسنده عن أبي هريرة في سننه ١/ ٩٦ بابٌ في فضل العِلْمِ والعالِمِ، وينظر: الوسيط للواحدي ٤/ ٥٢٩.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٣٧٠، ومسلم في صحيحه ٨/ ١٣٠ كتاب صفة القيامة والجنة والنار: باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ﴾، والنسائي في السنن الكبرى ٦/ ٥١٨ كتاب التفسير: سورة العلق.

(٣) قال الأخفش: «قال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كانَ عَلَى الْهُدَى﴾، ثم قال: ﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾، فجعلها بَدَلًا منها، وجعل الخبر: ﴿أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَى﴾. معانِي القرآن ص ٥٤١.

حَسَـنٌ، وقال غيره[١]: كل واحد من ﴿أَرَءَيْتَ﴾ بَـدَلٌ من الأول، و﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾ خَبَرٌ عن هذا كُلِّهِ؛ لأن هذا من التكذيب.

قوله: ﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾﴾ يعني: بالإيمان والإخلاص للهِ تعالَى بالتوحيد، يعنـي: أرَأيْتَ إنْ كان محمد كذلـك تَمْنَعُهُ وَتَنْهاهُ مُقَبِّحًا لـه فِعْلَهُ؟ ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ﴾ يعني أبا جهل ﴿وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾﴾ أعْرَضَ عن الإيمان بالله ورسـوله ﴿أَلَمْ يَعْلَم﴾ يعني أبا جهل ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾؛ أي: يَراهُ على ما هو عليه من الكفر والتكذيب والجهالة، قال الحسـين بن خالويه[٢]: والهمزة في ﴿أَلَمْ﴾ همزة توبيخ وتقرير بلفظ الاستفهام، و«لَمْ» حرف جزم.

ثـم خَوَّفَهُ فقال ـ تعالَى ـ: ﴿كَلَّا﴾ زَجْرًا له وَرَدْعًا ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ﴾ عن محمد ﷺ وَأذاهُ ﴿لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾؛ أي: لَنَجْذِبَنَّ بناصِيَتِهِ، وهو شَـعَرُ مُقَدَّمِ رَأْسِهِ، وهو شرط وجزاء، واللام فِي الموضعين لام توكيد، والسَّفْعُ: الجَذْبُ الشديد، يقال: سَفَعْتُ بِالشَّيْءِ: إذا أخَذْتَهُ وَجَذَبْتَهُ جَذْبًا شَدِيدًا[٣]، قال الشاعر:

٥٣٤ ـ قَوْمٌ إذا سَمِعُوا الصُّراخَ رَأَيْتَهُمْ ... مِـنْ بَيْـنِ مُلْجِمِ مُهْـرِهِ أوْ سـافِعِ[٤]

والمعنى: لَنَجُرَّنَّ بِناصِيَةِ أبِي جَهْلٍ إلَى النار.

---

(١) يعنـي أن ﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾ و﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ بـدل من قوله: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ﴾، وهذا القول حكاه النقاش بغير عزو في شـفاء الصدور ٢٥١/ ب، وينظر: تفسـير القرطبي ٢٠/ ١٢٥.

(٢) هـذا النص قاله ابـن خالويه في أكثر من موضع من كتابه إعراب ثلاثين سـورة، منها مثلًا: ص ٧٥، ٩٠، ١١٩، ١٢٤.

(٣) قاله الزجاج في معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٥، وينظر: غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٨١.

(٤) البيـت من الكامل، لِحُمَيْدِ بن ثَوْرٍ، وَنُسِـبَ لِعَمْرِو بنِ مَعْدِي كَـرِبٍ، وهو في ديوانه أيضًا، ويُرْوَى: «**الصَّرِيخَ**» مكان «**الصُّراخَ**». =

وهـذه النون هي نـون التأكيد الخفيفة دخلت مع لام القَسَـمِ، والوقف عليهـا إذا انفتح ما قبلها بالألف؛ فَرْقًا بينها وبين النـون الثقيلة، ولأنها بِمَنْزِلةِ قولك: رَأَيْتُ زَيْدًا[1]. كما قال الشاعر:

٥٣٥ ـ فَلاَ تَحْمَدِ الشَّيْطانَ، واللهَ فاحْمَدا[2]

وَتُحْـذَفُ فـي الوقف إذا انْضَمَّ ما قبلها أو انْكَسَـرَ، وَيُـرَدُّ ما حُذِفَ من أجلهـا، لو قلـتَ: الزَّيْدُونَ هَـلْ يَقُومُنْ يا هـذا؟ بالنون الخفيفـة، ثم وقفتَ عليـه رَدَدْتَ الـواوَ التي هي علامة الضميـر، وَتَرُدُّ النُّونَ التـي للرفع فتقول:

= **اللغة**: الصَّرِيخُ: المُسْتَغِيثُ، والصَّرِيخُ: صَوْتُ المُسْتَغِيثِ، سافِعٌ: آخِذٌ بناصِيةِ مُهْرِهِ لِيُلْجِمَهُ.
التخريـج: ديوان حميد بن ثـور ص ١١١، ملحق ديوان عمرو بن معدي كرب ص ٢٠٦، السـيرة النبوية لابن هشـام ١/ ٢٠٤، الصحاح ص ١٢٣٠، شـرح الحماسـة للمرزوقي ص ٢٩، الكشاف ٤/ ٢٧٢، المحرر الوجيز ٥/ ٥٠٣، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٥، شرح التسـهيل لابن مالك ١/ ٣١٧، ٣/ ٣٦٤، اللسـان: سفع، البحر المحيط ٨/ ٤٨٧، مغني اللبيـب ص ٩٠، الـدر المصون ٦/ ٥٤٧، المقاصد النحويـة ٤/ ١٤٦، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٢١، التصريح للشيخ خالد ٢/ ١٤٦، شرح شواهد المغني ص ٢٠٠.

(١) قاله المبرد والنحاس، ينظر: المقتضب ١/ ١٩٩، ٣/ ١٧، ٣٣٥، إعراب القرآن ٥/ ٢٦٣، وينظر: سـر صناعة الإعراب ص ٦٨٧، مشـكل إعـراب القـرآن ٢/ ٤٨٦، مغني اللبيب ص ٤٨٦.

(٢) هذا عَجُزُ بَيْتٍ من الطويل، للأعشى من قصيدة يَمْدَحُ بِها النَّبِيَّ ﷺ، وَيُرْوَى:
وَلاَ تَحْمَـدِ المُثْرِيـنَ واللهَ فاحْمَـدا
وصدره:
وَصَلِّ عَلَى حِينِ العَشِيّاتِ والضُحَى
التخريـج: ديوان الأعشـى ص ١٨٧، السـيرة النبويـة لابن هشـام ١/ ٢٦٠، تهذيب اللغة ١٥/ ٦٦٤، الإنصاف ص ٦٥٧، البيان للأنباري ٢/ ٣٨٧، شـرح المفصل لابن يعيش ٩/ ٣٩، ١٠/ ٢٠، اللسان: الألف، البداية والنهاية ٣/ ١٢٧، التصريح ٢/ ٢٠٨، التاج: الألف.

هَـلْ يَقُومُـونَ، وكذلك تقول للمؤنث: هَلْ تَضْرِبِنْ زَيْـدًا؟، فإن وقفتَ رَدَدْتَ اليـاءَ التي هي علامة التأنيـث، وَتَرُدُّ النُّونَ التي هي علامـة الرفع فتقول: هَلْ تَضْرِبِينَ؟[١]، وليس فِي القرآن من مثل هذا إلّا حَرْفٌ في سورة يوسف، وذلك قوله: ﴿لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّـٰغِرِينَ﴾[٢].

وقوله: ﴿نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾﴾ يعنـي صاحِبها أبا جهل كاذب خاطئ، وهي خفض على البدل من الناصية، وهو بدل النكرة من المعرفة[٣].

وقولـه: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾﴾؛ أي: أَهْلَ نادِيهِ، فحـذف المضاف وأقام المضاف إليه مُقامه اتسـاعًا، كما قال تعالَى: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾[٤]؛ أي: أَهْلَ القَرْيـةِ، والمعنـى: فَلْيَدْعُ أَبُو جَهْلٍ أَهْلَ مَجْلِسِـهِ، والنـادي: المَجْلِسُ الذي يجتمـع فيه القـوم، وَيَقْضُونَ فيـه أُمُورَهُمْ[٥]، قـال الله تعالَى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي

---

(١) مـن أول قولـه: «وتحذف فـي الوقف» نقله المؤلف عن مكي في مشـكل إعـراب القرآن ٢/ ٤٨٦.

(٢) يوسف ٣٢.

(٣) أجاز البصريون إبدال النكرة من المعرفة بلا شرط، وأجازه الكوفيون بشرط كونها بلفظ الأول أو موصوفـةً كهذه الآية، ينظـر: الكتاب ١/ ٣٩٨، ٢/ ٩، ٨٦، معانِـي القرآن للفراء ١/ ٧، ٢/ ٣٨٢، ٤٠٧، الكامل ٣/ ١٨، والمقتضب للمبرد ١/ ١٦٤٣/ ٢٧١، الأصول ٢/ ٤٦، ٤٧، إعراب القرآن للنحاس ٥/ ٢٦٣، الجمل للزجاجي ص ٢٤، المسائل المنثورة ص ٤٦-٤٧، شـرح المقدمة المحسـبة ص ٤٢٥، شرح التسـهيل لابن مالك ٣/ ٣٣١، شـرح كافية ابن الحاجـب للرضـي ٢/ ٤٠٤، ٤٠٥، ارتشـاف الضـرب ٤/ ١٩٦٢، ١٩٦٣، خزانة الأدب ٢/ ٤٤٦، ٥/ ١٧٩، ١٨٦.

(٤) يوسف ٨٢.

(٥) قال الأزهري: «وقال الليث: النّادِي: المَجْلِسُ يَنْدُو إليه مَنْ حَوالَيْهِ، ولا يُسَـمَّى نادِيًا حتى يكون فيه أَهْلُهُ، فإذا تَفَرَّقُوا لَمْ يَكُنْ نادِيًا». تهذيب اللغة ١٤/ ١٩٠.

نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾[(١)] يعني: في / مَجْلِسِكُمْ.

وقوله: ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾﴾ يعني الملائكة، قال الله تعالَى: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ الآية[(٢)]، وإنما سُمُّوا زَبانِيَةً مأخوذٌ من الزَّبْنِ وهو الدَّفْعُ، يُقال: زَبَنَتْهُ النّاقةُ: إذا رَكَضَتْهُ بِرِجْلِها عند الحَلَبِ[(٣)]، وَفِي الحديث: «إنَّما زَبَنَت النّاقةُ، فكَسَرَتْ أنْفَ حالِبِها»[(٤)]، وكأنهم يَدْفَعُونَ فِي أقْفِيةِ الكفار إلَى جهنم، واحدهم: زِبْنِيٌّ[(٥)]، وقيل: زِبْنِيةٌ، قاله الجَرْمِيُّ[(٦)]، وهو الرَّجُلُ الجافِي الغَلِيظُ، وهم هاهنا خَزَنَةُ النّارِ، والزَّبانِيَةُ في الدُّنْيا: أعْوانُ الرَّجُلِ الذين يخدمونه وَيُعِينُونَهُ، الواحد زِبْنِيةٌ كما تقدم، قال ابن الزِّبَعْرَى:

---

(١) العنكبوت ٢٩.

(٢) التحريم ٦.

(٣) قاله ابن قتيبة والنقاش، ينظر: غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٣، شفاء الصدور للنقاش ورقة ٢٥٢/ أ، وينظر: ديوان الأدب للفارابِي ٢/ ١٨٧، تهذيب اللغة ١٣/ ٢٢٧، ٢٢٨، غريب القرآن للسجستانِيِّ ص ١٨١، نظام الغريب للرَّبَعِيِّ ص ١٠٥.

(٤) هذا حديث معاوية كما ذكر ابن الأثير في النهاية في غريب الحديث والأثر ٢/ ٢٩٥، وينظر: اللسان: زبن، ولَمْ أقف عليه في كتب الحديث.

(٥) قاله الكسائي والنقاش وابن خالويه، ينظر: معانِي القرآن للفراء ٣/ ٢٨٠، شفاء الصدور ورقة ٢٥٢/ أ، إعراب ثلاثين سورة ص ١٤١، وحكاه الأزهري عن الكسائي في التهذيب ١٣/ ٢٢٨.

(٦) ينظر قول الجرمي في إعراب ثلاثين سورة ص ١٤١، وهو مذهب سيبويه، وقاله أكثر النحويين، ينظر: الكتاب ٤/ ٢٦٨، مجاز القرآن ٢/ ٣٠٤، غريب القرآن لابن قتيبة ص ٥٣٣، معانِي القرآن وإعرابه ٥/ ٣٤٦، وذهب عيسى بن عمر والأخفش إلى أن الواحد زابِنٌ، ينظر: معانِي القرآن للأخفش ص ٥٤١، الصحاح ٥/ ٢١٣٠، اللسان: زبن.

٥٣٦ـ مَطاعِيمُ في المِقْرَى مَطاعِينُ في الوَغَى زَبانِيةٌ غُلْبٌ عِظامٌ حُلُومُها[١]

يريد: أنهم شِدادٌ.

وإنما كُتِبَ ﴿سَنَدْعُ﴾ بغير واو على الإدْراجِ، ولا يجوز الوقف عليه[٢]، والأصل: سَنَدْعُو بالواو غير أنها ساكنة، واستقبلتْها اللامُ الساكنة، فسقطت الواو لالتقاء الساكنين، فَبَنَوا الخَطَّ على اللفظ، وقد حُذِفَتْ واواتٌ كثيرة من المصحف مثل هذا ونحوه[٣].

فصل

عن ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ قال: لَمّا نَهَى أبو جهل رَسُولَ اللهِ ﷺ عن الصلاة، انْتَهَرَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فقال له أبو جهل: أَتَنْتَهِرُني يا محمد وَقَدْ عَلِمْتَ ما بِها رَجُلٌ أَكْثَرُ نادِيًا مِنِّي؟، فَوَاللهِ لأَمْلأَنَّ عَلَيْكَ هذا الوادِيَ ـ إنْ شِئْتُ ـ خَيْلًا جُرْدًا وَرِجالًا مُرْدًا، فأنزل الله تعالَى: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾، فقال ﷺ: «لَوْ دَعا نادِيَهُ لأَخَذَتْهُ الزَّبانِيةُ»[٤]، يعني زَبانِيةَ اللهِ.

---

(١) البيت من الطويل، لِعَبْدِ اللهِ بنِ الزِّبَعْرَى.

اللغة: غُلْبٌ: جَمْعُ أَغْلَبَ وَهُوَ الغَلِيظُ الرَّقَبَةِ.

التخريج: شعر عبد الله بن الزبعرى ص ٨٦، السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٢٠٥، عين المعانِي ورقة ١٤٦/ ب، تفسير القرطبي ٢٠/ ١٢٦، الدر المصون ٦/ ٥٤٨، اللباب في علوم الكتاب ٢٠/ ٤٢٣، فتح القدير ٥/ ٤٧٠.

(٢) قاله النحاس في إعراب القرآن ٤/ ٨١، ٥/ ٢٦٤، وينظر: الخصائص ٢/ ٢٩٣.

(٣) قاله ابن خالويه في إعراب ثلاثين سورة ص ١٤١.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٥٦، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٨٨ كتاب التفسير: سورة الجمعة، وينظر: الكشف والبيان ١٠/ ٢٤٦، مجمع الزوائد ٧/ ١٣٩ كتاب التفسير: سورة «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ»، ٨/ ٢٢٨ كتاب علامات النبوة: باب تأييده ﷺ على أعدائه.

ثم قال تعالَى: ﴿ كَلَّا ﴾ أي: ليس الأمر على ما عليه أبو جهل ﴿لَا تُطِعْهُ ﴾ يـا محمد فيما ينهاك عنه من الصـلاة ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾﴾؛ أي: صَلِّ للهِ، واقْتَـرِبْ إليـه بطاعته؛ فإنه يَعْصِمُـكَ وَيَمْنَعُ مِنْكَ، وفي الحديـث: «أقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنَ اللهِ ـ عزّ وجلّ ـ إذا كانَ ساجِدًا، فَأكْثِرُوا مِنَ الدُّعاءِ والسُّجُودِ، فَإنَّهُ قَمِنٌ[1] أنْ يُسْتَجابَ لَكُمْ»[2].

فصل

رُوِيَ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا قَرَأ ابنُ آدَمَ السَّجْدةَ فَسَجَدَ اعْتَزَلَ الشَّـيْطـانُ يَبْكِي، وَيَقُولُ: يا وَيْلَتا، أُمِرَ ابنُ آدَمَ بِالسُّـجُودِ، فَسَـجَدَ فَلَهُ الجَنّةُ، وَأُمِرْتُ بِالسُّجُودِ، فَأبَيْتُ فَلِيَ النّارُ»[3]، والله أعلم.

* * *

---

(١) قَمِنٌ: حَرِيٌّ وَجَدِيرٌ. اللسان: قمن.

(٢) رواه الإمام أحمد بسنده عن أبي هريرة في المسند ٢/ ٤٢١، ومسلم في صحيحه ٢/ ٤٩ كتاب الصلاة: باب ما يُقالُ في الركوع والسـجود، وأبو داود في سـننه ١/ ٢٠١ كتاب الصلاة: باب الدعاء في الركوع والسجود.

(٣) رواه الإمام أحمد بسـنده عن أبِي هريرة في المسند ٢/ ٤٤٣، ومسلم في صحيحه ١/ ٦١ كتاب الإيمان: باب بيان إطلاق اسم الكُفْرِ على تَرْكِ الصلاة، وابن ماجه في سننه ١/ ٣٣٤ كتاب إقامة الصلاة: باب سجود القرآن.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

